مجموعة رسائل الكشميري

رياض

- ❊ فصل الخطاب فى مسألة أمّ الكتاب
- ❊ نيل الفرقدَين فى مسألة رفع اليدين
  مع حاشيته "بسط اليدين"
- ❊ كشف الستر عن صلاة الوتر
- ❊ عقيدة الإسلام مع حاشيته "تحيّة الإسلام"
- ❊ مرقاة الطارم لحدوث العالم
- ❊ ضرب الخاتم على حدوث العالم
- ❊ التصريح بما تواتر فى نزول المسيح
- ❊ إيناس بإتيان إلياس عليه السلام
- ❊ مشكلات القرآن مع مقدمته "يتيمة البيان"
- ❊ إكفار الملحدين فى ضروريات الدين

امام العصر المحدث الحافظ الشيخ

محمد انور شاه الكشميري

ولد ١٢٩٢. وتوفي ١٣٥٢ هـ

رحمه الله تعالى

المجلد الثالث

الناشر

المجلس العلمي

كراتشى

إخراج وتوزيع

ادارة القرآن والعلوم الاسلامية

كراتشي باكستان

٤١ من منشورات المجلس العلمى

مجموعة رسائل الكشميرى

الطبعة الأولى ١٩٩٦م-١٤١٦هـ

الطبعة الثانية ٢٠٠٤م-١٤٢٤هـ

الطبعة الثالثة ٢٠١٥م-١٤٣٦هـ

التصريح بما تواتر في نزول المسيح

MAJLIS ILMI:
P. o. BOX:1 JOHANNESBURG, SOUTH AFRICA
P. O. SIMLAK, DISTRICT VALSAD, GUJRAT, INDIA.
MAJLIS ILMI KARACHI

الإخراج والطباعة والتوزيع

إدارة القرآن والعلوم الإسلامية

كلشن اقبال كراتشي ٥ - باكستان

الهاتف: ٠٢١-٣٤٩٦٥٨٧٧

ويطلب أيضا من:

مكتبة القرآن .... بنوري تاون كراتشي

مركز القرآن .... اردو بازار كراتشي

مكتبة الرشد .... الرياض - السعودية

قال تعالى:

وإنه لعلم للساعة
فلا تمترن بها

التصريح بما تواتر في نزول المسيح

لإمام العصر المحدث الكبير الشيخ محمد أنور شاه الكشميري الهندي

ولد ١٢٩٢ وتوفي ١٣٥٢ هـ
رحمه الله تعالى

رتبه تلميذه العلامة المحقق البارع الشيخ محمد شفيع
مفتي باكستان حفظه الله تعالى

تحدث هذا الكتاب عن كثير من علامات الساعة الكبرى مشروحة موضحة وخاصة نزول عيسى عليه السلام وخروج الدجال ويأجوج ومأجوج والدابة والدخان...
فجدير بكل مؤمن ومؤمنة أن يعلمها ليزداد بها بصيرة وإيماناً

حققه وراجع نصوصه وعلق عليه
عبد الفتاح أبو غدة

أربع آيات من كتاب الله تعالى
في نزول عيسى عليه السلام

١ - ﴿ إذْ قالَتْ المَلائكةُ يا مَرْيَمُ إنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمةٍ منه اسْمُهُ المَسيحُ عيسى ابنُ مريم وَجيهاً في الدُّنيا والآخرةِ ومِنَ المُقَرَّبِينَ . ويُكَلِّمُ النَّاسَ في المَهْدِ وكَهْلاً ومِنَ الصَّالحين ﴾ . من سورة آل عمران : ٤٥ - ٤٦ .

٢ - ﴿ إذْ قالَ اللهُ يا عيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عليكَ وعلى والِدَتِكَ إذ أيَّدْتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ تُكَلِّمُ الناسَ في المَهْدِ وكَهْلاً ﴾ . من سورة المائدة : ١١٠ .

٣ - ﴿ وقَوْلِهِمْ إنَّا قَتَلْنا المَسيحَ عيسى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ الله وما قَتَلُوهُ وما صَلَبُوهُ ولكنْ شُبِّهَ لَهُم وإنَّ الذين اخْتَلَفُوا فيه لَفِي شَكٍّ منه ما لَهُمْ به مِن عِلْمٍ إلاّ اتّباعَ الظَّنِّ وما قَتَلُوهُ يَقيناً . بل رَفَعَهُ اللهُ إليه وكانَ اللهُ عزيزاً حكيماً . وإنْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ إلاّ لَيُؤْمِنَنَّ به قَبْلَ مَوْتِهِ ويَوْمَ القِيامَةِ يكونُ عَلَيْهِم شَهيداً ﴾ . من سورة النساء : ١٥٧ - ١٥٩ .

٤ - ﴿ ولمَّا ضُرِبَ ابنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إذا قَوْمُكَ منه يَصِدُّونَ . إنْ هُوَ إلاّ عَبْدٌ أنْعَمْنا عَلَيهِ وجَعَلْناهُ مَثَلاً لِبَني إسْرائيل . وإنَّه لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ فلا تَمْتَرُنَّ بِها واتَّبِعُونِ هذا صِراطٌ مُسْتَقيم ﴾ . من سورة الزخرف : ٥٧ و ٥٩ و ٦١ .

انظر تفسير الآية الأولى والثانية في ص ٢٩١ ، وتفسير الآية الثالثة في ص ٩٣ و ٢٧٩ - ٢٨٧ ، وتفسير الآية الرابعة وبيان قراءتها في ص ٢٨٩ - ٢٩١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فهذه تقدمة للطبعة الثالثة من كتاب «التصريح بما تواتر في نزول المسيح» للإمام المحدِّث الكبير الشيخ محمد أنور شاه الكشميري الهندي، رحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة والرضوان في دار كرامته.

وقد دعاه إلى تأليف هذا الكتاب في حينه، الردُّ على الفرقةِ الضالّة: (القاديانية)، وكشفُ كفرِها وخروجِها عن المِلّة والدين، كما هو مشروح في مقدمة هذا الكتاب، بقلم تلميذ المؤلف شيخنا العلامة المحقق المحدِّث محمد شفيع مفتي باكستان رحمه الله تعالى.

ولما حقَّقتُ هذا الكتاب ــ بعون الله تعالى وفضله ــ، وقمتُ بخدمته وطبعِه منذ خمس عشرة سنة على الوجه الذي يراه القارىء، لَقِيَ من القبول والرضا والاستحسان ما لم أكن أتوقعه، ونَفَع الله به خلقاً كثيراً، وأنار به حُكماً كان مغموزاً، وأفاد أناساً كباراً من عِلْيَةِ أهل العلم والفقه في هذا العصر، كانوا ينظرون إلى هذه المسألة بالاستضعاف ولِين الثبوت، فلما وقفوا على هذا الكتاب وقرأوه، تحوَّلوا ــ بفضل الله تعالى ثم بفضل هذا الكتاب ــ إلى الاعتقاد الحق فيها، وأنها من الأمور الثابتة المتواترة تواتراً معنوياً لا ريب فيها.

فأزال هذا الكتابُ ــ بفضل الله وكرمه ــ غموضَ هذه المسألة من نفوس كثير من أهل العلم، وأبدلهم بالغموض فيها وضوحاً، وبالتردُّد يقيناً، وبالتوقف جزماً، وبالاستضعاف لها دفاعاً عنها، فالحمد لله على فضل الله.

أما نفعُهُ للعامة والخاصة من طلبة العلم وراغبيه، فقد كان واسعاً وكثيراً، إذ وجدوه قد جَمَع لهم نصوصَ هذه المسألة خيرَ جَمْع، وضَبَطها، وحقَّقها، وشَرَحها، وجلَّى معانيها والمرادَ بها خيرَ تجلية، بحيث يَفهمها العالم والمتعلم والرجل والمرأة، على وجه تطمئن به القلوب، وتستقر فيه العقيدةُ المتوارثةُ من السلف إلى الخلف على أنصع يقين، وبحيث يُدفَعُ القارىءُ النافرُ عن الجادة في هذه المسألة، إلى الرجوع إليها والإذعانِ لها كما هو الحق.

وصَدَرتْ الطبعة الأولى منه بحلب سنة ١٣٨٥، وقدَّر الله تعالى لها النفاد في وقت قصير، واشتد الطلبُ على الكتاب من جهات شتى، من الهند وباكستان ومصر واليمن والشام وغيرها من بلاد الإسلام، ولم أمِل إلى طبعه كما هو، بُغيَةَ أن أُضيف إليه إضافات، وأزيد فيه زيادات، تجمّعتْ لديَّ بعد طبعه، تزدادُ بها محاسنُ الكتاب وفوائدُه، ولكن لم أتمكن من ذلك لأسباب قاهرة.

ولما قام علماء الإسلام في باكستان قومتَهم الحميدة، منذ خمس سنوات، لعزلِ (الفِرقة القاديانية) عن الإسلام شرعاً وقانوناً هناك، رأوا من خير ما يساعدهم في هذه الحَمْلَة الصعبة الشاقة، للتغلب على هذه الفِرقة وكشفِ كفرها ومروقِها من الإسلام: طبعَ هذا الكتاب، فصوَّرَتْه «جمعية تحفُّظِ خَتْم النبوَّة في باكستان»، التي كان رئيسَها شيخُنا العلامة المحدِّث الفقيه المجاهد الكبير محمد يوسف البنوري رحمه الله تعالى، وطَبَعَتْه بكميّاتٍ كبيرة، ووزَّعته على العلماء والمتعلمين والمثقفين هناك، فأعطى أطيبَ الثمرات، وكتَبَ الله النصر للعلماء على (القاديانية)، فعُزِلَتْ عن الإسلام، واعتُبِرت طائفةً من الطوائف غير المسلمة في الجمهورية الإسلامية الباكستانية.

وتتابع عليَّ الطلبُ بطبعه من غير جهة، من البلاد العربية وغيرها، وكنتُ أُرجىءُ طبعَه على أمل أن أتمكن من إعادة طبعه وصَفِّه من جديد، لأُدخِل (الإضافات والمستدركات) فيه إلى مواضعها، ولكن ظروف الطباعة القسية اليوم لم تمكني من هذا الذي أرغبه، فطبعتُ الكتاب تصويراً كما هو في طبعته الأولى، وقدَّمتُ له بهذه المقدمة، مع كلمةٍ موجهةٍ إلى المتواكلين القاعدين عن الجدّ والعمل

لنصرة الإسلام ودفع قوى الباطل، استسلاماً، وانتظاراً منهم لنزول عيسى عليه السلام.

واستدركتُ تصحيحَ الأخطاء المطبعية الطفيفة التي وقَعَتْ فيه، وتداركتُ (الإضافات والاستدراكات) التي تجمَّعتْ لدي، فجعلتُها في آخر الكتاب من هذه الطبعة، مع الإشارة إلى مواضعها من صفحات الكتاب وسطوره، ووضعتُ نجمةً في داخل الكتاب، على الكلمة أو الجملة التي عليها استدراك، أو فيها إضافة، ليعود القارىء إليها في آخر الكتاب، سوى استدراكين كانا في الطبعة الأولى في آخرها، فوضعتُ على موضعهما من داخل الكتاب نجمتين، إشارةً إلى أنهما في استدراك الطبعة الأولى ص ٣٥٠.

فإذا لاحظ القارىء فوق الكلمة نجمةً، فإنها تشير أن في الاستدراك بآخر الكتاب إضافةً عليها، أو تعديلاً لجملتها أو ما يتعلَّقُ بها، وأغلبُ هذه الاستدراكات والإضافات، تهمُّ طُلَّابَ العلم والمتخصصين، أما القارىء المثقف فهي تزيده فائدةً ومعرفة، ولا تَنقصُهُ علماً إذا أغفلها في الغالب.

وأسأل الله تعالى أن يَنفع بهذا الكتاب قارئيه، ويُزيلَ به الشكوكَ والغُموضَ من صدور المؤمنين الضعفاء الحائرين، ويُكرمَني بصالح دعواتِ من يَنتفعُ به، ويَدَّخِرَ لي ثوابَ خدمتي له وعنايتي به عندَه. ﴿يومَ لا يَنفعُ مالٌ ولا بنون إلاَّ مَنْ أتى اللَّهَ بقلبٍ سليم﴾. والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

وكتبه

في الرياض ١٦ من رمضان المبارك ١٣٩٩ عبد الفتاح أبو غدة

كلمة إلى المتواكلين القاعدين عن العمل الجِدِّي لنصرة الإسلام استسلاماً، وانتظاراً منهم لنزول عيسى عليه السلام.

تعرِّض هذا الكتاب إلى جملةٍ من العلامات التي تتقدم (الساعة)، وتَسبِقُ انتهاءَ الحياة الدنيا، وهناك فكرة شائعة لدى عدد من عوامِّ المسلمين، وهي أنهم يتخذون من إخبار الرسول ﷺ بهذه العلامات، مُتَّكأً لهم في تركِ العمل الجِدِّي إلى إعادة الحياة الإسلامية الصحيحة، وقد ربطوا بعلامات الساعة أمراً لا صلة له بها!

وهو أن العمل الآن لا يُجدي، لأنه لا بد أن يزداد الفساد، وينتشر الضلال، وتأتي الخوارق التي تتقدم الساعة، من ظهور المهدي ونزول عيسى عليه السلام. . . ، وحينئذ يعود الإسلام وينتصر الدين، وينتشر الحق، ويقوى أهله، ويسودُ الحكمُ بالإسلام على وجهه، فلا جدوى الآن من مقاومة الباطل وأهله مهما حاول الإنسان المسلم!

وهذه الفكرة الضالّة الخبيثة ــ وقد تكون دخيلةً على المسلمين بمخارز أعدائهم الناعمة ــ : أسقطَتْ السعيَ الجِديَّ الواجب، والوعيَ الإسلامي الصحيحَ، عند هؤلاء الجاهلين ومن يدور في فَلَكِهم من المسلمين المغفلين! فقد أثّرتْ فيهم تأثيراً سَلْبياً، وأحبطت منهم العملَ الجِدِّيَّ والسعيَ المتواصلَ لإعادةِ الحياة الإسلامية.

وكثيراً ما خَدَع هؤلاء الجاهلون الأغرارُ من المسلمين: أشباهَهم، بقولهم لهم: إن العالَمَ قد اقترب من نهايته، وإن الأحاديث النبوية تدل على استمرار التدهور في شأن الإسلام والمسلمين، ولما كان الأمر هكذا، كان لا جَدوَى من

السعي لعمل شيء في وقف هذا التيار الفاسد، ومنع هذا الانحدار، إذ هو أمر قدَّره الله تعالى، وبلَّغه رسولُه ﷺ، ولا بد أنه واقع، فما علينا إلَّا التسليم والسكون حتى يأتي أمرُ الله الذي لا مَفَرَّ منه.

وهذه الفكرة الخاطئة الزائفة، تجب معالجتُها في نفوس المصابين بها، لدفع هذا التأثير السلبي، الذي أثَّرته في إرادة هؤلاء المسلمين الشعوريةِ، واللاشعورية، فإن هذا الاعتقاد الباطل يُعيق الحركة الإسلامية من داخل المسلمين، فضلاً عن المعوِّقات التي تُنثَر في طريقها من خارجهم.

ولو كانت هذه الفكرة صحيحة سليمة ثابتة، لما كان الجهدُ والجهاد من السلف في دفع كل زيغ وانحراف، من أي مبطل كان: أجنبياً أو عربياً، مسلماً في الصورة أو كافراً، لأننا إذا مشينا في ظل هذا الفكر الزائغ، لَزِمَنا أن نستسلم لكل ما يواجهنا من صعوبات وتحديات، في مختلِف الشؤون والمستويات! وهذا أمر لا يقول به عاقل، فضلاً أن يكون الشرع الإسلامي أراده منا، وحاشا شَرْعَ الله من أن يُضاف إليه ذلك.

فلماذا يَسعى هؤلاء الجاهلون المصابون بهذه الفكرة المريضة، في تنمية أموالهم وأحوالهم، وتحسين عيشهم ومسكنهم، وما إلى ذلك من أمور الدنيا ومرافق الحياة؟ فإذا جاءوا إلى أمور الدين والجهاد لَبِسَتهم هذه الفكرة الشيطانية، فضَلُّوا وتخاذلوا عن نصرة دينهم، فأين عقلهم وفهمهم من صريح قول النبي ﷺ: «الجهادُ ماضٍ إلى يوم القيامة»، وأمثالِه من الأحاديث الصحيحة الكثيرة، وقد عَلِمَ العالمون البصراء أن سنة الله في عباده: الجهدُ والجهاد، والأخذُ بالأسباب، كما هو بَدَهي عند كل مسلم فاقهٍ لدينه وإسلامه.

فتركُ الجهدِ والعملِ في نصرة الدين والإسلام جريمة، وتركُ دفع المبطلين والظالمين والكافرين المستولين على المسلمين ـ بسبب هذا الاعتقاد الباطل ـ جريمةٌ فوق جريمة، ومصيبةٌ عظيمة أُصيب بها عقلُ المرضى بهذا الاعتقاد، ويجب الإسراعُ بعلاجهم وإنقاذهم من هذا الداء الوبيل!

وما أحسن قولَ الإمام الفقيه الكبير، والعالم العامل الصوفي البصير، الشيخ عبد القادر الجِيلاني البغدادي الشهير: ليس الرجلُ الذي يُسَلِّمُ ــ أي يَستسلِمُ ــ للأقدار، وإنما الرجلُ الذي يَدفعُ الأقدارَ بالأقدار. وفي رواية ثانية عنه يقول: نَفِرُّ من القَدَر الفاضل إلى القَدَر الأفضل.

وهي كلمة حكيمة بصيرة، من لُباب الشرع والعقل جميعاً، وسَنَدُها ومَرجعُها في الكتاب والسنة المطهرة كثير، لو جُمِع لجاء في رسالة حسنة، وحسبُك سَنَداً لها ما رواه البخاري في «صحيحه» ١٠: ١٧٩ بشرح «فتح الباري»، ومسلم في «صحيحه» ١٤: ٢٠٨ بشرح النووي، كلاهما في كتاب الطب، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

«أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه خَرَج ــ من المدينة ــ إلى الشام، ــ سنة ١٧ من الهجرة أو ١٨ ــ ، حتى إذا كان بسَرْغ ــ قرية على طَرَف الشام مما يلي الحجاز ــ لَقِيَه أمراءُ الأجناد أبو عُبَيدة بنُ الجرَّاح وأصحابُه، فأخبروه أن الوَبَاء قد وقع بأرض الشام.

قال ابن عباس: فقال عُمَرُ: ادْعُ لي المهاجرين الأوَّلين، فدعوتُهم، فاستشارهم، وأخبَرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا، فقال بعضُهم: قد خرجتَ لأمرٍ ولا نَرَى أن تَرجِعَ عنه، وقال بعضُهم: معك بقيَّةُ الناس وأصحابُ رسول الله ﷺ، ولا نَرَى أن تُقدِمَهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني.

ثم قال: ادْعُ لي الأنصار، فدعوتُهم، فاستشارهم، فسلكوا سبيلَ المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني.

ثم قال: ادْعُ لي من كان ها هنا من مَشْيَخَة قريش من مُهاجِرةِ الفتح، فدعوتُهم، فلم يَختلِف منهم عليه رجلان، فقالوا: نَرَى أن تَرجِع بالناس ولا تُقدِمَهم على هذا الوباء. فنادَى عمرُ في الناس: إنيَ مُصَبِّحٌ على ظَهْر فأَصْبِحوا عليه ــ أي إني عازمٌ على السفر صباحاً، راكبٌ على ظهرِ الراحلة إلى وطني، فأصبِحُوا عليه وتأهَّبُوا له ــ .

فقال أبو عبيدة بنُ الجراح: أفِراراً من قَدَرِ الله؟ فقال عمر: لو غيرُك قالها يا أبا عُبيدة! نعَمْ، نفِرُّ من قَدَرِ الله إلى قَدَرِ الله[1]، أرأيتَ لو كانت لك إبلٌ، فهَبَطَتْ وادياً له عُدْوَتانِ ــ أي طَرَفانِ وحافَتَانِ ــ إحداهما خِصْبَة، والأخرى جَدْبَة، أليس إن رَعَيتَ الخِصْبَةَ رَعَيتَها بقَدَر الله، وإن رَعَيتَ الجَدْبَةَ رعيتَها بقَدَر الله.

قال: فجاء عبدُ الرحمن بن عوف، وكان متغيِّباً في بعض حاجته

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ١٠: ١٨٥ «أطلَق عليه فراراً لشَبَهِهِ في الصورة، وإن كان ليس فراراً شرعياً. والمراد أن هجوم المرء على ما يُهلكه منهيٌّ عنه، ولو فَعَل لكان من قَدَر الله، وتجنُّبه ما يؤذيه مشروع، وقد يُقدِّرُ الله وقوعَه فيما فرَّ منه، فلو فَعَله أو تركه لكان من قَدَر الله.

ومحصَّلُ قولِ عمر رضي الله عنه: (نعم، نَفِرُّ من قدَرِ الله إلى قدر الله)، أنه أراد أنه لم يَفِرَّ من قَدَر الله حقيقةً، وذلك أن الذي فَرَّ منه: أمْرٌ خافَ على نفسه منه، فلم يَهجُم عليه، والذي فرَّ إليه: أمرٌ لا يَخافُ على نفسِهِ منه إلاَّ الأمرَ الذي لا بُدَّ من وقوعه، سواء كان ظاعناً أو مقيماً».

وقال الإمام النووي في «شرح صحيح مسلم» ١٤: ٢١٠، «وأما قولُ عمر لأبي عُبَيدة: (لو غيرُك قالها يا أبا عبيدة)، فجوابُ (لو) محذوف، وفي تقديره وجهان:

أحدُهما: لو قاله غيرُك لأدَّبتُه، لاعتراضِهِ عليَّ في مسألةٍ اجتهاديةٍ وافَقَني عليها أكثرُ الناس وأهلُ الحلِّ والعقد فيها.

والثاني ــ وهو الأصح ــ لو قالها غيرُك ــ يا أبا عبيدة ــ لم أتعجَّبْ منه، وإنما أتعجَّبُ من قولك أنت ذلك! مع ما أنت عليه من العلم والفضل؟ ثم ذكَرَ له عُمرُ دليلاً واضحاً من القياس الجَليِّ الذي لا شك في صحته.

وليس ذلك اعتقاداً من عمر رضي الله عنه أن الرجوع يَرُدُّ المقدور، إنما معناه أن الله تعالى أمَر بالاحتياط والحزمِ ومجانبةِ أسباب الهلاك، كما أمَرَ سبحانه بالتحصُّنِ من سلاح العَدُوِّ وتجنُّبِ المهالك، وإن كان كلُّ واقعٍ فبقضاء الله وقَدَرِه السابقِ عليه. وقاسَ عمر ــ هذه المسألة ــ على رَعْيِ العُدْوَتين: ــ الخِصبة والجَدْبة ــ لكونه واضحاً لا يُنازِعُ فيه أحَدٌ مُساواتَه لمسألةِ النزاع».

ـ لم يَحضُر معهم المشاورة ـ ، فقـال: إنَّ عنـدي في هـذا عِلمـاً، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إذا سمعتُم به ـ أي بالوباءِ والطاعون ـ بـأرض فلا تَقـدَمُوا عليه، وإذا وَقَع بأرضٍ وأنتم بها فلا تَخرجُوا فِراراً منه. قال: فحَمِدَ اللَّهَ عُمرُ، ثم انصرف».

ويكفي هـذا الشاهـدُ الناطق، والحـديثُ الصادق، في دَحْـر هـذه الفكـرة البـاطلة الزائفـة، وما أُقـدِّرُ نشوءهـا إلاّ من أعداء الإسـلام، استغفلوا بهـا بعضَ المغفَّلين، فنشأت فيهم، واستقرَّتْ في نفوسهم وسلوكهم! فأغنَتْ أعـداءَهم عن تَعَبٍ ونَصَبٍ كبير في أمر الاستيلاء عليهم.

ورَحِمَ الله تعـالى الإمامَ ابنَ القيم، فقـد تعرَّض لهـذه المسألـة في كتـابـه «مدارج السالكين» ١ :١٩٨، فأبان الحقَّ فيها ببيانِهِ البديع، وأزهق الباطلَ بكلامِهِ المَنِيع، فقال: «والنظرُ إلى الأقدار هو المجالُ الضَّنْك، والمعترَكُ الصعب، الذي زَلَّتْ فيه أقدام، وضَلَّتْ فيه أفهام، وافتـرقَتْ بالسـالكين فيه الـطُّرُقَات، وأشـرفوا ـ إلاّ أقلَّهم ـ على أودِيَةِ الهَلَكات.

وكيف لا وهو البحرُ الذي تجري سفينةُ راكبه في موجٍ كالجبال، والمعترَكُ الذي تضاءَلَتْ لشهودِهِ شَجَاعةُ الأبطال، وتحيَّرَتْ فيه عُقولُ ألِبَّاءِ الرجال، ووصلَتْ الخليقةُ إلى ساحِلِه يبغون ركوبَه، فما نَجَـا منهم إلاّ الذين انـتظروا مُوافـاةَ سفينةِ الأمْرِ ـ أي الأخْذِ بالأسباب المشروعة ودفعوا القَدَر بالقَدَر ـ ، فركبوا سفينةَ الأمر بالقَدَر.

وراكبُ هـذا البحرِ في سفينـةِ الأمْـر، وظيفتُـه: مُصـادمَـةُ أمـواج القَـدَر، ومعارَضَتُها بعضِها ببعض، وإلاّ هَلَك، فيَرُدُّ القَدَر بالقَدَر. وهذا سَيْرُ أربابِ العزائم من العارفين، وهو معنى قول الشيخ العارف القُدوة عبد القادر الكِيلاني: «الناسُ إذا وصلوا إلى القضاءِ والقَدَر أمسكوا، إلاّ أنَا، فانفتَحَتْ لي فيه رَوْزَنَةٌ ـ أي كُوَّةٌ ونافذة ـ فنازَعْتُ أقدارَ الحق، بالحق، للحق، والرجلُ من يكون مُنازِعاً للقـدر، لا من يكون مستسلماً مع القَدَر».

ولا تتم مَصالحُ العباد في مَعاشِهم إلاَّ بدفع الأقـدارِ بعضِها ببعض، فكيف في مَعادِهم؟

والله تعـالى أمَرَ أن تُـدفع السيئـة ــ وهي من قَدَرِه ــ بـالحسنة ــ وهي من قَدَرِه ــ ، وكذلك الجُوعُ من قَدَرِه، وأمَرَ بدفعِهِ بـالأكل الـذي هو من قَـدَرِه، ولو استَسلَمَ العبدُ لِقَدَرِ الجُوع، مع قدرته على دفعِهِ بقَدَرِ الأكـل، حتى مات: مـات عـاصياً. وكـذلك البَـرْدُ والحَرُّ والعـطشُ، كلُّها من أقـدارِه، وأمَرَ بـدفعها بـأقدارٍ تُضادُها. والدافعُ والمدفوعُ والدَّفْعُ من قَدَرِه.

وقـد أفصَح النبي ﷺ عن هـذا المعنى كـلَّ الإفصـاح، إذ قـالـوا: «يا رسول الله، أرأيتَ أدويةً نَتداوَى بها، ورُقًى نَسترقِي بها، وتُقًى نَتَّقِي بها، هل تَرُدُّ من قَدَرِ الله شيئاً؟ قال: هي من قَـدَرِ الله». وفي الحديث الآخـر «إنَّ الدعـاءَ والبلاءَ لَيَعْتَلِجانِ بين السماءِ والأرض».

وإذا طَرَق العدوُّ من الكفار بلَدَ الإسلام طرقوه بقَدَرِ الله، أفَيَحِلُّ للمسلمين الاستسلامُ للقدر، وتركُ دفعِهِ بقَدَرٍ مِثلِه، وهو الجهادُ الذي يَـدفعون بـه قَدَرَ اللَّهِ بقَدَرِه؟

وكذلك المعصيةُ إذا قُدِّرَتْ عليك، وفَعَلْتَها بالقَدَر، فادفع مُوجِبَها بـالتوبـةِ النصوح، وهي من القدر.

ودَفْعُ القَدَرِ بالقدر نوعان:

أحدُهما: دَفْعُ القَدَرِ الذي قد انعقدت أسبابُه ــ ولمَّا يقع ــ بأسبابٍ أخرى من القَدَرِ تقابله، فيمتنعُ وقوعه، كدفعِ العدو بقِتالِه، ودفعِ الحرِّ والبردِ ونحوِه.

الثاني: دَفْعُ القدر الذي قد وَقَعَ واستقر بقَدَرٍ آخَرَ، يرفعُه ويُزيلُه، كدفع قَدَرِ المرض بقَدَرِ التداوي، ودفعِ قَدَرِ الذَّنْبِ بقدر التوبـة، ودَفْعِ قَـدَرِ الإساءة بقـدر الإحسان.

فهذا شأنُ العارفين وشأنُ الأقدار، لا الاستسلامُ لها، وتَرْكُ الحركة والحيلة. فإنه عجز. والله تعالى يلوم على العجز. فإذا غُلب العبد، وضاقت به الحيل، ولم يَبق له مَجال، فهنالك الاستسلامُ للقَدَر، والانطراحُ كالميت بين يدَيْ الغاسل يقلبه كيف يشاء». انتهى. والحمد لله رب العالمين.

وختاماً نسأل الله العافية من الجهل وآثاره، ونستلهمُه سبحانه الرشادَ والسداد في جميع الشؤون، ومنها مجاهدةُ الأعداء، فإنه نعم المولى ونعم النصير.

وكتبه

عبد الفتاح أبو غُدّة

بسم الله الرحمن الرحيم

التقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين .

أمَّا بعد فانَّ هذا الكتاب الذي أُقدّمه كان أُمنيَّةً غاليةً في نفسي عزَّ عليَّ منالُها ، فقد سعيتُ للحصول على نسخةٍ منه من طبعته الهندية منذ أكثر من خمسة عشر عاماً فلم أحظَ به ، بحثتُ عنه في مصر بلدِ الكتب طَوالَ إقامتي بها ست سنوات ، ثم في مكتبات مكة والمدينة ثم في مكتبات بغداد وغيرها من البلدان العربية فلم أجده ، ثم رجوتُ من بعض أفاضل العلماء في الهند وباكستان أن يتفضَّلوا بالسعي للحصول على نسخةٍ منه من بلدِهم المطبوعِ فيه ، فسَعَوا مشكورين غيرَ واجدين شيئاً .

ذلك لأنَّ هذا الكتاب فريد في موضوعه ، نادر في إمامةِ مؤلّفه ، فلذا مااِنْ طُبِعَ في الهند بدِهلى سنة ١٣٤٤ حتى تخاطفَتْه أيدي العلماء وطلاب العلم فأصبح العثورُ على نسخة واحدةٍ منه أمراً عسيراً جداً .

ولمَّا أتاح الله لي الرحلة إلى الهند وباكستان ، وزرتُ مكتباتها سألتُ عنه كثيراً وبحثت طويلاً على غير جدوى من لقائه ، فلمَّا انتهى بي المطافُ من الهند وباكستان إلى مدينة كراتشي ، وزرتُ سماحة أستاذنا العلاّمة المحقّق البارع الجليل الشيخ محمد شفيع مؤسّس دار العلوم الإسلامية في كراتشي والمفتي الأعظم فيها حفظه الله تعالى : كان من صنائعه الكريمة إليَّ أن قدَّمَ لي نسختَهُ الخاصّة

من هذا الكتاب هديةً كريمة نادرة ، وكان ذلك قُبَيل سفري : يوم السبت ٧ / من جمادى الأولى سنة ١٣٨٢،ورجا متلطّفاً أن يُطبعَ الكتاب في بلادنا،فتلقّيتُ الهديّة شاكراً مُثْنياً مقدّراً ، ولم يُتَح لي أن أتصفّح الكتاب لزحمة استعدادي للسفر صباح الأحد الباكر ٨ / من جمادى الأولى ، فعزمتُ أن أجعله رفيقي في الطائرة إلى سورية .

ولما ذهبتُ إلى مطار كراتشي للسفر منه وجدتُ شيوخ العلم والفضل فيه خرجوا ليكرموا العاجز الضعيف بالازدياد والتزوّد من لقائهم الغالي ، وقبل أن تحين ساعةُ السفر أُعلِنَ تأخيرُ إقلاع الطائرة عن موعدها ساعتين ، فرجوت من الأساتذة الأجلّة أن يعودوا إلى مهامّ أعمالهم ، فلم يكن منهم غيرُ الإصرار على زيادةِ فضلهم بالبقاء لوَداع العبد الضعيف حتى اللحظة الأخيرة .

فكانت فرصة سانحة كريمة ، وجلسنا في ناحية من المطار ، ومع الشيوخ الأكارم جمهرة كبيرة مِن صَحْبِهم ومُحبّيهم أهـلِ الدين والصلاح ووجوهِ الاسلام العامل في كراتشي ، فكانت حلقة واسعة جامعة ، جمَعَتْ من العلماء الأفاضل نخبة كريمة،أتذكّرُ منها الآن : أستاذنا العلامة الجليل الكبير الشيخ محمد شفيع ، وأستاذنا العلامة الفذّ المفضال الشيخ محمد يوسف البَنُوري مؤسّس المدرسة العربية الاسلامية في كراتشي ، والأستاذ العلامة الشيخ لطف الله كبير المدرّسين في المدرسة العربية ، والأستاذ العلامة الشيخ نور أحمد الأمين العـام لمدرسة دار العلوم الإسلامية الآنفة الذكر ، وكان غيرُهم من كرام أهل العلم ممن غابت عني أسماؤهم الآن !

فرغبتُ أن نملأ الوقت بالاستفادة الغـالية من بُدُور العـلم والفضل ، فأخرجتُ كتاب « التصريح بما تواتر في نزول المسيح » هـذا ، ورجوتُ من سادتنا العلماء أن أقرأ طرَفاً من الكتاب عليهم فرحّبوا أطيبَ ترحيب ، فرجوتُ منهم أن يتكرّموا بـ « الإجازة » لي قبلَ القراءة فجادوا بها ، فقرأتُ مقدّمة مولانا الشيخ محمد شفيع كلَّها وثلاثةَ أحاديث من الكتاب ، ثم تفضّلَ بالقراءة أستاذنا

بجمع الفضائل والعلوم العلامة الشيخ محمد يوسف البَنُوري حفظه الله تعالى فقرأ خمسةَ أحاديث بعدها ، وجرى خلال ذلك إفاداتٌ متنوّعة من المشايخ الفضلاء .

ولمّا قاربتْ ساعةُ الرحيل أنشدتُ حينذاك ما أنشدنيه شيخُنا آخِرُ شيوخ الإسلام في الدولة العثمانية العلامة شيخ الإسلام مصطفى صبري رحمه الله تعالى حين ودّعتُه مسافراً من مصر إلى بلدي :

قالتْ ومَدّتْ يَداً نحوي تُودّعُني ... ولَوْعَةُ البَيْن تأبَى أن تَمُدَّ يداً
أميّتٌ أنتَ أم حَيٌّ ؟ فقلتُ لها : ... من لم يَمُتْ يومَ بيْنٍ لم يمت أبداً[1]

فأنشدَ شيخُنا محمد شفيع قولَه :

تذكّرَ عهداً بالحِمَى ثم مَعْهداً ... جرَى فيه من دَوْر الكؤوس تسَلْسُلُ
بكَينا فأبكَيْنا ولا مثلَ ناقفٍ ... لحنظلةٍ في الحيّ حينَ تحمّلُوا

وكان حالُ شيخنا البَنُوري وحالي يقول :

ويَبكي فأبكي رحمةً لبُكائه ... إذا ما بكى دَمْعاً بكَيْتُ له دما

ثم كان الوَداع والفراق ، وفي النفس العزمُ على تلبيةِ رجاء شيخنا محمد شفيع بنشر هذا الكتاب العظيم .

وقد تيسّرَ لي هذا العام ـ بفضل الله وعونه ـ تحقيقُ الكتاب وخدمتُه على وجهٍ أرجو أن تَقَرَّ به عيونُ ذوي العلم ، وتستنيرَ به قلوبُ ذوي الإيمان ، وتستبصرَ به عقولُ أصحاب العقيدة الحق والإسلام الصدق ، وأدّخرُ جزاءَ ما بذلتُ فيه من جُهد وصبر وإتقان عند الله واهب المنن والعطايا ، وأرجو ممن انتفع به أن تنالني منه دعوةٌ صالحة تُؤمّنُ الملائكةُ عليها ويُكتَبُ له مثلُها .

---

(١) هذان البيتان للشاعر الحلبي أحمد بن علي الوراق المعروف بالواصلي ، المتوفى أواخر القرن الرابع الهجري ، كما ذكرهما له في ترجمته شيخنا العلامة محمد راغب الطباخ رحمه الله تعالى في « إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء » ٤ : ٦٤ .

سبب تأليف هذا الكتاب

ألَّف الإمام الكشميري رحمه الله تعالى هـذا الكتاب للردّ على الفرقة القاديانيَّة الضالَّة ، التي نبتَتْ في أواخر القرن المنصرم في الهند بتوجيهِ من الإنكليز المستعمرين ، وبدَعْمِهم ورعايتِهم حتى مزَّقتْ جزءاً كبيراً من جسم الإسلام ، وضلَّلتْ غير قليل من أبناء المسلمين ، فنهض العلماء من كلّ حَدَبٍ وصوب يَقمعون أباطيلَها . ويكشفون دسائسَها ، ويُعرِّفون الناس بحال داعيها ودجَّالها المتنبِّىء المَغْولي القادياني .

فألَّفوا في ذلك تآليف كثيرةً جداً زادت على ستين تأليفاً ، أشرتُ إلى بعضها تعليقاً في ص ٤٩ ـ ٥٣ و ٥٦ ـ ٥٧ . وكان صاحبُ القِدحِ المعلَّى في ذلك المضمار لا يُجارَى فيه ولا يُبارَى : الإمامُ الكشميريُّ مؤلِّفَ هـذا الكتاب رحمه الله تعالى ، فقد ألَّفَ في الردّ على القاديانيَّة خمسة كتب، منها الكبير والمتوسِّط ، وكتابُ « التصريح » هذا من أصغرها . .

وقـد لقِيَتْ كتبُ الإمام الكشميري رواجاً منقطعَ النظير ، وحازتْ ثناءَ العلماء وتقديرَهم العظيم في مشارق الأرض ومغاربها ، وذلك لما امتازت به من واسع العلم ، وعميق التدقيق ، وبالغ الحُجَج والبراهين التي تمسَحُ الباطلَ والشبهاتِ مسحاً فلا تُبقي ولا تَذَرِ ، مع ما يلمسه قارئها من فيض الإخلاصِ والتواضعِ فيها .

وقد أثنى عليه عالِمُ الرجال ونَقَّادُهم وعارفُ أقدارِ ذوي القَدْرِ فيهم شيخُنا الإمام محمـد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى في « المقالات » ص ٣٥٩ ثناءَ ذوي الفضل على أهل الفضل فقال : « أعلى الله سبحانه منزلةَ العلامة فقيد الإسلام المحدّث الحِجْجاج الشيخ محمد الأنور الكشميري في غُرَف الجنـان ، وكافأه مكافأة الذّابّين عن حريم دين الإسلام ، فانه قمَعَ القاديانيَّة بحُجَجه الدامغة ، وحالَ دون استفحالِ شرّ معتدليهم ومتطرّفيهم في الهند بتآليف كتب

ممتعة في الرّد عليهم بلغاتٍ شتّى ، وحقّق في كتابه « إكفار الملحدين » أمرَ إكفارِ هؤلاء وأمثالِهم » . انتهى .

وقد خصّ شيخُنا الكوثري رحمه الله تعالى ، بيانَ كفرِ القاديانيّة ومُروقَها بمقالٍ خاصٍ في كتابه « المقالات » ص ٣٥٧ - ٣٥٩ ، ونقلَ فيه نصوصَ كلماتِ القادياني الكافر الضّال ، ليقف عليها قرّاء العربية في أقطارها ، فيعلموا ضلالَ هذه النّحلة وضلالَ أصحابها ، فلا يُخدعوا بترّهاتِهم وأباطيلهم ، فجزاه الله خيراً عن الإسلام .

عملي في الكتاب وأهمية الكتاب

هذا ، وقد ألّف الإمام الكشميري هذا الكتاب « التصريح » للخاصّةِ من العلماء الباحثين ليكون بيدهم سيفاً بتراً للقاديانيّة وضلالاتها ، فلذلك اقتصر فيه على إيراد النصوص الحديثيّة دون شرحٍ أو تعليق عليها ، ولمّا عزمتُ على نشرهِ وإذاعته للناس رغبتُ أن يكون كتاباً للخاصّةِ والعامّةِ معاً ، فعلّقتُ عليه تعليقاتٍ ضافيةً حيناً وموجزةً حيناً آخر ، أوضحتُ فيها النّصّ الذي يقتضي الإيضاح ، أو تتطلّعُ نفسُ قارئه إلى المزيد من معرفته والتثبّت من حقيقةِ معناه ومدلوله ، وعدّلتُ بعض عباراتٍ في المقدمة وغيرها بأمر كاتبها شيخنا محمد شفيع حفظه الله تعالى .

وجلّيتُ كلّ ذلك بعبارة سهلة مفتوحة ، رغبةً في تيسير الاستفادة منه للعامّة ، وحرصاً على تمتين عقيدة الإيمان باليوم الآخر ، وتبصيراً بما يكون قبلَ ذلك اليوم من حقائق وخوارق وحوادث وأهوال ، فانه مما يلاحظ أنّ قراءة أخبار الساعة واليوم الآخر ومايكون قبله لها الأثر الكبير البالغ في تصحيح سلوك الناس وتحسين أعمالِهم ، كما أنّ بُعْدَ الناس عن قراءتها ومعرفتها يتسبّبُ عنه سوءُ العمل ، ويُنسِي على طول الزمن تلك الحقائقَ من الأذهان ، ويقلّصُها في النفوس ، حتى قد يقعُ الاستبعادُ لها والاستخفافُ بها ، أو الانكار لوقوعها ممن لا علم عندهم .

ولذلك كان السَّلَفُ الصالحون يداومون على تعليم تلك الأخبار والأحاديث، ويَذْكرونها للناس حتى للأولادِ في الكُتَّاب ـ المدرسة ـ ليتوارثوا معرفتَها بعلمٍ وبصيرة ، ولتكون لهم بها عقيدةٌ راسخة أصيلة ، تزيد متانةً على مرور الأيام . وقد كان الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه يَلقى الفتى الشابَّ فيقول له : يا ابنَ أخي إنك عسى أن تلقى عيسى ابنَ مريم فاقرأْهُ مني السَّلام . تحقيقاً لنزوله عليه السلام .

وروى مسلم في « صحيحه » ٥ : ٨٨ « عن ابن عباس أنَّ رسول الله ﷺ كان يُعلِّمُهم هذا الدُّعاءَ كما يُعلِّمُهم السُّورَةَ من القرآن ، يقول : قولوا : « اللَّهمَّ إني أعوذُ بك من عذاب جهنَّم ، وأعوذُ بك من عذاب القبر ، وأعوذُ بك من فتنةِ المَسيح الدجَّال ، وأعوذُ بك من فتنةِ المَحيَا والمَمَات » . قال مسلم بن الحجَّاج : بلَغني أنَّ طاوساً ـ وهو راوي هـذا الحديث عن ابن عباس ـ قال لابنه : أدعوتَ بها في صلاتك ؟ فقال : لا ، قال : أعِدْ صلاتك » . انتهى .

وإنما أمرَ طاوسُ ابنَهُ بإعادة الصلاة لأنه كان يَرى وجوبَ الدعاء في الصلاة بهذه الدعوات الأربع ، ويَرى أنَّ المصلّي إذا أخلَّ بها بطلَتْ صلاتُه ، وذلك لما فَهِمَه من وجوبها من اهتمام النبي ﷺ بتعليمها للصحابة كما كان يُعلّمهم السورةَ من القرآن ، وأمرِه لهم بالدعاء بها في صلواتهم . وقد روَى مسلم في « صحيحه » أيضاً ٥ : ٨٧ عن عائشة أن النبي ﷺ كان يدعو في الصلاة بهـذا الدعاء . وروَى أيضاً عن أبي هريرة أن رسول ﷺ قال : « إذا تشهَّدَ أحدُكم فليَستعِذْ بالله من أربع ، يقول : اللهمَّ إني أعوذ بك من عذاب جهنَّم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنةِ المَحيَا والمات ، ومن شرِّ فتنةِ المَسيح الدجَّال » .

وما هذا الاهتمامُ العظيم من النبي ﷺ بهـذا الدعاء عملاً وأمراً وتعليماً إلا لمـا حواه من التعوّذ من عظائم الأمور والأهوال الكائنة الحقّ ولا ريب ، ولهذا جزم الإمام ابن حزم الظاهري بفرضيَّة قراءة هذا التعوُّذ بعد الفراغ من

التشهد كما في كتابه « المحلّى » ٣ : ٢٧١ أخذاً من ظاهر حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وبعدَ أن روى الإمامُ ابن ماجه في « سننه » حديثَ أبي أمامة الباهلي ، وهو الحديث : ١٣ المذكور في الكتاب ص١٤٢ – ١٥٦ ، وفيه أوصافُ الدجَّال وأحوالُه وأعمالُه ونزولُ عيسى عليه السلام ، قالَ عَقِبَهُ : « سمعتُ أبا الحسن الطَّنافِسيَّ يقول : سمعت عبدَ الرحمن المحُارِبيَّ يقول : ينبغي أن يُدفَعَ هذا الحديثُ إلى المؤدّب حتى يُعلِّمه الصِّبْيَانَ في الكُتَّاب » . أي في المدرسة .

وقال العلامة السَّفَّاريني في شرح منظومته في العقيدة الاسلامية المسمَّى « لوامع الأسرار البهيَّة » ٢ : ١٠٦ « ينبغي لكلِّ عالم أن يَبُثَّ أحاديثَ الدجَّال بين الأولاد والنساء والرجال ، ولاسيَّما في زماننا هذا الذي اشرأبَّتْ فيه الفِتَن ، وكثُرَتْ فيه المِحَن ، واندرسَتْ فيه معالمُ السُّنَن ، وصارَتْ السُّنَّة فيه كالبِدَع ، والبِدْعَةُ شَرْعٌ يُتَّبَع ! » . انتهى .

وهذه المعاني كلُّها هي التي دعَتْ الفقير إليه تعالى أن يهتمَّ بنشر هذا الكتاب ، على هذا الوجه المشرق الجذّاب ، تبصيراً للمسلمين بعقيدتهم ، وبيوم آخرتهم ، واللهُ الهادي إلى سواء السبيل ، وهو حسبُنا وربُّنا ونعم الوكيل . فالحمدُ لله على تيسيره طبع هذا الكتاب ، وعلى توفيقه سبحانه لخدمة كلامه وكلام رسوله ، وعلى نشر سنته وشريعته عليه الصلاة والسلام بينَ الناس .

كلمة حول أشراط الساعة وعلاماتها

علاماتُ الساعة على قسمين : علاماتٌ صُغْرَى ، وهي التي تتقدَّمُ الساعة بأزمان بعيدة متطاولة ، وتكون في أصلها معتادةَ الوقوع ، و : علاماتٌ كُبْرَى ، وهي التي تقاربُ قيامَ الساعة مقاربةً وشيكةً سريعة ، وتكون في ذاتها غيرَ معتادة الوقوع . والعلاماتُ الصُّغرى كثيرة جداً منثورة في كتب السُّنَّة المطهرة ، وإليك خمسة أحاديث جاء فيها بعضُ العلاماتِ الصُّغرى :

١ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ من أشراط الساعة أن يَقلَّ العلم ، ويكثرَ الجهل ، ويفشوَ الزنا ، ويُشربَ الخمر ، ويَقلَّ الرجال ، ويكثرَ النساء ، حتى يكونَ لخمسين امرأةً القيِّمُ الواحد » . رواه البخاري ١ : ١٦٢ و ١٦٣ و ٩ : ٢٨٨ ، ومسلم ١٦ : ٢٢١ . ومعنى الجملة الأخيرة : أن الرجل الواحد يكون راعياً وقائماً بمصالح خمسين امرأة ، له فيهن الزوجة من الواحدة إلى الأربع ، والباقي لسْنَ زوجاتٍ له ، وإنما هُنَّ قريباتٌ من أخوات وأمهات وخالات وعمَّات وجدَّات ونحوِ ذلك .

٢ - عن أنس أيضاً أن النبي ﷺ قال : « من أشراطِ الساعة أن يتباهى الناسُ في المساجد » . رواه النسائي في « سننه » ٢ : ٣٢ . وفي روايةٍ ثانية : « لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناسُ في المساجد » . رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حِبَّان في « صحيحه » كما في « فيض القدير » للمُناوي ٦ : ٤١٧ ، وقال في تفسير التباهي : « أي يتباهون في عِمارتها ونقشها وتزويقها كفعلِ أهلِ الكتاب بكنائسِهم وبِيَعِهم » .

٣ - عن سَلاَمة بنت الحُرّ الفَزَارية رضي الله عنها قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ مِن أشراطِ الساعة أن يتدافعَ أهلُ المسجد لا يجدون إماماً يُصلّي بهم » . رواه أبو داود ١ : ١٥٩ وابن ماجه ١ : ٣١٤ وأحمد في « مسنده » ٦ : ٣٨١ ، واللفظ له ولأبي داود .

٤ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « بينا النبيُّ ﷺ يُحدِّثُ إذ جاء أعرابي فقال : متى السَّاعة ؟ قال : إذا ضُيِّعتْ الأمانةُ فانتظر السَّاعة ، قال : وكيف إضاعتُها ؟ قال : إذا وُسِّدَ الأمْرُ - وفي روايةٍ إذا أُسْنِدَ الأمْرُ - إلى غيرِ أهلِه فانتظر السَّاعة » . رواه البخاري ١ : ١٣٢ و١١ : ٢٨٥.

٥ - عن أبي هريرة أيضاً أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم السَّاعة حتى يَمُرَّ الرجلُ بقبْر الرجل فيقول : يا ليتني مكانَه ! » . رواه البخاري

١٣ : ٦٥ ، ومسلم ١٨ : ٣٤ . وروى مسلم ١٨ : ٣٤ أيضاً عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لاتذهبُ الدنيا حتى يَمرَّ الرجلُ على القبر فيتمرَّغَ عليه ويقولَ : يا ليتني كنتُ مكانَ صاحب هذا القبر ! وليس به الدِّينُ إلاَّ البَلاءُ » . أي ليس الحامِلُ له على التمنِّي هو الدِّين ، بلا البَلاءُ وكثرةُ المِحَنِ والفِتَنِ وألوانِ الضرَّاء .

أمَّا العلاماتُ الكبرى فقد جاء فيها غيرُ حديث ، من ذلك الحديثُ : ٨ المذكورُ في ص ١٣٢ من الكتاب ، ونصُّه : عن حُذَيفَةَ بن أَسِيْد الغِفاري رضي الله عنه قال : اطَّلَعَ علينا النبي ﷺ ونحن نتذاكرُ فقال : ماتَذَاكرون؟ قالوا : نَذْكرُ السَّاعَة ، قال : « إنها لن تقوم حتى تَرَوْا قبلَها عشْرَ آيات ، فذكَرَ : الدُّخانَ ، والدجَّالَ ، والدَّابَّةَ ، وطلوعَ الشمس من مغربها ، ونُزولَ عيسى ابنِ مريم ، ويأجوجَ ومأجوجَ ، وثلاثةَ خُسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخِرُ ذلك نارٌ تَخرجُ من اليَمَن تَطردُ الناسَ إلى مَحْشَرِهم » . رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه كما سيأتي تخريجه .

وهذه العلاماتُ الكبرى هي التي تولَّى شَرْحَها هذا الكتاب ، وهو بين يديك . نسأل الله تعالى أن يحفظنا من الفِتَن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يحفظ علينا وعلى ذُرِّيَّاتنا وأهلينا وذوينا والمسلمين والمسلمات إيمانَنا به سبحانه حتى نلقاه وهو راضٍ عنا ، اللهمَّ نَجِّنا برحمتك من كلِّ سُوءٍ يا أرحم الراحمين ، وصَلِّ على أشرفِ خلقك وأكرمِ رسلك سيدنا محمد سيد الشفعاء يوم القيامة وعلى آله وصحبه والتابعين وسلِّم تسليماً كثيراً .

حلب ١ / من رجب سنة ١٣٨٥

وكتبه

عبدالفتاح أبوغدة

خادم العلم بمدينة حلب

وفقه الله

ترجمة المؤلف

مستخلصة مما كتبه تلميذه أستاذنا العلّامة البارع الجامع لأنواع الفضائل الشيخ أبو المحاسن محمد يوسف البَنُوري حفظه الله تعالى، في كتابه الماتع الكبير: « نفحة العنبر من هدي الشيخ الأنور » وفي تقدمته أيضاً لكتاب « عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام » من طبعته الثانية ، وفي مقدمتِه لكتاب « فيض الباري على صحيح البخاري » ومقدمتِه لكتاب « مشكلات القرآن » ، وثلاثتُها من تآليف الإمام الكشميري رحمه الله تعالى .

وملخصة أيضاً مما كتبه تلميذه أستاذنا العلّامة المحقّق الأرشد كبيرُ تلامذة الإمام الكشميري الشيخ محمد بَدْر عالَم ، المجاور الآن في المدينة المنورة في مقدّمته أيضاً لكتاب « فيض الباري على صحيح البخاري » جزاهما الله خيراً .

وقد كنتُ عزمتُ على تعريف القراء بالإمام الكشميري في صفحتين أو ثلاث ، ولكن وجدتُني - إن فعلتُ ذلك - هاضماً لمقام الشيخ ومُجحِفاً بحقّ القُرّاء ، فاستوفيتُ في ترجمته بعضَ الاستيفاء ، فكانت هذه الصفحات الطويلة ، ولكنها قطرةٌ من مُزْنِ ما كتبه شيخنا العلامة البَنُوري سلّمه الله تعالى وكرّمه .

الإمام الكشميري

هو إمام العصر ، ومُسنِد الوقت ، المحدّث المفسّر ، الفقيه الأُصولي ، المتكلم النظّار ، الصوفيّ البصير ، المؤرّخ الأديب ، الشاعرُ اللغويّ ، البحّاثة النقّادة ، المحقّق الوهوب ، الشيخُ الإمام محمد أنور شاه الكشميري(١)،

---

(١) يقول عبد الفتاح أبو غدة ملخص هذه الترجمة وناسجها : ليست هذه الألقاب =

ابن الشيخ مُعَظَّم شاه ، ابن الشاه عبد الكبير النُّوري الكشميري . جاء سَلَفُهُ من بغداد إلى الهند ، ونزلوا مُلْتان ، ثم رحلوا منها إلى لاهور ، ومنها إلى كشمير ، فأصبحتْ لهم مُستقرًّا ومُقاما .

وُلِدَ صبيحة يوم السبت السابع والعشرين من شوال سنة ١٢٩٢ في قرية وُدْوَان — بوزن لُبْنان — التابعة لمدينة كشمير : جَنَّةِ الدُّنيا وزهرةِ الرَّبيع الدائم . وكان والده عالماً تقيًّا كبيراً شيخاً في الطريقة السُّهْرَوَرْدِيَّة ، وكانت والدته صالحة عابدة ، يتيمةَ دهرِها في الورع والزهد والعبادة . فنشأ في بيتِ علمٍ وصلاح ، في رعايةٍ دقيقة ، وتربيةٍ عجيبة .

ولما بَلَغ الخامسة من عمره شَرَعَ في قراءة القرآن فَخَتَم التنزيلَ العزيز، وفَرَغ من عِدَّة رسائل بالفارسية في عامين على حضرة والده ، ثم شَرَع في قراءة الكتب الفارسية المتوارَثِ قراءتُها في أهل بلدته من كتب الأدب الفارسي من النظم والنثر ورسائل الإنشاء وكتب الأخلاق ، مِن مؤلَّفات الشيخ سعدي الشيرازي ، والنظامي ، والأمير خسرو الدهلوي ، والعارف المحقّق الجامي، والمحقّق جلال الدين الدَّوَّاني وغيرِهم ، فبرَعَ فيها ما شاء الله تعالى ، وحَوَى علماً بتلك الكتب الفارسية والعلوم المتعارفة حتى فاق الأمثالَ والأقران ، وأُشيرَ إليه مِن فضلاء بلده بالبَنَان ، وحَصَلَتْ له ملكةٌ في صياغةِ النظم الفارسي وإنشاء النثر ، ولم تتمَّ له بَعْدُ عشرُ سنواتٍ من العمر . وقد وَرِثَ ذلك عن والده ، فقد كان والده شاعراً مُجيداً بالفارسية ، وكان عالماً فاضلاً في الفرائض والعلومِ الرياضيَّة وبعضِ العلوم الآلية ، فأصبح الشيخ شاعراً وفاضلاً في تلك العلوم التي في بيته . قال تلميذه العلاّمة البنوري أستاذُنا حفظه الله تعالى : « سمعتُ الشيخَ رحمه الله تعالى يقول : إني قرأتُ كتب الفارسية الرائجة في بلادنا خمسَ سنوات ، وبقيتُ في تعلُّم العلوم العربية خمسةَ أعوام » .

= من قبيل المديح والاطراء ، ولا المبالغة والتفخيم ، وإنما هي من الحقائق التي تحلى بها الامام الكشميري رحمه الله تعالى ، يعلم ذلك من اطلع على تآليفه وزاخر علومه . ولست — والحمد لله — ممن يكيل المديح جزافاً والثناء اعتسافاً .

وكان رحمه الله تعالى من مُستهلّ طفولته على دأبٍ نادر عجيب في التحصيلِ واكتسابِ العلوم والمعارف ، فقد كان لا ينامُ مضطجعاً إلا ليلةَ الجمعة ، وما عداها يَسْهَر لياليَهُ بالمطالعة ، وإذا غلَبه النعاسُ نام جالساً . كما أخبرَ به صاحبُه وتلميذه العلامة الجليل الشيخ مشيئةُ الله البَجنوري .

وتجلَّت بوارقُ ذكائه المتوقّد ونُبوغه العُجاب في فاتحة قراءته على أوّل شيخ من شيوخه وهو والدُهُ ، وقد تحدَّث عن ذلك فقال : « كان يَسألني في درس «مختصر القُدُوري» أسئلةَ أحتاجُ في الإجابة عنها إلى مطالعة كتاب «الهداية» ثم فوِّضتُ دراستَهُ إلى عالمٍ آخر فجعل يشكو من كثرةِ سؤالاته، وكان خارجَ دراستِه ساكناً صامتاً ، لا يَرغَبُ فيما يرغب فيه الصِّبيانُ والأطفال من الملاعب، وأُتيتُ به إلى شيخٍ عارفٍ مُجابِ الدعوة في بلادنا ، فلما رآه قال : سيكون أعلمَ أهل عصره . ورأى بعضُ أعلامِ عصرنا تعليقاتهِ على كتبه الدّراسية فتفرَّسَ فيه بأنه سيكون غزَّاليَّ عصره ، ورَازِيَّ دهره .

ثم شَرَع في تحصيل العلوم العربية وغيرها على علماء بلاده : كشمير وتوابعها ، ففرَغَ من الصَّرْف والنحو وقدرٍ صالحٍ من الفقه وأُصولِه والمنطق وغيرها في حولين فصاعداً ، ولمَّا ارتوى من علوم أهل بلده سافر في حدود سنة ١٣٠٧ إلى مديرية (هَزارة) على حدود كشمير من جهة الفنجاب الشمالي ، وكانت مَحَطّاً لحُذَّاقِ العلوم الدَّرسية والأساتذةِ المتقنين ، فمكثَ فيها نحوَ ثلاثة أعوام ، قرأ فيها كتبَ المنطق والفلسفة والهيئة وغيرِها . وكان علمُ الفقه وعلمُ الفتوى في كشمير مما يُتسابَقُ في حَلْبَةِ رِهانِه ، فأصبح الشيخُ فقيهاً مُفتياً لا يُدرَكُ شأوه ، ولا يُشَقُّ له غبار ، حتى أفتَى فيها المفتين والفقهاءَ في الحوادث والنوازل والفتاوى المقيمة ، ولم يَفتقر إلى مراجعةِ كتاب . قال تلميذه الأرشد شيخنا الشيخ محمد بدر عالَم حفظه الله تعالى : سمعت الشيخَ يقول : كنتُ أُفتي للناس بكشمير حينَ بلغتُ من عُمري اثنتي عشرة سنة ، وكنتُ أُطالع الشروحَ من كتب الفقه والنحو حينَ تمَّ من سِنّي تسعُ حِجَج .

بيد أنه لم تَقْنَع نفسُه الطَّموحُ بذلك القـدر الذي حصَّله في معاهد (هزارة) ومدارس كشمير ، ولم تَنْقَع به غُلَّتُه ، بل كان يَزدادُ ظمأً وأُواماً إلى درك حقائق العلوم والتبحُّر فيها ، فشدَّ الرحلَ إلى أكبر مركزٍ علمي في بلاد الهند : (دار العلوم) في قرية دِيُوبَنْد ، بقرب دِهْلَى عاصمةِ الهند ، وكانت (دارُ العلوم) حقاً قُرْطُبَةَ الهند وأزهرَها ، وكانت ساحتُها مستنيرةً بجهابذةِ العلوم النقلية والعقلية وفُحولِها ، فأدرك الشيخُ فيها رجالاً جَمَعوا إلى علومهم الناضجة الرَّسمية : علومَ العُرَفاء والأولياء ، وجَمَعوا إلى دقَّةِ المدارك وإصابةِ الرأي : رِفْقَ القولِ وصِدقَ اللهجة ، أصحابَ هيئةٍ ووقار ، وأصحابَ سُنَّةٍ ووَرَع وزهدٍ وتقوى ، فكانوا عُلَماءَ عُرفاء ربَّانيين أصفياء ، فكَسَتْه صُحبتُهم وإفادتُهم علماً صحيحاً ، ورأياً صائباً ، وشَغَفاً باتِّباع السُّنَّة ، وبَهاءً في المَلَكاتِ الفطرية ، وجَمالاً في الأخلاق والآداب .

وكان أكبرَ هؤلاء الأجلَّة وأبجَلَهم شيخُ العالَم ، ومُسنِدُ الوقت ، رُحْلَةُ الأقطار وشيخُ العرب والعجم : الشيخ محمود حَسَن الدِّيُوبَنْدي رحمه الله تعالى ، وكان هذا الشيخ مرتوياً من علوم القرآن والسُّنَّة والحقائق والمعارف من شيخيه : قُدوةِ الأمَّة رشيد أحمد الكَنْكوهي ، وبحرِ المعارف والعلوم محمد قاسم النَّانُوتَوي قدَّسَ الله رُوحَها .

فوجَدَ الشيخ الكشميريُّ عند شيخه الشيخ محمود حَسَن ضالَّتَه التي يَنشُدها ، والعلومَ التي يتطلَّبها ، فملأ من معارفه ومَداركه قلبَهُ ولُبَّه ، وعَبَّ منها ونَهَل ، كما لقي في ديوبند أيضاً العلامةَ المحدِّثَ الشيخ محمد إسحاق الكشميري ثم المدني ، فاستكمل ما بقي من العلوم ، وقرأ على هذين الشيخين كتب الحديث الشريف كما يقول : « قرأتُ « صحيح البخاري » و « سنن أبي داود » و « جامع الترمذي » والجزءين الأخيرين من « الهداية » على شيخ العالَم شيخنا المحمود قُدِّس سِرُّه ، وقرأتُ « صحيح مسلم » و « سنن النسائي » الصغرى و « سنن ابن ماجه » على الشيخ محمد إسحاق الكشميري رحمه الله تعالى » .

وفَرغَ من قراءة هذه الكتب سنة ١٣١٣ وتخرَّج من ديوبند عالماً فاضلاً، نابغاً في العلوم روايتها ودرايتها ، في مقتبَل شبابه ، فاستشرفَتْ إليه العيونُ وتعلَّقت به القلوب ، وأُشيرَ إليه بالبَنان .

ثم ذهب إلى دِهْلَى وفُوِّضَ إليه الدَّرسُ في « مدرسة عبد الرَّبّ » فدرَّسَ فيها عِدَّة شهور ، ولم يَلبث أن تفرَّسَ فيه بعضُ صلحاء أصدقائه ورفقائه الشيخ محمد أمين الدهلوي مخايلَ النجابة الباهرة فأصَرَّ عليه أن يَنهض بتأسيس مدرسة عربية في دهلى ، فاستجاب لذلك ، وقام مُشمِّراً عن ساعد الهمّة ، وساعَدَهُ على ذلك بعضُ أهل الهمم العالية من أولي الخير وأرباب الفَضْل والثروة (١) ، وافتتَح مدرسةً سمّاها : « المدرسة الأمينيّة » باسم

(١) قال عبد الفتاح : زرتُ في رحلتي إلى الهند وباكستان نحوَ ثلاثين مدينةً من كبار المدن وصغارها ، كما زرتُ كثيراً من القرى التي جاءت في طريق الرحلة ، فكانَتْ كلُّ بلدة وأكاد أقول أيضاً : كلُّ قرية لا تخلو من مدرسة أو مدارس لتعليم الشريعة الغراء ، وكانت كلُّها : مبانيها ، ومكتباتُها ، ومساكنُ الطلبة ، ومساكنُ الأساتذة في بعضها ونفقاتُها الدائمةُ العاليةُ : تبرُّعاً من أهل الخير والإيمان ، وأذكرُ على سبيل المثال بلدةَ (مُلْتان) من الباكستان الغربي، وهي بلدة صغيرة ، فيها مدارس كثيرة ، زرتُ منها بحَسب ما تيسَّرَتْ لي زيارتُه ثلاثَ مدارس : مدرسةَ أنوار العلوم ، ومدرسةَ قاسم العلوم ، ومدرسةَ خير المدارس . ورأيتُ في مدرسة (خير المدارس) مزايا لم أرها في سواها من مدارس الهند وباكستان ، فهي ذات أقسام خمسة : قسم لتعليم قراءة القرآن ، وفيه ٨٣ قارئاً ، وقسم لحفظ القرآن غيباً ، وفيه ١٧٩ حافظاً ، وقسم لتعليم الصغار من الطلبة ، وفيه ٢٢٠ طالباً ، وقسم لتعليم الكبار ، وفيه ١٧٩ طالباً، وقسم خامس مستقلّ في مكانه لتعليم البنات صغيرهن وكبيرهن ، وعدَدُهن ٢٩٠ طالبةً ، ويقرأ هؤلاء الطالبات في السَّنَة النهائية ما يَقرأ الطلابُ فيها ، وهو الكتب الستة من الحديث الشريف : « صحيح البخاري » ، وصحيح مسلم » ، =

رفيقه المولوي محمد أمين الدهلوي ، وشاع صيتُها في أقطار الهند ، وقُصِدت من كلّ جانب ، وشَرَعَ الشيخُ نفسُه يُدرِّسُ فيها العلومَ وأعاظمَ الكتب من الحديث والتفسير والبيان والمعقول وغيرها ، وبقي على الإفادة والتدريس فيها عِدَّةَ سنين .

ولما بَسَقَتْ فروعُ تلك (المدرسة الأمينية) ، واستكمَلَتْ وجودَها وكمالَها ، وقامت تَنْشرُ العلمَ في ربوع تلك الديار ، وتخرَّج على يَد الشيخ فيها المتخرِّجون ، وتَروَّى من فيضه المشتاقون : أغراه الحنينُ إلى مألَفِه ومَهْوَاه : كشمير، فامتطى هوجاءَ الوجد ، وودَّعَ قلوبَ المُحبِّين حسرةً ، بل شَخَصَ مغادراً للأشباح ، ومستصحباً معه القلوبَ والأرواح .

ثم أقام في كشمير ثلاثَ سنوات فأسس فيها مدرسة دينية سمَّاها : « الفيض العامّ » ، فدرَّس فيها وأفتى ، ونَصحَ الأمَّة قلماً ولساناً ، وسعى في إصلاح كثير مما راج هناك من البِدَع والرسوم المُحْدَثة ، فرأَبَ الله به الصَّدْع ، وأقام به الأمر ، وانقشعَتْ بوجوده سحائبُ الجهل المتراكمة ، وتلألأتْ آثارُ السُّنَّة النبوية الشريفة .

= و « سنن أبي داود » ، و « سنن النسائي » ، و « سنن الترمذي » ، و « سنن ابن ماجه » ، ويقرأن معها كتاب « مشكاة المصابيح » . وقد رغب مدير المدرسة شيخُنا ومجيزُنا الشيخ خيرُ محمد حفظه الله تعالى ونفعَ بأنفاسه المباركة من إحدى الطلبات أن تقرأ حديثاً وتشرحَه ، فقرأتْ من وراء حجاب حديثاً من « صحيح البخاري » بسنده ومتْنِه قراءةً عربية صحيحة فصيحة ، ثم شرَحتْه فدلَّت على علم وفهم .

وميزانية هذه المدرسة مئة ألف روبية ، كلُّها من أهل الخير والإيمان ، بارك الله فيهم . ولا تتناول كلُّ تلك المدارس المنتشرة في طول الهند وباكستان وعرضها درهماً واحداً من الحكومة ، وإنما تعيش وتزدهرُ وتنمو وتتَّسعُ على إمداد أصحاب الغيرة والثروة من المسلمين لا غير أبقاهم الله وأجزل مثوبتهم .

ثم اشتاق إلى زيارة بيتِ الله الحرام ، وإلى حَرَمِ رسولِ الله ﷺ ، فوفّقه الله إلى زيارتها سنة ١٣٢٣ ، ومكث في مكة ـ زادها الله مجداً وكرامة ـ عِدّةَ شهور يُطفِئ ضِرامَهُ بالطواف والِهاً باكياً ، ويلتجئ متشبثاً بأستار الكعبة الطاهرة في دُلَج الليل داعياً ومُنادياً . ثم حثّه حادي الشوق إلى المدينة الطيبة ـ زادها الله شرفاً وحُرمة ـ فاستحثَّ العزيمة وشدَّ الرحال إلى روضة النبي الكريم ﷺ ، فلبثَ في المدينة المنورة برهة من الدهر يُروي غليلَه ، ولقِيَ فيها الشيخَ الفاضل الشيخ حسين الجِسْر الطرابلسي مؤلّف « الرسالة الحميدية » و« الحصون الحميدية » ، ولازمَهُ مدةً وأجازه الشيخُ الجسر بأسانيده في الحديث . كما لقي رجالاً من أكابر علماء البلاد الاسلامية ، وذاكرَهم في مُهِمَّات المسائل .

واغتنم فرصةَ قرْبه من مكتبات المدينة المنوَّرة الخطيَّة وخاصةً « مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت الحُسَيْني » و « المكتبة المحمودية » ، وكان فيها ذخائرُ نادرة فانكبَّ على مطالعة نفائسها من التفسير والحديث وغيرهما ، حتى طفَحَ صدرُهُ بعلوم تلك الأسفار الزاخرة . ثم عاد إلى وطنه يطوي في ضميره الرجوعَ إلى الحرمين والمجاورةَ في جوار رسول الله ﷺ حتى لقاء الله .

ومكثَ غيرَ بعيد حتى شَغَفَ فؤاده بما كان نواه من العودة إلى المدينة الطيّبة ، فاجتمع إليه أعيانُ القوم ، واكتنفه شُرَفاءُ الناس ، وتعاوَرُوه من كلّ جهة ، وألحّوا عليه بالزواج ، وعرَضوا عليه بناتِهم وتنافسُوا في إيثاره وتكريمه ، واستأثروه بعَرْضِ المزارع والحدائق ونقودِ الأموال ، فلم يكن منه أن يميل إلى شيءٍ منها ، وخالَها أغلالاً في عُنُقه وسَدّاً منيعاً دون مآرِبِه ومَهْوَاه ، فأصرَّ على عَزْمِه وهِجرته ، فأخذ عَصَا التَّسْيار وغادَرَ أسرَتَهُ ومنشأه ومَنْمَاه متوجّهاً إلى الجوارِ النبويّ على صاحبه الصلوات الطيبة والتحيات المباركة .

وبلغ (ديوبند) يُريد زيارةَ شيخِهِ شيخِ العالَم محمود الحَسن ووَداعَهُ ،

وأنبأه بما نوى من الهجرة إلى الحرمين الشريفين ، فأمره الشيخ رحمه الله بفسخ العزم ، وأبرم عليه الاقامة في (ديوبند) ، وكان شيخه رحمه الله تعالى تفرس فيه آثار النجابة الباهرة ومخايل الكرامة من قبل ، وسبر علمه وفضله وتقواه وورعه ، وشاهد ما فطر عليه من الأخلاق الفاضلة والمناقب العالية ، وأحس الشيخ أيضاً أن البلاد الهندية ومركز العلوم الاسلامية : (ديوبند) أحوج إلى فيضه وعلومه ، فأمره بفسخ العزم ، وأبرم عليه الاقامة في (ديوبند) ، واستلم منه زاد سفره وزود به آخر للحج والزيارة ، ولم يكن الشيخ الأنور يفرط في امتثال أمر شيخه ، فأقام في (ديوبند) وكان ذلك في حدود سنة ١٣٢٥ ، وأمره الشيخ بتدريس « صحيح مسلم » و « سنن النسائي » و « سنن ابن ماجه » ، فنهض بها على خير وجه ، وكانت فاتحة تدريسه في (دار العلوم الديوبندية) واستمر على ذلك إلى سنة ١٣٣٢ .

ثم أراد شيخه رحمه الله تعالى سفر الحج والزيارة في سنة ١٣٣٣ فاستخلفه نائباً عنه في التدريس وصدر المدرسين في (ديوبند) ، فأخذ يدرس « الصحاح الستة » وأمهات كتب الحديث ، وكان من أمر الشيخ محمود حسن أن أسرته الحكومة البريطانية الغاشمة في جزيرة مالطة ! فبقي الشيخ الأنور مقامه عشرين سنة في تدريس « صحيح البخاري » و« جامع الترمذي » وغيرهما .

وكان أهل (دار العلوم) في ديوبند على ثقة باقامته ، ولكنهم حاذروا أن يعود إلى عزمه من الهجرة إلى الحجاز ، فخطب له حضرة ناظم الجامعة الديوبندية ومديرها خطبة في بيئة شرف وفضل من بيت السيادة الفاطمية ، ليكون زواجه سداً دون عزائمه ، فزوجوه وجعلوه صاحب أهل وعيال بل صاحب شكال وعقال .

وكان في (دار العلوم) لا يأخذ راتباً على تدريسه إلى عدة أعوام من إقامته في ديوبند ، ثم لما تأهل واضطر إلى مصالح البيت ونفقة العيال أحس

بذلك أهلُ الجامعة فعيّنوا له راتباً يكفي لحوائجه الحاضرة ، ووصلت إليه في ذلك الحين دعوةٌ من « المدرسة العالية » في كلكتة لشُعْبَةِ صَدَارةِ المدرّسين براتب ثمانمائة روبية مشاهرة ، وكان راتبُه في جامعة ديوبند أقلَّ من خمسين روبية ، فلم يُزعجه هذا المبلغُ الضخم عن قناعتِه ومُقامِه وقال : يكفيني ما تيسَّرَ لي ، ولا حاجة بي إلى ما سواه .

وقَضَى في (ديوبند) ثُلُثَ عُمُره ، وجرَتْ من قلبه وفمه ينابيعُ الحكمة ومناهلُ العلمِ والمعرفة ، حتى استفادَ منها رجالٌ من الأفاضلِ وأماثلِ العصر ، وتَضلَّعَ مَنْ لا يُحصَى عدداً من الأصاغر والأكابر ، وتخرَّجَ عليه في تلك البرهه أكثرُ من ألفَيْ خرِّيج ممن قرأ عليه أمَّهاتِ كتب الحديث. وأصبحَ بابُهُ مَحَطّاً للرِّحال وملجأً للرجال ، وأصبح وجودُهُ العلمي سبباً لاصلاح طُرُق التدريس ، وانتهج للعلماء مناهجَ التحقيق وطُرُقَ التفصّي من مُعضِلات المسائل وغوامِضها ، وكان درسُهُ جامعاً للبدائع تَنْحلُّ به مشكلاتُ سائر العلوم ، واقتفى العلماءُ المدرّسون أثرَه ، بيْدَ أنه (لا فتَى كمالك) . فكان يتدفّقُ بحرُهُ المتلاطِمُ من علومه فيَفيضُ من كلِّ ناحيةٍ يَسقي الأجادبَ ويُروِي غليلَ العلم .

وكان يجودُ بثروتِه العلمية وإعارة مذكّراته الحاوية ذخائرَ العلم ونفائس الأبحاث على السائلين بسماحةِ نفسٍ وإخلاصٍ وحرصٍ على الافادة غريب .

وقد سَلَّ في عهد إقامته بديوبند صارِمَهُ العَضْب لِكَمْعِ عُرُوق الثُّلَّةِ الباغية القاديانيّة بلاغاً وإرشاداً ودَرْساً وتأليفاً ، واستحثَّ الهِمَم المتوانية ، والجهودَ المتقاعدة من العلماء الطلبةِ وعامّةِ الأمّةِ الاسلامية إلى مقاومةِ هذه الفئة الضالّة المُضِلّة ، ومُكافحةِ هذه الكارثة الدَّهْياء والبليّة العمياء حتى أيقظَ الرُّقود ونَبّه الغَفَلة من أصحاب الجرائد والمجلّات بمكايد هذه الحادثة الفظيعة ودسائسها فأثمر اللهُ نهضتَهُ المباركة ، وتركَ تلك الفتنة على مِثْلِ مِشفَرِ الأسد ، وأقبرَها بسَعْيِه وعلمِه ولسانه وقلَمه ، فكان

له مِنةٌ عظيمة على رقاب الأمّة المحمّديّة ، ومأثرةٌ جليلةٌ لا تُنسى على تقادُمِ الأزمان .

ثم لما استقال من منصبِ دَرْسِه في ديوبند سنة ١٣٤٦ اكتنفَتْه الدّعواتُ والمخلصون من كلّ جهة للتدريس برواتبَ سامية ومُشاهراتٍ عالية ، حتى بلغَتْهُ الدّعوةُ من نوّاب دهاكه في باكستان الشرقي بألفِ روبية مشاهرة فلم يقبل . حتى أصرّ عليه المشتاقون إلى بركاته من أهل الخير والدُثور بأن يَمْتطي صَهْوَةَ الرحيل إلى كُجْرات الهند ، وبعدَ إلحاحٍ وإصرارٍ شديدين أجاب الشيخُ الدعوةَ لمصالح تفرّسَها ، فرحَلَ في شهر ذي الحجة من خاتمة سنة ١٣٤٦ إلى قريةٍ في نواحي سُورَتْ تسمى (دابيل) ، على بعد نحو ١٥٠ ميلاً من مدينة بمباي . ونشأ بوجوده الميمون هناك : معهدٌ كبيرٌ يُسمّى « الجامعة الاسلامية » ، وإدارةُ تأليفٍ ونشرٍ تُسَمّى « المجلسَ العلمي » ونشَرَ المجلس المذكور في حياة الشيخ وبعده كتباً قيمة في شتّى المواضيع قاربت الأربعين كتاباً ، سارتْ في المشارق والمغارب ، وتلقّفَها العلماءُ من كل جانب .

وبقي الشيخ في (دابيل) خمسَ سنوات يشتغل بالدرس والتأليف والوعظ والتذكير ، فارتجّتْ تلك البسيطةُ من طنينِ حديثه ، وسارت الركبانُ تَروي أحاديثَ فيضه وبركاته ، وتشكُرُ جَدْباءُ الهند أياديَ غمامه ، واستنارَتْ هاتيك البقاعُ بنوره علماً وعملاً وسُنّةً وحديثاً ، فقوّمَ بوجودِهِ المُبارَكِ الأوَد ، وأصلَح اللهُ به هناك أُمّةً ، وقد غلبَتْ عليه رِقّةٌ في آخر حياته الشريفة ، فكان يأخذه البكاءُ في دروسِهِ ومَواعظهِ فكان يَبْكي ويُبْكي رحمه الله تعالى .

غير أنه اجتوى المُقام في (دابيل) وما طاب له هواؤها فابتُلي بداء البواسير ، فعاد إلى (ديوبند) واشتد عليه هذا الداء المُعْضال حتى نَزَفه الدمُ ، واستولَتْ عليه الصفراء إلى أن حان أجلُه فتُوفّي رحمه الله تعالى في الثلُثِ الآخِرِ من ليلة الاثنين ثالثِ صفر سنة ١٣٥٢ وصُلّي عليه صلاة الجنازة في

ساحة (دار العلوم) في جموعٍ غفيرة لا يَعلَمُ عددَها إلا الله تعالى ، وحُمِلَ على الأيدي وفي حبّات القلوب ،ودُفِنَ بالجانب الجنوبي من مُصلّى العيد في ديوبند في بقعة كان وصّى بشرائها ، وكان كما قال أحدُ شعراء مكة في الوزير جمال الدين وكان مُحسناً إليهم ـ كما نقلتُهُ من خطّ الشيخ الكشميري نفسِه المصوَّر مع تعليقاته على كتاب « آثار السُّنَن » للنِّيمَوي ـ :

سَرَى نَعْشُهُ فوقَ الرِّقاب وطالما سَرَى جُودُه فوق الرِّكاب ونائلُه
يَمُرُّ على الوادي فتُثْنِي رِمالُهُ عليه وبالنّادي فتُثْنِي أراملُه

وكما قال هو في رثاء شيخه شيخِ العالَم محمود حَسَن الديوبندي رحمهما الله تعالى من قصيدةٍ طويلة رنّانة :

سَرَى نَعْشُهُ فوقَ الرِّقابِ وطالما سَرَى عِلْمُهُ فوق الرِّكاب ورَفَّما
وشيَّعَهُ المخلوقُ من كلِّ جانبٍ فلم أرَ إلاّ الفَضْلَ كان مُوَدِّعا
ولم أرَ مثلَ اليوم كم كان باكياً وما كان دَمْعُ القوم دَمْعاً مُضَيَّعا
ولم أدْرِ ماذا كانَ إحرامُ حَجِّهِ أكان قِراناً أم أجازَ تَمَتُّعا ؟

وقد خلّف من أولاده الذكور ثلاثةَ أبناء ، هم : محمد أزهر شاه ، وهو أكبرهم ، ومحمد أكبر شاه ، وهو أوسطهم ، ومحمد أنظر شاه ، وهو أصغرهم ، وكلهم أهل علم وفضل ، كما خلّف والدَه المحترم محمد معظّم شاه ، وقد جاوز عُمُره المبارك يومَ وفاة الشيخ الأنور مئة وعشرَ سنين ، رحمة الله عليهما جميعاً .

وقد رثاه الأفاضل من العلماء والأدباء بقصائد رنّانة طويلة ، تُفتِّتُ الأحشاء وتُدمِعُ القلوبَ والعيون ، وأُنشِدَ في حَفْلِ تأبينه بعد يومٍ من وفاته سبعَ عشرة قصيدة بالعربية والأوردية ، وبلَغَت القصائدُ التي رُثِي بها أكثرَ من ستين قصيدة . وكنت أوردتُ منها في هذه الترجمة الشيء الكثير ، ولكن ضيق الصفحات الباقية للترجمة ألزمني بالاقتصار المجحف ! فمعذرةً للشعراء والقراء .

وكان مما قاله تلميذه أستاذُنا العلّامة المحدّث الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي صاحب «التعليق الصبيح شرح مشكاة المصابيح» وشيخُ الحديث وصدْرُ المدرّسين الآن في الجامعة الأشرفية في لاهور حفظه الله تعالى من قصيدة تجاوز الستين بيتاً :

سلامٌ على حفظ الكتاب وسُنّةٍ ... وحفظٍ وضبطٍ بعد شيخٍ مبجَّلِ
أُريدُ به نُورَ الهداية أنوراً ... كبدْرٍ مُبينٍ في دُجى الليل أليلِ
فقد كان إعجازاً لدينِ نبيِّنا ... كمثلِ البخاري أو كنحوِ ابنِ حنبلِ
وكان إماماً حافظاً ومحدِّثاً ... إليه انتهى شدُّ المطايا وأرحُلِ
وقد كان فرْداً حافظَ العصرِ جامعاً ... معارفَ أعلام الهُدى والتفضُّلِ
بكى عالمُ الإسلامِ طرّاً وأعولا ... لخطبٍ جليلٍ قد أناخَ بمنْزلِ
بكاه مقامُ الدّرسِ والوعظِ حاسراً ... بكته نواحي الأرضِ والفلكُ العلي
فقد كان رُمْحاً سمْهريّاً مثقّفاً ... لمثْلِ مسيحِ القاديان المُخَبَّلِ
وأبيضَ هندياً لكلِّ مُسيْلِمٍ ... وكلِّ مُناغٍ في نبُوّةِ مُرْسَلِ
تُوفّيتَ يا رأسَ التُّقى وتركتني ... لفقدك أرويه بدمْعٍ مُسلْسَلِ
شرحتَ لنا الآثار إذ هي أشكلتْ ... وفسَّرتَ آياتِ الكتاب المفصَّلِ
وعطَّرَ أفقَ الأرضِ من عرفك الشذى ... يُباري شذاهُ رَوحَ مِسكٍ ومندلِ
عليك سلامُ الله يا قبرَ أنورٍ ... ورحمتهُ تترى كودقٍ مُجلجلِ
بفضلِك يا مولى الورى قل لروحه : ... أيا رَوحَ عبدي هذه الجنّةُ ادخُلي

ورثاه تلميذه أستاذنا العلامة الشيخ الأديب الجامع البارع أبو المحاسن محمد يوسف البنوري بقصائد طويلة من بعضها هذه الأبيات :

العينُ ذرّافةٌ والقلبُ حيرانُ ... والطيرُ تشدو فتبدو منه أشجانُ
الشمسُ كاسفةٌ والأرضُ مظلمةٌ ... والمزْنُ تبكي فسالتْ منه بلدانُ
خطْبٌ ألمَّ على الإسلام مُكتنِفاً ... تزلزلتْ منه أطوادٌ وأركانُ
وللحوادث سلوانٌ يُسهِّلُها ... وما لما حلَّ بالإسلام سلْوانُ.
قضى الحياةَ إمامُ القوم مرْجعُهم ... شيخُ الحديث فقيه النفْس سُفيانُ

بحرُ البحور وشمسُ المَجْد مسنِدُهم   فيما رَوَى من حديث العلم إخوانُ
حَبْرٌ ورُحلةُ أعلامٍ وحُجّتُهم   فيما سَرَى بحديث الفَضْل رُكبانُ
شيخُ الشيوخ إمامُ العَصْر عمدتهم   الشَّاه أنورُ نورُ الله بُرهـانُ
شمس الورى فيلسوف الشرق قدوتهم   رأسُ الخيار غنيٌّ النَّفس سُلطانُ
بحرٌ مُحيطٌ لِمغزَى كلّ مُعْضِلةٍ .   مِن حوله لِرَحَى الأعلام جولانُ
إذْ ظلَّ يكشفُ من فقه الحديث لنا   تحيرتَ مستنطقاً : هذا لنُعمانُ ؟
وفي الزمان شيوخٌ لا عِدادَ لهم   لكنه لعيُونِ العـــلم إنسانُ
سارتْ جنازتُه والقومُ في جَزَعٍ   والعَيْنُ ذارِفةٌ والقلبُ وَلْهانُ
مَنْ بالحديثِ ومغزى الفقه مُضطلعٌ   مَنْ فَهْمُهُ لخفايا العلم ميزانُ ؟
تبكيه جامعةُ الاسلام مِن قلَقٍ   كما بكى لِفِراق الإلفِ هَيْمانُ

ونختم هـذه المراثي بقصيدة رنّانة رثاه بها تلميذُه أستاذنا العلامة المحقق الفقيه المحدّث الأديب سماحة الشيخ محمد شفيع مفتي باكستان ، حفظه الله تعـالى ورعاه ، وهي قصيدة طويلة بلغت ٥٢ بيتاً ، نذكر منها الأبيات التالية :

نَعى بك ناعٍ سَحرةَ الفجر فانبرى   يَضجُّ السَّما والأرضُ والبدو والقرى
وأبكى الجبالَ الشَّامخاتِ نَحيبُه   ووَبْراً ومَدْراً والقَلائم أبْحُرا
وأبكى دُرُوساً والمدارسَ جمّةً   كذلك أقصى مَسْجِدٍ ثم مِنبَرا
نُعينا بجَمّاعِ العلوم وسيَّما الحـ   ـديثَ وقرآناً كريماً مفسَّراً
فلم أدرِ أرثِي عالماً أمْ عوَالماً   وعلماً وحلماً ثم للفضلِ جَمْهرا
ولِفقهاً وتحديثاً ورأياً وحِكمةً   ووَرْعاً وزُهداً في السَّماءِ مشهَّرا
ووَجْهاً طليقاً باسماً مُتَهلِّلاً.   إذا زُرتَ زُرتَ البدرَ تمّاً مُنَوّرا

أحقاً عبادَ اللهِ أن لستُ زائراً   بَعيني بعدَ اليومِ شيخي أنورا ؟
بُخاريُّ عصرٍ تِرْمِذيُّ زمانه   وزُهريُّ وقتٍ لا خِلافَ ولا مِرا
فلو أنها رُزْءٌ من الدَّهر واحدٌ   ولكنّه غَيْمُ النوائب أمطرا
فما فَقْدُهُ واللهِ فَقْدٌ لواحدٍ   ورَبِّي : جَناحا العِلمِ منه تكسَّرا
فطاب ثرى من راح في الله واغتدى   لِنَشْر علومِ الدينِ قام مُشَمِّرا

وشيَّدَ أركانَ الهُدَى وأنارَها	ومدَّر بنيانَ الضّلال وبَذَّرا [١]
وشَنَّفَ آذانَ الوَرَى بفرائدٍ	فجادتْ بها الأجفانُ غُدْوةَ أدبرا [٢]
ولم يألُ في إعلاءِ دينٍ ونشرِه	تراه لوجهِ الله سَيفاً مُشهَّرا
فواهاً له مِن رائحٍ حَلَّ روضةً	بجنب المُصلّى لايزالُ مُنَضَّرا [٣]
سقَتْها غوادي رحمةِ الله بُكرةً	فعادَتْ سَوَاريها بليل مكرَّرا
عليه سلامُ الله ما ذَرَّ شارقٌ	بعيدَةِ من صلّى وصامَ وكبَّرا

كلمات من ثناء العلماء الأكابر عليه

قال حكيم الأمّة أشرف علي التهانوي : إن وجود مثله في الأمة الاسلامية آيةٌ على أن دين الاسلام حقٌّ وصدق . وقال محقّق العصر الشيخ شبّير أحمد العثماني صاحب « فتح الملهم شرح صحيح مسلم » : فقيدُ المثيل عديمُ العديل ، بقيّةُ السلف حُجَّة الخلف ، البحر الموّاج والسراج الوهّاج ، لم تر العيونُ مثلَه ولم يَر هو مثلَ نفسه ، آية من آيات الله وحُجَّة الله على العالمين .

وقال تلميذه شيخُنا العلامة الكبير الشيخ محمد بَدْر عالَم وقد لازمه عشر سنين : لو نظرتَ إليه لنظرت إلى رجل يضاهي الذهبيَّ في حفظه ، ويماثل ابنَ حجر في إتقانه وضبطه ، ويساجل ابنَ دقيق العيد في عدله ودقّة نظره ، ويشابه البحتريَّ في شعره ، ويحاكي سَحبان في بيانه وسحره ، بلى وليس ذلك ببعيد من صُنع الله عزَّ وجلَّ .

وليس على الله بمستنكَرٍ	أن يَجمع العالَمَ في واحدِ

---

(١) أي نقض بنيان الضلال ومزقه تمزيقا .

(٢) يشير شيخنا بقوله هذا إلى قول الزمخشري في رثاء شيخه أبي مضر :

وقائلة : ما هـذه الدرر التي	تساقط من عينيك سمطين سمطين
فقلت : هو الدر الذي كان قد حشا	أبو مضر أذني تساقط من عيني

(٣) قبره الشريف بجنب مصلي العيد في ديوبند ، يزار من كل وارد إليها ، وقد زرته صباح يوم الخميس ٢٨ / من ربيع الأول سنة ١٣٨٢ رحمه الله تعالى وإيانا .

وقال شيخنا المحقق الكوثري: لم يأت بعد الشيخ الامام ابن الهُمَام مثلُه في استثارة الأبحاث النادرة من ثنايا الأحاديث ، وهذه برهة طويلة من الدهر .
وقال مفتي الهند الشيخ محمد كفاية الله الدهلوي يوم مات الامام الكشميري : إنه لم يمت ، ولكن مات العلم والعلماء .

نُمزنة من شعر الامام الكشميري

للشيخ الكشميري الهنديّ الدار واللسان شعر كثير بالعربية ، يفيض عذوبة ورقة وبلاغة ، حبّذا لو جمعه بعضُ محبّيه في ديوان وجمع معه المراثي التي قيلت فيه بالعربية لكان ذلك زاداً كريماً للأدب العربي يستحق الدراسة مثل أو أكثر من دراسة شعر « المهجر » .

فمن قصيدته في رثاء شيخه قاسم النانوتوي مؤسس دار العلوم الديوبندية :

قِفَا يا صاحبيّ على الديار ... فمِن دأب الشجيّ هوى ازديار
وعُوجا بالرّباع رباع أُنس ... ففي المرأى لشيء كاصطبار
وإن عادتْ دوارسَ بعد هَجْر ... فقد كانتْ معاهدَ للمزار
فتلك بلادُها أُمضيتُ فيها ... ليالِيَ من طِوالٍ أو قِصار
أسابقُ ريبَ دهرٍ ذي فنون ... وإنْ سُراه لا يدريه دارِ
كأنك ما سمعتَ حديثَ شيخٍ ... تلقّاه الخيارُ عن الخيار
وذلك قاسمُ البركات طُرّاً ... يَسيرُ بذكره تالٍ وقاري
إمامٌ حافظٌ سَنَدٌ هُمامٌ ... لسانُ الحقّ مقدامُ الكبار
مجدّدُ هذه الأعصار حقاً ... محدّثُنا وذلك فتحُ باري

ومن قصيدة له في رثاء شيخه شيخ العالَم محمود حسن الديوبندي :

قفانبكِ من ذكرى مزار فندمعا ... مَصيفاً ومشتى ثم مرأى ومسمعا
يجاوبني دارٌ وجارٌ على البكى ... ولم أر إلا باكياً ثَمَّ مُوضعاً
وإن كان مما ليس يَشفي ويُشتفى ... بشيء ولكن خلّ عينيك تدمعا
نهضتُ لأرثي عالماً ثم عالَماً ... حديثاً وفقهاً ثم ما شئتَ أجمعا
كبيراً ينادَى في السموات أمّةً ... إمامَ الهدى شيخاً أجلّ وأرفعا

الإمام الكشميري والتأليف

لم يعزم الشيخ رحمه الله تعالى أن يؤلف رسالة أو كتاباً تأليفاً مقصوداً ، وإنما جُلّ مؤلفاته أمالٍ أخذت عنه أو نصوص وتقييدات أفردها بعنوان ، ولو أنه عكف على التأليف لسالت بطحاء العالم بعلومه وتحقيقاته ، ولأنارت أنواره اللامعة أرجاء دنيا العلم على سعتها وكثرة أهل الفضل المتقدمين فيها ، وإنما ألّف بدافع الضرورة الدينية والخدمة الإسلامية عِدّةَ رسائل سنذكرها في عداد مؤلفاته .

غير أنه كان من ريعان عمره عاكفاً على جَمْع الأوابد وقَيْد الشوارد في برنامجه وتذكرته ، وكان يبذل وُسْعَه في حَلّ المشكلات التي لم تنحلّ من أكابر المحقّقين قبلَه ، وكان كلّما سنح لخاطره الشريف شيء من حلّ تلك المعضلات قيّده في تذكرته ، وإذا وقف في كتب القوم على شيء تنحلّ به بعض المعضلات أحال إليه برمز الصفحة إن كان مطبوعاً .

وكان من عادته مطالعةُ كل كتاب يقع له من أي علم كان ولأي مصنّفٍ كان ، يطالعه من البدء إلى الختام ، وكان كلّ جهده في مطالعته كتب المتقدّمين وكتب أكابر المحققين ، وكان له مطالعات واسعة عميقة في كتب أئمة الفنون من كتب الفلسفة الطبيعية والفنون الإلهية وكتب الحقائق والتصوف والعلوم الغريبة من النجوم والرمل والجفر والموسيقى والقيافة وفنون الهندسة والرياضي بفنونه ، وكان يقول : ربما طالعت مجلدات ضخمة من كتاب ولم أفز منه بشيء جديد ، وربما ظفرت بشيء يسير أو فائدة جديدة . فاذا اطّلع على شيء نفيس أو تحقيق عال قيّده . وله في تقييد تلك النوادر أصول يراعيها . منها : أنه كان يقيّدُ ما تنحلّ به عقدة من مشكلات القرآن أو الحديث أوالفقه أو الأصول أو علم الحقائق أو الكلام والتوحيد أو غيرها من العلوم ، وأحياناً يقيّدُ ما يفيد الحل استشهاداً وتنظيراً ، أو ما يفيد تزييفاً وإسقاطاً لما هو ضعيف أو خطأ . ومنها : أنه إذا

سنح له دليل للمذهب الحنفي أو ما يفيده في التأييد والاستشهاد ، أو كان له نوع ارتباط به على ما لمحه حَدْسُه الدقيق - وربما يخفى على الناس - قيّده .

ومنها : أنه إذا كان له تحقيق خاص في مسألة أو حلّ مشكلٍ خلافَ ما ذهب إليه الجمهور ، ثم سنح له في أثناء مطالعته شيء يفيده أو يُعزّزه أو كان دليلاً على ما يرومه : كان يقيده ، كمسألة العَمَاء ، ما ماهية العماء ؟ وهل هو قديم أو حادث ؟ وما أريد به في قوله ﷺ « كان الله في عماء » في الحديث رواه الترمذي في « سننه » من حديث رَزِين العقيلي ، كمسألة الروح والنفس وما يتعلق بها من تحقيقات لم تسمعها الآذان ، وكحقيقة التجلي ومسألة المعيّة الدّهرية والسَّبْقَة الدَّهرية والمعيَّة السرمديَّة الأزَليَّة ، وكيفيةِ إفاضة الوجود من الباري سبحانه على المقدورات الأزلية ، وحقيقة عالم المثال ونحوِ هـذا من مشكلات العلوم ومعضلات الفنون العويصة .

وقـد اجتمعت عنده في تذكرته ذخائر ونفائس زاخرة لحـلّ كثير من المعضلات العلمية ، وألّف رسائل في بعض مُهمّات الحديث الشريف من المسائل الخلافية بين المذاهب ، ملتقطاً لها من ذخائر تذكرته بإصرارٍ وإلحاحٍ من تلامذته وأصحـابه ومستفيديه ، ذبّاً عن حريم المذهب الحنفي ، ودفعاً لطعن الحُسّاد والجاهلين . وهذه الرسائل الذهبية كانت دُرَراً مبعثرة في تذكرته ، رتّبها بعضَ ترتيب على شكل تأليف ، ولذا تَراها مشحونة بالإحالة على الكتب من غير سرد لجميع عباراتها ، ولو رُتِّبَتْ رسائلُه تلك على عادة مؤلفي العصر الحاضر أو على عادة المولعين بالبسط والتفصيل لصارت كل رسالة منها أضعاف ما هي عليه .

مؤلفاته المطبوعة

١ - فيض الباري على صحيح البخاري . في أربعة مجلدات كبار ، وهو من أماليه في الدرس ، وفيه الجديدُ الكثيرُ من العـلم الذي لا تراه في شروح

البخاري للسابقين . وحسبك أن تعلم لجلالة « فيض الباري » أن الشيخ قد اعتنى بـ « صحيح البخاري » درساً وإملاءً وخوضاً وإمعاناً ما لم يعتن بما عداه ، فطالع « صحيح البخاري » قبل الشروع في تدريسه (ثلاث عشرة مرّة) من أوله إلى آخره مطالعةَ بحث وفحص وتحقيق ، وطالع من شروحه « فتح الباري » و « عمدة القاري » و « إرشاد الساري » وغيرها نحو ثلاثين شرحاً من الشروح المطبوعة والمخطوطة في ديار الهند والحجاز ، وكان « الفتح » و « العمدة » كأنهما صفحة بين عينيه ، ثم وفّق لتدريسه ما يربو على عشرين مرّة دراسة إمعان وتدقيق ، ثم أملى هذا الكتاب العظم . وقد نهض بجمعه وتدوينه أرشد تلامذته أستاذنا العلامة الجليل النبيل مَعين العلم والصفاء والتقوى الشيخ محمد بَدْر عالَم حفظه الله تعالى وقَبِلَ صنيعَه ، وقد علّق عليه في مواطن كثيرة تعليقات نافعة للغاية زادت في بيان قدر الشيخ وسُمُوّ إمامته ، وقد طبع بمصر سنة ١٣٥٧ بنفقة « المجلس العلمي » في الهند ، ثم نفدت نسخه من سنين .

٢ ـ العَرْف الشّذي على جامع الترمذي . في ٤٨٨ صفحة ، جمعه في غاية السرعة والارتجال بعضُ أصحاب الشيخ وهو الشيخ محمد جراغ لاستفادة نفسه ، ثم سَنَحَ لبعض الحريصين على علوم الشيخ طبعُه ، فطُبع كما هو ، وكان الشيخ رحمه الله تعالى في آخر عمره قد عزم على شرح مبسوط لجامع الترمذي ، غير أنه لم يمهله الأجل المحتوم للقيام بهذه المنقبة العظيمة .

٣ ـ أماليه على « سنن أبي داود » . طبع منه جزء واحد ، والباقي لم يطبع .

٤ ـ أماليه على « صحيح مسلم » جمعها تلميذه العلامة الفاضل الشيخ مناظر أحسن الجيلاني ولم تطبع ، وإنما ذكرتها والحاشية التالية هنا لمناسبة المقام .

٥ ـ حاشيةٌ على « سنن ابن ماجه » . وكانت عند تلميذه العلامة الجليل أستاذنا الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي صاحب « التعليق الصبيح » ثم ضاعت !

٦ ـ مشكلات القرآن . في ٢٧٨ صفحة ، وفيه من فتوحات الشيخ وفيوضاته الشيء الكثير .

٧ - فصل الخطاب في مسألة أم الكتاب . ١٠٦ صفحة . .

٨ - خاتمة الخطاب في فاتحة الكتاب بالفارسية . في جزء لطيف .

٩ - نيل الفرقدين في رفع اليدين . في ١٢٥ صفحة .

١٠ - بسط اليدين لنيل الفرقدين . في ٦٤ صفحة .

١١ - كشف الستر عن مسألة الوتر . في ٩٨ صفحة .

١٢ - إكفار الملحدين في ضروريات الدين . في ١٢٨ صفحة .

١٣ - عقيدة الإسلام بحياة عيسى عليه السلام . في ١٢٢ صفحة .

١٤ - تحية الإسلام في حياة عيسى عليه السلام . في ١٤٩ صفحة .

١٥ - التصريح بما تواتر في نزول المسيح . وهو هذا الكتاب .

١٦ - خاتم النبيين ، بالفارسية . في ٩٦ صفحة .

١٧ - مرقاة الطارم لحدوث العالم . في ٦٢ صفحة .

١٨ - ضرب الخاتم على حدوث العالم . رسالة في أربعمائة بيت من الشعر في مسألة إثبات وجود الصانع الحكيم سبحانه .

١٩ - سهم الغيب في كبد أهل الريب ، بالفارسية ، في ٢٢ صفحة. ردّ فيه على بريلويّ زعم أن الرسول ﷺ يعلم علماً محيطاً بجميع الكليات والجزئيات مما كان ويكون من غير فرق بينه وبين علاّم الغيوب إلا فَرْقَ العَرَضيّة والذاتية!

٢٠ - كتاب في الذب عن « قرة العينين » ، بالفارسية في ١٩٦ صفحة . وسببُ تأليفه أن للشاه ولي الله الدهلوي كتاباً في تفضيل الشيخين على الخَتَنين اسمهُ « قرة العينين في تفضيل الشيخين » ، فصنَّف بعض الروافض كتاباً في ردّه فضّل فيه الختنين عليهما ، فنهض الشيخ منتصراً للحق في المسألة وذاباً عنه فألّف هذا الكتاب .

٢١ - الإتحاف لمذهب الأحناف ، وهو حواش وتعليقات نافعة ماتعة جامعة علّقها الشيخ الكشميري على كتاب « آثار السنن » لعصريّه المحدّث المحقّق النِّيْمَوي رحمهما الله تعالى . وقد أحسن « المجلس العلمي » صُنعاً بتصوير نسخة الشيخ من كتاب « آثار السنن » المطبوعة في مجلدين التي ملأ الشيخ بخطه

الجميـل حواشيها وبياضاتها التي بين السطور علماً ثميناً وإحالات كثيرة غنية بالتحقيق وقد سمّيت هـذه التعليقات والحواشي عند ما صوّرت بعد وفاته : « الإتحاف لمذهب الأحناف » . قال شيخنا البَنّوري في تقدمة « فيض الباري » ص ٢٦ « ولو خرّجت حوالاتها لأصبح ذلك كتاباً في عدّة أجزاء » . انتهى .

قلتُ : تخريجُ حوالاتها وتبويبُها وتنسيقُها دَيْنٌ ثقيلٌ في عنق أصحاب الشيخ وتلامذته الأفاضل ، لا تبرأ ذمتهم إلا بانجازه . وكنت اقترحتُ على مؤسّس « المجلس العلمي » رجل الخير والبرّ المفضال الحاج محمد بن موسى ميا السملكي الإفريقي رحمه الله تعالى تأليفَ لجنة من أصحاب الشيخ وتلامذته أبقاهم الله تعالى ، ليقوموا ـ خاصّة ـ بتنسيق هذه التعليقات والحواشي ، فانه لا يستطيع النهوضَ بهـذا الواجب العظيم أحدٌ غيرُهم ، وهم الذين صاحبوا الشيخ وتلقّوا أفكاره وعرفوا مقاصده . ثم جدّدتُ هذا الاقتراح على نجل ذلك المحسن الكريم الأخ الفاضل الشيخ إبراهيم حين تفضّل بزيارتي في حلب عقب عودته من الحج إلى بيت الله هذا العام ، فوعد خيراً واستبشرنا خيراً ، وأعود فأقول : أداء هذا الحق لا يزال مطولا من تلامذة الشيخ الصدُور البدُور ، وأرجو أن تكون كلمتي هذه ـ وهي موجّهة إليهم جميعاً ـ دافعاً جديداً للقيام بقضاء هذا الدّين ، وأخصُّ بالمطالبة به على وجه أخصّ أستاذنا وبركتنا أبا المحاسن العلامة الموهوب الشيخ محمد يوسف البَنّوري ، فانه على كثرة أعمـاله النافعة وخدماته الإسلامية والعلمية آتاه الله من الصبر والدأب والعون ما يمكنه النهوض بهذه المـأثرة الباقية .

وإن تنسيق « الإتحـاف » إتحافٌ يَجعلُ الهُمامَ الفاضل الناهض به في مناجاةٍ دائمة وسَمَرٍ علميّ مستمر مع الشيخ الأنور قُدّسَ سِرُّه العزيز . وما أظن السادة النُّجُب تلامذة الشيخ بارك الله فيهم بمفرّطين بهـذا « الإتحاف » ولا بمُعْرِضين عن استعادة تلك الذكريات الغـالية الحبيبة إلى قلوبهم إذ كانوا يسمعون كلام الشيخ إمام العصر أو يخدمونه ، ولا بمتخلّفين عن ذلك العمل الجليل الذي يَقرَنُ اسمُ القائم به باسم الشيخ إمام العصر على وجه الدهر ، وهو إلى هذا : يُعَدُّ من خير العمل الذي يدّخره المؤمنُ لآخرته ، وإنا لمنتظرون .

وهذه الكتب مطبوعة في بلاد الهند في حياة الشيخ وبعد وفاته ، وكلها مؤلفات طائفة بأبحاث سامية لايستغني عنها كلُّ من حاول بحثاً دقيقاً في موضوعها .

مؤلفاته المخطوطة

للشيخ رحمه الله تعالى مؤلفات قلمية ورسائل خطية في كثير من مشكلات العلوم والفنون ، فمنها : ١ - رسالة في الهيئة ، ألفها لبعض أصحابه . ٢ - رسالة في مسألة من الهندسة وعلم المرايا والمَنَاظر . ٣ - رسالة في حقيقة العلم . ٤ - رسالة في مسألة يا شيخ عبد القادر شيئاً لله . ٥ - رسالة في مسألة الذبيحة لغير الله . ٦ - رسالة في علم المعاني مما استدركه على السكاكي والخطيب ، استنبطها الشيخ من كتاب سيبويه والكشاف وعروس الأفراح لبهاء الدين السبكي . ٧ - مقامات أدبية على نهج مقامات الحريري ، ومنها منقوطة كلها ، ومنها غير منقوطة كلها ، ومنها كالمقامة المَراغيَّة إحدى كلماتها معجمة والأخرى مهملة . ٨ - حواش على « الأشباه والنظائر » لابن نُجَيم . ٩ - رسالة في مسألة صلاة الجمعة واختلاف الأئمة في شروط أدائها ، لم تتم . ١٠ - حواش على حواشي الزاهدية على شرح القُطبيَّة . وله تلخيصات مهمة نادرة . منها : ١١ - تلخيص إمام الكلام للعلامة عبد الحي اللكنوي . ١٢ - تلخيص أدلة الحنفية من « فتح القدير » لابن الهُمَام ، وصل فيه إلى كتاب الحج . ١٣ - تلخيص لبعض المهات من كتاب « حياة الحيوان » للدَّميري . وله مذكرات قيمة في كثير من الأبحاث الحديثية ، من « مسألة المثل أو المثلين في وقت الظهر » وحديث « من أدرك ركعة من الصبح » وفي أحاديث تختص بذي القرنين ويأجوج ومأجوج وغيرهما مما رآه مشكلاً في موضوعه .

وأولى بهذه الترجمة الطويلة كلّها أن تسمى لُمَعاً وقَبَسات من جوانب حياة الامام الكشميري وعلومه وفضائله ومزاياه ، فانه حقاً كما قيل :

بحرُ العلوم فما بحرٌ يُشاكله   لونَقَّبُوا الأرضَ لم يوجدله شَبَهُ

مقدمة

التصريح بما تواتر في نزول المسيح

بقلم

تلميذ المؤلف العلامة المحقق البارع الشيخ محمد شفيع
مفتي باكستان حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي بيدِهِ مَلَكُوتُ كلِّ شيء، وهو يُجيرُ ولا يُجارُ عليه [١] . خلَقَ الموتَ والحياةَ ليبلوَكم ، وهو يُحيي ويُميت ، فيَخْذُلُ من يشاء ويَرْفع من يشاء إليه . والصلواتُ الطيّباتُ على سيّدِ الرُّسُلِ وخاتمِ الأنبياءِ ومَنْ لِواءُ الحمدِ يوم القيامة بيديه ، أَوْلى الناسِ بابن مَرْيَمَ : محمَّدٍ المبعوثِ إلى كافَّةِ العَرَبِ والعَجَمِ وأوسَطِ الأُمَمِ ، وسائرُ الأنبياءِ كالأُمَّةِ لديه . المؤيَّدِ أُمَّتُهُ : أوَّلُها بذاتِهِ الشريفة ، وأوْسَطُها بالمَهْدِيِّ ، وآخِرُها بعيسى المسيحِ عليه السلامُ [٢]

(١) أي هو وحدَه الذي يُعيذُ ويَحمي ، ولا يُنقَض عليه جِوارُهُ وحِماه .

(٢) لفظ (المسيح) لقبٌ لسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام . ولشُهرةِ هذا اللّقَب قد يتقدَّم على الاسم كما جاء في الآية الكريمة : « اسمُهُ المسيحُ عيسى ابنُ مريم » .

وأصلُه بالعبرية : مَشيحا ، ومعناه : المُبارَك ، وقال إبراهيم النَّخَعي : معناه الصِّدّيق ، وقال غيرُه : المَلِكُ . ومعنى (عيسى) : السَّيِّد ، وهو معرَّب يشوع . =

يَنْزِلُ من السماء بين مَهْرُوذَتَيْه [١] . وعلى آلهِ وأصحابهِ وأزواجهِ أجمعين ، خصوصاً على صاحِبَيْهِ وخَتَنَيْه [٢] .

أمَّا بعدُ : فيقول أحوجُ النـاسِ إلى محمَّدٍ الشَّفيعِ : العبـدُ الضعيفُ المدعوُّ محمَّـد شفيع الدِّيوبَنْدِيُّ ، غُفِرَ له ولوالديه ومشايخه أجمعين :

= وقال جمهرةٌ من العلماء : إنَّ (المسيح) لفظٌ عربيٌّ مشتقٌّ من المَسْح ، ثم اختلفوا في وجه إطلاقه على عيسى عليه السلام ، فقيل : لأنه مُسِحَ بالبرَكة واليُمن ، وقيل : لأنه كان يَمْسح بيـده عينَ الأكمهِ فيُبصر ، وذا العَاهَة فيَبْرأ ، وقيـل : لأنه كان يَمْسَحُ الأرضَ بسياحته فـلم يَسْتَكِنَّ في كِنٍّ ولا بيت ، وقيل : لأنَّ الجَمَالَ مَسَحَه أي شَمِلَهُ وظَهَر عليه ، وقيل غيرُ هذا .

ولا تنـافيَ بين هـذه الأسباب فقد اجتمعت له هـذه الفضائلُ وغيرُها . ويقال له عليه السلام : مَسيحُ الهُدَى أيضاً ، للتفرقة بينه وبين المَسيحِ الدجَّالِ الذي سمَّاه رسولُ الله : مَسِيحَ الضَّلالة .

(١) مُثَنَّى (مَهْرُوذَة) بالذال المعجمة ، ويُروَى (مَهْرُدَتَيْه) بالدال المهملة ، أي يَنزل في حُلَّتَين فيها صُفْرة خفيفة ، وهذا كناية عن جمال ملبسه عليه الصلاة والسلام كما سيأتي بيانه في شرح الحديث الخامس.

(٢) مثنَّى (خَتَن) . والخَتَنُ : كلُّ قريب كان من قِبَل الزوجة كالأب والأخ . والمراد بهما هنا سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما ، إذ الأول والد السيدة عائشة ، والثاني والد السيدة حفصة زوجتي النبي ﷺ .

إنَّ هذا جُزءٌ وجيزٌ فيما تواتَرَ من أحاديث النبي الكريم ﷺ ، في نزولِ المسيحِ عيسى ابنِ مريم — على نبيِّنا وعليهِ الصلاةُ والسلام — وحياتِهِ ، ورُجوعِهِ في آخرِ الزمانِ إماماً لهذه الأُمَّة الأُمِّيَّة ، وخليفةً من الخلفاء النبويَّة .

ألَّفَهُ بقيَّةُ السَّلَف ، حُجَّةُ الخَلَف ، آيَةٌ من آياتِ الله ، شيخُنا ومولانا السيِّدُ : محمَّد أنور شاه الكَشْمِيري ، صَدْرُ المدرِّسين [1] بدار العلوم الدِّيوبَنْدِيَّة الهنديَّة ، التي هي مركزُ العلوم الإسلاميَّة في هذه الأقطار ، بل مَرْجِعُ العلماء والفُضلاء من سائر الديار ، وسمَّاهُ :

التصريح بما تواتر في نزول المسيح

ثُمَّ أَمَرَني بترتيبِهِ وترجمتِهِ بالهنديَّة ، توسيعاً لمائدتِهِ ، وتعميماً لفائدتِهِ ، وإتماماً لعائدتِهِ ، فاغتنمتُ رضاه ، وما توفيقي إلاَّ بالله ، وهو حسبي ونِعْمَ الوكيل .

وكان الباعثُ على جَمْعِهِ وترتيبِهِ : فتنةً عمياءَ ، وداهيةً

---

(١) أي كبيرهم ومُقدَّمهم .

دَهياءَ ، ظَهرتْ في بلادِنا الهنديَّة ، على شَكْلِ الفِرْقة المِيْرزائية ، التي ادَّعَى رئيسُها الأوَّل (ميرزا غلام أحمد) : النُّبُوَّةَ بل الأفضليةَ على أكثر الأنبياء عليهم السلام ! وتفوَّه أنه هو المَسِيحُ الذي أَخْبَرَ رسولُ الله ﷺ بنزولهِ في آخرِ الزمان [١] .

(١) رأيتُ استكمالاً للتعريف بالقادياني الضالّ أن أذكر جُملةً مما قاله فيه المؤلفُ الإمامُ الكشميريُّ طيَّبَ الله ثراه ، في فاتحة كتابه : « عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام » ، قال رحمه الله تعالى :

« إنَّ الشقيَّ غلام أحمد القادياني المولود سنة ١٢٥٢ ، الذي ينتهي أصله إلى مغول التتر ، وعلى قولِهِ : إلى يأجوج ومأجوج ، لعنه الله وأخزاه ، كان سوَّى ونوَى من أوَّل أمرِهِ ما يدَّعيه ويفتريه آخِراً . ولكن الشقيَّ تدرَّجَ وتلوَّنَ في دعواه تلوُّنَ الحِرْباء ، وسَلَكَ في تمشيةِ مَرَامهِ وتعميةِ كلامهِ طريق الزنادقة والباطنية ، واتَّبَعَ البابيَّة والبهائية سواءً بسواء !

فادَّعى أولاً : أنه مجدِّدٌ ومَثِيلُ المسيح [١] . ثم انتقل إلى أنَّه المهديُّ الموعود والمسيحُ المعهود ، ومن الجانب الآخَر أوَّلَهُ أنَّه نبيٌّ لُغَويٌّ ، أو ظِلِّيٌّ ، أو بُروزيٌّ ، على مَعَانٍ اخترعها الزنديق !

ثم تحوَّل إلى أنه نبيٌّ غيرُ تشريعي ، ورسولٌ كذلك ، ثم إلى أنه نبيٌّ تشريعيٌّ ورسولٌ كذلك ، باحَ به في « أربعينه » ، وتحدَّى =

(١) وكان بدء ظهور هذا الضال بهذه الدعاوي الباطلة سنة ١٣٠٦ .

ثم دَعَاه هذا الهَوَسُ إلى دَعَاوي باطلة ، وأماني عاطلة ،

= بالآيات ، وجَعَل وَحْيَه كالقرآن ! كما في كتابه « نزول المسيح » ص ٩٩ وغيره .

وجَعَلَ يُحاكي مُعجزاتِ سائر الأنبياء ومعجزاتِ خاتم الأنبياء أيضاً ، فجَعلَ (مسجده)[1] : المسجدَ الأقصى ! وجَعَل (قريته) : مَكَّةَ المسيح ! وجَعَل (مدينةَ لاهور) : مدينتَه ! وجَعَلَ لمسجده منارةَ سَمَّاها منارةَ المسيح ! فحَمَل كلَّ ما يتعلق بعيسى عليه السلام على التأويل إلا المنارة فانها كانت تتهيَّأُ ببذلِ المال ، وقد جَمَعَهُ من أتباعه ، وجَعَل مقبرةً سمَّاها مقبرةَ الجنة ! مَنْ دُفِنَ بها فهو من أهل الجنة ! وسَمَّى أزواجَه أمهاتِ المؤمنين ! وأتباعَهَ أمَّتَه !

ومِن أكبرِ ما ادَّعاه من معجزاته : نِكاحُ المرأةِ المسمَّاة بُمحمَّدي بيكم ، مِن فوقِ السماء ، وجَعَلَه وحْياً أُوحِيَ إليه به ! واستمرَّ على لَعْنَتِه تلك نحوَ عشرين سنة ، وقال فيه : إنَّ الله يَرفعُ كلَّ مانع من هذا النكاح ، وإنها تَدْخُلُ في نكاحه ، وإنه تقديرٌ مُبْرَم ، وأوحَى إليه شيطانُه فيه كما ذكره في كتابه : « انجام اتهم » : « كذَّبوا بآياتي وكانوا بها يستهزئون ، فسيكفيكهم ويَرُدُّها إليك ، أمرٌ مِن لدنا إنّا كنّا فاعلين زَوَّجناكها » ! وهكذا يتلقَّفُ كلماتِ القرآنِ ويحكيها في افترائه !

وجَعَل ذلك وحياً سماوياً يُقطَعُ به كالقرآن ! وجَعَل نبأه ذلك مِعيارَ صدقه وكذبه عند كافَّة الخليقة من المسلمين والنصارى واليهود ، وأطمعَ والدَ المسمَّاة المذكورة بأموالٍ ودارٍ وعقار ، ودَلاَّه - خَدَعه وتزلَّف له - بكلِّ مَكرٍ وحِيلة ! ففضحه الله تعالى على =

---

(١) أي جعل المسجد الذي بناه في بلده (قاديان) هو المسجد الأقصى !

حتى ساقَتْهُ هـذه الدعاوي إلى إنكارِ شَطْرٍ من الدِّين ،

= رؤوس الأشهاد وعلى أعينِ الناس ، ولم يُرزَق ذلك النكاح ، وقـد نكحها سلطانُ أحمد ، وأولدها أولاداً والحمد لله على ذلك ، وكان ذلك الشقيُّ أعلنَ إلهامَه : أنه إن لم يَتِمَّ له ذلك النكاحُ فيكون هو أخبثَ من كلِّ خبيث ، فكان كذلك : أخبَثَ من كلِّ خبيث !

وكان كلُّ غرضه جَمْعَ الأموال ونيـلَ اللذّات والشهوات ، فسَقَطَ في الهاوية ، وأبقَى داهيةً دهياء للإسلام والمسلمين ، وكفَّرَ من لم يؤمن به كما في « جريدة الحكم » ، ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٩٩ ، وفي « حقيقة الوحي » ص ١٧٩ ، وفي مكتوبه المندرج في « الذكر الحكيم » .

وأهان عيسى ابنَ مريم عليه السلام بمـا تَنْشَقُّ منه الأكباد ! ولم يُوجَد نبيٌّ هَجَا نبياً أو حَطَّ عليه ، واستَمرَّ على دَيْدَنِه ذلك إلى أن قال في آخر سَنَةٍ من حياته في « جريدة البدر » : « إني مُدَّعٍ أني رسولٌ ونبيٌّ » ! وفي مكتوبٍ له إلى « جريدة أخبار عام » : « إني على حُكمِ اللهِ نبيٌّ » . وكذا في « حقيقة الوحي » ص ١٤٩ .

إلى أن أخَذَهُ اللهُ تعـالى بعد ما أرسَل مكتوبَه إلى مدير « أخبـار عام » بخمسة أيام أخْذَ عزيزٍ مقتدر ، ورَمَاهُ قضاءُ الله وقَدَرُهُ بالمَيْضَة : ـ الإسهال ـ وسَقَط على وجهه في حُشِّه ـ بيتِ الخلاء ـ واستقرَّ في دار البوار ، وكانت مَوْتَتُهُ موتـاً يَعتبِرُ به المُعتبِر ، وقد وَصَل إلى أمِّه الهاوية في سنة ١٣٢٦ ، وكان قد وُلِدَ سنة ١٢٥٢ .

ثم إنه لمَّا أراد تخليطَ البحث ، والتلبيسَ على عوامِّ المسلمين فيما لا يتعلَّقُ بالموضوع : تعلَّق بإشاعة وفاةِ عيسى عليه السـلام ، =

. . . .

= وسَوَّدَ الأوراقَ ووَجَّهَه به، وجَعَله شبكةً للعوام، وكرَّره في كلِّ جَمْجَمَةٍ له!

فصنَّف العلماءُ لإثباتِ حياةِ عيسى عليه السلام رسائلَ حسنة نحو «درة الدراني على مَتْن القادياني»، و«سيف جشتيائي»، و«شهادة القرآن» وغيرِها، وكانت تكفي، ولكني أردتُ تمرينَ طَلَبةِ الدرسِ بهذه المسألة، وإطلاعَ المسلمين ممَّنْ لسانُهم عربيٌّ من العراقَ والشام ومصر وغيرِها، فالمأمولُ من كافَّة المسلمين أن يقوموا بنُصرة الدينِ والذبِّ عن حَوْزَتِه، وبأداء فريضة الإسلام وحقِّه، وحفظِ المسلمين عن كيدِ هؤلاء الزنادقة وكفرِهم البَوَاح، والله يَهْدِي من يشاء إلى صراط مستقيم». انتهى.

وقال العلامة شَرَفُ الحقِّ العظيم آبادي في كتابه «عون المعبود على سنن أبي داود» ٤: ٤٠٥ - ٤٠٦ «ومن المصائب العظمى، والبلايا الكبرى على الإسلام أنَّ رجلاً من الملحدين الدجَّالين الكذَّابين، خرج من الفنجاب من إقليم الهند، وهو مع كونه مُدَّعياً للإسلام: كذَّبَ الشريعة، وعَصَى اللهَ ورسولَه، وطغى، وآثَرَ الحياة الدنيا. وكان أوَّلُ ما ادَّعاه أنه مُحَدَّثٌ ومُلْهَمٌ من الله تعالى.

ثم كَثُرتْ فِتنتُه، وعَظُمتْ بليَّتُه، من سنة ستٍ وثلاثمائة وألف إلى السنة الحاضرة وهي سنة عشرين بعد الألف وثلاثمائة. وألَّفَ الرسائل العديدة في إثبات ما ادَّعاه من الإلهاماتِ الكاذبة، والدعاوي العقلية الواهية، وأقوالِ أهل الزندقة والإلحاد، وحَرَّفَ الكلِمَ والنصوصَ الظاهرةَ عن مواضعها، وتفوَّه بما تقشعرُّ منه الجلود، وبما لم يَجترئ عليه إلاَّ غيرُ أهلِ الإسلام، أعاذنا الله تعالى والمسلمين من شروره ونَفْثِه ونَفْخِه. =

وَرَدِّ كثيرٍ من نصوص الإمام المُبين[1]، وتكذيبِ أحاديثِ النبيِّ الأمين . وذلك لأنَّ النصوصَ الفرقانيةَ ، والأخبارَ

= فمن أقوالِه الواهيةِ المردودةِ التي صَرَّح بها في رسائله : أنَّ نُزولَ عيسى ابن مريم ورَفْعَه إلى السماء بجَسَدِه العُنصري : من الخُرافات والمستحيلات .

وادَّعَى أنَّ عيسى المسيحَ الموعودَ في الشريعة المحمدية ، والخارجَ في آخر الزمان لقتلِ الدجَّال : ليس هو عيسى ابنَ مريم الذي توفَّاه الله ورَفَعَهُ إليه ، بل المسيحُ الموعود : مثيلُه ، وهو : « أنا الذي أنزلني الله تعالى في القاديان . وأنا هو الذي جاء به القرآنُ العظيم ، ونطَقَتْ به السُّنَّةُ النبوية ، وأما عيسى ابنُ مريم فليس بجيءٌ في السماء » ! .

وأنكرَ وجودَ الملائكة على الوجه الذي أخبرَنا به رسولُ الله ﷺ . وأنكرَ نزولَ جبريل عليه السلام على النبي ﷺ . وأنكرَ نزولَ مَلَكِ الموت . وأنكرَ ليلةَ القدر . ويَذهَبُ في وجود الملائكة مذهبَ الفلاسفة والملاحدة .

ويقول : إنَّ النبوَّةَ التامَّةَ قد انقطعت ، ولكن النُّبوَّةَ التي ليس فيها إلا المبشِّرات فهي باقيةٌ إلى يوم القيامة لا انقطاعَ لها أبداً ، وإنَّ أبوابَ النبوَّة الجزئيَّة مفتوحةٌ أبداً .

ويقول : إنَّ ظواهر الكتاب والسُّنَّة مصروفةٌ عن ظواهرها ، وإنَّ الله تعالى لم يَزل يُبيِّنُ مُرادَه بالاستعارات والكنايات ، وغيرِ ذلك من الخرافاتِ والعقائدِ الباطلة » . انتهى .

(١) أي القرآن الكريم .

المتواترةَ الواردةَ في حياةِ عيسى عليه السلام ونُزولِه في آخرِ الزمان . كانَتْ رَدْماً بينه وبين مقاصدِهِ اليأجُوجيَّة ، فأتَى على جُلِّها بالإنكارِ والتحريف ، ولم يُبالِ الشَّقِيُّ أنَّ إنكارَها وتحريفَها : عينُ إنكارِ رسالةِ محمَّدٍ ﷺ ، وخروجٌ من الإسلام ، ومُرُوقٌ من الدِّين ! نعوذُ بالله منه .

فادَّعَى الرجلُ أوَّلاً — مُقْتَفِياً آثارَ اليهوديَّة — أنَّ عيسى ابنَ مريم عليه السلام قد مات ودُفِنَ في (كشمير) ! ثم أقبَلَ على سائرِ النصوصِ البيِّنةِ والأحاديثِ الصريحةِ الواردةِ في نزولِ عيسى ابنِ مريم عليه السلام فجَعَل يَلْعَبُ بها ، ويتخبَّطُ في تحريفها خَبْطَ العَشْوَاء [1] ! فزعم أنَّ مُرادَه ﷺ من نزولِ عيسى عليه السلام في جميع هذه الأحاديث : هو نُزُولُ مَثِيلِهِ لا عَيْنُ عيسى ابنِ مريم النبيِّ الإسرائيليِّ فانه قد مات . وبعد هذا التمهيد وَجَدَ مكانَ القولِ ذا سَعَةٍ ، فادَّعَى أنَّه هو ذلك المَثِيلُ الموعودُ نزولُه ! !

وكان في صِفاتهِ الذَّميمةِ وأخلاقهِ الرَّذِيلَة : غِنىً مِن أنْ

---

(١) العشواء : هي الناقة التي لا تُبصر أمامها ، فهي تخبط بيديها كلَّ شيء .

يَتَصدَّى أحدٌ لإبطالِ دَعْواه ، فانَّ خِصالَهُ التي فُطِرَ عليها مِن أوّلِ عُمُرِه هي التي تكذِّبُه في كلِّ ما ادَّعاه ، وتَفِرُّ عن شَغَاه [١] ، فلا تكادُ تتركه أنْ يساوِيَ إنساناً وَقُوراً ذا مُروءة ، فكيف بالمَسِيحِ أو مَثِيلِه ؟ ! ومِنْ ثَمَّ لم يَلْتَفِتْ إليه أحدٌ من العلماء في بَدْءِ أمرِه ، ولم يَعْبَأوا بهَفَواتِه وتُرَّهَاتِه [٢] ، حتى عادَتْ شَرَارَتُه جَمْراً ، وضَحْضَاحُه غَمْراً [٣] ، فراجَتْ فِتنَتُهُ في البلاد وماجَتْ ! وأيقظت فِتَناً كقِطَعِ الليل المُظْلِمِ هاجَتْ !

وذلك لأنَّ هـذا الباقِعَة [٤] لَمَّا رأى أنَّ الناسَ إنْ عرفوا ما يَلْزَمُ المَسِيحَ مِن الأخلاقِ والصّفاتِ ، كما هو المنصوصُ في الكتاب والسُّنَّة ، ثم تَفَقَّدُوها في نفسِه

---

(١) في « القاموس » : « فَرَّ الدابَّةَ يَفِرُّها : كشَفَ عن أسنانِها لِيَنْظُرَ ما سِنُّها »؟. و « الشَّغَا ـ بالنين ـ : اختلافُ نَبْتَةِ الأسنانِ بالطُّولِ والقِصَرِ والدُّخولِ والخُروج » .

(٢) أي أباطيله .

(٣) الضَّحْضَاحُ : الماءُ القليلُ على وجهِ الأرض لا يَبْلُغ الكعبين . والغَمْرُ ، الماء الكثير .

(٤) : الداهية .

وخاضوا في التجسُّسِ عن دِخلَتِهِ [١] : لنَفَرَتْ جِنُّه ، ولَعَنَّ ما يُجِنُّه [٢] ، ولم يَبْقَ في يَدَيْه إلاَّ الفَضَاحَةُ والخُسْرَان ، ولانهتَكَ سِتْرُهُ بين الأخدانِ والأعوان ، فأوْحَى إليه شيطانُه أنْ يَصْرِفَ أفكارَهم عن هذا الأمرِ الذي تَنْفَصِلُ به القَضِيَّة على غيرِ مُرْضِيَة ، وتَنْجَلِي به العَمَايةُ عن خَزَاية ، إلى مَباحثَ لا مِسَاسَ لها مِن دَعَاوِيه الباطلة ، ولا تُغْنِي عنه شيئاً في أمانيه العاطلة : مِن أنَّ عيسى عليه السلام حَيٌّ أوْ قد مات ؟ وهل رُفِعَ إلى السَّماء بجَسَدِهِ أم لا ؟ وهل يَنْزِلُ في آخرِ الزمان هو نفسه أمْ مَثِيلُه ؟ .

وبالجملة : فجعَلَ هذه المباحثَ أحْبُولَةً للصَّيْد [٣] ، فصَرفَ وجوهَ الناسِ إليه بهذا الكَيْد ، وأنتَ تعلَمُ أنّا لو سلَّمنا أنَّ عيسى عليه السلام قد ماتَ مَوْتةً لا يَنْبَعِثُ

---

(١) دخْلَةُ الرجل بكسر الدال وفتحها وضمها : نِيَّتُهُ ومَذْهبُه وجميعُ أمرِهِ .

(٢) عَنَّ الشيء : ظَهَر . وما يُجِنُّه : ما يَستُره ويُخفيه .

(٣) الأُحبولة : المِصيدَة .

بعدَها إلى يومِ النشُور ، وأن الموعودَ نُزُولهُ هو مَثيلُهُ لا هو هو ، فقُلْ لي : كيف يَستَلزِمُ موتُهُ أنْ يكون ذلك الشَّقِيُّ مَثيلَه والمسيحَ الموعود ؟ ! بل بينه وبين أمانيه مَهامِهُ لا تُطْوَى (١) ، ومَوامِي لا تُنْوَى (٢) ، ما لم يأتِ عليه ببرُهان ، ولن يأتيَ به ولو استَظهَرَ فيه رَئيَّه (٣) ، أو أنزلَ له منكوحتَهُ السماويَّة ، وأنَحَ له كلَّ الأنيح (٤) ، واستغاثَ بأخيهِ الدجَّالِ المَسيح ! .

ولهذا كان علينا أنْ لا نلتفتَ إلى هذه المباحثِ التي جَعلها مَشْغلةً للفِئام (٥) ، وأُحبولةً (٦) للعوامِّ ، بل نَسْجُنُه

---

(١) المَهامِهُ : الفَلَواتُ التي لا ماءَ فيها . ولا تُطوَى : لا تُقْطعُ لموتِ مَنْ يَسلُكها .

(٢) المَوامِي : جمعُ مَوْماةٍ ، وهي المفازَةُ والفَلاةُ الواسعة . كما في « تاج العروس » في (موم) . ولا تُنْوَى : لا تُقصَدُ لهلاكِ الداخلِ فيها .

(٣) استظهَرَ : استعان . ورَئيُّه : شيطانه .

(٤) الأنيحُ : الصوتُ مِن ثِقَلٍ أو مَرَضٍ ويكون بأنين ، وأنَحَ : صوَّتَ ذلك الصوت .

(٥) هي الجماعة الكثيرة من الناس . (٦) : مِصْيَدةً

في أوطانِه ، ولا نُطالبُهُ إلاَّ عن بُرْهانِه . ونأخذُه باليمين (١) ، ليبينَ أنه يَمِين (٢) ، ولو أتى بألفِ يمين ، حتى يَنقطعَ منه الوَتِين (٣) ، فانه لحقُّ اليقين ، وحَسْرةٌ على الكافرين .

بَيْدَ أنَّهُ (٤) لمَّا شاعَتْ هذه المباحثُ في العامَّة تشوَّشَتْ أذهانُهم وكادوا — لولا اللهُ — أن يُفْتَتَنُوا ، لما قد زَوَّق به أولئك الضالُّون هَفَواتِهم (٥) ، وزَخرَفُوا تحريفاتِهم في النصوصِ القرآنيَّةِ والحديثية ، ثم خَيَّلوا إلى الجهلةِ أَنَّ ثبوتَ هذه المباحثِ ثبوتٌ لدَعواهم ، ودَليلٌ لمسيحيَّةِ ميرزَاهم ، وإنهم مِن إفكِهِم : ليقولون ، وقد حِيلَ بينهم وبين ما يَشتهُون ، فمكرُوا مكراً كُبَّاراً ، وتحدَّوْا به في المسلمين جِهاراً ، فآضَ (٦) البلاءُ بلاءَين ، والرَّزِيئَةُ رُزْءَين (٧) :

---

(١) : بالقوَّة (٢) : يَكذِبُ .

(٣) الوتينُ : عِرقٌ في القَلْب إذا انقطع مات صاحبُه .

(٤) أي : غيرَ أنه .

(٥) أي زَيَّنُوا هفواتِهم للناس فغَرُّوا بها .

(٦) : فرجع . (٧) الرَّزيئة والرُّزء : المُصيبَة .

الأوَّل : أنه لو سَكتَ عليه العُلماء : لرأى العامَّةُ في سكوتِهم ثبوتَ دعوى المسيحية للميرزا ! وكونَه هو المسيحَ الموعودَ نزولُه في آخرِ الزمان . وإنه هو الارتدادُ الصريح ، نعوذُ بالله منه !

والثاني : أنَّ مسألةَ نُزولِ المسيح عليه السلام ، وكونَه هو عيسى ابنَ مريم النبيَّ الإسرائيليَّ بعينِه : ممّا صَدَعتْ به النُّصوصُ القُرآنية ، وتواترَتْ فيه الأحاديثُ النبوية ، وأجمعتْ عليه الأُمَّةُ مِن لدُنْ عهدِ النبيِّ الكريم ﷺ إلى يومِنا هذا : بحيثُ لا يُسمَعُ التأويلُ ، ولا يَسَعُ فيه القالُ والقيل . وإنَّ جميعَ ما تَفوَّهَ به هذا الشقيُّ تقوُّلُ مُتقوِّلٍ ، وما هو بمُزَحزِحِه مِن العذابِ أن يُحرِّفَ أوْ يُؤَوِّل !

وبالجملة : فسَّتْ الحاجةُ إلى تَبيِينِ حَيْدِه ، وكشفِ كَيْدِه ، ورفعِ السِّترِ عن وَساوِسه التي أَلقاها في قلوب المسلمين ، وإزاحةِ الأوْهامِ والشُّبُهاتِ التي اخترعها في الإمامِ المبين [1] ، فقام لهذا رجالٌ من حِزْبِ الله ، فصنَّفُوا

(١) أي القرآن الكريم .

فيه رسائل بين وجيزٍ وطويل ، ودقيق وجليل ، وجاءوا بما فيه كفايةٌ لمن له دِراية ، وأُوتي من الله هداية [(١)] .

---

(١) قلت : قد ألّف في الردّ على القاديانية ونقضِ أباطيلهم غيرُ واحد من العلماء ، بالعربية والفارسية والأورديةِ : لغةِ القادياني الضالّ المردودِ عليه . وهـذا غَيْضٌ من فَيْضٍ من أسمـاء تلك المؤلّفات مع تاريخ طبعها ومكانه :

١ ـ هدية المهديين في آية خاتم النبيين لأستاذنا العلامة الشيخ محمد شفيع سماحة مفتي باكستان كاتب مقدمة « التصريح » هذه ، حفظه الله تعالى .

٢ ـ القاديانية ثورة على النبوة المحمدية والإسلام لصديقنا العلامة الداعية الكبير الأستاذ السيد أبي الحسن الندوي الهندي ، حفظه الله تعالى ، طبع في الهند دون تاريخ ، ثم طبع في القاهرة سنة ١٣٧٥ .

٣ ـ القادياني والقاديانية له أيضاً ط الهند ١٣٧٨ .

٤ ـ المسألة القاديانية للأستاذ أبي الأعلى المودودي حفظه الله تعالى ط القاهرة ١٣٧٣ .

٥ ـ البيانات في الرد على القاديانية له أيضاً .

٦ ـ حقيقة القاديانية للأستاذ محمد لقمان الصديقي ط القاهرة ١٣٧٥ .

٧ ـ إكفار الملحدين في ضروريات الدين لإمام العصر محمـد أنور شاه الكشميري مؤلف كتاب « التصريح » ط الهند ١٣٥٠ .

٨ ـ صدع النقاب عن جسَّاسة الفنجاب ـ القادياني ـ للإمام الكشميري أيضاً (نظم) ط الهند ١٣٤٣ .

٩ ـ طائفة القاديانية لأستاذنا العلامة الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله تعالى ط القاهرة ١٣٥١ .

إلاَّ أنه كان في الباب أدلَّةٌ قويَّةٌ ، وشواهِدُ بيِّنَة ،

---

١٠ - فصل قضية القادياني للعلامة أبي الوفاء ثناء الله الأمرتسري الهندي ط الهند .

١١ - رسالة في الرد على القاديانية للشيخ محمد نذير حسين الدهلوي .

١٢ - الفتح الرباني في الرد على القادياني للقاضي حسين بن محسن الأنصاري .

١٣ - الحق الصريح في إثبات حياة المسيح للشيخ محمد بشير السَّهْسَواني .

١٤ - إشاعة السنة للشيخ أبي سعيد محمد حسين اللاهوري .

١٥ - إعلاء الحق الصريح بتكذيب مثيل المسيح للشيخ محمد إسماعيل الكولي .

١٦ - شفاء للناس .

١٧ - عصا موسى . ذُكِرَتْ هذه الكتب السبعة في « عون المعبود على سنن أبي داود » لشرف الحق العظيم آبادي ٤ : ٤٠٦ وما أدري : هل كلها بالعربية أم بعضها بالأوردية ؟

١٨ - النصال الشفوية في الرد على القاديانية لعلامة مدينة دير الزور من بلاد الشام الشيخ حسين محمد الخالدي رحمه الله تعالى ط دمشق ١٣٧٢ .

١٩ - سهام النِّضال في ردِّ الضَّلال ، في الردِّ على الرسالة الموسومة بالحقائق الأحمدية لأحمد الهندي المدَّعي أنه عيسى ! للعلامة الشيخ حسين أيضاً ط حلب ١٣٤٦ .

٢٠ - الأسس السياسية للحركة القاديانية للأستاذ السيد عباسي من علماء دار السلام في مدينة دربن جنوبي إفريقيا ، تُرجِمَتْ عن الإنكليزية إلى العربية ط دمشق ١٣٧٧ .

٢١ - منشأ القاديانية ومقاصدها الخبيثة . حديث لندوة العلماء الأجلاء في مجلة « لواء الإسلام » المصرية في سنتها الثالثة عشرة سنة ١٣٧٩ ص ٣٨١ - ٣٩٢ . =

بَقِيتْ في الخبايا ، ولم تصعد إليها أفكارُ المُصنِّفين .

---

٢٢ - السيف الرباني في عنق جلال شمس القادياني للشيخ جميل الشطي الدمشقي باسم : « تأليف مسلم دمشقي » ط دمشق ١٣٥٠ .

٢٣ - الإنكليز والقاديانية للشيخ محمد عمر المُلْتاني . دون تعيين مكان الطبع وزمانه .

٢٤ - كشف الستار عن القاديانية مطية الاستعمار . له أيضاً ط دمشق ١٣٧٧ .

٢٥ - البرهان المبين في تأييد فتاوى المفتين للعلامة الشيخ محمد هاشم الخطيب رحمه الله تعالى ط دمشق .

٢٦ - ٢٨ - ثلاثة كتب أخرى في نقض القاديانية له أيضاً ، ط دمشق .

٢٩ - فصل الخصام في الردّ على كشف اللثام للعلامة محمد أبي ذر النظامي الأيوبي رحمه الله تعالى ط حمص .

٣٠ - الحق المبين في الرد على القاديانيين الدجّالين للشيخ محمد حمدي الجويجاتي ط دمشق ١٣٦٧ .

٣١ - حجة المجلان على جماعة قاديان للشيخ محمد وحيد الجباوي ط دمشق ١٣٦٨ .

ما أُلِّفَ منها بالأوردية

٣٢ - ختم نبوت لأستاذنا العلامة الشيخ محمد شفيع مفتي باكستان . حفظه الله تعالى .

٣٣ - قادياني مذهب للشيخ محمد إلياس برني .

٣٤ - كلمة الله في حياة روح الله لأستاذنا العلامة الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي مؤلف « التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح » =

= وشيخ الحديث بالجامعة الأشرفية في لاهور حفظه الله تعالى .

٣٥ ـ الخطاب المليح في تحقيق المهدي والمسيح لحكيم الأُمَّة الشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله تعالى .

٣٦ ـ الشهاب لرجم الخاطف المرتاب لشيخ الإسلام العلامة شَبِّير أحمد العثماني رحمه الله تعالى .

٣٧ ـ خاتم النبيين لإمام العصر محمد أنور شاه الكشميري ط الهند .

٣٨ ـ فتنة مرزائيت لإمام العصر الكشميري أيضاً ط الهند .

٣٩ ـ الحوار الفصيح لمنكر حياة المسيح لتلميذ إمام العصر أستاذنا العلامة الشيخ محمد بَدْر عالَم الميرتهي الهندي ، المهاجر المقيم في المدينة المنورة ، حفظه الله تعالى . وقد تُرجِمَ إلى الإنكليزية .

٤٠ ـ درة الدراني على متن القادياني .

٤١ ـ سيف جشتيائي .

٤٢ ـ شهادة القرآن . هذه الثلاثة ذكَرَها الإمام الكشميري في كلمته التي سبق تعليقها في ص ٤١ .

٤٣ ـ عشرة كاملة ، في إبطال الفتنة المرزائية والنبوَّة الباطلة ، لشيخ مشايخنا العلامة الكبير الشيخ خليل أحمد السهارنفوري الهندي مؤلف « حل المقصود من سنن أبي داود » رحمه الله تعالى .

٤٤ ـ فتح قاديان للعلامة السيد الشيخ مرتضى حسن رئيس شعبة التبليغ في دار العلوم الديوبندية .

٤٥ ـ فيصلة مقدمة بهاولبور . وهي في الأصل دعوى رُفِعَتْ من مسلمةٍ قد ارتدَّ زوجُها بدخوله في القاديانية فرَفَعتْ عليه =

والمُؤَلِّفين . فكان مَوْضِعُ الصَّدْرِ هناك خالياً ، يَدْعُو له سَادّاً ومالياً ، فانتصَبَ له — باذنِ الله تعالى — الشَّمْسُ البازِغَةُ لسماءِ العِلْمِ ، والبَدْرُ التمُّ لفَلَكِ الخُلُقِ والحِلْمِ ، ومَن اعترَفَ بفَضْلِهِ الصَّديقُ الوَدُود ، والخَصْمُ اللَّدُود ، ومَنْ لانَتْ لهُ صُمُّ العُلُومِ كالحديدِ بين يَدَيْ داودَ عليه السَّلام ، بَقِيَّةُ السَّلَف ، حُجَّةُ الخَلف ، آيةٌ من آياتِ الله ، شيخُنا ومولانا محمد أنور شاه ، صَدْرُ المُدَرِّسين بدارِ العُلُومِ الدُّيوبَنْدِيَّة الهنديَّة ، لا زالَتْ دِيَمُ[1] أفضاله هامِرة ، ومَجالِسُ دَرْسِهِ عامِرة . فصنَّفَ فيه مُصَنَّفاً جليلَ الشأن ، حافِلاً ببيِّناتِ الحديثِ والقرآن ، بحَيْثُ لا يُمارَى فيها ولا يُستَرَاب ، كافِلاً لجميعِ ما يُحتاجُ إليهِ في

= دعوى الرِّدَّة إلى دار القضاء في بهاولبور بدخوله في القاديانية ، فحكم القاضي بارتداده وفسْخَ النكاح . وفي هذا الكتاب أمور مهمة من شهادات العلماء الأكابر في دار القضاء .

٤٦ – آئينئه مرزائيت للعلامة الشيخ عبد العليم الصديقي الهندي رحمه الله تعالى .

٤٧ – مرزا غلام أحمد كفربه أقوال ، توحيد وصفات باري مين همسري للعلامة الشاه أحمد نوراني . أفادني كثيراً من هذه المؤلفات أستاذنا محمد شفيع .

(١) جمعُ دِيمة وهي السَّحابةُ الماطرة .

الباب ، سمّاهُ : « عقيدة الإسلام في حيَاة عيسى عليه السّلام » [١] فجاء بحمدِ الله يَرُوقُ النواظر ، ويَلَذُّ الخواطر . وكان خَتْماً على شِفاهِ الملاحدة الفَجَرة ، وكيّاً على جِباهِ الزنادقة الكَفَرة ، وشَكِيمةً [٢] في أفواهِهم ، وغُصّةً في صُدُورِهم ، وزَلْزَلَةً في قاديانِهم [٣] ، ووباءً في دارِ أمانِيهم . إلا أنّه لم يَسْرُدْ فيه أحاديثَ الباب بأسْرِها رَوْماً للاختصار ، وتخفيفاً على النُّظّار .

ولمّا كان في جَمْعِ هذه الأحاديثِ فائدةٌ جَسِيمة ،

---

(١) وهو كتاب كبير جامع في بابه ، طُبِع في الهند في حياة المؤلف في حدود سنة ١٣٥٠ ، وجاء في ٢١٨ صفحة . ثم طُبِعَ طبعة ثانية بعد وفاته سنة ١٣٨٠ في كراتشي من الباكستان ، مضافاً إليه تعليقاتٌ وحواشٍ حافلة كان الشيخ الأنور ألّفها بعد فراغه من الكتاب وسمّاها : « تحية الإسلام في حياة عيسى عليه السلام » . وقدّم لهذه الطبعة الثانية تقدمةً واسعة تلميذُهُ العلامةُ البارعُ الجامعُ أبو المحاسن شيخنا الشيخ محمد يوسف البَنُوري حفظه الله تعالى ، وبلغت صفحات هذه الطبعة ٣٤٠ صفحة دون التقدمة .

(٢) الشَّكِيمةُ في اللّجام : الحديدةُ المعترِضةُ في فمِ الفَرَس التي فيها الفَأس . وفَأسُ اللّجام : الحديدةُ القائمةُ في الشكيمة .

(٣) أي في دعوى القادياني الضالّ غلام أحمد .

ومنفعةٌ للناسِ عظيمة ، جعَلَها جُزءاً برأسه ، جَمَعَ جميعَ ما انتهى إليه النَّظَرُ في الكتبِ الحديثيَّة التي أمكنَ الاطِّلاعُ عليها ، واستوعَبَ سائرَ مجلَّداتِ « مسند أحمد » في المطالعة[١] ، لتخريج أحاديثِ هذا البابِ ، فجاء بحمدِ الله منها عددٌ لم يَطَّلعْ عليه كثيرٌ من العلماء المتقدِّمين فضلاً عن الأقرانِ والأترابِ ، حتى إنَّ القاضي الشَّوْكاني — من علماءِ القرنِ الثاني عَشر — لمَّا صنَّفَ في هذا الباب رسالةً سمَّاها : « التوضيح فيما تواتر في المنتظر والدجَّال والمَسيح » لم يتيسَّر له إلا تسعةٌ وعشرون حديثاً ، مع كثرةِ اطِّلاعه وكثرة الكتبِ الحديثيَّةِ في زمانه . فهاكَ رسالةً سَبْعينيَّة ، قد حوت سَبْعين حديثاً صريحاً في الباب ، وعلى اللهِ سبحانه التوكُّلُ وإليه المآب[٢] .

---

(١) وكتابُ « مسند الإمام أحمد » في ستِّ مجلَّدات ضخام جداً ، تبلغ صفحاتُها من حَجْمِ هذا الكتاب الذي بين يديك أكثرَ من إثني عشر ألف صفحة . وهذه هي المرة الثانية التي طالع فيها الشيخ الإمام الكشميري « مسند الامام أحمد » . وقد طالعه مرّةً أولى قبل هذه ، استخلَصَ منه فيها الأحاديثَ المؤيِّدةَ للحنفية في وجوب صلاة الوتر ، كما سبَقَ نقلُه في (التقدمة) في ترجمة الشيخ رحمه الله تعالى .

(٢) قلت : وقد ألَّفَ غيرُ واحد من العلماء الأجلَّة في نزول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام تآليفَ مستقلَّة ، سوى المفسِّرين =

أحاديث نزول عيسى عليه السلام متواترة

ولعلَّكَ قد عرفتَ مما ذكرنا أنَّ الأحاديثَ في هـذا الباب متواترة ، وقد صرَّح به جماعةٌ من المحدِّثين :

= والمحدّثين الذين توسّعوا في ذلك في تفاسيرهم وشروحهم لكتب الحديث حتى كادت أبحاثهم أن تكون كتباً خاصة بهذا الموضوع . وإليك أسماء طائفة من الكتب المطبوعة في هذا الشأن مع تاريخ طبعها ومكانه :

١ - نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة ، لأستاذنا الامام محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى ط القاهرة ١٣٦٢ .

٢ - عقيدة أهل الاسلام في نزول عيسى عليه السلام لشيخنا العلامة المحدث الشيخ عبد الله ابن الصديق الغماري ، فرَّج الله عنه ط القاهرة ١٣٦٩ .

٣ - إقامة البرهان على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ، له أيضاً ط القاهرة طبعة ثانية دون تاريخ .

٤ - عقيدة الاسلام في حياة عيسى عليه السلام لامام العصر الشيخ محمد أنور شاه الكشميري ط الهند دون تاريخ ، ثم طُبِعَ في باكستان كراتشي ١٣٨٠ في ٣٤٠ صفحة ما عدا التقدمة التي بلغت ٣٢ صفحة بقلم تلميذه أستاذنا العلامة الجامع أبي المحاسن الشيخ محمد يوسف البنوري حفظه الله تعالى .

٥ - تحية الاسلام في حياة عيسى عليه السلام لامام العصر الكشميري أيضاً ط الهند ١٣٥١ ثم طُبِعَ في الباكستان ١٣٨٠ . =

فقال العلامة السيِّد محمود الآلُوسيّ في تفسيره : « رُوح المعاني »[١] : « ولا يَقْدَحُ في ذلك – أي في خَتْم النُّبوَّة – ما أَجْمَعَتْ الأُمَّةُ عليه ، واشتهرَتْ فيه الأخبار – ولعلَّها بَلغَتْ مبلغَ التواتُرِ المعنويّ[٢] – ونَطَق به الكتابُ

---

٦ – الجواب المقنع المحرَّر في الرد من طغى وتجبر بدعوى أنه عيسى أو المهدي المنتظر للعلامة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي رحمه الله تعالى ط القاهرة ١٣٤٥ .

٧ – إزالة الشبهات العظام في الرد على منكر نزول عيسى عليه السلام للشيخ محمد علي أعظم رحمه الله تعالى ط حلب ١٣٧٨ .

٨ – اعتقاد أهل الايمان بالقرآن بنزول المسيح ابن مريم عليه السلام آخرَ الزمان لأستاذنا العلامة الشيخ محمد العربي التَّبَّاني المغربي المقيم في المدينة المنورة حفظه الله تعالى ، ط القاهرة ١٣٦٩ .

٩ – التوضيح فيما تواتر في المنتظر والدجال والمسيح للقاضي الشوكاني . ط الهند .

١٠ – فتوى العلامة الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية في نزول سيدنا عيسى ط مصر . وطُبِعَت في آخر « عقيدة أهل الاسلام » السابق الذكر .

(١) ٧ : ٦٠ .

(٢) قال السيد الشريف الجرجاني في « مختصره » في مصطلح الحديث ص ٦ : « الخَبَرُ المتواتِرُ هو ما بلغَتْ رُوَاته في الكثرة مبلغاً أحالَتْ العادَةُ فيه تواطُؤَ رُوَاته – أي توافُقَهم – على الكذب». فإذا اتفقت رِوَايتُهم للخبر في اللفظ والمعنى قيل فيه : مُتواتِرٌ لفظي ، وإذا اختلفت ألفاظُهم مع اتفاقها في معنى يكون قدْراً مشتركاً بين =

ـ على قولٍ ـ ووجَبَ الإيمانُ به ، وأَكْفِرَ مُنكِرُه كالفلاسفة : مِن نُزُولِ عيسى عليه السلام آخِرَ الزمان ، لأنه كان نَبِيّاً قبلَ تحلّي نبينا ﷺ بالنّبوّة في هذه النشأة »[1] .

وبه صرّح الحافظُ عِمادُ الدين ابنُ كَثير ، حيث قال في « تفسيره » في تفسير سورة الأحزاب عند قوله تعالى : « وإنه لَعِلْمٌ للساعة »[2] : « وقد تواتَرَت الأحاديثُ عن

= الجميع قيل فيه متواتر معنوي .

قال شيخنا الإمام الكوثري رحمه الله تعالى في كتابه « نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى قبل الآخرة » ص ٤٤ : « والتواترُ في حديثِ نزولِ عيسى عليه السلام : تواترٌ معنويٌّ حيث تشاركتْ أحاديثُ كثيرةٌ جداً ـ بَيْنَها الصِّحاحُ والحِسانُ بكثرة ـ في التصريحِ بنزولِ عيسى مع اشتمالِ كلِّ حديثٍ منها على معاني أخرى ، وهذا ما لا يَستطيع إنكارَهُ أحدٌ ممن شَمَّ رائحةَ علمِ الحديث » .

(١) وقال العلّامة الآلوسيّ في تفسيره بعد هذا : « ثم إنّ عيسى عليه السلام حين يَنْزِلُ باقٍ على نُبوّته السابقة لم يُعزَلُ عنها بحال ، لكنه لا يَتعبَّدُ بها لِنَسْخِها في حَقّه وحقّ غيره ، وتكليفه بأحكام هذه الشريعة أصلاً وفرعاً ، فلا يكون إليه عليه السلام وحيٌ ولا نَصْبُ أحكام ، بل يكونُ خليفةً لرسول الله ﷺ ، وحاكماً من حُكّام مِلّتِه بين أُمّته بما عَلِمه في السماء قبل نزوله من شريعته عليه الصلاة والسلام كما في بعض الآثار » .

(٢) ٤ : ١٣٢ . وقُرِئت : « وإنه لَعَلَمٌ للساعة » كما في « إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر » للدمياطي .

رسول الله ﷺ أنه أخبرَ بنزولِ عيسى عليه السلام قبلَ يوم القيامة إماماً عادلاً ، وحَكَماً مُقْسِطاً » . وصَرَّحَ به في تفسير سورة النساء أيضاً [(١)] .

---

(١) عند تفسير قوله تعالى : « وإنْ مِن أهلِ الكتابِ إلاَّ ليُؤْمِنَنَّ به قبلَ موته » ١ : ٥٨٢ . وبيَّنَ رحمه الله تعالى تَبَعاً للإمام ابن جرير الطبري أنَّ الضَّميرَيْن في (بهِ) و (موتِه) : يعودان على سيدنا عيسى عليه السلام ، لأنه المتحدَّثُ عنه في السياق ، وبيَّنَ أنَّ المعنى : أنَّ جميعَ أهلِ الكتاب يُصدِّقون به إذا نَزَلَ لقتلِ الدجَّال ، ولا يَتخلَّفُ عن التصديق به واحدٌ منهم ، فتصيرُ المِلَلُ كلُّها مِلَّةً واحدة ، وهي مِلَّةُ الإسلام الحَنيفيَّةُ دينُ إبراهيم عليه السلام .

ثم قال الحافظ ابنُ كثير ما خلاصتُه : « وهذا القولُ ـ يعني الذي ذكره في تفسير الآية ونقلناه ـ هو الحقُّ كما سنبيِّنُه بالدليل القاطع إن شاء الله تعالى . لأنه المقصودُ من سياقِ الآيِ في تقريرِ بطلانِ ما ادَّعتْهُ اليهودُ من قتلِ عيسى ، وصَلْبِهِ وتسليمِ من سَلَّم لهم من النصارى الجَهَلَةِ ذلك ، فأخبَرَ اللهُ : أنَّه لم يكن الأمرُ كذلك ، وإنّما شُبِّه لهم فقتَلوا الشَّبَهَ وهم لا يَتبيَّنون ذلك ، ثم إنَّه سبحانه رَفَعَهُ إليه ، وإنَّه باقٍ حيٌّ ، وإنه سيَنزِلُ قبلَ يوم القيامة ، كما دَلَّتْ عليه الأحاديثُ المتواترةُ التي سنُوردُها » . ثم أورَدَ أحاديثَ كثيرة جداً ١ : ٥٧٨ ـ ٥٨٢ ، ثم قال بعدها : « فهذه أحاديثُ متواترةٌ عن رسول الله ﷺ ، وفيها دلالةٌ على صفةِ نزولِه عليه السلامِ ومكانِه » .

وقال رحمه الله تعالى أيضاً في « تفسيره » في تفسير سورة =

. .

= الأحزاب عند قوله تعالى : « وخاتَمَ النبيين » ٣ : ٤٩٤ : « فمِن رحمةِ الله تعالى بالعباد إرسالُ محمد ﷺ إليهم . ثم من تشريفهِ لهم : خَتْمُ الأنبياء والمرسَلين به ، وإكمالُ الدينِ الحنيفِ له .

وقـدِ أخبر اللهُ تبارك وتعـالى في كتابه ، ورسولهُ ﷺ في السُّنَّةِ المتواترة عنه : أنه لا نَبِيَّ بعده ، ليَعْلموا أنَّ كلَّ من ادَّعَى هذا المقامَ بعده فهو كذَّاب أفَّاك ، دجَّالٌ ضالٌّ مُضلّ ، ولو تَخَرَّقَ ـ أتى بالخوارق الظاهرة ـ وشَعْبَذَ ـ عمِلَ عملاً فيه خِداعٌ للعَيْن والفِكرِ ـ وأتى بأنواعِ السِّحْر والطَّلاسمِ ـ أفعـال تُفعَلُ لأجل التمكُّنِ من إظهار ما يخالف العادة ، والمنعِ مما يوافقها ـ والنَّيْرَنْجات ـ الحِيَل ـ ، فكلُّها مُحالٌ وضلالٌ عند أُولي الألباب .

كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يَدِ الأسْوَدِ العَنْسِيِّ باليَمَن، ومُسَيْلِمَة الكذَّابِ باليمامة ، مِن الأحوالِ الفاسدة، والأقوالِ الباردة، ما علِمَ كلُّ ذي لُبٍّ وفَهْمٍ وحِجىً : أنهما كاذبانِ ضالأّنِ ، لعَنَهما اللهُ تعـالى ، وكذلك كلُّ مُدَّعٍ لذلك إلى يوم القيامة حتى يُخْتَمُوا بالمسيحِ الدجَّال .

فـكلُّ واحدٍ من هؤلاء الكذَّابين يَخْلُقُ اللهُ تعالى معه من الأمور ما يَشهدُ العلماء والمؤمنون بكذبِ من جاءَ بها . وهذا مِن تمامِ لُطفِ الله تعالى بخَلْقه ، فانَّهم ـ أي أولئك الدَّعِين الكذَّابِين ـ بضرورة الواقع : لا يأمُرون بمعروف ، ولا يَنْهَون عن منكر إلا على سبيلِ الاتفاق ، أو لِمَا لهم فيه من المقاصدِ إلى غيره ، ويكونُ هؤلاء في غاية الافكِ والفجورِ في أقوالهم وأفعالهم ، كما قال تعالى : هل أُنبِّئكم على مَنْ تَنَزَّلُ الشياطينُ ؟ تَنَزَّلُ على كلِّ أفَّاكٍ أثيم » . =

وذكَرَ الحافظُ ابن حجر في كتابه « فتح الباري »[(١)] تواتُرَ نُزولِ عيسى عليه السلام ، عن أبي الحُسَين الآبُرِي[(٢)].
وقال[(٣)] في « التلخيص الحبير » من كتاب الطلاق[(٤)] :

= وهذا بخلافِ حالِ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فإنَّهم في غايةِ البِرّ والصِّدق ، والرُّشدِ والاستقامةِ والعَدْلِ فيما يقولونه ويفعلونه ، ويَأمُرون به ويَنْهَون عنه ، ما يُؤيَّدون به من الخوارقِ للعادات ، والأدلَّةِ الواضحات ، والبراهينِ الباهرات ، فصلواتُ الله وسلامُه عليهم دائماً مستمِراً ما دامت الأرضُ والسموات » .

(١) ٦ : ٣٥٨ .

الآبُرِيّ : نسبة إلى آبُر ، قريةٍ من قُرى سِجِسْتان . وقد جاءت كنية الآبُري في الأصل هكذا (أبو الحُسَين) وهي هكذا في ترجمته في « طبقات الشافعية » للسبكي ٢ : ١٤٩ ، و « كشف الظنون » عند ذكر « مناقب الشافعي » للآبُري ٢ : ١٨٣٩ . وجاءَتْ كنيتُه (أبو الحَسَن) في « فتح الباري » من الطبعة البولاقية ٦ : ٣٥٨ ، و « معجم البلدان » لياقوت في (آبُر) ١ : ٥١ ، و « تذكرة الحفاظ » للذهبي ص ٩٥٤ ، و« شذرات الذهب » لابن العماد ٣ : ٤٦، فاللهُ أعلم .

ووقع في « فتح الباري » تحريفُ نَسَبِهِ إلى (الحسي الابدي)، ولعلَّ صوابه : (السِّجِسْتاني الآبُري) ؟ والله أعلم .

(٣) أي الحافظُ ابنُ حجر .

(٤) : ص ٣١٩ .

« وأمَّا رَفْعُ عيسى عليه السلام ، فاتَّفقَ أصحابُ الأخبارِ والتفسيرِ على أنَّه رُفِعَ ببَدنه حيّاً . وإنّما اختلفوا هل ماتَ قبل أن يُرْفَعَ ؟ أو نامَ فرُفِعَ ؟ » . وقال في « فتح الباري » من باب ذكر إدريس [1] : « إنَّ عيسى رُفِعَ وهو حيٌّ على الصحيح » [2] .

---

(١) ٦ : ٢٦٧ .

(٢) قلتُ : أوجز شيخنا محمد شفيع حفظه الله تعالى في ذكرِ مَن نصَّ على تواتر نزولِ سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ، وهناك غيرُ واحدٍ من الأئمة المتقدّمين والمتأخّرين نصّوا على تواترِ نزولِه ﷺ ، وإليك طائفةً منهم غيرَ الذين ذكرهم شيخنا هنا :

فمنهم : الامامُ ابنُ جَرير الطبري في « تفسيره » عند قوله تعالى في سورة آل عمران : « إني مُتَوفّيك ورَافِعُك إليّ » ٣ : ٢٠٣ ، فقد قال بعد أن ذكرَ الأقوالَ في معنى التَّوَفّي : « وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قولُ من قال معنى ذلك : أنّي قابضُك من الأرض ورافِعُك إليّ . لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : يَنْزِلُ عيسى ابنُ مريم فيَقتُلُ الدجّالَ . . . » .

قال شيخنا الامامُ الكوثريّ رحمه الله تعالى في كتابه : « نظرة عابرة في مزاعم من يُنكِرُ نزولَ عيسى عليه السلام قبلَ الآخرة » ص ٣١ : « وليس في قول الامام ابن جرير الطبري : (وأولى الأقوال بالصحة) ما يُحتَجُّ به أنَّ تلك الأقوالَ مشتركةٌ في أصلِ الصحة ، كيف وقد ذَكرَ بينها ما هو مَعزُوٌّ إلى النصارى ؟ ولا يُتصوَّرُ =

= أنْ يَصِحَّ ذلك في نظره ، بل كلامُهُ هذا مِن قَبِيلِ ما يُقال : فلانٌ أذكى مِن حمار ، وأفقهُ مِن جِدار ، كما يظهر من عادة ابن جرير في « تفسيره » عند نَقْلِهِ لرواياتٍ مختلِفةٍ ، كائنةً ما كانَتْ قيمتُها العلمية ، وقد يكون بينها ما هو باطلٌ حتماً ، فلا يكونُ لأحدٍ إمكانُ التمسُّكِ بمثلِ تلك العبارةِ في تقويةِ الروايات المردودة » .

قلتُ : وهذه قاعدةٌ وفائدةٌ تستفادُ لفهمِ كلامِ ابن جرير في « تفسيره » فاعْلَمْها واشدُدْ عليها بيديك ، فإنها من العلم المكنون .

ومنهم : الامامُ المفسِّر ابنُ عطية الغَرْناطي الأندلسي ، فقد قال في « تفسيره » : « وأجمعَتْ الأمَّةُ على ما تضمَّنَهُ الحديثُ المتواتِرُ من أنَّ عيسى في السماء حيٌّ ، وأنه يَنزِلُ في آخِرِ الزمان فيَقْتُلُ الخِنزير ، ويَكسِرُ الصَّليب ، ويقتُلُ الدجَّال ، ويُفيضُ العَدْل ، وتَظْهَرُ به مِلَّةُ محمد ﷺ ، ويَحُجُّ البيتَ ، ويَعتَمِرُ » . انتهى . نقلَه عنه الامام أبو حيَّان الأندلسي في تفسيره : « البحر المحيط » في سورة آل عمران ٢ : ٤٧٣ . وقال أبو حيان نفسُه في تفسيره الصغير المسمَّى : « النهر المادّ من البحر » المطبوع على حاشية « البحر المحيط » : ٢ : ٤٧٣ : « وأجمعتْ الأمَّة على أنَّ عيسى عليه السلام حيٌّ في السَّماء ، وسينزِلُ إلى الأرض ، الى آخرِ الحديث الذي صحَّ عن رسول الله ﷺ في ذلك » .

ومنهم : الامام الفقيه أبو الوليد ابنُ رُشْد ، فقد نقلَ عنه العلاَّمة أبو عبد الله الأُبّيُّ في « شرحه على صحيح مسلم » : ١ : ٢٦٥ قولَهُ : « ولابُدَّ مِن نزولِ عيسى عليه السلام ، لتواتُرِ الأحاديثِ بذلك ، وفي « العُتْبِيَّة » : كان أبو هريرة يَلْقَى الفتى الشابَّ =

. . . .

= فيقول : يا ابنَ أخي إنك عَسَى أن تَلْقَى عيسى ابنَ مريم فاقْرَأْهُ مِنِّي السَّلامَ . تحقيقاً لنزوله » .

ومنهم : العلامةُ السَّفَّاريني الحنبلي في شرح منظومته في العقيدة المسمَّى « لوامع الأنوار البهية » ٢ : ٩٤ - ٩٥ قال « قد أجمعتْ الأُمَّةُ على نزول عيسى ابن مريم عليه السلام ، ولم يُخالِف فيه أحد من أهل الشريعة ، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يُعتَدُّ بخلافه ، وقد انعقد إجماعُ الأمَّة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية ، وليس ينزلُ بشريعةٍ مستقلة عند نزوله من السماء ، وإن كانت النبوَّةُ قائمة به وهو متصف بها » .

ومنهم : العلامةُ الشوكاني اليمني ، قال في كتابه : « التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجَّال والمسيح » بعد أن ساق الأحاديث الواردة في ذلك : « فتقرَّرَ أنَّ الأحاديثَ الواردةَ في المَهْدِيِّ المنتظر متواتِرة ، والأحاديثَ الواردةَ في الدجَّالِ متواتِرة ، والأحاديثَ الواردة في نزولِ عيسى ابنِ مريم متواتِرة » . كما نقله عنه أستاذُنا العلامة الشيخ عبد الله ابن الصدِّيق الغُماري فرَّج الله عنه في كتابه : « عقيدة أهل الاسلام في نزول عيسى عليه السلام » ص ١١ .

ومنهم : شيخُ شيوخنا العلامة المحدث الشريف سيدي محمدُ بنُ جعفر الكَتَّاني رحمه الله تعالى في كتابه : « نَظْم المتناثر من الحديث المتواتِر » : ص ١٤٧ حيث قال : « وقد ذكَرُوا أنَّ نزولَ سيدنا عيسى عليه السلام ثابتٌ بالكتاب والسنة والاجماع . ثم قال : والحاصِلُ أنَّ الأحاديثَ الواردةَ في المَهْدِيِّ المنتظَر متواتِرة ، وكذا الوارِدَةُ في الدجَّالِ وفي نزولِ سيدنا عيسى ابنِ مريم عليه السلام » . =

جملة الكلام

وجُملَةُ الكلام في هذه الرّسالة، والمَقْصُودُ الصِرْف من هذه العُجالة : أن يُنْهَى إلى كلِّ ذِي أُذُنين، ويُرَى لكلّ ذي عَيْنَيْن أنَّ المبعوثَ بالأمْرِ الأَمَم (١)، وأرأفَ الأنبياء بالأُمَم، نبيُّنا الأكرمُ نبيُّ الأنبياء ﷺ،

= ومنهم : شيخُنا الإمام محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى في كتابه : «نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام قبلَ الآخرة» حيث قال في ص ٣٦ بعد أن استوْفَى تفسيرَ الآياتِ الدالّةِ على نزولِ عيسى عليه السلام : «فظهَرَ مما سبَق أنَّ نصوصَ القرآنِ الكريم وَحْدَها تُحتِّمُ القولَ برفع عيسى حَيّاً، وبنزولِه في آخرِ الزمان، حيث لا اعتدادَ باحتمالاتٍ خَيَاليّة لم تَنْشأْ من دليل، كيف والأحاديثُ قد تواتَرَتْ في ذلك، واستمرَّتْ الأُمّةُ خَلَفاً عن سَلَفٍ على الأخذِ بها وتدوينِ مُوجَبِها في كتب الاعتقاد من أقدم العصور إلى اليوم، فماذا بعد الحقّ إلا الضّلالُ ؟ !».

وقال رحمه الله تعالى أيضاً في ص ٤٩ : «وأما تَواتُرُ أحاديثِ المهديِّ والدجّالِ والمسيحِ فليسَ بموضعِ ريبةٍ عند أهلِ العلم بالحديث. وتَشكّكُ بعضِ المتكلّمين في تواتُرِ بعضِها — مع اعترافِهم بوجوبِ اعتقادِ أنَّ أشراط الساعة كلَّها حقٌّ — فمِن قلّةِ خِبرتِهم بالحديث!». ...

(١) الأمْر الأَمَم : اليسيرُ المُعتدِل.

لَمَّا كان آخرَ الأنبياء وخاتَمَ النبيّين ، ولم يُقَدَّر بعده نبيٌّ يقومُ مَقامَه ويُغني غنَاءَه ، فيُنْبِئُ الناسَ بكلِّ نافعِهم وضارِّهم ، وحارِّهم وقارِّهم ، فَعزَّ عليه عَنَتُهم بعده ، فأراد أن يُبَيِّنَ لهم طريقَ الحقِّ وسبيلَ السَّلام ، بحيثُ لا تَخفَى عليهم خافية ، فينالوا نِيَّتَهم بعافيةٍ غيرِ عافية [1] ، فبيَّن لهم سائرَ مايَحتاجُ إليه سالِكُ هذا السَّبيلِ من غَوْرٍ ونَجْدٍ [2] ، ورَفْعٍ وخَفْض ، فما من هادٍ مُرْشِدٍ مُقدَّرٍ ظهورُه في الأُمَّة إلاَّ وقد نبَّأنا به ، وما من ضالٍّ مُضِلٍّ قُدِّرَ خروجُه إلى يومِ القيامة إلاَّ وقد أخبَرَنا به ، حتى كَشَفَ لنا عن أكثرِ ما يكون بين يدَيْ الساعة من الفِتَن ما ظَهَر منها وما بَطَن ، وسَرَدَ لنا أماراتِ الساعةِ بحيث لم يَدَع فيها مَوْضعَ شُبْهَة ومَوْقعَ لَبسْة [3] .

---

(١) أي فينالوا قَصْدَهم بسلامةٍ غيرِ زائلة .

(٢) الغَوْر : المكان المنخفض ، والنَّجْد : المكان المرتفع . والمراد بهذه الجملة والتي تليها أنه : ﷺ بيَّنَ مِن حالِ الدجَّال كلَّ حقير وخطير ، وكبير وصغير ، لتكون أمَّتُه ﷺ على بينة واضحة من الدجَّال ، ودلائل لائحة من أباطيله وأضاليله ، فلا يَغْتَرُّ به إلا هالك .

(٣) قلت : قد استوفَتْ كتبُ السُّنَّة المشرَّفة الأحاديثَ =

ولمَّـا كان مِن أجَلِّ أمارات السـاعةِ وأهمِّها نُزولُ

= الواردة في أمَارات الساعة وعلاماتها خيرَ استيفاء ، وها أناذا أشيرُ إلى بعض تلك الكتب تيسيراً على من أراد الرجوع إليها ، فانَّ قراءتها تُفتِّحُ الإيمانَ في القلب وتُقوِّيه ، وتكسبُ المؤمنَ بالله خشيةً ورهبة، وتدعوه أن يعملَ صالحاً ، ويدَّخِرَ طيّباً ، وتكشفُ له مِن سِجْف الغيب عن جزء من حياةِ ما قبلَ يوم القيامة ، ويتبدَّى له من كلّ ذلك : علمُ الله تعالى وقدرةُ الله تعالى الذي لا يُعجِزُهُ شيء في الأرض ولا في السماء ، كما يتَبدَّى له صِدقُ النبي الكريم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أزكى صلاة وأطيبَ تحيَّـــة . فقد رواها البخاري في آخر « صحيحه » تحت عنوان (كتاب الفِتَن) : ١٣ : ٢ - ٩٨ . ورَوَى مسلمٌ بعضَها في أوَّلِ « صحيحه » في (كتاب الإيمان) في (باب رفعِ الأمانةِ والإيمانِ من بعض القلوب) حتى (باب ذكر المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام والدجَّال) ٢ : ١٦٧ - ٢٣٨ ، ورَوَى بعضَها أيضاً في آخِرِ « صحيحه » تحت عنوان (كتاب الفِتَن وأشراطِ الساعة) ١٨ : ٢ - ٩٢ . ورواها أبو داود في « سُنَنه » في أواخِرِها تحت عنوان (كتاب الفِتَن والمَلاحم) : ٤ : ٩٤ - ١٢٥ . ورواها الترمذي في « سُنَنه » في أواسطها تحت عنوان (أبواب الفِتَن) ٩ : ٢ - ١٢٢ . ورواها ابن ماجه في « سننه » في أواخرها تحت عنوانٌ (أبواب الفِتَن) ٢ : ١٢٩٥ - ١٣٧٢ . ورواها الحافظ نور الدين الهيثمي في « مجمع الزوائد » تحت عنوان (كتاب الفِتَن) ٧ : ٢٢٠ - ٣٥١ و ٨ : ٢ - ١٤ . وهو أوسَعُ هذه الكتبِ استيفاءً لذكرِها .

وأفردَها بعضُ العلمـاء بتآليفَ خاصَّة ، وطُبِع منها كتاب « الإشاعة لأشراط الساعة » للعلامة محمد البَرْزَنجي ، وهو كتاب =

عيسى ابن مريم — على نبيِّنا وعليه السلام — وكان الخَفَاء

= كبير جداً في موضوعه ، يبلغ ٣٠٠ صفحة . وطُبِع منها أيضاً كتاب « الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة » للسيد صِدّيق حسن خان الهندي ، ويبلغ نحو ٢٠٠ صفحة . وقراءةُ تلك الأحاديث في مثل كتاب « صحيح البخاري » و « صحيح مسلم » أطيَبُ وأحبُّ .

ومما يلاحظ أنَّ بُعْدَ الناس عن قراءة هذه الأحاديث ومعرفتِها – على طول الزمن وامتداد الأيام – يُنسِيها من الأذهان ، ويُقلِّصُها في النفوس ، حتى قد يقَعُ الاستبعادُ لها ، أو الاستخفافُ بها ، أو الإنكارُ لوقوعها ممن لا علم عندهم ، ولذلك كان السَّلَفُ يُداومون على تعليم هذه الأحاديث ، ويَذْكرونها للناس حتى الأولاد في الكُتَّاب – المدرسة – ، ليتوارثوا معرفتَها ، ولتكونَ لهم بها عقيدةٌ راسخة ، تَزيدُ متانةً على مُرورِ الأيام . وقد سبق في ص ٦٣ نَقْلُ العلاَّمة الأُبِّيِّ عن « العُتْبِيَّة » : « كان أبو هريرة يَلْقَى الفتى الشابَّ فيقول له : يا ابنَ أخي إنك عَسَى أن تَلْقَى عيسى ابنَ مريم فاقْرَأْهُ مني السَّلام . تحقيقاً لنزوله » .

وقد عقَدَ العلامة السَّفَّارينيُّ المتوفَّى سنة ١١٨٨ رحمه الله تعالى في شرح منظومته في العقيدة المسمَّى « لوامع الأسرار البهية » ٢ : ١٠٦ تنبيهاتٍ ، وقال : التنبيهُ الثالثُ : مما ينبغي لكلِّ عالِمٍ : أن يَبُثَّ أحاديثَ الدجَّال بين الأولاد والنساء والرجال ، وقد قال الإمامُ ابن ماجه : سمعتُ الطَّنافِسِي يقول : سمعتُ المُحاربِيَّ يقول : ينبغي أن يُدفَعَ هذا الحديثُ يعني حديثَ الدجَّال إلى المؤدِّب حتى يُعلِّمه الصبيانَ في الكُتَّاب . وقد ورَدَ أنَّ من علامات خروجه نسيانَ ذكره على المنابر . وقد أخرج الإمام أحمد وابن خُزَيمة وأبو يَعْلَى والحاكم =

والالتباسُ فيه مَهْلكةٌ عُظمَى للأُمَّة ، فاعتَنَى الحريصُ على المؤمنين الرَّءوف الرَّحيم — فِداهُ أبي وأُمّي — بشأنِه أيَّ اعتناء ، وبالَغَ في بيانه أيَّ مبالغة ، بحيثُ لا يُمكنُ لأحَدٍ وَصْفُ أحَدٍ فوقَه ، حتى أَسْمَعَ به آذاناً صُمّاً ، وأبصَرَ به أعيُنناً عُمياً ، وشَرَحَ به قُلوباً غُلْفاً ، فلعلَّه ﷺ اطَّلَع بالوحي الإلهيِّ على هذه الفِرْقةِ المارقةِ وكيدِها وتلبيسِها على النـاس ؟ فأرَى مَظانَّ وَساوِسِهم وعدَّها ، وتَتبَّعَ الخِلالَ من تلبيساتِهم فسَدَّها [١] .

فانك ستَرى فيما نَسْرُدُهُ عليك مِن الأحاديثِ أنَّه ﷺ يسَّنَ فيها :

اسمَ سيّدنا عيسى ، ولقَبَهُ ، ونَسَبَهُ : فَذَكَر اسمَ أُمّه وأبي أُمّه وأوصافَ أُمّه .

= عن جابر بن عبد الله مرفوعاً : « يَخرجُ الدجّالُ في خِفَّةٍ من الدين ، وإدبارٍ من العلم » . فينبغي لكلِّ عالم التذكيرُ به ولا سيما في زماننا هذا الذي اشرَأَبَّتْ فيه الفِتَن ، وكثُرَتْ فيه المِحَن ، واندرسَتْ فيه معالمُ السُّنَن ، وصارت السُّنّةُ فيه كالبِدَع ، والبِدعَةُ شَرْعٌ يُتَّبَع ! » .

(١) الخِلال جمعُ خَلَل وهو الفُرجةُ بين الشيئين .

وَشَكْلَه عليه السلام ، ولَوْنَه ، وقامَتَه ، وهيئَتَه ، ولونَ شعره ، وطولَ شَعْره ، وشبِهَهُ من الناس .

وخَصَائصَه : مِن ولادتهِ من غير أبٍ ، واستقرارَ حَمْلِه مِن نفْخِ المَلَك ، وتكلُّمَهُ في المَهْد صَبِيًّا ، وإحياءَهُ المَوْتَى باذنِ الله ، وإبراءَ الأكمهِ باذنِ الله ، وإبراءَ الأبرصِ باذنِ الله .

ثم بَيَّنَ رفعَه إلى السَّمَاء ، وهيئَتَهُ عند النزول ، فذكَرَ لباسَه وبُرْنُسَهُ[1] ، وبعضَ أحواله عند النزول : مِن أنَّ نَفَسَهُ إذا وجَدَه كافرٌ مات ، وأنَّ نَفَسَه ينتهي إلى حيث ينتهي طَرْفُه[2] .

وذكَرَ كيفيَّةَ النزول ، وكونَه واضِعاً يديه على أجنحةِ ملَكينِ ، وأنَّه يكونُ بيده حَرْبَة .

ثم ذكَرَ بَلَدَ النُّزول ، ومَوْضِعَ النُّزولِ منهُ بعَيْنِه ، ثم عيَّنَ الجانبَ المُشَخَّص منه .

---

(١) البُرْنُس هنا : قَلَنْسُوةٌ طويلة تكون على الرأس .

(٢) أي بصَرُه .

وذكرَ حُضّار الناسِ حينئذ ، وتَعْدادَهم ، وعَمَلَهم إذْ ذاك . وسَمَّى إمامَهم إذْ ذاك ، والكلامَ الذي يَجْري بينهما .

وذكرَ وَقْتَ النزول ، ومُدَّةَ إقامتِه بعدَ النزول ، وتزَوُّجَه ، وأنه يُوْلَدُ له .

وأنَّه ماذا يَعْمَلُ بعد نُزُولِه : مِن كَسْرِ الصَّليب، وقَتْلِ الخِنْزير، ووَضْعِ الحَرْب (١) ، ووَضْعِ الخَراج (٢)، وفَيْضِ المال .

ونُزُولَه بفَجِّ الرَّوْحاء (٣) ، وحجَّهُ منه ، وإتيانَهُ على قَبْرِ النبي في المدينة المنورة ، وإجابَتَهُ ﷺ لسلامِه عليه . وهلاكَ المِلَلِ كلِّها في زمانه إلاَّ الإسلامَ ، وصَلاتَه بالناس، وقُنُوتَه (٤) على الدَّجّال ، وقَتْلَه الدجّالَ ، ومَوْضعَ قَتْلِه.

---

(١) وذلك لشيوعِ الإسلام وانقراضِ الكفر .
(٢) أي الجِزْيَة ، وذلك لصيرورة الدين واحداً وهو الإسلام .
(٣) هو مكانٌ في طريق النبي ﷺ من المدينة إلى بَدْر . قيل يَبْعُد عن المدينة ستة أميال .
(٤) أي دُعاءَه .

ثم بَيَّنَ أحوالَ النـاس في زَمَنِهِ وعَمَلَهُم : مِن ذهابِ الشَحناء والبُغْض من القلوب ، ونُزُولِ البَرَكاتِ من السَّماء والأرض ، ونُزُولِ الرُّوم بالأعماق (١) ، وخُروجِ جيشِ المدينة لقتالهم ، وتَفرُّقِهم على ثلاثِ فِرَق ، وفَتْحِ فِرقةٍ منهم القُسْطَنْطينيَّةَ .

وذكَرَ قِلَّةَ العَرَب ، وكونَ جُمْلَتِهم ببيتِ المقدس ، ووقوعَ الأَمَنَة (٢) في الأرض ، ونَزْعَ حُمَةِ كلِّ ذاتِ حُمَة (٣) ، وعَدَمَ ضررِ السِّبَاعِ والهَوَامّ حتى يكونَ الذئبُ في الغنمِ كالكلب . وامتلاءَ الأرض مِن المُسْلِمين ، وتَرْكَ السَّعْي على الصَّدقات .

وذكَرَ مُدَّةَ هذا الخِصب والرَّخاء ، وانحيازَ المسلمين إلى جبَل ، وإصابتَهم بالمجاعةِ الشديدة ، ومُحاصَرَتهم .

وذكَرَ غَزْوَ الهندِ حينئذ ، وافتتاحَه ، واستغناءَ الناسِ به عما سِواه .

---

(١) هو موضع من أطراف المدينة المنورة .

(٢) أي الأمان والسَّلام . (٣) أي سُمّ كلّ ذاتِ سُمّ .

وبيَّنَ أشهرَ الحوادثِ الواقعةِ في زمانه : من خروجِ الدجَّال بين الشام والعراق ، وكونِه أعورَ العَيْنِ اليُسْرَى ، بَعيْنِهِ اليُمْنَى ظَفَرَةٌ غليظة [١] ، ومكتوبٌ بين عينيه : (كافر) ، يقرؤه كلُّ أحدٍ كاتبٍ وغيرِ كاتب .

وذَكَر عَيْثَهُ [٢] في الأرض ، وطيَّها له كطيِّ الفَرْوَة ، ومُكْثَه في الناس أربعين يوماً ، وكونَ أيامِه على ثلاثةِ أقسام : يومٌ كسَنَةٍ ، ويومٌ كشَهْر ، ويومٌ كجُمُعةٍ ، وسائرُ أيامِهِ كأيَّامِكم .

وأنَّ له حماراً عَرْضُ ما بين ذراعيه أَربعون ذِراعاً ، وأنه إذا أمَرَ السَّماءَ فتُمْطِر ، وأنَّه يأمُرُ الخَرِبةَ [٣] أنْ أَخْرِجِي كُنوزَكِ فتَتْبَعُه كنوزُها ، وأنَّه يأْمُرُ رجلاً مُمْتَلِئاً شباباً ، فيَضْرِبُهُ بالسيف ، فيقطعه جَزْلَتَيْنِ [٤] ،

---

(١) الظَّفَرةُ : لَحْمةٌ تنبت عند موق العين ، وقد تمتدّ إلى سواد العين فتغشّيه .

(٢) أي إفْسادَه .

(٣) أي الأرض الخَرِبة والبِقاعَ الخَرِبةَ .

(٤) بفتح الجيم وكسرها : أي يقطعه الدجَّال قِطعتين .

ثم يدعوه فيُقبِلُ يَتَهلَّلُ وجهُهُ يَضحَكُ ، وأنَّه يكونُ معه سبعون ألفَ يهوديّ .

وأنَّهُ إذا نَظَر إلى عيسى عليه السلام يذوبُ كما يذوبُ المِلحُ في الماء ، فينطلقُ هارباً ، فيُدرِكُهُ المسيحُ عليه السلام بباب (لُدّ) (١) فيَقتُلُه ، فَيهزِمُ اللهُ اليهودَ ، وأنه لا يُواري شيءٌ من الحَجَرِ والشَّجَرِ يهوديّاً ، بل يُنطِقُ اللهُ تعالى ذلك الحَجَرَ أو الشَّجرَ فيقول : يا مُسلِمُ هذا يهوديٌ تعالَ فاقتُله .

ثم ذكَرَ خُروجَ يأجُوجَ ومأجوجَ في زَمَنِه ، وإحرازَ عيسى عليه السلام المسلمين إلى جَبَلِ الطُور ، ثم دُعاءَ عيسى والمسلمين عليهم ، ومَوتَهم بالنَّغَفِ (٢) يُرسَلُ في رِقابهم ، ثم هبوطَ عيسى عليه السلام مِن الجَبَل ، وضِيقَ عيش المسلمين مِن نَتْنِ رِيحِ مَوتاهم ، وإرسالَ اللهِ تعالى طَيراً تحمِلُهم فتُلقِيهم حيث شاءَ الله ، ثم نزولَ البركاتِ في الأرض .

وذكَرَ أنه يأمُر الناسَ باستخلافِ رجلٍ يقال له :

---

(١) بلدةٌ في فلسطين قريبةٌ من بيت المقدس .

(٢) النَّغَف : دُودٌ يكون في أنوفِ الإبلِ والغَنَم .

(المُقْعَد) . ثم بَيَّنَ أنه يموتُ بين أيدي المسلمين [١] ، فيُصلِّي عليه المسلمون ، ويُدْفَنُ في جوارِ قبرِ النبي ﷺ .

ثم ذَكَرَ استخلافَ الناسِ (المُقْعَدَ) ، وأنَّه إذا مات (المُقْعَدُ) يُرفَع القرآنُ من الصُّدورِ بعدَهُ بثلاثِ سنين ، وأنَّ القيامة بَعْده تكونُ كالحاملِ المُتِمِّ [٢] ، لا يَدري أهلُها متى تَفْجأهم بوِلادَتِها .

فهذه مائةُ وَصْفٍ ممَّا بيَّنَهُ النبيُّ الأمينُ ﷺ في هذه الأحاديث . ولقد تركتُ منها عَدداً كثيراً مذكوراً في أحاديثِ هذه الرسالة ، وعَدَداً آخرَ لم تُخرَّجْ أحاديثُهُ في الرسالة ، لعَدَم ذكرِ النزولِ فيه ، مع أنَّه ذُكِرَتْ فيه أوصافُ عيسى عليه السلام المَسيحِ الموعود . وقد صَنَعْتُ لأجل إيضاحِ هذه العلامات جدولاً مع الحوالاتِ إلى مَوْضِعِها في الأحاديث في ترجمةِ هذه الرسالةِ بالهنديَّة [٣] .

---

(١) أي سيدُنا عيسى عليه الصلاة والسلام يموت .

(٢) أي التي أتمَّت أشهرَ حَمْلِها وأوشكت أن تَلِد بين ساعةٍ وأخرى .

(٣) قال عبد الفتاح : رجوتُ مِن سماحةِ شيخِنا العلامة =

فانظُرْ هـل غادَرَ فيه من مُتَرَدَّم (١) ، أو مَزَلَّةَ للقَدَم ؛ أو مَساغاً لتأويلِ مُتأوِّل ، أو مقالاً لمحرِّف الكلِم المتقوِّلِ ؛ أو مَوْضعَ شُبْهةٍ وغُمَّة ، إلاَّ لمن عَمِيَ فجعَل الهاوِيةَ أُمَّه (٢) .

كيف وقد نرَى أنَّ المكاتيبَ والرسالاتِ تصِلُ من المشرقِ إلى المغربِ بثلاث كلماتٍ أو أربعِ كلمات ؛ فانَّها لا يُكتَبُ فيها إلا اسمُ المُرسَلِ إليه ومحلَّتُه وبَلَدُه ، وغايةُ المبالغةِ فيه أن يُكتَبَ اسمُ والدِه وأشهَرُ بلدةٍ تتَّصِلُ به ، ومع هذا لا يَلتَبِسُ العنوانُ على أحَد ، ولا يُمكِنُ لأحدٍ

= محمد شفيع مؤلّف هذه المقدّمة أن يُرسِلَ لي الجَدْوَلَ المشارَ إليه ، مترجَماً إلى العربية ، ليزداد النفعُ بهذا الكتاب النفيس ومقدّمته ، فتفضَّل حفظه الله تعالى ، وأمَرَ نجلَه الأخ الشيخ محمد تقي العثماني ، الشابَّ الألمعي النابغ ، الموهوب المحبوب (نُفَّاحة الباكستان) كما لقّبتُه بذلك يوم رحلتي للباكستان عام ١٣٨٢ ، فترجَمَه إلى العربية ، وأرسَلَه لي مشكوراً صَنيعُه وفَضْلُه ، وسيراه القارئ في آخرِ الكتاب .

(١) أي هل بقي ـ بعد هذا البيان ـ من علاماتِ سيدِنا عيسى وأحوالِهِ شيءٌ لم يُبيِّنه سيدُنا رسول الله ﷺ ؟

(٢) أي جَعَل جَهَنَّمَ مستقرَّه ومأواه بسبب عَمَاهُ عن الحقّ المبين .

أن يأخذَ كتابَ غيرِه . فما بالُ هـذا الكتاب الذي فُصِّلَ في عنوانِه هذا التفصيل ، وأُوضِحَ في بيانِه هذا الإيضاح ، فكيف يَضِلُّ صاحِبُه وتَلْتَبِسُ مَعْرِفَتُه ؟ !

ثم إنَّا نَرَى أنَّ كُتُبَ الملوكِ — بعضِهم إلى بعض — وسائرِ الناسِ فيما بينهم ، تُذْكَرُ فيها الحوادثُ المُلِمَّة والأحكامُ المُهِمَّة ، ثم لا يُبيَّنُ فيها عُشرُ عَشِيرٍ (١) مما بيَّنه ﷺ ، ومع ذلك لا يَلْتَبِسُ عليهم الأمر ، ولا يَشْتَبِهُ شيءٌ من المراد ، بل تَنْفَصِلُ عليها القضايا ، وتُعْطَى بها العطايا ، وتُنَفَّذُ بها الحُدودُ والقِصاص ، وتَجْرِي عليها الأنكحةُ وسائرُ معاملاتِ الناس .

فو اللهِ لا أدري كيف تعامَوْا عن هذا الصُّبْحِ المُنِير ، فكذَّبوا سائرَ أخبارِ البشيرِ النذيرِ ﷺ ؟ أفَعَمِيَتْ أبصارُهم أم هم لا يعقلون ؟ وما ظَلَمُوه ولكن كانوا أنفسَهم يَظلمون . فبُعْداً لهذا الحُوَّلِ (٢) الذي جاء يُكَذِّبُ هـذه النصوص ،

---

(١) العَشِير هو العُشْر أيضاً .

(٢) أي المتحوِّل المُتَقلِّب ، وهو القادياني الضالّ .

ويؤوِّلُ الكلامَ بما لا يَرضَى به قائلُه ولا تَسَعُه عبارتُه ، ويُحرِّفُ الكلِمَ عن مَواضِعه ، فحَمَلَ سائرَ هذه النصوصِ على المجازِ والاستعاراتِ إلاَّ المَنَارةَ البيضاء ، فانَّه كان يتيسَّرُ بناؤُها بالمال فبناها ! وانتَحَلَ بهذه الواحدةِ مَنصِبَ المسيحيَّة وادَّعَاها ، وأَمِنَ بجهلِه عُقبَاها !

فياحَسْرةً على العبادِ كيف آمَنُوا بتحريفاتِه بعْدَ هذا البيانِ المُفْلِق الذي جاء مِثْلَ فَلَقِ الصُّبحِ وضَوْءِ النهار ؟! وصدَّقُوه في أنَّ الذي يَنزِلُ : هو غيرُ المسيح عيسى ابنِ مريم النبيِّ الإسرائيليِّ ، وأنَّ المرادَ بعيسى ابنِ مريم عليه السلام هو هذا الميرزا غلامُ أحمد — عليه ما عليه — هل هذا إلا التكذيبُ الصريحُ لأصدقِ الناسِ لهجةً : النبيِّ الأمين ﷺ ، وهل هذا إلا التلاعُبُ بالدِّينِ ونصوصِه ، فويلٌ لهم مما كَسَبَتْ أيديهم ! وويلٌ لهم مما يَمْكُرُون !

ولو ساغَ حَمْلُ مثلِ هذه النصوصِ البيِّنةِ على المجازِ والاستعارات ، ووَسِعَتْ هذه البيِّناتُ تحريفاتِهم التي اخترعوها: لظَهَر الفسادُ في البر والبحر ، ولهُدِّمَتْ صَوامِعُ وصَلَواتٌ ومَسَاجد ، ولمَا سَلِمَ شيءٌ من معاملاتِ الناسِ وأقوالِهم ،

بل لارتفعَتْ الأَمَنَةُ (١) عن كلِّ قولٍ وفعل ، ولَتقوَّلَ من شاء : ماشاء ، ولم يكن إلى رَدِّهِ سبيل ! فانَّ الذي حُكِمَ عليه بالقِصاصِ لو ادَّعَى حينئذ أنَّهُ ليس هو المحكومَ عليه بالقِصَاص ، بل رجلٌ آخَرُ مثلُه - وقد سَمَّاه اللهُ تعالى في السَّماء باسْمِهِ ، فما الذي تُكذِّبُ به دعواه ؟

ولو ادَّعى فاسقٌ أنَّهُ زوجُ فلانة وأنه سمَّاهُ اللهُ تبارَكَ وتعالى في السماء بالاسمِ الذي يُدْعَى به زَوْجُها — كما زَعَمَ هذا الشَّقيُّ في حقِّ المسيح عليه السلام — فهل تُزَفُّ المرأةُ إليه بهذه الأُكذوبة ؟ أم يُعَدُّ صاحِبُها مجنوناً ، فيُحْبَسَ مَسْجُوناً ؟ !

ولكنْ ما الذي تَنْكَشِفُ به عَمَايتُهُ بعد خُروجِ السَّبِيلِ إلى قبولِ هذا التأويل ؟ وكانْ أبَتْ الزوجةُ عن كونِها هي منكوحةَ الرَّجُل ، وادَّعتْ أنها غيرُها ، أوجاءَك رجلٌ يُنازِعُك في دارِك ويقولُ : إنَّهُ هو صاحبُ هذه الدار ، فقل لي : كيف تَرُدُّهُ عن ذاك إذا نَفِدتْ هذه التأويلات

---

(١) أي الأمانُ .

في بَيِّناتِ نُزُولِ المسيح عليه السلام ؟ !.

فانَّ غاية ما يُبَيَّنُ للتعيين في الأنكحةِ والبيوعِ وسائرِ المعاملاتِ هو اسمُ المرءِ واسمُ أبيه أو شيءٌ قليلٌ من أوصافه مما يتعارَفُه الناس ، وهو لا يُساوي عُشْرَ عَشيرٍ ممَّا قد بَيَّنَهُ ﷺ مِن سيرةِ المَسيح وتَشْخيصه وتعيينِ أحواله . فانْ كانَتْ هذه التأويلاتُ في هذه المعاملاتِ تُعَدُّ سَفَهاً وجُنوناً عند سائرِ الناس ، ولا يَلْتَفِتُ إليها أحدٌ منهم ، فو اللهِ تأويلُ الميرزائيةِ في نُزُولِ المَسيحِ وجَعْلِهِ غيرَ المسيح عيسى ابنِ مريم — بَعْدَ هذا البيانِ البَيِّن — أحْرَى أن يُعَدَّ جُنوناً ، وأوْلى أنْ لا يَسْمعَهُ مُسْلِمٌ ولا عاقل .

والحاصِلُ : أنَّه لا مَحيدَ لمن آمنَ بنبوَّةِ مُحمَّد ﷺ مِنْ أنْ يُؤْمِنَ بنزولِ عيسى ابنِ مريم النبيِّ الإسرائيليِّ عليه السلام بعينِهِ في آخرِ الزمان ، مِن غيرِ تأويلٍ ولاتأمُّل . ومَنْ أبى فقد أبى ! [١]

---

(١) أي من أبَى الإيمانَ بنزولِ سيدنا عيسى فقد أَبى الايمانَ بنبوَّةِ سيدنا محمد ﷺ ! ونعوذ بالله من ذلك .

فـــائدة

سترى — إن شاء الله تعالى — في أحاديثِ هذه الرسالةِ أنَّ نبيَّنا الأُمّيَّ — فِداهُ أبي وأُمّي ، وصلواتُ الله عليه وسلامُه — كيف اعتنَى ببيانِ هذه المسألة ، حيث صَدَعَ بها مِراراً ، وأعْلَنَ بها وأسَرَّها إسراراً ، وأنَّه كيفَ بيَّنَها بتعبيراتٍ شتَّى وعُنْوَانات مُتَفَنِّنَة ، وبكلِّ عبارةٍ أمكن تعبيرُها بها ، كيلا يلتبِسَ الأمرُ على الأُمَّة ، ولا يُوَسْوِسَ وَسْوَاسُ الأوهامِ في صُدُورِهم ، ولا يَدْخُلَ الخَلَلُ في أُمورِهم .

فستَرَى — إن شاء الله تعالى — في هـذه الرسالة أنَّه صلى الله عليه وسلم ذَكَرَ هذه المسألةَ تارةً :

بلفظ النزول : حيث قال : « لَيُوشِكَنَّ أنْ يَنْزِلَ فيكم ابنُ مريم » . « وكيف أنتم إذا نَزَلَ فيكم ابنُ مريم ؟ » . الحديث : ١ و ٢ بروايةِ البخاري ومسلم ، إلى غيرِ ذلك مِن صِيَغِ النزولِ في غيرِ واحدٍ من الأحاديث .

وتارةً عبَّرَ عنها بلفظ البَعْث : حيث قال : « إذْ بَعثَ اللهُ المسيحَ ابنَ مريم » الحديث : ٥ ، « ويَبْعَثُ اللهُ عيسى ابنَ مريم » الحديث : ٦ .

وأخرى ذكَرَها بلفظ الرجوع : حيث قال : « وهو راجِعٌ إليكم قَبْلَ يومِ القيامة » . الحديث : ٦١ .

وطَوْراً بَيَّنَها بلفظ الخروج : حيث قال : « إنَّ المسيحَ ابنَ مريم خارِجٌ قَبْلَ يَوْمِ القيامة » الحديث : ٥١ .

وأوْضَحَها مرَّةً بالإخبارِ عن اتيان الفَنَاءِ عليه بعده عليه السلام ، بصيغةِ الاستقبال ، فقال : « إنَّ عيسى يأتي عليه الفَنَاء » الحديث : ٥٧ . وصرَّحَ بها أُخرى بأنه يموتُ بعده عليه السلام ويُدْفَنُ معه ، حيثُ ذُكِرَ في الحديث : ٥٩ : « يُدْفَنُ عيسى مَعَ رسول الله ﷺ وصاحِبَيْهِ فيكون قبرُهُ رابعاً »[1] ، وكما في حديث عائشة الحديث : ٥٠ « وأنَّى

---

(١) هو من كلام الصحابي الجليل سيدنا عبد الله بن سَلاَم رضي الله عنه ، ولكن له حكمُ الكلام المرفوعِ المسنَدِ إلى رسولِ الله ﷺ ، لأنه لا يُعلمُ مِن قِبَلِ الرأي .

لي بذلِكِ الموضِعِ ، ما فيه إلاّ مَوْضِعُ قبري وقبرِ أبي بكرٍ وعُمَر وعيسى ابنِ مريم » [١] .

فذَهَبَ جُفَاءً [٢] ما تَفَوَّه به الشَّقِيُّ أنَّه لو كان المرادُ هو عيسى ابنَ مريم النبيَّ الإسرائيليَّ لكان إطلاقُ لفظِ (الرُّجُوعِ) أَوْلى بالمقام ، لا لَفْظِ (النُّزُولِ) وغيرِه ، فانَّك شاهَدْتَ في الكلماتِ النبويَّةِ : النصَّ بلفظِ (الرُّجُوع) أيضاً . بَيْدَ أنَّه ﷺ لم يَقْصُر كلامَهُ على عبارةٍ واحدةٍ وعنوانٍ مُتَّحِد ، بل تَفَنَّنَ في عبارتِه كما هو مقتضَى البلاغة .

نعَمْ قد كَثُرَ إطلاقُ لفظِ (النُّزُول) بخلاف (الرُّجُوع) و (الحَيَاة) وغيرِه ، وذلك لأنَّ الخِطَابَ بهذا الباب لثلاثةِ أصنافٍ من الناس : اليهودِ ، والنَّصارى ، والمسلمين . فبأَبِي وأُمِّي هذا المِصْقَعُ [٣] الأُمِّيُّ ﷺ ،

---

(١) يعني أنَّ الرسولَ ﷺ قال لعائشة حين رغبَتْ أن تُدفَنَ بجوارِهِ الشريف : لا أملِكُ ذلكِ ياعائشة ، فما في مَدْفَنِي إلا موضعُ قبرِ أبي بكر وعُمَر وعيسى ابنِ مريم .

(٢) أي مَرْمِيّاً مطروحاً . (٣) أي البليغ .

حيث راعَى في الخطابِ مَعَ كلِّ طائفةٍ ما يناسِبُ حالَها :

فأتى في خطابِ اليهودِ بلفظِ الحياةِ ونفيِ الموت ، وقال لهم : « إنَّ عيسى لم يَمُتْ وهو راجعٌ إليكم قبلَ يومِ القيامة » الحديث : ٦١ ، وذلك لأنَّ اليهودَ اعتقَدُوا بوفاتِه، فأوضَحَ ضلالَهم عن الصواب.

وأوردَ في خطابِ النصارى بلفظِ : « يأتي عليه الفَناءُ » ، وذلك لأنهم كانوا يعتقدون حياةَ عيسى عليه السلام — مثْلَ المسلمين — إلا أنَّهم ضلُّوا في نفي الموت عنه إلى الأبَد ، وفي جَعْلِهِ قديماً ، لاعتقادِهِم فيه الألوهيَّة ، فردَّ ذلك ﷺ بقوله : « يأتي عليه الفَناءُ » أي إنَّه وإن كان حيّاً إلى الآن فانه لا ينجو من الموتِ في الآخِرِ .

وذكرَ في خطابِ المسلمين لفظَ « النزول » كثيراً ، فانه لم يكن يَهمُّهُم من أمْرِ عيسى عليه السلام إلاَّ هذا . وأمَّا حديثُ الحياةِ والموتِ فمَّا لا يحتاجون إليه في أمْرِ دِينِهم ، فلذا أكثَرَ لفظَ النزول في خطابِ المسلمين .

وبالجملة : فلا مَسَاغَ فيه لما تَفَوَّهَ به الشقيُّ ، فانه ﷺ

لم يَدَعْ لوَسْوَاسِهِ مَدْخَلاً حيث صرَّحَ فيه بلفظِ الرجوعِ والحياةِ أيضاً .

فائدة جليلة

ولعلَّك علمتَ مما أسلفنا إليك أنَّ الله تعالى لم يُقدِّر بَعْثَةَ نبيٍّ جديدٍ في هذه الأُمَّة ، بل ختَمَ كلَّ مايُسمَّى بالنُّبوَّة بسيِّدِ الرُّسُلِ وخاتمِ الأنبياء محمدٍ ﷺ . وذلك لأنه لو كان مُقَدَّراً لَبَيَّنَهُ التنزيلُ العزيزُ والنبيُّ الأمينُ ﷺ بأبلغ بَيَانٍ وأوضحِ تِبيانٍ مِمَّا بيَّنَهُ في سِيرة المسيح ، فانَّ عيسى عليه السلام كان معروفاً عند الناسِ في الإسلامِ وقبلَه ، بخلاف المتنبِّي الجديدِ ! [1] فانه غيرُ معروف ، فكان الاحتياجُ إلى ذكرِ اسْمِهِ واسمِ والدَيْهِ ومَوْلِدِه ووقتِ ولادتهِ وعُمرِهِ وحِلْيَتِهِ وسَحْنَتِه [2] ولَوْنِهِ وأفعالهِ وأخلاقهِ وأحوالِ الناسِ في زمنِه ووقتِ وفاتهِ ومَدْفَنِهِ وغيرِ ذلك : أشدَّ مِن ذكرِ سِيرة المسيح عليه السلام .

---

(١) أي القادياني الضالّ زاعمِ النبوّة لنفسه !

(٢) أي هيئته .

فلمَّا لم يُذْكَرْ شيءٌ منها ولم يُومأ إليها ، بل نُصَّ على خلافِها وانقطاعِ النُّبوَّةِ والرسالةِ وكُفْرِ مُدَّعِيها في الآياتِ القرآنيّةِ والأحاديثِ المتواتِرة ، مَعَ إحاطتِها بجميعِ ما تَحتَاجُ إليه الأُمَّةُ إلى يوم القيامة ، وكَفالَتِها بفلاحِ الأُمَم كلّها إلى يومِ النُّشُور : علِمْنا بيقينٍ أنه لا يكونُ بعده ﷺ نبيٌّ جديدٌ أصلاً .

واعلموا أنَّ هـذه الأحاديثَ المتواتِرةَ كلَّها في الحقيقةِ تفسيرٌ لقوله تبارك وتعالى : ﴿ وإنْ مِنْ أهلِ الكتابِ إلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ به قَبْلَ مَوْتِهِ ويومَ القيامـةِ يكونُ عليهم شـهيداً ﴾ [1] . كما صَرَّح به المفسّرون قاطبـةً بتصريحِهم وإخراجِهم هذه الأحاديثَ تحت هذه الآية ، ولِتنصيصِ ألفاظِ الروايات على ذلك ، ولا سيَّما حديثُ أبي هريرة — مرفوعاً وموقوفاً — فقد قال فيه بعد ذِكرِ نُزُولِ عيسى ابنِ مريم عليه السلام مُتأكِّداً بالقَسَم : واقرءوا إنْ شئتم : ﴿ وإنْ

---

(١) من سورة النساء : ١٥٩ . ومعنى الآية : ما من أهـل الكتاب أحدٌ من الموجودين منهم عند نزول عيسى إلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ به عند نزوله بأنه عبدُ الله ورسولُه ، قبل موته عليه السلام .

مِن أهلِ الكتابِ إلاّ لَيُؤْمِنَنّ به قبلَ مَوْتِه ﴾ استشهاداً على النزول .

فحينئذ : ثبَتَ المُدَّعَى بنَصِّ القرآنِ وتفسيرِه من الأحاديثِ المتواترة . ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليَكفُرْ ﴾ [1] . والآنَ نُنادِي بعَوْنِ الله القويِّ العزيز بأعلى نداء : إنَّ الخَصْمَ الشَّقِيَّ إن ادَّعَى خِلافَ هذا فليأتِ بشيءٍ من الآياتِ القرآنيَّة مع تفسيرِها بمثلِ هذه الأحاديث لا برأيِه السَّخيف والتصحيفِ والتحريف ! ولن يأتوا منه نَقِيراً ولا قِطْمِيراً [2] ﴿ ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظهيراً ﴾ [3] .

محمد شفيع
عفا الله عنه

---

(١) من سورة الكهف : ٢٩ .

(٢) النقير : ما كان في ظهر النواة ، ومنه تَنْبُتُ النَّخْلَة . والقِطْمير : القِشْرَةُ الرقيقةُ البيضاء الملتفَّة على النواة . وكِلا هذين اللفظين يُضرَبُ مثلاً للشيء الدنيِّ الطفيف .

(٣) من سورة الإسراء : ٨٨ .



قَالَ تَعَالَى :

وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا

التصريح بما تواتر في نزول المسيح

لإمام العصر المحدث الكبير الشيخ محمد أنور شاه الكشميري الهندي

ولد ١٢٩٢ وتوفي ١٣٥٢ هـ

رحمه الله تعالى

رَتَّبَهُ تلميذُهُ العلامة المحقق البارع الشيخ محمد شفيع

مفتي باكستان حفظه الله تعالى

حققه وراجع نصوصه وعلق عليه

عبد الفتاح أبو غدة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث : ١ عن سعيد بن المسيَّب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نَفْسِي بيدِه ، ليُوشِكَنَّ[1] أنْ يَنْزِلَ فيكم ابنُ مريم حَكَماً عَدْلاً[2] ،

---

(١) أي ليَقْرُبَنَّ . وتوكيد الفعل بالنون يؤكِّدُ حَتْمِيَّةَ نزوله عليه السلام .

(٢) أي حاكماً عادلاً . قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٦ : ٣٥٦ « والمعنى أنه عليه السلام يَنزِلُ حاكماً بهذه الشريعة ، فانَّ هذه الشريعة باقية لا تنسخ ، بل يكون عيسى عليه السلام حاكماً من حُكَّام هذه الأُمَّة . وعند الإمام أحمد من حديث عائشة : « ويَمْكُثُ عيسى في الأرض أربعين سنة » . وللطبراني من حديث عبد الله بن مُغفَّل : « يَنزِلُ عيسى ابنُ مريم مُصَدِّقاً بمحمَّدٍ على مِلَّتِه » . انتهى .

وقال العلاَّمة القرطبيُّ المفسِّرُ في كتابه : « التذكرة » : ذهَبَ قومٌ إلى أنَّ بنزولِ عيسى عليه السلام تَرتفعُ التكاليف ، لئلا يكونَ رسولاً إلى أهلِ ذلك الزمان يأمُرُهم عن الله ويَنهاهم .

وهذا مَردودٌ لِقولِهِ تعالى : ﴿ وخاتَمَ النَّبِيِّين ﴾ ، وقولهِ ﷺ : « لانَبِيَّ بَعْدِي » ، وغيرِ ذلك من الأخبار . وإذا كان ذلكَ فلا يجوز أن يُتَوهَّمَ أنَّ عيسى عليه السلام يَنزِلُ نبياً بشريعةٍ =

فيَكْسِرُ[1] الصَّلِيبَ[2] ، ويَقْتُلُ الخِنزيرَ[3] ، ويَضَعُ الحَرْبَ[4] ، ويَفِيضُ المالُ[5] ، حتى لا يَقْبَلَهُ أحد ، حتى

= متجدِّدة غيرِ شريعةِ محمَّدٍ نبيِّنا ﷺ ، بل إذا نَزَلَ عيسى عليه السلام فانه يكون يومئذ من أتباع محمد ﷺ ، كما أخبرَ ﷺ حيث قال لعُمَر : « لو كان مُوسَى حَيّاً ما وَسِعَهُ إلا اتِّباعي » .

فعيسى عليه السلام إنما يَنزِلُ مُقَرِّراً لهذه الشريعة ، ومُجَدِّداً لها ، إذ هي آخِرُ الشرائع ، ومُحمَّدٌ ﷺ آخِرُ الرسل » . نقله العلامة شرف الحق العظيم آبادي في « عون المعبود على سنن أبي داود » ٤ : ٢٠٢ .

(١) يجوز في هذا الفعل وفي الأفعال المعطوفة عليه الرفعُ والنصب، كما في « المرقاة شرح المشكاة » لعلي القاري ٥ : ٢٢١ .

(٢) قال الحافظ ابن حجر : أي يُبطِلُ دينَ النصرانية ، بأن يَكسِرَ الصليبَ حقيقةً ، ويُبطِلَ ما تزعمه النصارى من تعظيمه .

(٣) قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٤ : ٣٤٣ « أي يأمُرُ بإعدامِ الخِنزير ، مبالغةً في تحريمِ أكلِه . وفيه توبيخٌ عظيمٌ للنصارى الذين يَدَّعون أنهم على طريقةِ عيسى عليه السلام ، ثم يَستحلُّون أكلَ الخنزير ، ويُبالغون في محبَّته » .

(٤) أي لشيوعِ الإسلامِ وانقراضِ الكفر . وفي روايةٍ : « ويَضَعُ الجِزْيَة » ، أي عن أهلِ الكتاب ، ويَحمِلُهم على الإسلام ، ولا يَقْبَلُ منهم غيرَ الإسلامِ أو القتلِ ، فيَصير الدينُ واحداً ، فلا يَبْقَى أحدٌ من أهل الذِّمَّة لِيُؤدِّيَ الجزية . قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٦ : ٣٥٦ « ويُؤيِّدُه أن عند الإمام أحمد من وجه آخر عن أبي هريرة « وتكونُ الدَّعْوَى - أي المِلَّةُ - واحدة » .

(٥) بفتح الياء لاغير ، والمالُ بالرفع فاعل ، كما هي الرواية . =

تكونَ السَّجْدةُ الواحدةُ خيراً من الدُّنيا وما فيها »[١] . ثم يقولُ أبو هريرة : واقرءوا إن شئتم : « وإنْ مِنْ أهلِ الكتاب إلاَّ ليُؤْمِنَنَّ به قبْلَ موتِهِ ، ويومَ القيامةِ يكونُ عليهم شهيداً»[٢] . رواه البخاريُّ ومسلمٌ .

= أي يكثُر المالُ جداً . وسببُ كثرتِه : نزولُ البركات ، وتوالي الخيرات بسبب العدلِ وعدمِ الظلم ، وحينئذ تُخرِجُ الأرضُ كنوزَها ، وتَقِلُّ الرغباتُ في اقتناء المال لعلمِ الناسِ بقُرْبِ الساعة .

(١) وذلك أنهم حينئذ لا يَتقرَّبُون إلى الله إلاَّ بالعبادة ، لا بالتصدُّقِ بالمال لعدم الانتفاع به إذ لا أحَدَ يَقْبَلُه . قال العلاَّمة فضلُ الله التُّوْرِبِشْتِيّ رحمه الله تعالى : لم تَزل السجدةُ الواحدةُ في الحقيقة كذلك ، أي خيراً من الدنيا وما فيها ، وإنما أراد بذلك أنَّ الناس يرغبون في أمرِ الله ، ويزهدون في الدنيا ، حتى تكون السجدةُ الواحدة أحَبَّ إليهم من الدنيا وما فيها .

(٢) من سورة النساء : ١٥٩ . وكلمةُ (إنْ) في الآية نافيةٌ بمعنى (ما) . ومعنى الآية كما سبَق تعليقاً في ص ٨٦ : ما مِن أهلِ الكتابِ أحدٌ من الموجودين منهم عند نزولِ عيسى إلاَّ ليُؤْمِنَنَّ به بأنه عبدُ الله ورسولُه ، قبلَ موتِه عليه السلام .

قال الحافظ ابن حجر : « قال ابنُ الجَوْزي : إنما تلا أبو هريرة هذه الآية للإشارة إلى مُناسبَتِها لقوله ﷺ : « حتى تكونَ السجدةُ الواحدةُ خيراً من الدنيا وما فيها » ، فانه يشير بذلك إلى صلاحِ الناس ، وشِدَّةِ إيمانِهم ، وإقبالِهم على الخير ، فهم لذلك يُؤْثِرون الركعةَ الواحدةَ على جميعِ الدنيا . والسَّجدةُ تُطلَقُ ويُرادُ بها الركعة » . انتهى . =

وفي لفظ لمسلم من رواية عطاء : « ولَتَذْهَبَنَّ الشَّحْناءُ والتباغُضُ والتحاسُدُ »[(١)] .

= قال العلماء : والحكمةُ في نزولِ عيسى دون غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من وجوه :

الأول : الردُّ على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه ، فبيَّن الله تعالى كذبَهم ، وأنه هو الذي يقتلهم .

الثاني : نزولُه عليه السلام لدنوِّ أجلِه ، ليُدفَن في الأرض ، إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غير التراب .

الثالث : أنه عليه السلام دعا اللهَ تعالى لمَّا رأى صفةَ محمَّدٍ ﷺ وأمَّتَه : أن يجعلَه منهم ، فاستجاب اللهُ دعاءَه ، وأبقاه حتى ينزلَ في آخرِ الزمان ، ويُجدِّدَ أمرَ الإسلام ، فيُوافِقُ نزولُه خروجَ الدجّال فيَقتُلُه عليه السلام .

الرابع : تكذيبُه النصارى وإظهارُ زيفِهم في دعواهم الأباطيل ، وقتلُه عليه السلام لهم .

الخامس : أنَّ خصوصيته بالأمور المذكورة إنما كانت لقول النبي ﷺ : « أنا أولى الناس بعيسى ابنِ مريم ، ليس بيني وبينه نَبِيٌّ » . ورسولُ الله أخصُّ الناس به وأقربُهم إليه ، لأن عيسى عليه السلام بشَّرَ بأن رسول الله ﷺ يأتي مِن بعده ، ودَعَا الخلقَ إلى تصديقه والاتّباع له .

(١) إنما تزول هذه الأمراضُ من القلوبِ والنفوسِ لزوالِ حبِّ الدنيا الذي هو سبَبُ العداوات .

ورواه أبو داود وابنُ ماجه وأحمدُ في « مسنده » بإسنادٍ صحيح (١) كما قاله الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ، وفي روايةِ أبي داود وأحمد — واللفظُ لأحمد — : « الأنبياء إخْوَةٌ لِعَلاَّتٍ ، أُمَّهاتُهم شَتَّى ودِينُهم واحد (٢) ، وأنا أَولى الناسِ بعيسى ابنِ مريم ، لأنه لم يكن بيني وبينه نَبِيٌّ ، وإنه نازِلٌ ، فإذا رأيتُموه فاعرِفُوه : رَجُلاً مَرْبُوعاً ، إلى الحُمرةِ والبَيَاض (٣) ، عليه ثَوْبَانِ مُمَصَّرانِ (٤) ، كأنَّ رأسَه يَقْطُر وإن لم يُصِبْهُ بَلَل (٥) ، فيَدُقُّ الصَّليبَ (٦) ، ويَقتُلُ الخِنزيرَ ، ويَضَعُ

---

(١) من لفظ بإسنادٍ صحيح حتى آخر هذا الحديث زيادة مني على الأصل ، وإنما زدته لما فيه من استكمال أوصاف سيدنا عيسى في مستهلّ الكتاب .

(٢) العلاّت : الضَّرائر . والإخْوَةُ لعلاّت : الإخوةُ من أبٍ واحد ، وأمَّهاتُهم متعدّدة . أي الأنبياء كالإخوةِ الذين أُمَّهاتُهم متعدّدة وأبوهم واحد . ومعنى الحديث : أن أصلَ دِينِهم واحدٌ وهو التوحيد ، وإن اختلفت فروعُ الشرائع . فشَبَّهَ ﷺ ما هو المقصودُ من بعثةِ جملةِ الأنبياءِ من التوحيدِ وغيرِه من أصول الدين بالأب . وشَبَّهَ فروعَ الدِّين المختلفةَ بالأُمَّهات ، فهم بُعِثُوا مُتَّفِقِين في أصول الدين وإن اختَلَفوا في فروع الشريعة والأحكام .

(٣) أي هو مُعتدِلُ القامة وهو إلى الطُّولِ أقرب . ولَوْنُهُ أقرَبُ إلى الحُمْرة والبَيَاض . (٤) أي فيهما صُفْرَةٌ خفيفة .

(٥) هذا كناية عن النظافة والنضارة ، وسيأتي لهذه الجملة مزيد شرح في الحديث : ٥ ، فانظره . (٦) أي يكسره .

الجِزْيَةَ ، ويَدْعُو الناسَ إلى الإسلام ، فيُهلِكُ اللهُ في زمانِهِ المِلَلَ كلَّها إلاّ الإسلامَ ، ويُهلِكُ اللهُ في زمانِهِ المَسيحَ الدجّال ، وتَقَعُ الأَمَنَةُ (١) على الأرض ، حتى تَرْتَعَ (٢) الأُسُودُ مع الإِبِل ، والنِّمارُ مع البَقَر ، والذِّئابُ مع الغَنَم ، ويَلعَبَ الصِّبْيَانُ بالحيّاتِ لا تَضُرُّهم ، فيَمْكُثُ في الأرض أربعين سَنَةً ، ثم يُتَوفّى ويُصلّي عليه المسلمون ويَدْفِنُونَه » (٣) .

ورواه أحمد بطريقٍ آخَرَ ولفظُه : « يُوشِكُ مَنْ عاش منكم أن يَلْقَى عيسى ابنَ مريم » .

وعزاه السيوطيُّ في « الدُّرِّ المنثور » إلى ابنِ أبي شيبة

---

(١) أي الأمانُ والسَّلام . (٢) أي تلعب وتأتلف .

(٣) واختُلِفَ في عمره عليه السلام حين رُفِعَ ، والصحيحُ أنه رُفِعَ وله ثلاثٌ وثلاثون سنة كما قاله الحافظُ ابن كثير في « تفسيره » ١ : ٥٨٣ ، وقالَ : « وأمّا ما حكاه ابنُ عساكر عن بعضهم أنه رُفِعَ وله مائةٌ وخمسون سنةً فشاذٌّ غريبٌ بعيد » . انتهى .

ومثلُه في الغرابةِ والضعفِ ما يُحكى أنه عليه السلام عاش مائة وعشرين سنة ، كما نبه عليه شيخنا العلامة عبد الله ابن الصديق في تعليقه على « المقاصد الحسنة » للسخاوي ص ٣٦٣ .

وعَبْدِ بن حُميد ، وابنِ مَرْدُوْيَهْ ، وفي لفظِهِ : « وتكونُ السَّجْدَةُ واحِدَةً لله ربِّ العالمين » واقرءوا إن شئتم : ﴿ وإنْ مِن أهلِ الكتاب إلاَّ ليؤمِنَنَّ به قبْلَ موْتِه ﴾ موتِ عيسى ابنِ مريم ، ثم يُعيدُها أبو هريرة ثلاثَ مرَّات [١] .

الحديث : ٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « كيف أنتم إذا نَزَلَ ابنُ مَرْيمَ فيكم وإمامُكم منكم ؟ » [٢] . رواه البخاريّ ومسلم . وفي لفظةٍ لمسلم :

---

(١) مواضع الحديث : البخاري ٤ : ٣٤٣ و ٦ : ٣٥٦ ، ومسلم ٢ : ١٨٩ و ١٩٢ ، أبو داود ٤ : ١١٧ ، ابن ماجه ٢ : ١٣٦٣ ، أحمد ٢ : ٤٠٦ و ٤١١ و ٤٩٤ ، « الدر المنثور » ٢ : ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٢) قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٦ : ٣٥٨ : « وعند أحمد مِن حديث جابر في قصة الدجَّالِ ونزولِ عيسى : « وإذا هُمْ بعيسَى ، فيُقالُ : تَقَدَّمْ يا رُوحَ الله ، فيقولُ : لِيتقدَّمْ إمامُكم فليُصَلِّ بكم » . ولابنِ ماجه في حديث أبي أمامة - وهو الحديث : ١٣ الآتي - : « وكلُّهم - أي المسلمون - ببيتِ المقدس ، وإمامُهم رجلٌ صالحٌ ، قد تَقدَّمَ ليصلِّيَ بهم ، إذ نَزَلَ عيسى ، فرَجَعَ الإمامُ يَنْكُصُ ليَتَقدَّمَ عيسى ، فيَقِفُ عيسى بين كتفيه ثم يقول : تَقَدَّمْ فانها لك أُقيمَتْ » . وعند مسلم من حديث جابر : « فيقال له : صَلِّ لنا ، فيقول : لا ، إنَّ بعضَكم على بعضٍ أمراءُ تَكْرِمةَ لهذه الأمَّة » . =

« فأمَّكُم » ، وفي لفظةٍ أُخرى : « فأمَّكم مِنكم » [1] .

وأخرجه أحمدُ في « مسنده » ولفظُهُ : « كيف بكم إذا نَزَل... ؟ » . وذكرَهُ البيهقيُّ في كتاب « الأسماء والصفات » ، وعزَاه للبخاريّ ومسلم ، ولفظهُ : « إذا نَزَل ابنُ مَرْيَمَ من السَّمَاء

= قال الحافظ ابن حجر بعد هذه الأحاديث : « وفي صلاة عيسى خَلْفَ رجلٍ من هذه الأُمَّة مع كونهِ في آخرِ الزمان وقُرْبِ قيام الساعة : دلالةٌ للصحيح من الأقوال أنَّ الأرضَ لا تخلو عن قائمٍ لله بحُجَّة ، والله أعلم » . انتهى . وقيل في معنى (وإمامُكم منكم) : وهو مِنكم أي عيسى ، فوُضِعَ الاسمُ المُظهَر موضعَ الاسمِ المضمرِ تعظيماً له وتربيةً للمهابة في النفوس .

(١) حَكَى مسلمٌ في « صحيحه » ٢ : ١٩٣ عَقِبَ هذه الرواية أن الوليد بن مسلم قال لشيخه في هذا السند ابنِ أبي ذئب : « إنَّ الأوزاعيَّ حدَّثَنا عن الزُّهري عن نافع عن أبي هريرة : وإمامُكم منكم ؟ قال ابنُ أبي ذئب : تَدْري ما (أَمَّكم منكم) ؟ قلتُ : تُخبِرُني ، قال : فأمَّكم بكتابِ ربِّكم تبارك وتعالى ، وسُنَّةِ نبيِّكم ﷺ » . انتهى . وقد رجَّحَ المؤلِّفُ الإمام الكشميري رحمه الله تعالى في كتابه « فيض الباري على صحيح البخاري » ٤ : ٤٤ - ٤٧ روايةَ البخاري : « وإمامُكم منكم » على هذه الرواية ، وبيَّنَ أنَّ هذه الروايةَ من تصرُّفِ بعض الرواة وأوهامِهم . واستوفَى تعزيزَ هذا الرأي وتأييدَه تلميذُه شيخُنا العلامة المحقق الشيخ محمد بَدْر عالَم حفظه الله تعالى بما علَّقَه على كلام الشيخ في الموطن المذكور ، فراجعه فانه من نفيس العلم وغاليه .

فيكم ، وإمامُكم مِنكم »[1] .

تنبيه

ومن غايةِ الجهالةِ بصنيع المحدِّثين مافعلَهُ جهلةُ الميرزائية الذين لا يَهتدون إلى الحقّ سبيلا ، من التلبيس على عوامّ المسلمين في رواية البيهقي لمَّا لم يجدوا كلمةَ : (من السَّمَاءِ) في «الصحيحين». فانّ مَنْ له أدنى معرفةٍ بالحديثِ وكُتُبِهِ يَعْلَمُ أنَّ المحدِّثين قاطبةً ـ ولا سيَّما البيهقي ـ ربما يعزو روايةً لبعضِ المحدِّثين إذا أخرجها بأكثرِ ألفاظِها ، ولا يَشْتَرِطُ استيعابَ ألفاظِ الرواية ، فاذا قال المحدِّثُ : (رَوَاه البخاريُّ) كان مُرادُهُ أنَّ أصلَ الحديثِ أخرجه البخاري .

الحديث : ٣ عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي يُقاتِلون على الحقّ ظاهرين إلى يومِ القيامة ـ قال ـ فينزِلُ عيسى ابنُ مريم عليه السلام فيقولُ أميرُهم: تَعالَ فصلِّ فيقول :

---

(١) مواضع الحديث : البخاري ٦ : ٣٥٨ ، مسلم ٢ : ١٩٣ ، أحمد ٢ : ٣٣٦ ، البيهقي ص ٤٢٤ .

لا ، إنَّ بعضكم على بعضٍ أُمراء ، تَكرِمَةَ اللهِ هذه الأُمَّةَ .

رواه مسلم وأحمد في « مسنده » (١) .

الحديث : ٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نَفْسِي بيده : لَيُهِلَّنَّ ابنُ مَرْيَم بفَجِّ الرَّوْحَاء حاجّاً أو مُعتمِراً ، أو لَيُثَنِّيَنَّهما » (٢) .

رواه مسلم .

وأخرجه أحمد في « مسنده » ولفظُه : « يَنْزِلُ عيسى ابنُ مريم ، فيَقْتُلُ الخِنزيرَ ، ويمحو الصَّليبَ ، وتُجْمَعُ له الصلاة (٣) ، ويُعطِي المالَ حتى لا يُقْبَل ، ويَضَعُ الخراجَ ،

---

(١) مواضع الحديث مسلم ٢ : ١٩٣ ، أحمد ٣ : ٣٤٥ و ٣٨٤ .

(٢) معنى (لَيُهِلَّنَّ) : لَيَرْفَعَنَّ صوتَه بالتلبية قائلاً : لبَّيْك اللّهمَّ لبَّيْك ، مُحْرِماً بحجٍّ أو بعُمْرة . ومعنى (أو لَيُثَنِّيَنَّهما) : أو لَيَجْمَعَنَّ بين الحجِّ والعُمْرة . وفَجُّ الرَّوْحَاء : مكانٌ في طريق النبي ﷺ من المدينة إلى بَدْر . قيل يبعد عن المدينة ستة أميال .

(٣) أي يصيرُ هو الإمامَ في الصلاة مع قيامِه بأعباء الإمامة العُظمى . وإمامتُه بالصلاة إنما تكون بعد صلاته الصبح فورَ نزوله مؤتماً بإمام المسلمين إظهاراً لكرامةِ هذه الأُمّة وفضلِها كما سبق في الحديث : ٣ .

ويَنْزِلُ الرَّوْحاءَ، فيَحُجُّ مِنها أو يَعْتَمِرُ أو يَجْمَعُهُما »[١] وتلا أبو هريرة رضي الله عنه : ﴿ وإنْ مِن أهلِ الكتاب إلاّ ليُؤمِنَنَّ بهِ قبلَ مَوتِهِ ويَومَ القيامةِ يكونُ عليهم شهيداً ﴾. فزَعَمَ حنظلةُ[٢] أنَّ أبا هريرة قال : يؤمِنُ به قبْلَ موتِ عيسى ، فلا أدري هذا كلُّه حديثُ النبي ﷺ ؟ أو شيءٌ قاله أبو هريرة ؟[٣].

وأخرجه الحاكمُ وصَحَّحَهُ[٤] كما في « الدر المنثور » ، ولفْظُهُ :« ليَهْبِطَنَّ ابنُ مَرْيم حَكَماً عدْلاً ، وإماماً مُقْسِطاً ،

---

(١) أي يُحرِمُ بالحجّ أو بالعُمْرةِ أو بهما معاً من الرَّوْحاء ، وهي فَجٌّ الرَّوحاء القريبُ بيانُه في الصفحة السابقة .

(٢) هو حنظلة الأَسْلَميُّ المَدَني ، تابعيّ روى هذا الحديث عن أبي هريرة . ومعنى (زَعَمَ) : قال صادقاً . فانَّ الزَّعْمَ كما يُطلَق على القول الكذب أو المشكوكِ فيه ، يُطلَق أيضاً على القولِ المحقَّقِ والصدقِ الذي لاشكَّ فيه . كما جاء في هذا الخبر وفي حديث أنس أيضاً في « صحيح مسلم » ١ : ١٦٩ .

(٣) أي أو شيءٌ منه قاله أبو هريرة ؟ وقد سبق في ص ٩٣ التصريحُ في الحديث : أن الآية هي التي قالَ أبو هريرة : اقرءوها وأمّا ما عداها ـ هنا وهناك ـ فهو من كلامِ النبي ﷺ خالصاً .

(٤) وقال الذهبي في « تلخيص المستدرك » : صحيح .

ولَيَسْلُكَنَّ فَجّاً [١] حاجّاً أو مُعتَمِراً ، ولَيَأتِيَنَّ قَبري حتى يُسَلِّمَ عليَّ ، ولأَرُدَّنَّ عليه » . يقولُ أبو هريرة : أيْ بَنِي أخي ! إنْ رأيتموه فقولوا : أبو هريرة يُقرِئُك السَّلام [٢] .

الحديث : ٥ عن النَّوَّاس بن سمعان رضي الله عنه قال : « ذَكَرَ رسولُ الله ﷺ الدَّجَّالَ ذاتَ غَدَاةٍ [٣] ،

---

(١) هو فجّ الرَّوحاء . وقد سبق بيانُه في ص ١٠٠ .

(٢) مواضع الحديث : مسلم ٨ : ٢٣٤ في كتاب الحج ، أحمد ٢ : ٢٩٠ ، الحاكم ٢ : ٥٩٥ ، « الدر المنثور » ٢ : ٢٤٥ .

(٣) أي ذاتَ صباح . والدَّجَّالُ : فعَّالٌ من الدَّجْل وهو التغطية ، وسُمِّي دجَّالاً لأنه يُغَطِّي الحقَّ بباطِله . ويُسمَّى أيضاً : المَسيحَ الدَّجَّال ومَسيحَ الضلالة ، كما سيأتي بيانُه في شرح الحديث : ٧ .

والدَّجَّالُ المتحدَّثُ عنه هنا قد تواترت الأحاديثُ الصحيحةُ بخروجه ، حتى أصبح خروجُه من اليقينيَّاتِ المقطوعِ بها . وهو آخرُ ثلاثين دجَّالاً يَخرجون قَبْلَه ، كما جاء ذلك في أحاديث كثيرة منها :

عن ثَوبانَ مولى رسولِ الله أن رسول الله ﷺ قال : « . . . وإنَّه سيكونُ في أُمَّتي كذَّابون ثلاثون ، كلُّهم يَزْعُمُ أنه نَبِيٌّ . وأنا خاتَمُ النبيِّين ، لا نَبِيَّ بَعْدي » . رواه أبو داود في « سننه » ٤ : ٩٨ ، والترمذي في « سننه » ٩ : ٦٣ وقال : حديثٌ حسَنٌ صحيح ، وصحَّحه ابنُ حِبَّان . وعن سَمُرَةَ بن جُنْدَب أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ حتى يَخرُجَ ثلاثون كذَّاباً =

. . . .

= آخِرُهم الأعورُ الدجّال » . رواه أحمد في « مسنده » ٥ : ١٦ والطبراني . وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٧ : ٣٤١ : « ورواه أحمد والبزّار ، ورجالُ أحمد رجالُ الصحيح غير ثعلبة بن عبّاد وثّقه ابنُ حِبّان . وعن حُذَيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ قال : « سيكون في أُمّتي كذّابون دجّالون سبعةٌ وعشرون ، منهم أربَعُ نِسْوَةٍ ، وإني خاتِمُ النبيين ، لا نبيَّ بعدي » . رواه أحمد في « مسنده » ٥ : ٣٩٦ بسندٍ جيد .

قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١٣ : ٧٦ بعد أن ذكَرَ هذه الأحاديث : « وهذا الحديثُ الأخيرُ يَدلُّ على أنّ رواية (الثلاثين) بالجزم إنما هي على طريقة جَبْر الكَسْر ، ويؤيِّدُ ذلك حديثُ أبي هريرة عند البخاري ١٣ : ٧٦ ومسلم ١٨ : ٤٥ ، وفيه قولُه ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتى يُبعَثَ دجّالون كذّابون قريبٌ من ثلاثين ، كلُّهم يزعم أنه رسولُ الله ! » . انتهى بزيادة .

وقد بيّنَ سيدُنا رسولُ الله ﷺ أوصافَ هذا الدجّال وأحوالَه وأفعالَه ونهايتَه أوفى بيان ، وسيَمُرُّ بك كثيرٌ منها في الأحاديثِ الآتية ، وإليك بعضَ أحوالِه كما ذكره الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١٣ : ٨٦ و ٨٩ - ٩٠ مما رواه - خاصّةً - الصحابيُّ الجليل أبو سعيد الخُدري رضي الله عنه قال : إنّ النبي ﷺ قال :

« إنه يهودي ، وإنه لا يُولَد له ولد ، وإنه لا يَدْخُلُ المدينة ولا مكّة » . رواه مسلم في « صحيحه » ١٨ : ٥٠ ، « وإنّ عينَه اليُمنَى عوراء ، جاحظة ، لا تَخفَى ، كأنها نُخاعَةٌ - أي نُخَامة - في حائطٍ مُجَصَّص ، وعينَه اليُسْرَى كأنها كوكبٌ دُرّيٌّ - يعني شِدّةَ اتقادها - معه من كلّ لِسان ، ومعه صُورةُ الجنةِ خضراءَ =

. . . .

= يَجري فيها الماء ، وصورةُ النارِ سوداءَ » . رواه أحمد في « مسنده » ٣ : ٧٩ ، « وبَيْنَ يديه رَجُلانِ يُنذِرانِ أهلَ القُرَى ، كأنَّما خَرَجا مِن قريةٍ دخَلَ أوائلُهُ » . رواه أبو يَعْلَى والبزَّار .

وذكَرَ الحافظُ ابن حجر موطنَ خروجه فقال في « فتح الباري » أيضاً ١٣ : ٧٩ : « وسيكون خُروجُه مِن قِبَلِ المشرق جزماً ، ثم جاء في روايةٍ أنه يَخرجُ مِن خُراسان ، أخرج ذلك أحمد والحاكم من حديث أبي بكر ، وفي روايةٍ أخرى : أنه يَخرجُ من أصبهان ، أخرجها مسلم . ويَخرجُ أولاً فيدَّعِي الإيمانَ والصَّلاح ، ثم يدَّعِي النُّبُوَّة ، ثم يدَّعِي الإلهيَّة ! » .

ثم قال الحافظ رحمه الله تعالى في « فتح الباري » ١٣ : ٩١ و ٩٣ « قال الخَطَّابيّ : فانْ قيل : كيف يجوزُ أن يُجرِيَ اللهُ الآية على يد الكافر ؟ فانَّ إحياء الموتى آيةٌ عظيمةٌ مِن آياتِ الأنبياء ، فكيف ينالُها الدجَّالُ وهو كذَّابٌ مُفْتَرٍ يدَّعِي الربوبيَّة ؟

فالجواب : أنه على سبيل الفتنة للعِبَاد ، إذْ كان عندهم مايَدُلُّ على أنه مُبْطِلٌ غيرُ مُحقٍّ في دعواه ، وهو أنه أعور ، مكتوبٌ على جبهته : كافر ، يقرأه كلُّ مسلم . فدعواه داحضةٌ مع وَسْمِ الكفر ، ونقصِ الذاتِ والقَدْر ، إذ لو كان إلهاً لأزالَ ذلك عن وجهه . وآياتُ الأنبياء سالمةٌ من المُعَارَضة ، فلا يَشتبِهان » .

ثم قال الحافظ ابن حجر بعد كلام الخطابي هذا : « وفي الدجَّال دلالةٌ بيِّنةٌ ـ لمن عَقَلَ ـ على كذبه ، لأنه ذو أجزاءٍ مؤلَّفة ، وتأثيرُ الصَّنْعَةِ فيه ظاهر ، مع ظهور الآفةِ به من عَوَرِ عَيْنيه ، ـ أي عيبها ـ فاذا دعا النَّاسَ إلى أنه ربُّهم ، فأسْوأُ حالِ مَنْ =

. . . .

= يَراهُ من ذوي العقول أن يَعلم أنه لم يكن لِيُسَوِّيَ خَلْقَ غيرِه ويُعدِّلَه ويُحسِّنَه ولا يَدفعَ النقصَ عن نفسه . فأقلُّ ما يجب أن يقول : يا مَنْ يَزعمُ أنه خالقُ السماء والأرض ، صَوِّرْ نَفْسَك وعَدِّلْها ، وأزِلْ عنها العاهة ! فان زعمتَ أن الربَّ لا يُحدِثُ في نفسه شيئاً فأزِلْ ما هو مكتوب بين عينيك ! » .

ثم قال الحافظ رحمه الله تعالى : « وقال القاضي عياض : في هذه الأحاديث حُجَّةٌ لأهلِ السُّنَّة في صِحَّةِ وجود الدجَّال ، وأنه شخصٌ معيَّن ، يَبتلي اللهُ به العباد ، ويُقدِرُه على أشياءَ كإحياء الميت الذي يقتله ، وظهورِ الخِصب ، والأنهارِ ، والجنةِ والنار ، واتِّباعِ كنوزِ الأرضِ له فتُنبيت ، وكلُّ ذلك بمشيئة الله تعالى ، ثم يُعجِزُهُ اللهُ فلا يَقْدِرُ على قتلِ ذلك الرجلِ ولا غيرِه ، ثم يُبطِلُ أمرَه ، ويقتلُه عيسى ابنُ مريم عليه الصلاةُ والسلام .

وقال الشيخ أبو بكر ابن العربي : الذي يَظهرُ على يَدِ الدجَّال من الآيات : مِن إنزالِ المطر والخِصب على من يُصدِّقُه ، والجَدْبِ على من يُكذِّبُه ، واتِّباعِ كنوزِ الأرضِ له ، وما معه من جنةٍ ونار ، ومياهٍ تَجري ، كلُّ ذلك مِحْنَةٌ من الله واختبار ، ليَهلِك المرتاب ، وينجو المتيقِّن ، وذلك كلُّه أمرٌ مَخُوف ، ولهذا قال ﷺ : لافِتْنَةَ أعظمُ من فتنهِ الدجَّال . وكان ﷺ يَستعيذُ منها في صلاته تشريعاً لأُمَّتهِ ﷺ » . انتهى .

وقال الحافظُ ابنُ كثير رحمه الله تعالى في « تفسيره » ١ : ٧٨ عند تفسير قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وإذ قُلْنا للملائكة اسْجُدوا لآدَمَ فسَجدُوا إلاَّ إبليسَ أَبَى واستكبَرَ وكان من الكافرين ﴾ : « قال القرطبي – في تفسيره ١ : ٢٩٧ – : قال علماؤنا : مَنْ =

. . . .

= أظهرَ اللهُ على يديه - ممن ليس بنبيٍّ - كراماتٍ وخوارقَ العاداتِ فليس ذلك دالاً على ولايته ، خلافاً لبعض الصُّوفيةِ والرافضة ، هذا لفظُه . ثم استدلَّ على ما قال بأنَّا لا نقطعُ بهذا الذي جرَى الخارقُ على يديه أنه يُوافِي اللهَ تعالى بالإيمان ، وهو لا يَقطَعُ بنفسه لذلك . يعني والوليُّ الذي يُقْطَعُ له بذلك الأمر .

قلتُ - أي ابنُ كثير - : وقد استدلَّ بعضُهم على أنَّ الخارقَ قد يكون على يَدِ غيرِ الوليِّ ، بل قد يكون على يَدِ الفاجرِ والكافرِ أيضاً بما ثبَتَ عن ابنِ صيَّاد أنه قال : هو الدُّخُّ ، حين خَبَأ له رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : ﴿ فارْتَقِبْ يوم تأتي السَّماء بدُخَانٍ مُبِين ﴾ . وبما كان يَصْدُرُ عنه أنه كان يَملأُ الطريق إذا غَضِبَ حتى ضَرَبَهُ عبدُ الله بن عُمَر . وبما ثبَتَتْ به الأحاديثُ عن الدجَّالِ بما يكون على يديه من الخوارقِ الكثيرةِ من أنه يأمر السماءَ أن تُمطر فتُمطِر ، والأرضَ أن تُنْبِت فتُنْبِت ، وتَتْبَعُهُ كنوزُ الأرضِ مثلَ اليعاسيب ، وأن يَقْتُلَ ذلك الشابَّ ثم يُحييه ، إلى غير ذلك من الأمور المَهُولة .

وقد قال يونسُ بن عبد الأعلى الصَّدَفي : قلتُ للشافعي : كان الليثُ بن سعد يقول : إذا رأيتم الرجلَ يمشي على الماء ، فلا تغترُّوا به حتى تَعرِضُوا أمرَهُ على الكتاب والسُّنَّة . فقال الشافعيُّ : قصَّرَ الليثُ رحمه الله ، بل إذا رأيتُم الرجلَ يَمشي على الماءِ ، ويَطيرُ في الهواء فلا تغتروا به ، حتى تَعْرِضُوا أمرَه على الكتاب والسُّنَّة » . انتهى .

وسبق تعليقاً في ص ٦٠ - ٦١ عن الحافظ ابن كثير أيضاً كلامٌ يتصل بهذا المقام فعُدْ إليه .

فخفَّضَ فيه ورَفَّع [١] ، حتى ظنَنَّاه في طائفةِ النَّخْل [٢] ، فانصرفنا مِن عندِ رسول الله ﷺ ثم رُحْنا إليه [٣] ، فعَرَف ذلك فينا ، فقال : ما شأنُكم ؟ فقلنا : يا رسول الله ذكرتَ الدَّجَّالَ غداةً فخفَّضتَ فيه ورفَّعتَ حتى ظننَّاه في طائفةِ النَّخْل ، فقال :

---

(١) قال النووي في « شرح صحيح مسلم » ١٨ : ٦٣ « في معناه قولان :

الأول أنَّ معنى (خَفَّضَ فيه) : حقَّره ، ومعنى (رفَّع) فيه : عظَّمه وفخَّمه ، فمِن تحقيرِه قولُه ﷺ : إنه أعورُ العين ، وإنه أهوَنُ على الله مِن ذلك ، وإنه لا يَقْدِرُ على قتلِ أحدٍ إلا ذلك الرجل ثم يَعْجِزُ عنه ، وإنه يَضْمَحِلُّ أمرُه ويُقتَلُ بعدَ ذلك . ومِن تفخيمِه وتعظيمِ فتنتِه قولُه ﷺ : ليس بين يدَيْ السَّاعة خلقٌ أعظمُ من الدجال ، وما مِن نبيٍّ إلاَّ وقد أنذَر أمَّتَه الأعورَ الكذّاب . وتلك الأمورُ الخارقةُ للعادة التي تقع له .

القولُ الثاني في معنى (خفَّضَ فيه ورفَّع) : أنه خفَّض مِن صوتِه لكثرةِ ما تكلَّم في شأن الدجال ، فخفَّض بعدَ طولِ الكلام والتَّعَب ليستَريح ، ثم رَفَّعَ ليَبْلغ صوتُهُ كلَّ أحد » . انتهى . و (خفض ورفع) ضبطها النووي بتشديد الفاء فيها ، وضبطها القرطبي بتخفيف الفاء فيها كما في شرح العلامة الأُبّيّ على « صحيح مسلم » ٧ : ٢٦٧ ، ففيها روايتان .

(٢) أي في ناحية بساتين النخل بقرب المدينة كأنه حضر الآن .

(٣) أي إلى رسول الله ﷺ .

غيرُ الدَّجَّالِ أخوَفُني عليكم [١] ، إن يخرُجْ وأنا فيكم فأنا حَجِيجُه دونكم ، وإنْ يَخرُجْ ولستُ فيكم فامرؤٌ حَجِيجُ نَفْسِه ، واللهُ خليفتي على كلِّ مُسْلِم .

إنَّهُ شابٌ قَطَطٌ [٢] ، عَيْنُهُ طافِئة [٣] ، كأني أُشبِّهُهُ

---

(١) هذه روايةُ مسلم . وروايةُ الترمذي : « غيرُ الدجَّالِ أخوفُ لي عليكم » . والمعنى : أنا أخافُ عليكم من غيرِ الدجَّال أكثرَ مما أخافُ عليكم من الدجَّال ، لأنه إن خرَج وأنا فيكم فأنا حَجِيجُه دونكم ، أي مُحاجُّه ومُدافِعُه ومُبطِلُ أمرِه من غير افتقارٍ إلى مُعِينٍ منكم . وإن خرَج ولستُ فيكم فكلُّ مؤمنٍ حَجِيجُ نفسِه : يَدفع عن نفسه ، فقد استَخلَفْتُ اللهَ عليكم ، فهو لكم نِعْمَ العونُ على دَحْره وقَهْرِه .

وإنما قال ﷺ : « غيرُ الدجال أخوفُ لي عليكم » حينَ شاهَدَ استعظامَ الصحابة لأمرِ الدجَّال ، وشدَّةَ خوفِهم من الافتتان به .

وقد بيَّنَ ﷺ في حديثٍ آخرَ مَنْ هذا الذي يَخافُ علينا منه أكثرَ من الدجَّال ، فقال فيما رواه الإمام أحمد في « مسنده » بسندٍ جيِّد عن أبي ذَرّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « غيرُ الدجَّالِ أخوفُ على أمَّتي من الدجَّال : الأئمَّةُ المُضِلُّون » . أي الدُّعاةُ إلى الضَّلالات ! وما أكثرَها وأكثرَهم وأكثرَ من يَتْبَعُهم في هذه الأيام وما بعدَها ؟ ! نسأل الله السلامة والعون .

(٢) أي شديدُ جُعودة الشعر جعودةً مكروهة .

(٣) أي ذهَبَ نُورها ، وهي العينُ اليُمنى المسوحة ، =

بعَبْدِ العُزَّى بنِ قَطَن [(١)] ، فمن أدركَهُ منكم فلْيَقرأ عليه فواتحَ سورةِ الكهف[(٢)] ، إنه خارجٌ خَلَّةً بين الشام والعراق [(٣)] ، فعَاثَ يميناً وعَاثَ شِمالاً [(٤)] ، يا عبادَ الله فاثْبُتُوا [(٥)] .

= ويُروى : طافِيَة ، بالياء أي مرتفعة ناتئة . فتكون العينَ اليُسرى كما حققه النووي في « شرح صحيح مسلم » ٢ : ٢٣٥ .

(١) هو رجل من خُزَاعة ، هلَكَ في الجاهلية .

(٢) وروى الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال : « من حَفِظَ عشرَ آياتٍ من أوَّلِ سورة الكهف عُصِمَ من الدجَّال » . وفي رواية : « من آخرِ سورةِ الكهف ... » . فعلى روايةِ من أوَّلِها يكون ذلك لما في دلالة تلك الآيات على معرفة ذات الله وصفاته ، أو لِمَا في قصة أهل الكهف من العجائب ، فمَنْ علِمَها لم يَستغرب أمرَ الدجَّال فلا يُفتَنُ به . أو هذه خصوصيةٌ أُودِعَتْ في تلك السورة لِمَا فيها من ذكرِ التوحيد وخلاصِ أصحاب الكهف من شرِّ الكفَرَة الجبَّارين .

وعلى روايةِ « من آخرِ سورةِ الكهف » فيكون ذلك لقوله تعالى في آخرها : ﴿ أفحَسِبَ الذين كفروا أن يتَّخِذُوا عبادي مِن دوني أولياءَ إنَّا أعتَدْنا جهنَّمَ للكافرين نُزُلاً ﴾ . وقال العلاّمة الطيبي : المعنى أن قراءة المؤمن لأحَد هذين العَشْرَيْنِ من أوَّلِ السورة أو آخرِها أمانٌ له من فتنة الدجَّال ، كما أمِنَتْ تلك الفِتْيَةُ من فِتنةِ دقيانوس الجبَّار . (٣) أي في طريقٍ واقعٍ بين الشام والعراق .

(٤) أي أفسَدَ عن يمينه وأفسَدَ عن شماله مُسرِعاً في إفسادِهِ أيمَّا إسراع .

(٥) قال القرطبي : أمرَ ﷺ من لقِي الدجَّالَ أن يَثبُتَ =

قلنا : يا رسول الله ، وما لَبْثُهُ في الأرض [1] ؟ قال : أربعون يوماً ، يومٌ كسَنَةٍ ، ويومٌ كشَهْرٍ ، ويومٌ كجُمُعَةٍ ، وسائرُ أيامِهِ كأيَّامِكم [2] .

= على الإسلام ، فانَّ لَبْثَ الدجَّال في الأرض قليل ، وأما من لم يَلْقَه فليَفِرَّ عنه لحديث أبي داود : « مَنْ سَمِعَ بالدجَّال فلْيَنْأَ عنه ، فو اللهِ إن الرجلَ ليَأْتِيه وهو يحسَبُ أنه مؤمن ، فيَتْبَعُه مما يَبعثُ به - يُثيرُه - من الشُّبُهات » .

(١) أي ما قَدْرُ مُكثِه وبقائِه ؟

(٢) قال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » ١٨ : ٦٥ « قال العلماء : هذا الحديثُ على ظاهره ، وهذه الأيامُ الثلاثة طويلةٌ على هذا القدر المذكور في الحديث ، يدل على ذلك قولُه ﷺ : « وسائرُ أيامِهِ كأيامكم » وقولُه لهم حين سألوه : فذلك اليومُ الذي كسنةٍ أتَكفينا فيه صلاةُ يوم ؟ قال : « لا ، أقدُرُوا له قَدْرَه » . انتهى .

وقال العلاّمة ابنُ مَلَك : « وهذا القولُ في تفسير امتداد الأيام الثلاثة جارٍ على حقيقته ، ولا امتناعَ فيه ، لأنَّ الله قادر على أن يزيد كلَّ جزء من أجزاءِ اليوم الأوَّلِ حتى يصير مقدارَ سنة ، خارقاً للعادة ، كما يزيد في أجزاءِ ساعة من ساعات اليوم » .

قال العلامة علي القاري في « المرقاة شرح المشكاة » ٥ : ١٩٥ بعد نقلِه كلامَ ابنِ مَلَكٍ المذكور : « وهـذا القولُ الذي قرَّره لا يُفيدُ إلاَّ بسطَ الزمان كما وقع له ﷺ في قصة الإسراء مع زيادةٍ على المكان . =

١١١

قلنا : يا رسول الله فذلك اليومُ الذي كسَنَةٍ أتَـكفينا

= لكن لا يخفى أن سببَ وجوب كلّ صلاةٍ إنما هو وقتها المقدّرُ من طلوعِ صبحٍ ، وزوالِ شمس ، وغروبها ، وغيبوبةِ شفقها ، وهذا لا يُتصوَّرُ إلا بتحقّقِ تعدّدِ الأيام والليـالى على وجـه الحقيقة ، وهو مفقود .

فنقول ـ وبالله التوفيق ومنه المعونة في التحقيق ـ قد تَبَيَّن لنا بإخبار الصادق المصدوق صلواتُ الله تعـالى وسلامُه عليه أنّ الدجّال يَنْبَعِثُ معه مِن المُشَبِّهات ويَفيضُ على يديه من التمويهات : ما يَسلُبُ عن ذوي العقول عقولَهم ، ويَخطَفُ من ذوي الأبصار أبصارَهم ، فمِن ذلك تسخيرُ الشياطين له ، ومجيئُه بجنّةٍ ونار ، وإحياء الميت على ما يَدّعيه ، وتقويتُه على من يُريدُ إضلالَه تارةً بالمطر والعُشْب ، وتارةً بالأَزْمة والجَدْب .

ثم لا خفاءَ أنه أسحَرُ الناس ، فلم يستقم لنا تأويلُ هذا القول إلا أن نقول : إنه يأخُذُ بأسماعِ الناس وأبصارِهم ، حتى يُخيَّلَ إليهم أن الزمان قـد استمرَّ على حالةٍ واحدة : إسفارٌ بلا ظلام ، وصَباحٌ بلا مساء ، يحسبون أنَّ الليل لا يَمُدُّ عليهم رِواقَه ، وأنَّ الشمس لا تَطوي عنهم ضياءَها ، فيَبْقون في حيرة والتباس من امتداد الزمان ، ويَدْخل عليهم دواخلُ باختفاء الآيات الظاهرة في اختلاف الليل والنهار ، فأمرَهم ﷺ أن يجتهدوا عند مصادمة تلك الأحوال ، ويُقدّرُوا لكلّ صلاةٍ قدْرَها ، إلى أن يَكشِف اللهُ عنهم تلك الغُمَّة . هـذا الذي اهتدينا إليـه من التأويل ، والله الموفق لإصابة الحق وهو حسبنا ونعم الوكيل » . انتهى .

فيه صَلاةُ يوم[1] ؟ قال : لا ، اقْدُروا له قَدْرَه[2] .

قلنا : يا رسول الله : وما إسراعُهُ في الأرض[3] ؟ قال :

---

(١) فيه بيانُ حرصِ الصحابة على الصلاة ، فقد بادروا أوّل كلِّ شيء بالسؤالِ عن حالِ وقتِها لمعرفة أدائها .

(٢) قال العلاّمة علي القاري في « المرقاة » ٥ : ١٩٦ : « أي قَدّروا لوقتِ صلاةِ يومٍ في يومٍ ـ كسنةٍ مثلاً ـ قَدْرَهُ الذي كان له في سائر الأيام ، كمحبوسٍ اشتَبَه عليه الوقت » .

وقال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » ١٨ : ٦٦ : معناه أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قَدْرُ ما يكون بينه وبين الظهر كلَّ يوم فصلّوا الظهر ، ثم إذا مضى بعده قَدْرُ ما يكون بينها وبين العصر فصلّوا العصر ، وإذا مضى بعد هذا قَدْرُ ما يكون بينها وبين المغرب فصلّوا المغرب ، وكذا العِشاء والصُّبحُ ، ثم الظهر ، ثم العصر ، ثم المغرب ، وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم ، وقد وقع فيه صلواتُ سَنَةٍ ، كلُّها فرائضُ مؤدّاةٌ في وقتها .

ثم قال النووي : قال القاضي عِياضٌ وغيرُه : هذا حكمٌ مخصوص بذلك اليوم ، شَرَعه لنا صاحبُ الشرع . قالوا : ولولا هذا الحديثُ ووُكِلْنا إلى اجتهادنا لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام .

وأمّا اليومُ الثاني الذي كشهر ، والثالثُ الذي كجمعة فيُقدَّرُ لهما أيضاً كاليوم الأوّل على ما ذكرناه ، والله أعلم » .

(٣) أي ما مقدارُ سرعته في مسيره على الأرض وطيِّ مسافاتها ؟

كالغَيْثِ استَدْبَرَتْه الريحُ[١] ، فيأتي على القومِ فيَدْعُوهم[٢] فيُؤْمِنُون به ويَسْتَجيبُون له ، فيأمرُ السَّماءَ فتُمْطِر ، والأرضَ فتُنْبِت ، فتَرُوحُ عليهم سارِحَتُهم[٣] أطولَ ما كانَتْ ذُرَىً ، وأسبغَهُ ضُروعاً ، وأمدَّهُ خَوَاصِرَ[٤] .

ثم يأتي القومَ فيَدْعُوهم فيردُّون عليه قولَه ، فيَنصرِفُ

(١) وفي رواية « الدر المنثور » للسيوطي ٤ : ٣٣٧ « كالغيثِ يَشتدُّ به الريحُ » . والمرادُ بالغيث هنا : الغيمُ ، إطلاقاً للسبب على المسبَّب ، أي يُسرعُ في الأرض إسراعَ الغَيْمِ تسوقُه الريحُ بقوَّة وعُنف . وإنما يُسرعُ هذا الإسراعَ كي لا يَتأمَّلَ الرَّعَاعُ المغترُّون به حالَهُ ودلائلَ نقصِه وعيوبِه ، فينكشفَ لهم دَجَلُه ، ويتَّضِحَ لهم كذبُه ، وتَبطُلَ عندهم دعاويه الباطلةُ المزوَّرة .

(٢) أي إلى باطله ودعوى ألوهيته .

(٣) أي تَرجِعُ عليهم آخِرَ النهار ماشيتُهم التي تذهب بالغُدوَةِ أوَّلَ النهار إلى مراعيها .

(٤) الذُّرَى : جمع ذروة ، وهي هنا أعلى سَنام الجَمَل ، فمعنى أطولَ ما كانت ذُرَى : أعلى ما كانت سَناماً ، وهذا كنايةٌ عن كثرةِ السِّمَن في السارحة والماشية التي عندهم . والضُّروعُ : جمعُ ضَرْع وهو الثَّدْي ، وإسباغُ الضروع : اتّساعُها بكثرة ما فيها من اللبن . والخواصِرُ : جمعُ خاصرة وهي ما تحت الجنب ، ومَدُّها كنايةٌ عن زيادة امتلائها بكثرة ما رعته وأكلته من المراعي الخِصبة .

عنهم [١] ، فيُصبِحُون مُمْحِلِين [٢] ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم. ويَمُرُّ بالخَرِبَةِ [٣] فيقول لها : أَخْرِجِي كُنوزَكِ ، فتَتْبَعُهُ كُنوزُها كيَعاسِيب النَّحْل [٤] .

ثُم يدعو رجلاً شابّاً ممتلِئاً شباباً ، فيَضرِبُهُ بالسيف فيَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الغَرَض [٥] ، ثم يدعوه فيُقْبِلُ

---

(١) فيه إشارة إلى أنه ليس له قدرة الإجبار على اتّباعه ، قال تعالى : ﴿ إنَّ عبادي ليس لك عليهم سُلطانٌ إلا مَنْ اتَّبَعك من الغاوين ﴾ .

(٢) أي يُصبِحون وقد أصابهم المحل ، وهو انقطاعُ المطر ويُبْسُ الأرض من الكلأ والعُشْب .

(٣) أي بالأرضِ الخَرِبة والبِقاعِ الخَرِبة .

(٤) اليعاسيب ذُكورُ النَّحْل ، مُفردُها يعسوب ، وهو أميرُ النحل متى طار تَبِعَتْه جماعتُه ، والمرادُ تَتَبُّعُ كنوزُ تلك الأرضِ الدجّالَ كما تَتْبَعُ جماعاتُ النحلِ يعاسيبَها طاعةً ومتابَعةً .

(٥) قوله : جِزْلَتَيْنِ ، يروى بفتح الجيم وكسرها ، أي قِطعتين . والغَرَض : الهَدَف . ومعنى رَمْيَةَ الغَرَض : أنه حينما يقطع الدجّالُ بالسيف ذلك الشابَّ قِطعتين تتباعَدُ القطعتان عن بعضهما كبُعدِ رميةِ السهم عن القوس . وقد جاء في حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه مسلم في « صحيحه » ١٨ : ٧٣ « ثم يمشي الدجّالُ بين القِطعتين » . =

ويَتَهلَّلُ وجهُهُ يَضْحَكَ (١)، فبينما هو كذلك (٢) إذ بَعَثَ اللهُ المسيحَ ابنَ مريم (٣)، فيَنْزِلُ عند المَنَارةِ البيضاء شَرْقِيَّ

= وجاء في هذا المقطع من الحديث هنا إجمالٌ يُوضِّحه حديثُ أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه الذي رواه مسلم - وغيرُه - في « صحيحه » ١٨ : ٧١ - ٧٣ بروايتين ونصُّه : « قال أبو سعيد الخُدري : حدَّثَنا رسولُ الله ﷺ يوماً حديثاً طويلاً عن الدجَّال ، فكان فيما حدَّثَنا قال : يأتي وهو مُحرَّمٌ عليه أن يَدخُلَ نِقابَ المدينة - طُرُقَها التي تكون بين الجبال - ، فينتهي إلى بعضِ السِّباخ - جمع سَبَخَة وهي أرضٌ تعلوها المُلوحة ولا تكاد تُنبِت إلاَّ بعضَ الشجر - ، التي تلي المدينة - مِن قِبلَ الشام - ، فيَخرُجُ إليه يومئذ رجلٌ هوَ خيرُ الناس ، أو مِن خيرِ الناس ، فيقول له - أي يقول للدجَّال - أشهدُ أنك الدجَّالُ الذي حدَّثنا رسولُ الله ﷺ حديثَهُ ، فيقول الدجَّال - لأوليائه كما في رواية عند غير مسلم - : أرأيتم إن قتلتُ هذا ثم أحييتُه أتشكُّون في الأمر ؟ فيقولون : لا ، قال : فيَقتُلُه ثم يُحييه ، فيقول - الرجلُ - حين يُحييه : واللهِ ما كنتُ فيك قطُّ أشدَّ بصيرةً مني الآن ، ثم يقول - الرجلُ - : يا أيها الناس إنه لا يَفعَلُ بعدي بأحدٍ من الناس ، فيُريد الدجَّالُ أن يقتله فلا يُسلَّطَ عليه ، فيأخُذُ بيديه ورجليه فيَقذِفُ به ، فيَحسَبُ الناسُ أنما قَذَفه إلى النار ، وإنما أُلقِيَ في الجَنَّة . فقال رسول الله ﷺ : هـذا أعظمُ الناسِ شهادةً عند ربِّ العالمين » .

(١) أي يُقبِلُ ذلك الشـابُّ - على الدجَّال - يتلألأُ وجهُه ويضيء ، ضاحكاً ساخراً من الدجَّال يقول ، كيف يَصلُح هذا إلهاً ؟!

(٢) أي بينا الرجلُ الشابُّ على تلك الحال من موقفه من الدجَّال وسُخريتِه به . (٣) أي أنزله من السماء .

دِمَشْق (١) ، بين مَهْرُوذَتَيْنِ (٢) ، واضعاً كفَّيه على أجنحةِ مَلَكين ، إذا طأطأ رأسَهُ قَطَرَ ، وإذا رَفَعَهُ تحدَّرَ منه جُمَانٌ كاللؤلؤ (٣) ، فلا يَحِلُّ لِكافرٍ يَجِدُ ريحَ نَفَسِهِ إلاَّ

---

(١) قال العلامة علي القاري في « المرقاة شرح المشكاة » ٥ : ١٩٧ « قال الحافظ ابن كثير : في روايةٍ أن عيسى عليه السلام ينزل ببيت المقدس ، وفي رواية : بالأُردُنّ ، وفي رواية : بمعسكر المسلمين . قلتُ ـ أي علي القاري ـ حديثُ نزوله ببيت المقدس عند ابن ماجه ، وهو عندي أرجح . وإن لم يكن في بيت المقدس الآن منارةٌ فلا بُدَّ أن تُحْدَثَ قبل نزوله ، والله تعالى أعلم » .

(٢) معناه : ينزل عليه السلام في حُلَّتينِ لابِسَها ، وفيها صفرة خفيفة . فيكون على جمالٍ في الملبس إلى جمالِه عليه السلام في الخِلقة والذات كما سيأتي ذكره في التعليقة التالية . وسبق تفسيرُ (المهروذتين) ص ٣٦ .

(٣) أي إذا خَفَضَ رأسه قطرَ منه الماء ، وإذا رَفَعه تحدَّرَ منه تحدُّراً أي نَزَل بِبُطء ، وصِفَةُ ذلك الماء كالجُمَان وهو حَبَّاتٌ من الفِضَّة كبار ، تُشبه اللؤلؤَ في صَفائها وحُسنِها . وهـذا كلُّه كناية عن حُسنِ سيدنا عيسى وجمالِ خِلقته الشريفة عليه الصلاة والسلام إلى جمال ثيابه الذي تقدَّم ذكره ، هذا ما ذكره العلماء في توجيه معنى جملة (إذا طأطأ رأسَه قَطَر) .

قال عبد الفتاح : ولعل الأَولى بتفسير هذه الجملة أن ذلك إشارة إلى حياته عليه السلام ، وأنه يَنزِلُ على الحالِ التي رُفِعَ عليها إلى السماء ، فقد روَى الحافظ ابن كثير في « تفسيره » ١ : ٥٧٤ عن ابن أبي حاتم بسنده إلى ابن عباس قال : « لمَّا أراد اللهُ أن يَرفعَ عيسى =

مات (١) ، ونَفَسُه ينتهي حيثُ ينتهي طَرْفُه (٢) ، فيَطْلُبُه حتى

= إلى السماء خَرَج على أصحابه ورأسُهُ يَقْطُر ماءً ، ثم قال : أيُّكم يُلقَى عليه شَبَهي فيُقتَل مكاني ويكون معي في دَرَجَتي ؟ فقام شابٌّ منهم فقال : أنا ، فقال : هو أنتَ ذاك ، فأُلقِيَ عليه شَبَهُ عيسى ، ورُفِعَ عيسى مِن رَوْزَنةٍ - هي الخَرق في أعلى السقف - في البيت إلى السَّماء » . انتهى . فيكون نزولُه عليه السلام كالحالِ التي رَفَعَه الله عليها ، والله تعالى أعلم .

وقد وصَفَ سيدَنا رسولُ الله ﷺ سيدَنا عيسى عليه السلام في حديثٍ آخر رواه البخاري في « صحيحه » ٦ : ٣٤٩ - ٣٥٠ و ١٣ : ٨٥ بشرح الحافظ ابن حجر فقال في نَعْتِه : « رَجُلٌ آدَمُ كأحسَنِ ما أنت راءٍ من أُدْمِ الرجال ، سَبِطُ الشَّعر ، له لِمَّةٌ كأحسَنِ ما أنت راءٍ من اللِّمَم تَضرِبُ لِمَّتُه بين مَنكِبَيْه ، يَقْطُرُ رأسُه ماءً ، رَبْعَةٌ ، أحمرُ كأنما خَرَج مِن دِيْماس » .

وتفسيرُ هذه النعوتِ الكريمة : أسْمَرُ جميلُ السُّمرة جداً ، له شعرٌ ليس بجَعْد ، طويلٌ يَضرِبُ على مَنكِبَيْه في غايةِ النظافةِ والنضارةِ والجمال ، حتى كأنه يَقْطُرُ من الماء الذي سَرَّحه به ، مَربُوعُ القامة ، تعلو وجهَهُ حُمرةٌ ، كأنه خَرَج من الحمّام تتحدَّرُ من وجهه حبَّاتُ الماء كاللؤلؤِ الوضَّاء ، عليه وعلى نبينا أفضلُ الصلاة والسلام . (٢) أي حيث ينتهي امتدادُ بصَرِهِ الشريف .

(١) أي لا يُمكِنُ ولا يَقعُ لكافرٍ يَجدُ ريحَ نَفَسِ عيسى عليه السلام إلا مات . قال العلامة القرطبي : يعني أن الله سبحانه قوَّى نَفَسَ عيسى عليه السلام حتى يَصِلَ إلى إدراكِ بصره ، ومعناه أنَّ الكفَّارَ لا يَقربُونه ، وإنما يَهلِكون عند رؤيتِه ووصولِ نَفَسِه إليهم ، حِفظٌ من الله سبحانه له ، وإظهارٌ لكرامته . نقله العلامة

يُدرِكَهُ بباب لُدّ (١) فيَقْتُلَه .

ثم يأتي عيسى قومٌ قد عَصَمَهم اللهُ منه ، فيَمسَحُ عن وجوههم (٢) ، ويُحدِّثهُم بدرجاتِهم في الجنَّة ، فبينما هو كذلك إذْ أوحَى اللهُ إلى عيسى عليه السلام أنّي قد أخرجتُ عِباداً لي لا يَدَانِ لأحَدٍ بقتالِهم (٣) ، فحَرِّزْ عِبادي إلى الطُّور (٤) .

ويَبعَثُ اللهُ يأجُوجَ ومأجُوجَ وهم مِن كلِّ حَدَبٍ

= الأُبّي في « شرح صحيح مسلم » ٧ : ٢٧٢ . وقال العلامة علي القاري : ومن الغريب أن نَفَس عيسى عليه الصلاة والسلام تَعلَّق به الإحياءُ لبعض ، والإماتةُ لبعض .

(١) بلدةٌ معروفة الآن في فلسطين ، قريبةٌ من بيت المقدس .

(٢) قال العلامة علي القاري رحمه الله تعالى : أي يُزِيلُ عن وجوههم ما أصابها مِن غُبار سَفَر الغزو مبالغةً في إكرامهم ، أو المعنى : يَكشِفُ ما نَزَل بهم من آثارِ الكآبة والحُزْنِ على وجوههم بما يَسُرُّهم من خبرِه لهم بقتلِ الدجَّال .

(٣) أي لا قُدرةَ ولا طاقةَ لأحدٍ بمُقاتَلَتِهم .

(٤) أي ضُمَّهم إلى الطُّور واجعَلْه لهم حِرْزاً . والطُّورُ هو الجبَلُ الذي ناجَى عليه سيدُنا موسى رَبَّهُ ، وهو بالقُرب من مصر عند موضعٍ يُسمَّى مَدْيَن . كما قاله ياقوت في « معجم البلدان » .

يَنْسِلُون (١) ، فيَمُرُّ أوائِلهُم على بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّة (٢) ،

---

(١) الحَدَبُ : المرتَفَعُ من الأرض ، ويَنْسِلُون : يُسرِعون. يعني أنهم يتفرقون في الأرض فلا تَرى مرتَفَعاً من الأرض إلا وقومٌ منهم يهبطون منه مسرعين في المشي إلى الفساد .

ويأجوجُ ومأجوجُ كلٌّ واحدٍ من هذين اللفظين : اسمٌ لقَبيلٍ وأمَّةٍ من الناس ، مَسكنُهم في أقصى الشرق (٣) ، وما يُقالُ في خِلْقَتِهم وصِفاتِهم مما يُخَيِّلُ إلى سامعه أنهم ليسوا من طبيعة البَشَر ولا على خِلقةِ الناس فكذبٌ لا أصل له . قال الحافظُ ابنُ كثير في « تفسيره » في تفسير سورة الكهف ٣ : ١٠٣ - ١٠٤ : « هُمْ من سُلالةِ آدم عليه السلام ، كما ثبت في « الصحيحين » : أنَّ الله تعالى يقول - أي يوم القيامة - يا آدمُ فيقول : لبَّيْك وسَعْدَيْك ، فيقول : أبْعَثْ بَعْثَ النار - أي مَيِّزْ أهلَ النار من غيرهم - فيقولُ : وما بَعْثُ النار ؟ - أي وما مِقدارُهم ؟ - فيقول : من كلِّ ألفٍ تسعمائةٍ وتسعةٌ وتسعون إلى النار ، وواحدٌ إلى الجنَّة ، فحينئذٍ يَشيبُ الصغيرُ ، وتَضَعُ كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها ! فقال - أي رسولُ الله ﷺ - : إنَّ فيكم أُمَّتَيْنِ ما كانتا في شيءٍ إلا كثَّرتاه : يأجوجَ ومأجوجَ » . انتهى .

(٢) هي بُحَيرة في طرف جبَل ، وجبَلُ الطُّور مطلٌّ عليها .

---

(٣) قال العلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى في تفسيره « محاسن التأويل » عند ذكرهم في سورة الكهف ١١ : ٤١١٦ : « قال بعض المحققين : كان يوجد من وراء جبل من جبال القوقاز المعروف عند العرب بجبل قاف في إقليم داغستان : قبيلتان ، تسمى إحداهما : (آقوق) ، والثانية : (ماقوق) ، فعربهما العرب باسم (يأجوج) و (مأجوج) ، وهما معروفان عند كثير من الأمم ، وورد ذكرهما في كتب أهل الكتاب ، ومنهما تناسل كثير من أمم الشمال والشرق في روسيا وآسيا » .

فيَشْرَبُون ما فيها ، ويَمُرُّ آخِرُهم فيقولون : لقد كان بهذه

= قال عبد الفتاح : هذا الحديثُ في « صحيح البخاري » في مواضع منه : ٦ : ٢٧٥ ، و ٨ : ٣٣٥ ، و ١١ : ٣٣٦ ، و ١٣ : ٣٨٥ . وفي « صحيح مسلم » ٣ : ٩٧ ، و ١٨ : ٧٥ - ٧٧ . وفي « سنن الترمذي » ١٢ : ٢٧ - ٢٩ . وهو في جميعها بنحوٍ من هـذا اللفظ المذكور . وجاء في روايةٍ من الروايات المشار إليها عند البخاري ١١ : ٣٣٩ ومسلم ٣ : ٩٨ « فقال : أبْشِرُوا ، فإنَّ مِن يأجوجَ ومأجوجَ ألفاً ، ومنكم رجلٌ » .

ثم قال الحافظُ ابنُ كثير : « وما يُذكَر في الأثرِ عن وَهْب ابن مُنَبِّه في أشكالِهم وصفاتِهم وآذانِهم وطُولِهم وقِصَرِ بعضِهم ففيه غرابةٌ ونكارة . ورَوَى ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك أحاديثَ غريبةً لا تَصِحُّ أسانيدُها » . انتهى . وقال الشيخ أبو حيَّان الأندلسيُّ في تفسيره : « البحر » ٦ : ١٦٣ « وقد اختُلِفَ في عَدَدِهم وصِفاتِهم ، ولم يصحَّ في ذلك شيء » . ونقَلَهُ عنه العلاَّمـة الآلوسيُّ في تفسيره « رُوح المَعَاني » ٥ ، ١٤٢ مُرتضياً له . ويعني أبو حيان أنَّ الأخبار التي تُروَى في ذلك ضعيفةٌ لا تَثْبُتُ على مِحَكِّ النَّقْد .

وقد اتفقتْ كلمةُ القرآنِ الكريم والحديث الشريف على كثرةِ يأجوجَ ومأجوج ، وشِدَّةِ إفسادهم كما هو صريحٌ في الحديث الذي نَشرحُه ، وكما هو صريحٌ في حديث « الصحيحين » الذي نقلناه عن الحافظِ ابن كثير ، وذَكَرْنا بعضَ رواياته أيضاً ، وكما جاء ذلك في أحاديثَ كثيرةٍ لا تُحصَى .

وقد أفصح القرآن الكريم عن هـذا أيضاً فقال تعالى في سورة الكهف مُخبِراً عن ذي القَرْنَيْنِ وعنهم : ﴿ حتى إذا بَلَغ بَيْنَ =

مَرَّةً ماء .

= السَّدَّيْنِ وجَدَ من دُونِهما قوماً لا يكادون يَفقهون قولاً . قالوا ياذا القَرْنَيْنِ إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ مُفسِدُون في الأرض فهل نَجعَلُ لك خَرْجاً على أن تَجعلَ بيننا وبينهم سَدّاً ﴾ ؟ ثم قال سبحانه : ﴿ وتركْنَا بعضَهم يومئذٍ يَموجُ في بعض ﴾ .

قال العلاّمةُ الآلوسي في « تفسيره » ٥ : ١٤١ « قال أبو حيَّان في « البحر » ٦ : ١٦٥ « الأظهرُ كون الضمير في ﴿ وتَرَكْنَا بعضَهم ﴾ ليأجوجَ ومأجوج » . قال الآلوسي : أي وتَرَكْنَا بعضَ يأجوجَ ومأجوجَ يموجُ في بعضٍ آخَرَ منهم حين يَخرجُون من السَّدِّ ، مُزدَحِمِين في البلاد ، وذلك بعدَ نُزولِ عيسى عليه السلام » . ثم عَزَّزَ الآلوسيُّ ذلك واستَشْهَد له رحمه الله تعالى بحديثِ النَّوَّاس بن سمعان الذي نشرحه .

وقال الحافظُ ابنُ كثير في « تفسيره » ٣ : ١٠٥ « وقال السُّدِّيُّ في قوله تعالى : ﴿ وتَرَكْنَا بعضَهم يومئذٍ يموجُ في بعض ﴾ قال : ذاك حين يَخرجون على الناس . وهذا كلُّه قَبْلَ يوم القيامة وبَعْدَ الدجَّال ، كما سيأتي بيانُه عند قوله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ حتى إذا فُتِحَتْ يأجوجُ ومأجوجُ وهُمْ مِن كلِّ حَدَبٍ يَنسِلُون . واقترَبَ الوَعْدُ الحقُّ ﴾ . وقال عند هذه الآية في سورة الأنبياء ٣ : ١٩٥ : « وهذه صِفَتُهم في حالِ خروجهم ، كأنَّ السامِعَ مُشاهِدٌ لذلك ؟ ولا يُنبِّئك مثلُ خبير . رأى ابنُ عباس صبياناً يَنْزُو - يَثِبُ - بعضُهم على بعضٍ يَلْعَبون ، فقال : هكذا يَخرجُ يأجوجُ ومأجوج .

وقد وَرَدَ ذكرُ خروجهم في أحاديث متعدِّدةٍ من السُّنَّة النبوية ، منها ما رواه الإمامُ أحمد في « مسنده » ٣ : ٧٧ وابنُ ماجه في =

. . . .

= « سننه » ٢ : ١٣٦٣ واللفظُ لأحمد من حديث أبي سعيد الخُدري قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقـول : تُفتَحُ يأجوجُ ومأجوجُ ، فيَخرجون على النـاس ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وهُمْ من كلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُون ﴾ فيَغْشَوْنَ الناسَ - لفظُ ابنِ ماجه : فيَعمُّون الأرضَ - ويَنحازُ المسلمون عنهم إلى مدائنِهم وحُصونِهم ويَضمُّون إليهم مَوَاشِيَهم . ويَشربون مياهَ الأرض ، حتى إنَّ بعضَهم ليَمرُّ بالنهر فيَشربُون ما فيه حتى يتركوه يابساً ! حتى إنَّ مَنْ بَعدَهم ليَمُرُّ بذلك النهرِ فيقول : قد كان هاهنا ماءٌ مرَّةً !

حتى إذا لم يَبْقَ من الناس أحَدٌ إلا أحَدٌ في حِصنٍ أو مدينة قال قائلُهم : هؤلاء أهلُ الأرض قد فرَغْنا منهم ، بقي أهلُ السماء ، قال : ثم يَهُزُّ أحدُهم حَرْبَتَه ثم يَرْمي بها إلى السماء فتَرجِعُ إليه مخضَّبةً دَماً ، للبلاءِ والفتنة !

فبينا هم على ذلك إذ بَعَثَ اللهُ عزَّ وجلَّ دُوْداً في أعنـاقهم كنَغَفِ الجَرَاد الذي يَخرُجُ في أعناقهم ، - لفظُ ابنِ ماجـه : كنَغَفِ الجـراد فتأخُذُ بأعناقهم - فيُصبِحون مَوْتَى لا يُسمَعُ لهم حِسٌّ . فيقول المسلمون ألا رجلٌ يَشري لنا نفسَهُ فيَنظُرَ ما فَعَلَ هذا العَدُوُّ ؟ قال : فيَنحدِرُ رجلٌ منهم مُحتسباً نَفْسَهُ قد أوطَنَها على أنه مقتـول ، فيَجِدُهُمْ مَوْتَى بعضُهم على بعض ! فيُنادي : يا معشَرَ المسلمين ألا أبْشِرُوا إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد كَفَاكم عَدُوَّكم فيَخرُجون مِن مَدائنِهم وحُصونِهم ، ويُسرِّحون مَواشِيَهم ، فما يكون لهم رَعْيٌ إلا لُحومُهم ، فتَشكَرُ عنه - تَسْمَنُ وتَمتلئ شَحْماً - كأحسَنِ ما شَكِرَتْ عن شيءٍ من النَّبَاتِ أصابَتْهُ قَطُّ». انتهى كلامُ الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى وإيانا .

ويُحْصَرُ نبيُّ الله عيسى عليه السلام وأصحابُهُ [١] ، حتى يكونَ رأسُ الثَّوْرِ لأحدِهم خيراً من مِائةِ دينارٍ لأحدِكم اليوم [٢] ، فيَرْغبُ نبيُّ الله عيسى عليه السلام وأصحابُه إلى الله تعالى [٣] ، فيُرْسِلُ اللهُ عليهم النَّغَفَ في رِقابِهم [٤] ، فيُصْبِحُون فَرْسَى [٥] ، كموتِ نَفْسٍ واحدة .

---

(١) أي يُحاصَرون ويُحبَسون في جبل الطور .

(٢) وهذا مع كمال رُخصِ البقر في تلك الديار ، وذلك أنهم تبلغُ بهم الفاقةُ إلى حَدِّ نَفَادِ مُؤَنِهم وهم مُحاصَرون بيأجوجَ ومأجوج . .

(٣) أي يَدْعون الله تعالى ويَرغبون إليه في إهلاكِ يأجوج ومأجوج ، وإنجائِهم من مُكابدةِ بلائهم وشَرِّهم . ولفظُ (إلى الله تعالى) زيادةٌ من رواية الترمذي .

(٤) أي فيستجيبُ اللهُ لهم ويُرسِلُ عليهم النَّغَفَ في رقابهم ، وهو دُودٌ يكون في أُنوفِ الإبل والغَنَم .

(٥) أي مَوتَى ! قال العلامة التُّورِبِشْتِي رحمه الله تعالى : يعني أن القهرَ الإلهيَّ الغالبَ على كلِّ شيء يَفْرِسُهُم دفعة واحدة ، فيُصبِحون قَتْلَى ! وقد نبَّه ﷺ بالكلمتين أعني : (النَّغَفَ) و (فَرْسَى) على أن الله سبحانه يُهلكهم في أدنى ساعةٍ بأهونِ شيءٍ وهو النَّغَفُ ، فيَفْرِسُهم فَرْسَ السَّبُعِ فريستَهُ بعد أن طارَتْ نُعَرَةُ البغي في رؤوسهم - خُيَلاؤه وكِبْرُه - ، فزعموا أنهم قاتَلُوا من في السماء !

ثم يَهْبِطُ نبيُّ الله عيسى عليه السلام وأصحابُهُ إلى الأرض (١)، فلا يَجِدُون في الأرض مَوْضِعَ شِبْرٍ إلاَّ مَلأَهُ زَهَمُهُم ونَتْنُهُم (٢)! فيَرْغَبُ نبيُّ الله عيسى عليه السلام وأصحابُهُ إلى الله، فيُرسِلُ اللهُ طيراً كأعناقِ البُخْت (٣)، فتَحمِلُهم فتَطْرَحُهم حيث شاء الله.

ثم يُرسِلُ اللهُ مَطَراً لا يَكُنُّ منه بَيْتُ مَدَرٍ ولا وَبَر (٤)، فيَغْسِلُ الأرضَ حتى يَتْرُكَها كالزَّلَفَة (٥).

ثم يُقالُ للأرض: أنبِتي ثَمَرتَكِ ورُدِّي بَرَكَتَكِ، فيومئذ تأكُلُ العِصابةُ (٦) من الرُّمَّانة، ويَستَظلُّون بقِحْفِها (٧)، ويُبَارَكُ في الرِّسْلِ (٨)، حتى إنَّ اللِّقْحةَ من

---

(١) أي يَنزلون من جَبَل الطُّور.

(٢) أي دَسَمُهم ورائحتهم الكريهة!

(٣) البُخْت نوعٌ من الجمال طوالُ الأعناق. أي يُرسلُ اللهُ طيراً كبيرة طويلة قويَّة.

(٤) أي لا يَحفَظُ ولا يَصونُ منه بيتُ ترابٍ أو حجرٍ أو صوفٍ أو شعر.

(٥) أي كالمرآةِ في صفائها ونظافتها. ويروى (كالزَّلقَة) والمعنى واحد. (٦) أي الجماعة.

(٧) أي بقِشرِها لشدة كِبَرِها. (٨) أي اللَّبَن الحليب.

الإِبل لَتَكْفِي الفِئَامَ من النَاس [١] ، واللِّقْحةَ من البَقَر لَتكفي القبيلةَ من الناس ، واللِّقْحَةَ من الغَنَم لَتكفي الفَخْذَ [٢] من الناس .

فبينما هم كذلك إِذْ بعثَ اللهُ رِيحاً طيِّبةً فتأخذُهُم تحتَ آباطِهم ، فتَقْبِضُ رُوحَ كلِّ مؤمنٍ وكلِّ مُسْلِم ، ويَبْقى شِرارُ النَّاس ! يتَهارَجُون فيها تَهارُجَ الحُمُر [٣] ، فعليهم تقومُ الساعة » .

رواه مسلم ـ واللفظُ له ـ وأبو داود ، ولفظهُ : « ثم يَنْزِلُ عيسى ابنُ مَرْيَم عند المَنارَةِ البيضاء شَرْقِيَّ دِمَشْق . . . » ، والترمذيُّ وابنُ ماجه وأحمدُ في «مسنده» والحاكمُ في «المستدرك»، وعزَاه في « كنز العُمَّال » إلى ابنِ عساكر ، وفي لفظه : «اْهبَط

(١) اللِّقْحَة : الناقةُ الحلوبة . والفِئام : الجماعة الكثيرة .

(٢) أي الجماعة أقلّ من القبيلة .

(٣) أي يتسافدون في الأرض تسافُدَ الحمير ، أي يجامع الرجالُ علانيةً النساءَ بحضرة الناس كما يفعل الحمير ، ولا يكترثون لذلك . والهَرْج : الجماع . وهذا نموذجٌ لشيوع الفساد والفواحش حينذاك . إذ في الحديث الذي رواه مسلم في « صحيحه » ١٨ : ٨٨ : « لا تقومُ الساعةُ إلا على شِرارِ الناس » .

عيسى ابنُ مريم »(١) .

الحديث : ٦ عن عبد الله بن عَمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَخْرُجُ الدجَّالُ في أُمَّتِي ، فيَمكُثُ أربعين ، لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً(٢) ،

---

(١) هذه الجملة هكذا جاءت في الأصل معزوَّةً إلى « كنز العمال » ، ولم أجدها فيه ، فالله أعلم .

ومواضع الحديث : مسلم ١٨ : ٦٣ ، أبو داود ٤ : ١٧ ، الترمذي ١٠ : ٩٢ ، ابن ماجه ٢ : ١٣٥٦ ، أحمد ٤ : ١٨١ ، الحاكم ٤ : ٤٩٢ ، « كنز العمال » ٧ : ٢٦٨ . وعزاه الحافظ ابن كثير في « تفسيره » ٣ : ١٩٦ إلى مسلم و « السنن الأربعة » ، ولكني لم أجده في « سنن النسائي » ولا عزاه إليها النابلسيُّ في « ذخائر المواريث » ، فلعلَّه في « السنن الكبرى » ؟

(٢) قال العلامة التُّورِبِشْتي رحمه الله تعالى : قوله (لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً) من قولِ الصحابي ، أي لم يَزِدني النبيُّ ﷺ على (أربعين) شيئاً يُبَيِّنُ المرادَ منها ، فلا أدري أيَّ واحدٍ من هذه الثلاثة أراد ؟ كما نقله عنه العلامة علي القاري في « المرقاة شرح المشكاة » ٥ : ٢٢٧ . وقال القاضي عياض : ويَرفع هذا الشكَّ ما في حديث النوَّاس بن سمعان ـ وقد سبق ذكرُهُ في ص ١١٠ ـ من أنها أربعون يوماً . نقله عنه الأُبِّي في شرحه على « صحيح مسلم » ٧ : ٢٧٦ . وقال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١٣ : ٩٣ بعد إيراده هذا الحديث وفيه هذا الترديد قال : « والجزمُ بأنها =

فيبَعَثُ اللهُ عيسى ابنَ مريم (١) ، كأنه عُرْوَةُ بنُ مسعود (٢) ، فيَطْلُبُه فيُهْلِكُه ، ثم يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِين (٣) ،

= أربعون يوماً مقدَّمٌ على هـذا الترديد . فقد أخرج الطبرانيُّ هـذا الحديثَ من وجـه آخر عن عبد الله بن عَمْرو ـ نفسه ـ بلفظ : يَخْرُجُ ـ يعني الدجَّال ـ فيمكثُ في الأرضِ أربعين صباحاً ، تَرِدُ فيها كلَّ مَنْهَلٍ إلا الكعبة والمدينة وبيتَ المقدس . وفي حديثِ جُنادة ابن أبي أميَّة : أتينا رجلاً من الأنصار من الصحابة ، قال : قام فينا رسول الله ﷺ فقال : أنذرُكم المسيحَ ـ أي الدجَّال ـ يَمكثُ في الأرض أربعين صباحاً يَبلغُ سلطانُهُ كلَّ مَنْهَل ، لا يأتي أربعة مساجد : الكعبةَ ، ومسجدَ الرسول ، ومسجدَ الأقصى ، والطُّورَ . أخرجـه أحمد ، ورجاله ثقات » . انتهى .

(١) أي يُنْزِلُه من السَّماء حاكماً بالإسلام كما سبق ذكره تعليقاً في ص ٩١ ـ ٩٢ .

(٢) أي في صورته وشَبَهه . وعُروةُ بنُ مسعود الثقفيُّ : صحابيٌّ جليل ، عرَّفنا صفتَهُ مِن تشبيهِ الرسول لسيدنا عيسى به . وقد تقدم تعليقاً في ص ١١٧ نعتُ سيدنا عيسى عليه السلام .

(٣) هكذا جاء في جميع نُسَخ « صحيح مسلم » التي رجعتُ إليها وهي مختلفة الطبعات ، وهكذا جاء في « المسند » و « الدر المنثور » و « المستدرك » في جميعها بلفظ (ثم يمكث الناسُ سَبْعَ سنين) برفع (الناس) على الفاعلية ، وهي رواية صحيحة واضحة ، ومعناها عندي ـ والله أعلم ـ : أنَّ الناسَ يعيشون مُتحابِّين ليس بينهم عداوة ولا بغضاء سِنِينَ طويلة ، وهي أربعون سنةً كما بيَّنَتْها روايةُ أبي داود وأحمد المتقدِّمةُ في ص ٩٦ ، ونصُّها : « فيَمكثُ ـ أي سيدُنا عيسى في الأرض =

ليس بين اثنين عداوة ... الحديث . رواه مسلم وأحمد في « مسنده »

= أربعين سنة ، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون » . ويكون ذكر (سبع سنين) هنا رمزاً للكثرة لا للحصر كقوله تعالى : ﴿ كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ﴾ إذ التمثيل فيها للتكثير لا للحصر ، وكقوله سبحانه : ﴿ والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ﴾ ، قال الآلوسي في « تفسيره » ٦ : ٤٨٦ عند هذه الآية « المراد بالسبعة الكثرة بحيث تشمل المائة والألف مثلاً ، لا خصوص العدد المعروف ، كما في قوله عليه الصلاة والسلام : « المؤمن يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء » . انتهى .

أما الرواية التي وقعت قديماً في بعض نسخ « صحيح مسلم » بلفظ « ثم يمكث في الناس سبع سنين » كما جاء منقولاً عن « صحيح مسلم » بهذا اللفظ في « مشكاة المصابيح » من طبعة الهند ص ٤٨١ ومن طبعة دمشق ٣ : ٥١ وفي نسخة « المرقاة شرح المشكاة » للعلامة علي القاري ٥ : ٢٢٧ فتحتاج إلى تأويل ، إذ الضمير فيها في « يمكث سبع سنين » عائد إلى سيدنا عيسى ، فلهذا علّق عليها كل من الحافظ ابن كثير والحافظ ابن حجر رحمها الله تعالى .

قال الحافظ ابن كثير في « تفسيره » ١ : ٥٨٣ « جاء في حديث عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة أن عيسى عليه السلام يمكث في الأرض بعد نزوله أربعين سنة رواه الإمام أحمد ، وفي حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم أنه يمكث سبع سنين . فيحتمل والله أعلم أن يكون المراد بلبثه في الأرض أربعين سنة مجموع إقامته فيها قبل رفعه وبعد نزوله ، فانه رفع وله ثلاث وثلاثون سنة في الصحيح » . انتهى .

قلت : لكن الحافظ ابن حجر لم يرتض هذا الجمع ، فلذا =

وعزاه في « الدر المنثور » إلى « مستدرك الحاكم » ، وفي « كنز العُمَّال » إلى ابن عساكر [١].

الحديث : ٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
قال رسول الله ﷺ : « لا تقومُ السَّاعَةُ حتى يَنْزِلَ الرُّومُ بالأعماقِ أو بدابِقَ [٢] » ،

= حطَّ كلامُه على أن مدة إقامته بعد نزوله عليه السلام أربعين سنة ، إذ ذكَر رواية « سبع سنين » ثم أعقبها بروايات صحيحة فيها ذكرُ « أربعين سنة » وسكت عليها مرتضياً لها ، وهذه عبارته في « فتح الباري » ٦ : ٣٥٧ « روى مسلم من حديث ابن عَمْرو في مدة إقامة عيسى بالأرض بعد نزوله أنها سَبْعُ سنين . وروى نُعَيم بن حمَّاد في كتاب الفتن من حديث ابن عباس أن عيسى إذ ذاك يتزوَّجُ في الأرض ويُقيم بها تِسْعَ عشرةَ سنةً ، وبإسنادٍ فيه راوٍ مُبْهَم عن أبي هريرة يقيمُ بها أربعين سنة ، وروى أحمد وأبو داود بإسنادٍ صحيح من طريق عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : فيَمكثُ – أي عيسى – في الأرض أربعين سنة » . انتهى . فليكن هو المعوَّلَ عليه ، والله تعالى أعلم .

(١) مواضع الحديث : مسلم ١٨ : ٧٥ ، أحمد ٢ : ١٦٦ « والدر المنثور » ٢ : ٢٤٤ ، « مستدرك الحاكم » ٤ : ٥٤٣ « كنز العمال » ٧ : ٢٥٨ .

(٢) الشك من الراوي . قال العلامة ياقوت الحموي في « معجم البلدان » : « الأعماقُ جاء بلفظ الجمع ، والمرادُ به العَمْقُ ، =

فيَخرُجَ (١) إليهم جيشٌ من المدينةِ (٢) من خيارِ أهلِ الأرضِ يومئذ ، فاذا تَصافّوا قالت الرُّوم : خَلُّوا بيننا وبين الذين سُبُوا (٣) منّا نُقاتِلْهم ، فيقول المسلمون : لا والله لا نُخلّي بينكم وبين إخوانِنا ، فيقاتلونَهم (٤) ، فينهزِمُ ثُلُثٌ لا يتوبُ اللهُ عليهم أبداً (٥) ، ويُقتَلُ ثُلُثٌ هم أفضلُ الشهداء عند الله ، ويَفتَتِحُ الثُّلُثُ لا يُفتَنُون أبداً ، فيَفتَتِحون

= وهي كورة ـ أي ناحية ـ قُرْبَ دابق بين حلب وأنطاكية » . ثم قال : « دابق : قريةٌ قُرْبَ حلب من أعمال عَزَاز ، بينها وبين حلب أربعة فراسخ » .

(١) بالنصب ، ويرفع . كما في « المرقاة » لعلي القاري ٥ : ١٥٩ .

(٢) قال الأُبّي في شرحه على « صحيح مسلم » ٧ : ٢٤٥ «يحتمل أنها مدينة النبي ﷺ لأنها صارت كالعَلَم عليها ، وسياقُ الحديث يدل أنها في بلاد الشام » . وقال العلامة علي القاري « قال ابنُ مَلَك : قيل المرادُ بها : مدينة حلب ، والأعماقُ ودابِقُ موضعان بقُرْبِها ، وقيل : المرادُ بها دمشق . وقال في الأزهار : وأما ما قيل من أن المراد بها مدينة النبي ﷺ فضعيف » .

(٣) أي أُسِرُوا وأُخِذُوا منا ، ثم آمَنُوا وقاتلونا معكم ! وروي (سَبَوْا) بفتح السين والباء ، أي الذين أخذوا منّا الأَسْرَى .

(٤) أي يُقاتِل المسلمون الكفارَ .

(٥) أي ثُلُثٌ من المسلمين ، لا يُلْهَمون التوبة .

قُسْطَنْطِينِيَّة [١] ، فبينما هم يَقْتَسِمُون الغنائمَ ، قد علَّقُوا سُيوفَهم بالزَّيْتُون ، إذْ صَاحَ فيهم الشيطانُ : إنَّ المَسِيحَ [٢] قد خَلَفَكُم في أهلِيكم ، فيَخرجون [٣] ، وذلك باطِلٌ [٤] ، فاذا جاءوا الشامَ خَرَجَ [٥] ، فبينما هم يُعِدُّون للقِتالِ يُسوّون

---

(١) ويقال فيها : قُسْطَنْطِيَة . وهي اصطنبول ، كما في « معجم البلدان » .

(٢) لفظ (المَسِيح) هنا لقبٌ للدجَّال . وإطلاقُ لفظ (المَسِيح) عليه من غير قَرْنه بلفظ (الدجَّال) : قليلٌ نادر كما جاء في هذا الحديث ، والغالبُ أن يقال فيه : (المَسِيحُ الدجَّال) .

وذكَرَ العلماء في سبب تلقيبه بالمسيح وجوهاً كثيرة منها : أنه لُقِّبَ بالمسيح لأنه ممسوحُ العين ـ وهي العين اليُمنى كما حقَّقه النووي في « شرح صحيح مسلم » ٢ : ٢٣٥ ـ وقيل : لأنه أعور ، وقيل : لأنه يمسَحُ الأرضَ أي يقطعها في المدَّة القليلة ، أو يطوفها كلَّها إلا مكَّة والمدينة وبيت المقدس والطُّور كما سبق آنفاً ذكْرُهُ تعليقاً في ص ١٢٧ . وقد سمَّاه النبيُّ ﷺ : مَسِيحَ الضلالة ، تفرقةً بينه وبين سيدنا عيسى المسيح عليه الصلاة والسلام كما سلف بيانه تعليقاً في ص ٣٦ ، ويأتي تعليقاً في ص ١٤٠ . وفي آخر الحديث الخامس عشر .

(٣) أي يَخرج المسلمون الفاتحون من مدينة قُسْطَنطينيَّة .

(٤) أي وذلك القولُ الذي قاله الشيطان باطلٌ وزُور .

(٥) أي إذا جاءوا من قسطنطينية إلى بلاد الشام ودخلوا القدس ـ كما في رواية ـ خرج حينئذ المسيحُ الدجَّال .

الصُّفوفَ إذْ أُقيمتْ الصلاةُ فيَنْزِلُ عيسى ابنُ مريم فأمَّهُم [١]، فإذا رآه عَدُوُّ الله ذابَ كما يَذُوبُ المِلحُ في الماءِ ، فلو تَرَكَهُ لانْذَابَ حتى يَهْلِك ، ولكن يَقْتُلُه الله بيدِهِ [٢] ، فيُريهم دَمَهُ في حَرْبَتِه » . أخرجه مسلم [٣] .

الحديث : ٨ عن حُذَيفَةَ بن أَسِيدٍ الغِفَاري رضي الله عنه قال : اطَّلَعَ النبيُّ ﷺ علينا ، ونحن نَتذاكَرُ ، فقال : « ما تَذاكَرُون ؟ قالوا : نَذْكُرُ السَّاعَة ، قال : إنها لن تقومَ حتى تَرَوْا قَبْلَها عَشْرَ آيات [٤] ، فذكَرَ

---

(١) سبق في الحديث الثالث ص ٩٩ : « فيقول أميرُهم ـ لعيسى ـ تعالَ فصلِّ ، فيقول : لا ، إنَّ بعضكم على بعض أمراء ... » ، فيكون معنى « أمَّهُم » هنا : أمَرَ إمامَهم بالإمامة . ففيه مجاز .

(٢) أي بيدِ سيدنا عيسى عليه السلام .   (٣) ١٨ : ٢١ .

(٤) أي عشرَ علامات . وقد جاءت العلاماتُ العشْرُ هنا معطوفاً بينها بالواو ، والواو لمطلق الجمع ، فلا تفيد أنها ستقع بالترتيب المذكور هنا . وهذه الآياتُ كما قال الطيبي رحمه الله تعالى ـ ونقَله عنه الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١١ : ٣٠٣ ـ أماراتٌ وعلاماتٌ للساعة إمَّا على قُرْبِها ، وإمَّا على حصولِها وقيامِها ، فمِن أمَاراتِ قُرْبِها : الدجَّالُ ، ونزولُ عيسى عليه السلام ، ويأجوجُ ومأجوج ، والخسف . ومن أمَاراتِ قيامِها : الدُّخانُ ، وطلوعُ الشمس من مغربها ، وخروجُ الدابَّةِ ، والنارِ التي تَحشُرُ الناسَ .

الدُّخَانَ (١) ، والدَّجَّالَ (٢) ،

---

(١) قال الصحابي الجليل عبد الله بن عُمَر رضي الله عنه : يَخرجُ الدخانُ فيأخذُ المؤمنَ كهيئة الزُّكام ، ويَدخلُ في مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس الحنيذ . أي كالرأس المشويّ على الجَمْر . رواه ابن جرير في « تفسيره » ٢٥ : ٦٨ . وقد جاء تفسيرُ (الدُّخان) بهذا المعنى عن عَدَدٍ من أجلاَّء الصحابة . رَفَعَهُ بعضُهم إلى رسول الله ﷺ كأبي سعيد الخدري وأبي مالك الأشعري رضي الله عنها ، ووقَفَهُ بعضُهم ولم يرفعه كعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس رضي الله عنها .

قال الحافظ ابن كثير في « تفسيره » ٤ : ١٣٩ بعد أن ذكر تفسيرَه مسنداً إلى ابن عباس : وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنها حَبْرِ الأمّة وترجمانِ القرآن ، وهكذا قولُ من وافقَهُ من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين ، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاحِ والحسانِ وغيرِها مما فيه مَقْنَعٌ ودلالةٌ ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة ، مع أنه ظاهرُ القرآن ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فارتَقِبْ يومَ تأتي السَّماء بدُخَانٍ مُبين ﴾ أي بَيِّنٍ واضحٍ يراه كلُّ أحد ﴿ يَغْشَى الناس ﴾ أي يتغشَّاهم ويَعُمُّهم ﴿ هذا عذابٌ أليم ﴾ أي يُقالُ لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً ، أو يقول ذلك بعضُهم لبعض ، ﴿ ربَّنا اكشِفْ عنا العذابَ إنا مؤمنون ﴾ أي يقولُ الكافرون ذلك إذا عاينوا عذابَ الله وعقابه سائلين رَفْعَه وكَشْفَه عنهم كقوله جلَّتْ عظمَتُه : ﴿ ولو تَرى إذْ وُقِفُوا على النار فقالوا يا ليتنا نُرَدُّ ولا نُكذِّبَ بآياتِ ربِّنا ونكونَ من المؤمنين ﴾ . انتهى .

(٢) سبق الحديثُ عنه مستوفىً في الحديثِ الخامس والتعليقِ عليه ص ١٠٢ - ١٠٦ .

والدَّابَّةَ (١) ،

---

(١) هي المَعْنِيَّةُ بقوله تعالى في سورة النمل : ﴿ وإذا وقع القولُ عليهم أخرَجْنا لهم دابَّةً من الأرض تُكلِّمُهم أنَّ الناسَ كانوا بآياتِنا لا يُوقِنُون ﴾ .

قال الحافظ ابن كثير في « تفسيره » ٣ : ٣٧٤ « هذه الدابّةُ تَخرجُ في آخر الزمان عند فسادِ النـاس ، وتَرْكِهم أوامِرَ الله ، وتبديلِهم الدينَ الحقَّ ! يُخرِجُ الله لهم دابَّةً من الأرض فتُكلِّمُ الناسَ على ذلك » . قال الآلوسيُّ في « روح المعاني » ٦ : ٣١٤ « أيْ تُكلِّمُهم بأنهم لا يَتيقَّنُون بآياتِ الله تعالى الناطقةِ بمجيءِ الساعة ومَباديها ، أو بجميع آياته التي من جملتها تلك الآيات . وقُصارَى – أي غايةُ – ما أقولُ في هذه الدابّة أنها دابَّةٌ عظيمةٌ ذاتُ قوائم ، ليست من نوع الإنسان أصلاً ، يُخرجها اللهُ تعالى آخِرَ الزمان من الأرض ، وتَخرُجُ وفي الناس مؤمن وكافر .

ويدلُّ على ذلك ما أخرجه أبو داود الطيالسي في « مسنده » ص ٣٣٤ ، وأحمدُ في « مسنده » ٢ : ٢٩٥ و ٤٩١ ، والترمذيُّ في « سننه » ١٢ : ٦٣ وحَسَّنَهُ ، وابنُ ماجه في « سننه » ٢ : ١٣٥١ واللفظُ له ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « تَخرُجُ الدابّةُ ومعها خاتَمُ سليمان بن داود ، وعَصَا موسى بنِ عِمران ، عليهما السلام ، فتَجلُو وَجْهَ المؤمن – أي تُنوِّرُهُ وتُبيِّضُهُ – بالعَصَا ، وتَخطِمُ أنْفَ الكافر – أي تَسِمُهُ وتَجعَلُ عليه علامةً – بالخاتم ، حتى إنَّ أهلَ الحِواء – أي أهلَ الحي الذين يَجمعهم ماءٌ يَستقون منه – ليَجتمعون ، فيقولُ هذا : يا مؤمن ، ويقولُ هـذا : يا كافر » . ثم قال الآلوسي : وهذا الخبرُ أقربُ الأخبار المذكورة في الدابّةِ للقبول » . انتهى .

. . . .

= وقال الإمام القرطبي في « تذكرته » كما في « مختصر التذكرة » للشعراني ص ١٤١ : « قال بعضُ العلماء : قد جاء في الروايات إذا خَرَجَ يأجوجُ ومأجوجُ ، وقتلَهم اللهُ بالنَّغَف في أعناقهم ، وقبَضَ الله تعالى نبيَّه عيسى عليه السلام ، وخلَتْ الأرضُ منهم ، وتطاولت الأيام على الناس ، وذهب معظمُ دينِ الإسلام : أخَذَ الناسُ في الرجوع إلى عاداتهم ! وأحدثوا الأحداثَ من الكفر والفسوق ، كما أحدثوه بعْدَ كلِّ قائمٍ نَصَبَهُ الله تعالى بينَهُ وبينَهم حُجَّةً عليهم ثم قبضَهُ ، فيُخرج اللهُ تعالى لهم دابَّةً من الأرض ، فتميِّزُ المؤمنَ من الكافر ليرتدع بذلك الكُفَّارُ عن كفرهم ، والفُسَّاقُ عن فسقهم ، ويَستبصروا ويرجعوا عمَّا هم فيه من الفسوق والعصيان ، ثم تَغيبُ الدابَّةُ عنهم ويُمهَلُون ، فاذا أصرُّوا على طغيانهم طلعَتْ الشمسُ من مغربها ، ولم يُقبَل بعد ذلك من كافرٍ ولا فاسقٍ توبةٌ ، وأُزيلَ الخطابُ والتكليفُ عنهم ، ثم كان قيامُ الساعة على أثَرِ ذلك قريباً ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وما خلَقْتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليَعبُدون ﴾ ، فاذا قَطَعَ عنهم التعبُّدَ لم يُقِرَّهم بعد ذلك في الأرض زماناً طويلاً » . انتهى .

قلتُ : جرى قائلُ هذا الكلام على أنَّ خروجَ الدابَّة يكون قبل طلوع الشمس من مغربها . واستظهر الحاكمُ أبو عبد الله النيسابوري أنَّ طلوع الشمس من مغربها يَسبقُ خروجَ الدابَّة ، ثم تَخرجُ الدابَّة في ذلك اليوم أو الذي يَقرُبُ منه . قال الحافظ ابن حجر بعد نقلِه قولَ الحاكم في « فتح الباري » ١١ : ٣٠٤ « والحكمةُ في ذلك أنَّ عند طلوع الشمس من المغرب يُغلَقُ بابُ التوبة ، فتَخرُج الدابَّةُ تميِّزُ المؤمنَ من الكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة » . انتهى . ففي المسألة قولان ، رجَّح الحافظُ ابن حجر منها أسبقيةَ طلوع الشمس من مغربها .

وطلوعَ الشَّمسِ من مغربِها [1] ، ونُزُولَ عيسى ابنِ مريم ، ويأجوجَ ومأجوجَ [2] ، وثلاثةَ خُسُوفٍ : خَسْفٍ بالمشرِق ، وخَسْفٍ بالمغرب ، وخَسْفٍ بجزيرة العرب ، وآخِرُ ذلك : نارٌ تَخرُجُ مِن اليَمَن ، تَطْرُدُ الناسَ إلى مَحْشَرِهم » [3] .

---

(١) روى البخاري في « صحيحه » ١١ : ٣٠٣ و ١٣ : ٧٢ عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعةُ حتى تَطلُعَ الشمسُ من مغربها ، فاذا طلعَتْ فرآها الناسُ آمَنُوا أجمعون ، فذاك ﴿ حينَ لا يَنفَعُ نَفْساً إيمانُها لم تكن آمنَتْ من قبلُ أو كسبَتْ في إيمانِها خيراً ﴾ ، ولَتَقومَنَّ السَّاعةُ وقد نَشَرَ الرجلانِ ثوبَهما بينهما فلا يَتَبايعانه ولا يَطويانه ! ولَتَقومَنَّ السَّاعةُ وقد انصرفَ الرجلُ بلَبَنِ لِقْحَتِه ـ أي ناقته ـ فلا يَطْعَمُه ! ولَتَقومَنَّ السَّاعةُ وهو يَليطُ حَوْضَهُ ـ أي يُطيِّنُه ويُصلحه ـ فلا يَسقي فيه ! ولَتَقومَنَّ السَّاعةُ وقد رَفَع أحدُكم أُكْلتَهُ إلى فيه ـ أي فمِه ـ فلا يَطعَمُها ! » . انتهى . وصَدَقَ سيدُنا رسولُ الله ﷺ فانَّ الله تعالى يقول : ﴿ لا تأتيكم إلاَّ بغتَةً ﴾ .

(٢) سبق الحديث عنهم مستوفىً في الحديث الخامس والتعليق عليه ص ١١٩ - ١٢٢ .

(٣) أي تسوقهم إلى مكان حشرهم وهو أرض بلاد الشام . وقد ثبت ذلك في عِدَّة أحاديثَ أوردها الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١١ : ٣٢٦ و ٣٢٨ ، قال رحمه الله تعالى :

عن عبد الله بن عُمَر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ستَخرجُ نارٌ من حضرموت قَبْلَ يوم القيامة ، تحشُرُ الناسَ ، =

. . . .

= قلنا : يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال : عليكم بالشام » . رواه الترمذي في « سننه » ٩ : ٦٢ وقال : هـذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عُمَر ، ورواه أحمد في « مسنده » ٢ : ٨ و ٥٢ و ٦٩ ، و ٩٩ و ١١٩ و أبو يعلى .

وعن معاوية بن حَيْدَة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إنكم محشورون ، ونَحَا بيده نحوَ الشام ، رِجالاً - أي مُشاةً - ورُكباناً - أي راكبين على الجمال - وتُجَرُّون على وجوهكم » . رواه الترمذيُّ في « سننه » ٩ : ٢٥٧ - وقال : هذا حديث حسن صحيح - والنسائيُّ ، وسندُهُ قوي .

وعن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ستكون هجرة بعد هجرة ، فخيارُ أهلِ الأرض ألزَمُهم مُهاجَرَ إبراهيم - أي بلادَ الشام - ويَبقى في الأرض شِرارُ أهلها ، تَلفِظُهم أرَضُوهم ، وتَقْذَرُهم نَفسُ الله - أي يَكرَهُ الله خروجَهم إلى الشام ومُقامَهم بها فلا يُوفِّقهم لذلك - فتَحشُرهم النارُ مع القِرَدةِ والخنازير » . رواه أبو داود في « سننه » ٣ : ٤ والحاكم في « المستدرك » ٤ : ٥١٠ وقال : صحيح على شرط الشيخين ، وأقره الذهبي في « تلخيص المستدرك » .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أوَّلُ أشراطِ الساعةِ : نارٌ تَحشُرُ الناسَ من المشرق إلى المغرب » . رواه البخاري في « صحيحه » ٦ : ٢٦١ . وعن عبد الله بن عَمْرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « تَبعَثُ نارٌ على أهلِ المشرق فتَحشُرهم إلى المغرب ، تَبيتُ معهم حيث باتوا ، وتَقيلُ معهم حيث قالوا =

. . . .

= ـ من القيلولة وهي النومُ في وقت الضُّحى ، والمرادُ أنَّ النـار تلازمهم فتكون معهم حيث كانوا في الليل والنهار ـ ويكونُ لها ماسَقَطَ منهم وتَخلَّف ، وتَسُوقُهم سَوْقَ الجَمَلِ الكسير » . أي تسوقهم ببُطْء . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٨ : ١٢ : « رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله ثقات » . وعزاه الحافظ ابن حجر إلى « مستدرك » الحاكم ، وخفي عليَّ مكانُه .

وعن حُذَيفة بن أَسِيدٍ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « ... وآخِرُ ذلك ـ أي وآخِرُ العلاماتِ الكبرى للساعة ـ نارٌ تخرجُ من قَعْرِ عَدَن ، تَرْحَلُ الناسَ إلى المحشر » . رواه مسلم في « صحيحه » ١٨ : ٢٨ ـ ٢٩ وأبو داود في « سننه » ٣ : ١١٥ .

ثم قال الحافظ ابن حجر : « ووجهُ الجمع بين هذه الأخبار أنَّ كون النار تَخرجُ مِن قَعْرِ عَدَن لا ينافي حَشْرَها من المشرق إلى المغرب ، وذلك أن ابتـداء خروجها مِن قَعْرِ عَدَن ، فاذا خرجت انتشرَتْ في الأرض كلها . والمقصودُ بقوله ﷺ : « تحشُرُ الناسَ من المشرق إلى المغرب » : إرادَةُ تعميم الحشر ، لاخُصوصُ المشرق والمغرب ، وأما جعلُ الغاية إلى المغرب فلأنَّ الشام بالنسبة إلى المشرق : مغرب » . انتهى بزيادة وتصرف .

وقد تضمَّنَتْ هذه الأحاديثُ بيانَ مكانِ خروج النار ، وبيانَ وَقْتِ خروجها ، وكيفيةَ سوقها للناس ، ومنتهاها بهم . وجاء في حديثٍ آخر بيانُ حال الناس حين يُساقُون إلى المحشر في الشام :

روى البخاري في « صحيحه » ١١ : ٣٢٦ ومسلم في « صحيحه » أيضاً ١٧ : ١٩٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : =

أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه [١]

الحديث : ٩ عن ثَوْبانَ رضي الله عنه مَولى رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ : « عِصابَتانِ مِن أُمَّتي أحْرَزَهُما اللهُ تعالى مِن النار [٢] ، عِصابةٌ تَغزُو الهند ، وعِصابةٌ تكون مَعَ عيسى ابنِ مَرْيَم عليه السلام » . أخرجه النَّسائي في « السُّنَن » من الجهاد ، وأحمدُ في « مسنده » والضياء في « المختارة » كما عزاه إليه في « كنز العُمَّال » ، وعزاه في « مجمع الزوائد » إلى الطبراني في

= « يُحشَرُ الناسُ – أي إلى الشام قبل قيام الساعة وهم أحياء – على ثلاثِ طرائق – أي على ثلاثِ أحوال – راغبين وراهبين ، واثنانِ على بعير ، – هذا معطوفٌ على محذوفٍ تقديرُه : واحدٌ على بعير ، واثنانِ على بعير – وثلاثةٌ على بعير ، وأربعةٌ على بعير ، وعشَرةٌ على بعير – أي أنهم يَتعاقبون على ركوب البعير الواحد ، فيركَب بعضُهم ويمشي بعضُهم – ، وتَحشُرُ بقيَّتَهم النارُ ، تَقِيلُ معهم حيث قالوا ، وتَبِيتُ معهم حيث باتوا ، وتُصبحُ معهم حيث أصبحوا ، وتُمسِي معهم حيثُ أمْسَوْا » . أي تُلازِمُهم كلَّ الملازمة إلى أن يَصِلُوا إلى مكان الحشر ، نسألُ الله السلامة والعون .

(١) مواضع الحديث : مسلم ١٨ : ٢٧ ، أبو داود ٤ : ١١٤ ، الترمذي ٩ : ٣١ ، ابن ماجه ٢ : ١٣٤٧ .

(٢) أي حَفِظَها .

« الأوسط »[1] . وهذا الحديثُ صحيحٌ على شرط النَّسائي .

الحديث : ١٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ليس بيني وبينه نبيٌّ ، يعني عيسى ، وإنه نازلٌ ، فاذا رأيتموه فاعْرِفوه : رجلٌ مَربوعٌ إلى الحُمرة والبياض[2] ، بين مُمَصَّرتين ، كأنَّ رأسه يَقْطُر وإنْ لم يُصبه بَلَلٌ ، فيُقاتِلُ الناسَ على الإسلام ، فيَدُقُّ الصَّليب ، ويَقْتُل الخِنزير ، ويَضَعُ الجزية ، ويُهلِكُ اللهُ في زمانه المِلَلَ كلَّها إلاَّ الإسلام، ويُهلِك المسيحَ الدجَّال[3] ، فيَمْكُثُ[4] في الأرض أربعين سنةً ، ثم يُتوفَّى ، فيُصلِّي عليه المسلمون »[5] . رواه أبو داود واللفظ له وابنُ أبي شيبة وأحمد في « مسنده » وابنُ حِبَّان في « صحيحه » وابن جرير ، كما في « الدر المنثور » وصَحَّحه الحافظُ ابن حجر في « فتح

---

(١) مواضع الحديث : النسائي ٦ : ٤٢ ، أحمد ٥ : ٢٧٨ ، « كنز العمال » ٧ : ٢٠٢ ، « مجمع الزوائد » ٥ : ٢٨٢ .

(٢) سبق شرحُ ألفاظِ هذه الجملة والجُمَل التي تليها في ص ٩٥ ، فانظره .

(٣) لفظ رواية ابن جرير : « ويُهلِكُ اللهُ في زمانه مَسيحَ الضلالة الكذابَ الدجَّال » .

(٤) أي سيدُنا عيسى عليه السلام .

(٥) زادَ في رواية أحمد وابن جرير : « ويَدْفنُونَه » .

الباري » من نزول عيسى عليه السلام (١) .

الحديث : ١١ عن مُجَمّعِ بنِ جاريةَ الأنصاري رضي الله عنه يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يَقتُلُ ابنُ مريم الدجَّالَ بباب لُدّ » (٢) . رواه الترمذي وقال : هذا حديثٌ صحيح ، ورواه أحمد في « مسنده » بأربعةِ طُرُق ، وفي بعض طرقه: « إلى جانبِ بابِ لُدّ » (٣) .

الحديث : ١٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا تقوم السَّاعَةُ حتى يَنزِلَ عيسى ابنُ مريم حَكَماً مُقْسِطاً ، وإماماً عَدْلاً ، فيَكْسِرُ الصَّليبَ ، ويَقْتُلُ الخِنزيرَ ، ويَضَعُ الجزية ، ويُفيضُ المالَ حتى لايَقبَلَهُ أحد (٤) .

---

(١) مواضع الحديث : أبو داود ٤ : ١١٧ ، أحمد ٢ : ٤٣٧ ، ابن جرير في « تفسيره » ٦ : ١٦ . أما ابن أبي شيبة وابن حِبّان فكتاباهما غير مطبوعين ، « الدر المنثور » ٢ : ٢٤٢ ، « فتح الباري » ٦ : ٣٥٧ .

(٢) بلدةٌ في فلسطين قريبةٌ من بيت المقدس .

(٣) مواضع الحديث : الترمذي ٩ : ٩٨ ، أحمد ٣ : ٤٢٠ .

(٤) في رواية أحمد : وليَدْعُوَنَّ إلى المال فلا يقبلُه أحد .

رواه ابنُ ماجه واللفظُ له، وأحمدُ في «مسنده»[١].

الحديث : ١٣ عن أبي أُمامة الباهِلِيّ رضي الله تعالى عنه قال : خَطَبَنا رسولُ الله ﷺ فكان أكثرُ خُطبتِه حديثاً حدَّثَنَاهُ عن الدجَّالِ وحذَّرَنَاهُ، فكانَ مِن قوله أنْ قال :

« إنَّه لم تكن فِتنةٌ في الأرضِ مُنْذُ ذَرَأَ اللهُ[٢] ذُرِيَّةَ آدم أعظَمَ مِن فِتنةِ الدَّجَّال، وإنَّ الله لم يَبْعَثْ نبيَّاً إلاَّ حَذَّر أُمَّتَهُ الدجَّال، وأنا آخِرُ الأنبياء، وأنتم آخِرُ الأُمَم، وهو خارِجٌ فيكم لا مَحالةَ، وإنْ يَخرُجْ وأنا بين ظَهْرانَيْكُم[٣] فأنا حَجِيجٌ لِكلِّ مسلم[٤]، وإنْ يَخْرُجْ مِن بَعْدِي فكلٌّ حَجِيجُ نفسِه[٥]، واللهُ خليفتي على كلِّ مسلم، وإنَّه يَخرجُ مِن

---

(١) مواضع الحديث : ابن ماجه ٢ : ١٣٦٣، أحمد ٢ : ٤٩٤.

(٢) أي مُنْذُ خَلَقَ اللهُ...   (٣) أي وأنا موجود بينكم.

(٤) أي مُحاجٌّ للدجَّال ومُغالِبُه بإظهار الحُجَّة عليه ومبطلٌ أمرِه مناصَرةً مني لكل مسلم.

(٥) أي كلٌّ مسلم يَدْفَعُ عن نفسه، وقد استَخلفتُ اللهَ عليكم فهو لكم نِعم العَونُ على دَحْرِه وقهره.

خَلَّةٍ بين الشام والعراق [١] ، فيَعيثُ يميناً ، ويَعيثُ شمالاً [٢] ، يا عبادَ الله فاثبُتُوا ، فاني سأصِفُهُ لكم صِفَةً لم يَصفها إيَّاه نبيٌّ قبلي . إنَّه يَبْدأُ فيقول [٣] : أنا نبيٌّ . ولا نَبِيَّ بَعدي .

ثمَّ يُثَنِّي ويقولُ : أنا ربُّكم . ولا تَرَوْنَ ربَّكم حتى تموتوا [٤] ، وإنَّه أعورُ ، وإنَّ ربَّكم ليس بأعور ، وإنَّه مكتوبٌ

---

(١) أي يَخرجُ من طريقٍ واقعٍ بينهما .

(٢) أي يُفسِدُ عن يمينه وعن شماله . (٣) أي عن نفسِهِ .

(٤) أي لا يَرى اللهَ أحدٌ من الناس في الدنيا قبل موته سوى ما خُصَّ به سيدُنا رسول الله ﷺ . وجاء عند مسلم في « صحيحه » ١٨ : ٥٦ والترمذي في « سننه » ٧ : ٨٧ : قال الزهري : أخبرني عُمَرُ بن ثابت الأنصاريُّ أنه أخبره بعضُ أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم حَذَّر من الدجَّال : « مكتوبٌ بين عينيه كافر ، يقرأه كلُّ من كَرِهَ عملَهُ أو يَقرأه كلُّ مؤمن . وقال : تَعَلَّموا — أي اعْلَمُوا — أنه لن يَرى أحدٌ منكم رَبَّه حتى يموت » . أي لا يَراه إلا بعد الموت وفي الدار الآخرة . قال السندي في حاشيته على « صحيح مسلم » ص ٨٧ « فكلٌّ من يدَّعي ذلك — أي رؤية الله في الدنيا — فهو كاذب . ولا يدل الحديث على أنه ﷺ لم يره ليلة المعراج ، لقوله : (أحد منكم) » » . انتهى .

وقال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١٣ : ٨٤ « وفيه : تنبيهٌ على أن دعواه الربوبية كذب ، لأن رؤية الله مقيَّدةٌ بالموت . والدجَّال يدَّعي أنه الله ، ويَراه الناسُ مع ذلك ! وفيه أيضاً : رَدٌّ على من يَزعُمُ أنه يَرى اللهَ تعالى في اليقَظَة ! تعالى الله عن ذلك . =

بين عينيه : (كافر) ، يَقرأهُ كلُّ مؤمنٍ كاتبٍ أو غيرِ كاتب [١] .

وإنَّ من فِتنتِه أنَّ معه جَنَّةً وناراً ، فنارُه جَنَّةٌ ، وجَنَّتُهُ نار [٢] ، فمن ابتُلِيَ بنارِه فلْيَستغِثْ بالله . ولْيَقرأْ فواتحَ الكهف [٣] ، فتكونُ عليه بَرْداً وسلاماً كما كانت النَّارُ

= ولا يَرِدُ على ذلك رؤيةُ النبي ﷺ لله تعالى ليلة الإسراء ، لأن ذلك من خصائصه ﷺ ، فأعطاه الله تعالى في الدنيا القوَّة التي يُنْعِمُ بها على المؤمنين في الآخرة » .

(١) قال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » ١٨ : ٦٠ : الصحيح الذي عليه المحققون أن هذه الكتابة على ظاهرها ، وأنها كتابةٌ حقيقةٌ ، جعلَها الله آيةً وعلامةً من جملة العلامات القاطعة بكفرِ الدجَّال وكذبِه وإبطاله ، ويُظهرها الله تعالى لكلِّ مسلمٍ كاتبٍ وغيرِ كاتب ، ويُخفيها عمن أراد شقاوتَه وفِتنتَه .

(٢) وعن حُذَيفَة رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ الدجَّال يَخرجُ وإنَّ معه ماءً وناراً ، فأمَّا الذي يَراه الناسُ ماءً فنارٌ تُحرِقُ ، وأمَّا الذي يَراه الناسُ ناراً فماءٌ باردٌ عَذْبٌ ، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يَراه ناراً ، فانه ماءٌ عَذْبٌ طيِّب » . رواه مسلم في « صحيحه » ١٨ : ٦٢ .

قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١٣ : ٨٨ وهذا يرجع إلى اختلاف المرئي بالنسبة إلى الرائي ، فإمَّا أن يكون الدجَّال ساحراً فيخيِّلُ الشيءَ بصورةِ عكسه ، وإمَّا أن يَجعل اللهُ باطنَ الجنةِ التي يُسخِّرُها الدجالُ ناراً ، وباطنَ النارِ جنَّة ، وهذا الراجحُ . انتهى .

(٣) سبق تعليقاً في ص ١٠٩ وجهُ قراءة فواتح سورة الكهف على الدجَّال ، فارجع إليه .

على إبراهيم .

وإنَّ من فتنته أن يقولَ لأعرابيّ : أرأيتَ[١] إنْ بعثتُ لك أباك وأمَّك أتشهدُ أنّي ربُّك ؟ فيقولُ : نعمْ ، فيتمثّلُ له شيطانان في صورة أبيه وأمّه ، فيقولان : يا بُنيَّ اتّبعْهُ فانّه ربُّك !

وإنَّ من فتنته أنْ يُسلَّطَ على نفسٍ واحدةٍ فيقتُلَها وينشُرَها بالمنشار حتى يُلقى شِقَّتَيْن[٢] ، ثم يقولُ : انظُروا إلى عبدي هذا فانّي أبعثُهُ الآنَ ، ثم يزعُمُ أنَّ له ربّاً غيري ، فيبعثُهُ اللهُ . ويقولُ له الخبيثُ : منْ ربُّك ! فيقولُ : ربّيَ اللهُ ، وأنتَ عدُوُّ الله ، أنتَ الدجّالُ ، والله ما كنتُ بعدُ أشدَّ بصيرةً بك منّي اليوم[٣] .

---

(١) أي أخبرني .

(٢) أي يقعَ ذلك الإنسانُ المقتولُ على الأرض مقسوماً قطعتين . وتقدَّمَ في الحديث الخامس ص ١١٤ أنَّ الدجّالَ يدعو شابّاً ممتلئاً شباباً ، فيضربه بالسيف فيقطعه قطعتين رميةَ الغرَض - أي تتباعدُ كلُّ قطعةٍ من القطعتين عن الأخرى كبُعدِ السهم المرميّ عن القوس - ثم يمشي الدجّالُ بين القطعتين . وإنما يصنعُ الدجّالُ هذا وذاك ليُظهرَ للناس أن ذلك الإنسانَ المقتولَ قد هلك بلا ريب ، كما يفعله السَّحَرةُ والمشعبذون . (٣) يعني أنا اليوم أعرفُ بكذبك من كلّ يومٍ مضى .

قال أبو الحسَن الطَّنَافِسِيُّ (١) : فحدَّثَنا المُحَارِبيُّ (٢) ، حدَّثَنا عُبَيْدُ الله بنُ الوليد الوَصَّافيُّ ، عن عطيَّة ، عن أبي سَعيدٍ رضي الله عنه (٣) قال : قال رسولُ الله ﷺ : ذلك الرَّجُلُ أرفعُ أُمَّتي دَرَجةً في الجنَّة . قال : قال أبو سَعيدٍ : واللهِ ما كنَّا نَرَى ذلك الرَّجُلَ إلاَّ عُمَرَ بنَ الخطَّاب رضي الله عنه حتى مَضَى لسبيله .

قال المُحارِبيُّ : ثمَّ رَجَعْنَا إلى حديثِ أبي رافعٍ (٤) قال :

وإنَّ مِن فِتنتِهِ أن يأمُرَ السماءَ أن تُمْطِرَ فتُمطِر ، ويأمُرَ الأرضَ أن تُنْبِتَ فتُنْبِت . وإنَّ مِن فِتنتِهِ أن يَمُرَّ بالحيِّ فيُكذِّبُونه فلا تَبْقَى لهم سائمةٌ (٥) إلاَّ هلكَتْ .

---

(١) هو شيخُ الإمام ابن ماجه صاحب « السنن » . واسمه : علي بن محمد . وهذا الحديثُ المسوقُ بهذا السند حديثٌ آخر رواه أبو سعيد الخدري ، وهو غيرُ حديث أبي أُمامة الذي مَضَى بعضُه ، وإنما أورد الطنافسيُّ هذا الحديث لما فيه من بيان ثواب ذلك الشهيد . وحديثُ أبي سعيد المذكور هنا هو عند مسلم في « صحيحه » ١٨ : ٧٣ بنحو هذا اللفظ دون ذكر سيدنا عمر رضي الله عنه .

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد المحاربي .

(٣) هو أبو سعيد الخُدري رضي الله عنه .

(٤) وهو حديثُ أبي أمامة الباهلي الذي مَضَى بعضُه .

(٥) أي دابَّةٌ تَرعَى .

وإنَّ من فِتنتِه أن يَمُرَّ بالحيِّ فيُصَدِّقُونه، فيأمُرَ السماءَ أن تُمطِرَ فتُمْطِر ، ويأمُرَ الأرضَ أن تُنْبِتَ فتُنْبِت ، حتى تَرُوحَ مَوَاشِيهم[1] مِن يومِهم ذلك أسمَنَ ما كانَتْ وأعظمَهُ ، وأمدَّه خواصِرَ ، وأدرَّه ضُروعاً[2] .

وإنَّه لا يَبْقَى شيءٌ من الأرض إلا وَطِئَهُ وظهَرَ عليه إلا مكَّةَ والمدينةَ ،لا يأتيهما مِن نَقْبٍ[3] من نِقابهما إلاَّ لَقِيتْه الملائكةُ بالسيوف صَلْتَةً[4] ، حتى يَنْزِلَ عندَ الظُّرَيْبِ الأحمرِ[5] ، عندَ مُنْقَطَعِ السَّبَخَة[6] . فتَرْجُفُ المدينةُ بأهلِها ثلاثَ رَجَفَاتٍ[7] ، فلا يَبْقَى مُنَافِقٌ ولا مُنافِقةٌ

---

(١) أي حتى تَرجِعَ آخِرَ النهار أغنامُهم وأبقارُهم وجِمالُهم ...

(٢) سبق تعليقاً في ص ١١٣ تفسيرُ هذه الجُمَل فعُدْ إليه .

(٣) هو الطريق بين جبلين . (٤) أي مجرَّدةً مسلولة .

(٥) تصغيرُ ظَرِب ، وهو الجَبَلُ الصغير .

(٦) هي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تُنبِتُ إلا بعض الشجر .

(٧) قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٤ : ٨٢ : أي يَحصُلُ لها زلزلةٌ بعد أخرى ثم ثالثةٌ حتى يَخرُجَ منها من ليس مُخلِصاً في إيمانه ، ويبقي بها المؤمنُ الخالصُ فلا يُسلَّط عليه الدجَّال . انتهى .

إلاَّ خرَجَ إليه. فتَنْفِي الخبَثَ منها كما يَنْفِي الكِيرُ خبَثَ الحديد[١]، ويُدْعَى ذلك اليومُ يومَ الخَلاَص[٢].

فقالت أمُّ شَرِيكٍ بنتُ أبي العَكَر[٣]: يا رسول الله فأين

---

(١) الكِيرُ: هو الزِّقُّ الذي يَنفُخُ فيه الحدَّاد. وخبَثُ الحديد: هو ما تُلقِيه النارُ من وَسَخ الحديد. والخبَثُ الذي تَنفيه المدينةُ المرادُ به هنا: المنافقون. فتُميِّزهم المدينةُ وتُخرِجُهم عن صالحي أهلِها كما يُميِّز الحدَّادُ رَدِيءَ الحديد من جيِّده بنار الكِير.

(٢) أي يومَ الخلاصِ من المنافقين والفاسقين كما صُرِّحَ بهذا في حديث مِحْجَن بن الأدْرَع عند أحمد وصحَّحه الحاكم في «المستدرك» ٤: ٥٤٣ وأقرَّه الذهبي، وفيه قولُه ﷺ: «ثم ترجُفُ المدينةُ ثلاثَ رجَفَات، فلا يَبقى منافقٌ ولا منافقة، ولا فاسقٌ ولا فاسقة إلا خرَجَ إليه، فتَخلُص المدينة، فذلك يومُ الخلاص». ذكره الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ١٣: ٨٢.

(٣) ويقال لها أيضاً: أمُّ شَرِيك زوجُ أبي العَكَر، والتوفيقُ بينها مذكورٌ في ترجمتها في «الإصابة» للحافظ ابن حجر ٨: ٢٤٩. والعَكَر بعينٍ وكافٍ مفتوحتين، ليس بينهما شيء، وقد يقع في بعض الكتب (العسكر) وهو تحريف. وأمُّ شَرِيك هذه صحابية جليلة رضي الله عنها، جاء في «صحيح مسلم» ١٨: ٧٩ «أمُّ شَرِيك امرأةٌ غَنيَّةٌ من الأنصار، عظيمةُ النفقةِ في سبيل الله». وذكرَ ابنُ سعد في «الطبقات الكبرى» في ترجمتها ٨: ١٥٥ كثيراً من مناقبها وكراماتها، وذكرَ شيئاً عَجباً من صَبْرِها في الإسلام، نالتْ به كرامةَ الله لها، قال: =

= « أسلَمَ زوجُ أمّ شريك ، وهي غُزَيَّةُ بنتُ جابر الدَّوْسيَّة من الأزد ، وهو : أبو العَكَر ، فهاجَرَ إلى رسول الله مع أبي هريرة مع دَوْس حين هاجروا . قالتْ أمُّ شَريك : فجاءني أهلُ أبي العَكَر فقالوا : لعلَّك على دِينه ؟ قلتُ : إي والله إني لَعَلى دِينه . قالوا : لا جَرَمَ والله لنُعَذِّبَنَّك عذاباً شديداً ، فارتَحَلُوا بنا من دارنا ، ونحن كنا بذي الخَلَصة وهو من صنعاء ، فساروا يُريدون منزلاً ، وحَمَلوني على جَمَلٍ ثَفَالٍ – بطيء – شَرّ رِكابِهم وأغلظِه ، يُطعمونني الخُبزَ بالعَسَل ، ولا يَسقوني قطرةً من ماء ! حتى إذا انتصف النهارُ ، وسخَنَت الشمسُ ونحن قائظون ، نزلوا فضربوا أخبيتَهم – خيامَهم – وتركوني في الشمس حتى ذهب عقلي وسمعي وبصري ! ففعلوا ذلك بي ثلاثةَ أيام ، فقالوا لي في اليوم الثالث : اتركي ما أنتِ عليه ، قالتْ : فما دَرَيْتُ ما يقولون إلا الكلمةَ بعد الكلمة ! فأُشيرُ بإصبعي إلى السماء بالتوحيد ..

فوالله إني لعلى ذلك ، وقد بَلَغني الجُهد – التعبُ والتهالُكُ من العطش – إذْ وجدتُ بَرْدَ دَلْوٍ على صدري ، فأخذتُه فشربتُ منه نَفَساً واحداً ثم انتُزِعَ مني ، فذهبتُ أنظرُ فإذا هو معلّق بين السماء والأرض فلم أقْدِرْ عليه ثم دُلّيَ إليَّ ثانيةً فشربتُ منه نَفَساً ثم رُفِعَ ، فذهبتُ أنظر فاذا هو بين السماء والأرض . ثم دُلّيَ إليَّ الثالثة فشربتُ منه حتى رَوِيتُ وأهرَقْتُ – صَبَبْتُ – على رأسي ووجهي وثيابي .

فخرجوا فنظروا فقالوا : من أين لك هذا يا عَدُوَّةَ الله ؟ قالتْ : فقلتُ لهم : إنّ عدوَّةَ الله غيري : مَنْ خالَفَ دِينَه . وأمّا قولُكم : من أين هذا ؟ فمِن عند الله رِزْقاً رَزَقَنيه الله تعالى . =

قال : العَرَبُ يومئذٍ قليلٌ [١] ، وجُلُّهم بيتِ المَقْدِس ، وإمامُهم رجلٌ صالح ، فبينما إمامُهم قد تَقَدَّم يُصَلّي بهم الصُّبحَ إذْ نَزَل عليهم عيسى ابنُ مريم الصُّبْحَ ، فرجَعَ ذلك الإمامُ يَنْكُصُ ، يَمْشِي القَهْقَرى [٢] ليُقَدِّم عيسى يُصلّي ،

= قالت : فانطلقوا سِراعاً إلى قِرَبهم وإداوام - جمعُ إداوةٍ وهي بمعنى القِرْبة - فوجدوها مُوكَأةً - مربوطة - لم تُحَلّ ، فقالوا : نشهدُ أنّ ربَّكِ هو ربُّنا ، وأنَّ الذي رزقكِ ما رزقكِ في هذا الوضع بعد أن فَعَلنا بكِ ما فَعَلنا : هو الذي شَرَعَ الإسلام ، فأسْلَمُوا جميعاً وهاجروا إلى رسول الله ﷺ ، وكانوا يعرفون فضلي عليهم وما صَنَعَ اللهُ إليّ » . انتهى . ونقله الحافظ ابن حجر في « الإصابة » في ترجمة زوجها أبي العَكَر رضي الله عنها ، وإنما أطلتُ بذكر هذه النقبَة استنزالاً للرحمة بذكر الصالحين والصالحات ، رضي الله عنهم وحشرنا معهم .

(١) رَوَى هذه الجملةَ عن أمّ شَريك دون ما بعدها مسلمٌ في « صحيحه » ١٨ : ٨٦ والترمذيُّ في « سننه » أواخرَ أبواب المناقب ١٣ : ٢٨٣ ولفظها متقارب ، ولفظُ الترمذي : « ليَفِرّنّ الناسُ من الدجّال حتى يَلحقوا بالجبال ، قالتْ أمُّ شَريك : يا رسول الله فأين العَرَبُ يومئذ ؟ قال : هم قليل » . قال الطيبيُّ معنى سؤالها : إذا كان هذا حالَ الناس فأين العرَبُ المجاهدون في سبيل الله ، الذابُّون عن حريم الإسلام ، المانعون عن أهلِهِ صَوْلَة أعداء الله ؟ قال : هم قليلٌ حينئذ فلا يَقْدرون عليه .

(٢) أي يَرجِعُ إلى الوراء

فيَضَعُ عيسى عليه السلام يدَهُ بين كَتِفَيْه ثم يقولُ له : تقدَّمْ فصَلِّ فانَّها لك أُقِيمَتْ ، فيُصَلِّي بهم إمامُهم .

فاذا انصرَفَ قال عيسى عليه السلام : افتَحُوا البابَ [١] فيُفْتَحُ ووراءه الدَّجَّالُ ومعه سبعون ألْفَ يهوديٍّ ، كُلُّهم ذو سيفٍ مُحلًّى وساجٍ [٢] ، فاذا نَظَرَ إليهِ الدَّجَّالُ ذابَ كما يَذُوبُ الملحُ في الماء [٣] ، ويَنْطَلِقُ هارباً ، ويقولُ عيسى : إنَّ لي فيك ضَرْبةً لن تَسْبقَنِي بها ، فيُدْرِكُه عند باب اللُّدِّ الشَّرقِيِّ فيَقْتُلُه ، فيَهزِمُ اللهُ اليهودَ . فلا يَبْقَى شيءٌ مما خَلَقَ اللهُ يَتوارَى به [٤] يهوديٌّ إلا أنطَقَ اللهُ ذلك الشيءَ ، لا حَجَرَ ولا شَجَرَ ولاحائِطَ ولا دابَّةَ ـ إلا الغَرْقَدَةَ [٥] فانَّها مِن شَجَرِهم لا تَنطِقُ ـ إلاَّ قال : ياعبدَ الله المُسْلِمَ هـذا يَهوديٌّ فتعالَ اقتُلْهُ [٦] .

---

(١) أي باب المسجد .

(٢) السَّاجُ هو الطيلَسان الضخم الغليظ ، وهو نوع من الثياب الفاخرة . (٣) أي اختَفَى وتَوارى . (٤) أي يختفي به .

(٥) الغرقدة واحدة الغَرْقَد ، وهو شجرٌ له أغصانٌ ذاتُ شَوْك ، معروفٌ ببلاد بيت المقدس .

(٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : =

وإنَّ أيّامَه أربعون سَنَةً ، السَّنَةُ كنِصْفِ السَّنَة ، والسَّنَةُ كالشَّهْر ، والشَّهْرُ كالجُمُعة ، وآخِرُ أيّامِه كالشَّرَرَة[1] ، يُصبحُ أحدُكم على بابِ المدينة فلا يَبْلُغُ بابَها

= « لا تقومُ الساعةُ حتى يُقاتِلَ المسلمون اليهودَ ، فيَقتُلُهم المسلمون حتى يَختبِيءَ اليهوديُّ من وراءِ الحَجَر والشَّجَر ، فيقولُ الحجَرُ أو الشجَرُ : يا مُسلِمُ يا عبدَ الله هذا يَهوديٌّ خَلْفِي فتعالَ فاقتُلْه ، إلاَّ الغَرْقَدَ فانه من شَجَرِ اليهود » . رواه البخاري في « صحيحه » ٦ : ٧٥ ومسلم في « صحيحه » ١٨ : ٤٤ ، واللفظُ لمسلم . قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٦ : ٤٥٠ « وفي هذا الحديث ظهورُ الآيات قربَ قيام الساعة ، من كلامِ الجَمَاد من شجرةٍ وحَجَر . وظاهِرُه أن ذلك يَنطِقُ حقيقةً ، ويَحتمِلُ المجازَ بأن يكون المرادُ أنهم لا يُفيدهم الاختباء ، والأوّلُ : أولى » .

(١) هذا يخالف ما تقدم في الحديثِ الخامس حديثِ النوّاس بن سمعان السابق في ص ١١٠ ، فقد جاء فيه أن إقامة الدجّال في الأرض : « أربعون يوماً ، يومٌ كسنة ، ويومٌ كشهر ، ويومٌ كجمعة ، وسائرُ أيامِه كأيامكم » . وهو حديث صحيح أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والإمام أحمد كما تقدّم . وحديثُ أبي أُمامة هذا ـ على صِحتّه ـ في سَنَدِه مقال فيُقدَّمُ عليه الحديثُ الصحيحُ الذي لا كلامَ في سنده .

والظاهرُ أن ما وقع في هذا الحديث من مغايرة للحديث الصحيح في مُدّة مُكْثِ الدجّال في الأرض : إنما هو من اشتباهِ بعضِ الرواة وتَصرُّفاتهم ، كما قرّرهُ المؤلّفُ الإمام الكشميري رحمه الله تعالى في قاعدةٍ له تراها في كتابه « فيض الباري على صحيح البخاري » =

الآخَرَ حتى يُمْسِي ، فقيلَ له : يارسولَ الله كيف نُصلّي في تلكَ الأيام القِصارِ ؟ قال : تَقْدُرُونَ فيها الصَّلاة كما تَقْدُرُونها في هذه الأيامِ الطِّوالِ ، ثم صَلّوا .

فيكون عيسى ابنُ مريم في أُمَّتي حَكَماً عَدْلاً ، وإماماً

= ٤ : ٤٤ - ٤٧ ، وقد سبقت الإشارةُ إليها تعليقاً في ص ٩٨ .

وبعد ما استظهرتُ هذا الاستظهار رأيتُ حديثَ أبي أُمامة في « مستدرك الحاكم » ٤ : ٥٣٦ - ٥٣٧ ، وقد جاء فيه تحديدُ مُكثِ الدجّالِ موافقاً لما جاء في « صحيح مسلم » ، ولفظُه : « وإنَّ أيامه أربعون ، فيومٌ كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، ويوم كالأيام ، وآخِرُ أيامه كالسَّراب ، يُصبِحُ الرجلُ عند باب المدينة فيُمسِي قبل أن يَبلغ بابَها الآخر » . فجَزَمْتُ بأن الرواية الواقعة في « سنن ابن ماجه » وقع فيها اشتباهٌ وتصرُّفٌ مِن بعضِ الرواة ، كما قرَّره شيخُ شيوخنا المؤلِّفُ إمام العصر الإمام الكشميري في قاعدته المشار إليها ، فرحمةُ الله عليه ورضوانُه العظيم ، وجَزَى الله خيرَ الجزاء أستاذَنا العلامة المفيد الشيخ محمد بَدْر عالَم على تبسيطه قاعدة شيخه المؤلف الإمام الكشميري فيما علَّقه عليها .

وعلى فَرْضِ قبولِ هذه الرواية في التحديد لإقامة الدجّال قال العلامة علي القاري في « المرقاة شرح المشكاة » ٥ : ٢١١ « ولعلَّ وجْهَ الجمع بين الروايتين اختلافُ الكميَّة والكيفيَّة ؟ كما يشيرُ إليه قولُه : السَنةُ كشهر ، فانه محمول على سُرعة الانقضاء ، كما أن ما سبَق من قوله : يومٌ كسَنَةٍ محمولٌ على أنّ الشِّدة في غاية الاستقصاء ، على أنه يمكن اختلافُه باختلاف الأحوال والرجال » . انتهى .

مُقْسِطاً ، يَدُقُّ الصَّليبَ ، ويَذْبَحُ الخِنزيرَ ، ويَضَعُ الجِزْيَةَ [١] ، ويَتْرُكُ الصَّدَقة ، فلا يُسْعَى على شاةٍ ولا بعيرٍ [٢] ، وتُرفَعُ الشحناء والتباغُضُ ، وتُنْزَعُ حُمَةُ كلِّ ذاتِ حُمَةٍ [٣] ، حتى يُدْخِلَ الوليدُ - أي الطفلُ الصغير - يدَهُ في فِي الحَيَّةِ - أي في فمها - فلا تضُرُّه ، وتَفُرُّ الوليدةُ الأسَدَ فلا يَضُرُّها [٤] ، ويكونَ الذئبُ في الغَنَم كأنه كَلْبُها ، وتُملأُ الأرضُ من السِّلْم كما يُملأُ الإناء من الماء،وتكونُ الكلمةُ واحدةً ، فلا يُعْبَدُ إلا اللهُ ، وتَضَعُ الحَرْبُ أوزارَها ، وتَسْلُبُ قُرَيشٌ مُلْكَها [٥] .

وتكونُ الأرضُ كفاثُورِ الفِضَّةِ [٦] ، تُنْبِتُ نباتَها بعَهْدِ آدم ، حتى يَجتمِعَ النَّفَرُ على القِطْفِ [٧] من العِنَبِ

(١) سبق شرح هذه الجُمَل في ص ٩٢ .

(٢) أي يُترَكُ جمعُ الزكاة وتحصيلُها لاستغناء الناس جميعاً آنذاك .

(٣) أي يُنزَعُ سُمُّ كلِّ ذاتِ سُمٍّ من الحيوانات السامَّة .

(٤) أي تُمسك البنتُ الصغيرة فمَ الأسد وتكشفُ عن أسنانه فلا يؤذيها .

(٥) أي تستردُّه من أيدي الكفرة والظلمة ، لأن المهديَّ من قريش .

(٦) الفاثور : الخِوان . يعني تؤتي الأرضُ خيراتِها على أوفى ما تكون الخيرات . (٧) أي العُنقود .

فيُشْبِعَهم ، ويَجْتمِعَ النَّفَرُ على الرُّمَّانةِ فتُشْبِعَهم ، ويكونَ الثورُ بكذا وكذا من المال ، وتكونَ الفَرَسُ بالدُّرَيْهِمَات . قالوا : يا رسول الله وما يُرْخِصُ الفَرَسَ ؟ قال : لا تُرْكَبُ لحربٍ أبداً ، قيل له : فما يُغْلِي الثَّوْرَ ؟ قال : تُحْرَثُ الأرضُ كلُّها .

وإنَّ قَبْلَ الدجَّالِ ثلاثَ سَنَواتٍ شِداد ، يُصيبُ الناسَ فيها جوعٌ شديد ، يأمُرُ اللهُ السماءَ في السَّنَةِ الأُولى أن تَحْبِسَ ثُلُثَ مَطَرِها ، ويأمُرُ الأرضَ فتَحْبِسُ ثُلُثَ نَبَاتِها ، ثم يأمُرُ السَّمَاءَ في الثانيةِ فتَحْبِسُ ثُلُثَيْ مَطَرِها ، ويأمُرُ الأرضَ فتَحْبِسُ ثُلُثَيْ نَباتِها ، ثم يأمُرُ اللهُ السَّماءَ في السنةِ الثالثةِ فتحْبِسُ مَطَرَها كُلَّه ، فلا تَقطُرُ قطرةً ، ويأمُرُ الأرضَ فتَحْبِسُ نباتَها كُلَّه فلا تُنْبِتُ خَضْرَاءَ ، فلا تبْقَى ذاتُ ظِلْفٍ [1] إلا هَلَكتْ إلا ما شاء الله .

قيل : فما يُعيشُ الناسَ في ذلك الزمانِ ؟ قال : التهليلُ والتكبيرُ والتسبيحُ والتحميدُ ، ويُجْرَى ذلك عليهم مُجْرَى الطعام .

---

(١) أي لا تبقَى دابَّةٌ ذاتُ حافرٍ كالبقر والغنم ...

قال أبو عبد الله ـ أي الإمامُ ابن ماجه ـ : سمعتُ أبا الحَسَن الطَّنَافِسِي يقول : سمعتُ عبدَ الرحمن المُحَارِبيَّ يقول : يَنْبغي أن يُدْفَع هـذا الحديثُ إلى المُؤَدِّب حتى يُعلِّمَهُ الصِّبيانَ في الكُتَّاب [١] . رواه ابنُ ماجه وإسنادُهُ قوي ، واللفظُ له ، وساق أبو داود سندَهُ ـ وهو سندٌ صحيح ـ إلى أبي أُمامة عن النبي ﷺ ثمّ قال : « نحوَه ، وذَكَر الصلواتِ مثلَ معناه » . يعني نحوَ حديث النَّوَّاس بن سمعان ، وصحَّحه ابنُ خزيمة ، ورواه الحاكم في « المستدرك » وقال : صحيح على شرط مسلم وأقرَّه الذهبي ، وأورد الحافظ ابنُ حجر جُمَلاً منه في « فتح الباري » مستشهِداً بها ، فهو عنده حديثٌ صحيح أو حسن [٢] .

---

(١) أي في المدرسة .

(٢) مواضع الحديث : ابن ماجه ٢ : ١٣٥٩ ـ ١٣٦٣ ، أبو داود ٤ : ١١٧ ، ابن خزيمة : صحيحه ليس بمطبوع . الحاكم ٤ : ٥٣٦ مختصَراً إلى قوله هنا : « كما تَقْدُرُون في الأيام الطوال » ، وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط مسلم ، وأقره الحافظ الذهبي في « تلخيص المستدرك » ، والحافظ ابن حجر في « فتح الباري » في المواضع التالية : ٦ : ٣٥٨ و ٤٥٠ و ١٣ : ٨٢ و ٨٤ و ٨٧ و ٨٨ و ٩٣ . ومن شرطِهِ في كتابه هـذا ـ كما نقلتُه وأوضحتُه في تعليقي على « الأجوبة الفاضلة » للإمام عبد الحي اللكنوي ص ١٢٥ ـ ١٢٦ ـ أن لا يُورِدَ فيه =

. . . .

= حديثاً على سبيل الإقرار والاستشهاد إلا أن يكون ذلك الحديث صحيحاً أو حَسَناً ، كما صرَّح بذلك في كتابه « هَدْي الساري مقدمة فتح الباري » فقال وهو يتحدَّثُ عن طريقته في ذلك الشرح ١ : ٣ « فأسوقُ البابَ وحديثَه أوَّلاً ، ثم أستخرجُ ثانياً ما يتعلَّقُ به غرَضٌ صحيح في ذلك الحديث من الفوائد المَتْنيَّة والإسنادية . . . بشَرْطِ الصِّحَّةِ أو الحُسْن فيما أوردُه من ذلك » . فعلى هذا يكون هذا الحديثُ عنده حديثاً صحيحاً أو حَسَناً . وقال المؤلِّفُ الإمام الكشميري في كتابه « فيض الباري على صحيح البخاري » ٤ : ٤٦ في حديث ابن ماجه : « وإسنادُهُ قويّ » .

بقي أنَّ في الحديث بعضَ جُمَل لا تخلو من غرابة ، ومن أجل هذا قال الحافظ ابن كثير في « تفسيره » ١ : ٥٨١ بعد أن ساق الحديث من رواية ابن ماجه بكامله : « هذا حديثٌ غريبٌ جداً من هذا الوجه ، ولبعضِهِ شواهِدُ من أحاديث أخَر » . ثم ساق رحمه الله تعالى شواهِدَ لبعضه من « صحيح مسلم » .

هذا ، وكانت عبارةُ تخريج الحديث في الأصل هكذا : « أخرجه أبو داود وابن ماجه واللفظ له ، ورواه ابنُ حبان وابن خزيمة في صحيحها والضياء في « المختارة » ، نقله كذلك في شرح المواهب اللدنية للزرقاني ص ٥٣ من ذكر المعراج » . انتهى بالحرف . وبالعودة إلى « شرح المواهب اللدنية » للزرقاني من ذكر المعراج ٦ : ٥٣ من الطبعة الأزهرية المصرية المطبوعة سنة ١٣٢٧ وجدتُ العبارةَ فيه هكذا : « حديثُ أبي أمامة عند ابن ماجه ، وصحَّحه ابن خزيمة والحاكم » . هذا كلُّ ما فيه في الوطن المذكور ، ويقع هذا الكلام في الطبعة البولاقية من « شرح المواهب اللدنية » ٦ : ٦١ . =

الحديث : ١٤ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «لَقِيتُ ليلةَ أُسرِيَ بي إبراهيمَ وموسى وعيسى ، قال : فتذاكَرُوا أمْرَ السَّاعَة ، فرَدُّوا أمْرَهم إلى إبراهيم ، فقال : لا عِلْمَ لي بها ، فرَدُّوا الأَمْرَ إلى موسى ، فقال : لا عِلْمَ لي بها ، فرَدُّوا الأمْرَ إلى عيسى [1] ، فقال : أمَّا وَجْبَتُها [2] فلا يعلَمُها أحَدٌ إلاَّ اللهُ تعالى . ذلك وفيما عَهِدَ إليَّ ربِّي عزَّ وجلَّ أنَّ الدَّجَّال خارجٌ ، قال : ومَعِي قَضِيبان [3] ، فاذا رآني ذاب كما يَذوبُ الرَّصاصُ [4] قال : فيُهلِكُهُ اللهُ ، حتى

= ونَرى مني أنه ليس فيه أيُّ ذكرٍ لإخراج ابنِ حِبّان هذا الحديث في « صحيحه » ، ولا لإخراج الضياء له في « المختارة » فلذا عدَّلتُ عبارة التخريج على النحو الذي تَراه ، وأضفتُ إليها ما أضفتُ اعتماداً على إذن شيخنا تلميذ المؤلف الأستاذ العلاّمة الجليل محمد شفيع حفظه الله تعالى كما ألمعتُ إلى ذلك في « التقدمة » ، وأرجو أن يكون لي بهذا التصرف أجرانِ لا أجرٌ واحد .

(١) قال الحافظ ابن كثير في « تفسيره » ٢ : ٢٧٣ « إنما رَدُّوا الأمرَ إلى عيسى عليه السلام فتكلَّم على أشراطها ، لأنه يَنزِلُ في آخر هذه الأمَّة مُنفِّذاً لأحكام رسول الله ﷺ ، ويَقتلُ المسيحَ الدجَّال ، ويَجعَلُ الله هلاكَ يأجوج ومأجوج ببركة دعائه ، فأخبَرَ عليه السلام بما أعلمه الله تعالى به » . (٢) أي ساعَةُ قيامِها .

(٣) أي سيفان لطيفان دقيقان . (٤) أي هَرَبَ واختَفى بسُرعة .

إنَّ الحَجَرَ والشجَر ليقولُ : يا مُسلِمُ إنَّ تحتي كافراً فتعـالَ فاقتُلْه. قال : فيُهلِكُهم اللهُ تعالى .

ثم يَرجِعُ الناسُ إلى بلادِهِم وأوطانِهم ، قال : فعند ذلك يَخرُجُ يأجُوجُ ومأجُوجُ وهُمْ مِنْ كلّ حَدَبٍ يَنسِلُون[1] ، فيطأونَ بلادَهم ، لا يأتون على شيءٍ إلا أهلكوه ، ولا يَمُرُّون على ماءٍ إلا شَرِبُوه . ثم يَرجِعُ النَّاسُ إليَّ فيَشكُونَهم ، فأدْعُو اللهَ عليهم فيُهلِكُهم اللهُ تعالى ويُميتُهم، حتى تَجْوَى الأرضُ[2] مِن نَتْنِ رِيحِهم ، قال : فيُنْزِلُ اللهُ عزَّ وجلَّ المَطَرَ فيَجْرِفُ أجسادَهم حتى يَقْذِفَهم في البحر » .

قال عبدُ الله بن أحمد : قال أبي : ذهَبَ عليَّ هاهنا شيءٌ لم أفهمه ، كأديم . وقالَ يزيدُ ـ يعني ابنَ هارون ـ : « ثم تُنسَفُ الجبالُ وتُمَدُّ الأرْضُ مَدَّ الأديم » . ثم رَجَعَ إلى حديثِ هُشَيْم قال : « ففيما عَهِدَ إليَّ ربي عزَّ وجَلَّ أن ذلك إذا كان كذلك فانَّ الساعَةَ كالحامِلِ المُتِمّ التي لا يَدْرِي أهلُها متى

---

(١) سبق شرحُ هـذه الجملة والحديثُ عن يأجوج ومأجوج في ص ١١٩ .

(٢) أي حتى تُنْتِن الأرضُ .

تَفجأهم بوِلادِها ليلاً أو نهاراً »[١] . رواه أحمد في « مسنده » واللفظُ له ، والحاكم في « المستدرك » وقال : صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافَقَه الذهبيُّ على ذلك في « تلخيص المستدرك » ، وأقرَّه الحافظُ ابنُ حجر في « فتح الباري » في أواخر كتاب الفِتَن ، وأخرجه ابنُ ماجه وابنُ أبي شيبة وابنُ جرير وابنُ المنذر وابنُ مَرْدُوْيَهْ والبيهقيُّ كما في « الدر المنثور »[٢] .

الحديث ١٥ : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الأنبياء إخْوةٌ لِعَلاَّتٍ ، دِينُهم واحِدٌ[٣] ، وأُمَّهاتُهم شَتَّى . وأنا أولى الناسِ بعيسى ابنِ مريم ، لأنه لم يكن

---

(١) رواية ابن ماجه والحاكم : بولادتِها . والمعنى واحد .

(٢) مواضع الحديث : أحمد ١ : ٣٧٥ ، ابن ماجه ٢ : ١٣٦٥ ، ابن جرير ١٧ : ٧٢ ، الحاكم ٤ : ٤٨٨ و ٥٤٥ ، ابن حجر ١٣ : ٧٩ ، « الدر المنثور » ٤ : ٣٣٦ . وبقيَّةُ المُخرجين كتبُهم ليست بمطبوعة ، والبيهقيُّ أخرجه في « كتاب البعث » كما في « الدر المنثور ». وجاء في الأصل : « وأقرَّه الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » من نزول عيسى عليه السلام » . انتهى . وهو سهو واشتباه ، إذ لا ذكر لحديث ابن مسعود في الموضع المذكور ، وإنما ذكَرَه الحافظ ابن حجر في كتاب الفتن قبلَ (باب ذكر الدجّال) ١٣ : ٧٩ .

(٣) سبق شَرْحُ كلمات هذا الحديث في ص ٩٥ ـ ٩٦ .

بيني وبينه نبيٌّ ، وإنه نازِلٌ ، فاذا رأيتُموه فاعْرِفُوه ، فانَّه رَجلٌ مَربوعٌ إلى الحُمْرة والبياض ، سَبِطٌ ، كأنَّ رأسَهُ يَقْطُرُ وإنْ لم يُصِبه بَلَل ، بين مُمَصَّرتين ، فيَكسِرُ الصَّليب ، ويقتُلُ الخِنزيرَ ، ويَضَعُ الجِزية، ويُعَطِّلُ المِلَلَ حتى يُهلِكَ اللهُ في زمانه المِلَلَ كلَّها غيرَ الإسلام ، ويُهلِكُ اللهُ في زمانِه المسيحَ الدجَّالَ الكذَّابَ ، وتقعُ الأَمَنَةُ في الأرض ، حتى تَرتَعَ الإبلُ مع الأُسْدِ جميعاً ، والنُّمورُ مع البَقَر ، والذِّئابُ مع الغَنَم ، ويَلعَبَ الصِّبيانُ والغِلمانُ بالحيَّاتِ لا يَضُرُّ بعضُهم بعضاً ، فيَمْكُثُ ما شاءَ اللهُ أن يَمكث ، ثم يُتَوفَّى ، فيُصلِّي عليه المسلمون ويَدفِنُونه » . رواه أحمد في « مسنده » وزاد في لفظٍ آخَر ساقه بعده : « حتى يُهلِكَ - أي اللهُ - في زمانه مَسِيحَ الضَّلالةِ الأَعورَ الكذَّابَ »[1] .

---

(١) مواضع الحديث : أحمد ٢ : ٤٣٧ ، ابن حجر ٦ : ٣٥٧ . والحديثُ الذي ذكره الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » عن « المسند » وصحَّحه : هو من طريقٍ أخرى غير طريق الحديث المذكور ، ومَتْنهُ مقاربٌ للمَتن المذكور ، وموضعُهُ في « المسند » ٢ : ٤٠٦ ، وقد تقدَّم مني إلحاقُ مَتْنِه في روايات الحديث الأوَّل ص ٩٥ - ٩٦ . فكأن الشيخ المؤلف رحمه الله تعالى اعتبر التصحيح لتلك الطريق تصحيحاً لطريق المَتن المذكور ، لتقارب المَتن واتحاد المَخْرج ، والله أعلم .

الحديث : ١٦ عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه،

قال أبو نَضْرة : أتينا عثمانَ بن أبي العاص في يوم جُمُعة لنَعْرِضَ عليه مُصْحَفاً لنا على مُصْحَفِه(١) ، فلما حَضَرتْ الجمعةُ أمَرَنا فاغْتَسَلْنا ، ثم أُتينا بطيبٍ فتَطيَّبنا ، ثم جئنا المسجدَ فجلَسْنا إلى رجلٍ فحدَّثَنا عن الدَّجَّال .

ثم جاء عثمانُ بن أبي العاص فقُمنا إليه فجَلَسْنا ، فقال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يكون للمسلمين ثلاثةُ أمصار : مصْرٌ بمُلْتَقَى البَحْرَيْن(٢) ، ومِصْرٌ بالحِيرَة(٣) ، ومِصْرٌ بالشام ، فيَفْزَعُ الناسُ ثلاثَ فَزَعاتٍ ، فيَخرُجُ الدجَّالُ في أعراضِ الناس(٤) ، فيَهْزِمُ مَنْ قِبَلَ المَشرِق .

---

(١) رواية الحاكم : « لنُعارِضَ مُصحفَنا بمصحفِه » . أي لنقابِلَ بينهما . (٢) أي بحر الروم وبحر فارس .

(٣) هي من مُدُن العراق ، على ثلاثة أميال من الكوفة . كما في « معجم البلدان » .

(٤) الأعراضُ جمعُ عُرْض ، وهو الجانبُ والناحية . أي يخرج الدجَّال في جوانب الناس . وروايةُ الحاكم : « فيَخرج الدجَّالُ في عِراضِ جيش » . والعِراض جمع عُرْض بمعنى الناحية والجانب أيضاً ، فيكون المعنى : يَخرجُ الدجَّال في وسَطِ جيش ، والله أعلم .

فأوَّلُ مِصرٍ يَرِدُهُ المِصرُ الذي بمُلتَقَى البَحرَيْن ، فيَصيرُ أهلُه ثلاثَ فِرَق: فِرقةٌ تَبْقَى تقول: نُشامُّه نَنْظُرُ ماهو(١)؟ وفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بالأعراب،وفِرقةٌ تَلْحَقُ بالمِصر الذي يَليهم . ومع الدجَّال سبعون ألفاً عليهم السِّيجَان(٢) ، وأكثَرُ تَبَعِهِ(٣) اليهودُ والنِّساء .

ثم يأتي المِصرَ الذي يليه،فيَصيرُ أهلُهُ ثلاثَ فِرَق : فِرْقَةٌ تقول : نُشَامُّه نَنْظُر ما هو ؟ وفِرقةٌ تَلْحَقُ بالأعراب ، وفِرْقةٌ تَلْحقُ بالمِصر الذي يَليهم بغَرْبِيِّ الشام .

وينحازُ المسلمون إلى عَقَبَةِ أَفِيق(٤) فيَبْعَثُون سَرْحاً لهم(٥)، فيُصابُ سَرْحُهم ، فيَشتَدُّ ذلك عليهم ويُصيبُهم مَجاعةٌ

---

(١) أي نختبره ونتعرَّفُ ما عنده .

(٢) السِّيْجان جمعُ ساج ، وهو الطَّيْلَسانُ الضخمُ الغليظ كما تقدم في ص ١٥١ .   (٣) أي أكثرُ من يَتْبَعُهُ . . .

(٤) قال العلامة ياقوت في « معجم البلدان » عند ذكر (أفِيق) : « هي قرية من حَوْران في طريق الغَوْر ، في أوَّل العقبة المعروفة بعقبة أفيق ، تنزِلُ في هذه العَقَبة إلى الغَوْر وهو الأُرْدُنّ ، وهي عقبة طويلة نحو ميلين » .

(٥) أي مَوَاشيَ لهم من غنم وبقر وإبل .

شديدةٌ وجَهْدٌ شديد[١] ، حتى إنَّ أحدَهم ليُحرِقُ وَتَرَ قَوْسِه فيأكُلُه . فبينما هم كذلك إذْ نادَى منادٍ من السَّحَر[٢] : يا أيها الناسُ أتاكم الغوثُ ، ثلاثاً ، فيقولُ بعضُهم لبعض : إنَّ هذا لَصوتُ رجلٍ شَبعان .

ويَنزِلُ عيسى ابنُ مريم عليه السلام عند صلاة الفجر ، فيقول له أميرُهم : يا رُوحَ الله تقَدَّمْ صَلِّ ، فيقولُ : هذه الأُمَّةُ أُمَراءُ بعضُهم على بعض ، فيَتقدَّمُ أميرُهم فيُصَلِّي ، فاذا قَضَى صلاتَه أخَذَ حَرْبَتَه فيَذهَبُ نحوَ الدجَّال ، فاذا رآهُ الدجَّالُ ذاب كما يذوبُ الرَّصَاصُ[٣] ، فيضَعُ حَرْبَتَهُ بين ثَنْدُوَتَيْه[٤] فيَقتُلُه ، ويَنهزِمُ أصحابُه ، فليس يومَئذٍ شيءٌ يُواري منهم أحداً ، حتى إنَّ الشجرةَ لتَقولُ : يا مُؤمِنُ هذا كافر ، ويقولُ الحَجَرُ : يا مُؤمِنُ هذا كافر » . أخرجه أحمد في « مسنده » واللفظُ له بطريقين ، وأخرجه ابنُ أبي شيبة والطبرانيُّ والحاكمُ وصَحَّحه ، كما في

---

(١) أي مشقَّةٌ وهُزَال في أجسامهم .

(٢) أي من آخِر الليل قبل الفجر .

(٣) هذا كناية عن اختفائه وتواريه .

(٤) الثَّنْدُوَة : مَغْرِزُ الثَّدْي .

« الدر المنثور »[١] .

الحديث : ١٧ عن سَمُرَةَ بن جُنْدَب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديثٍ طويل سرده سَمُرَةُ في خُطبةٍ خطبها ، قالَ : ثم سَلَّم - يعني رسولَ الله ﷺ بعد فراغه من صلاة كسوفٍ كان للشمس - فحمِدَ اللهَ وأثنَى عليه، وشَهِدَ أنْ لا إلهَ إلا الله ، وشَهِدَ أنه عبدهُ ورسولُه . ثم قال :

« يا أيها الناسُ إنَّما أنا بشرٌ ورسولُ الله ، فأذكِّرُكمُ اللهَ تعالى إن كنتُم تَعْلَمون أني قصَّرتُ عَنْ شيءٍ من تبليغِ رسالاتِ ربي لَمَا أخبرتموني حتى أبلِّغَ رسالاتِ ربي كما يَنبغي لها أن تُبلَّغ، وإن كنتم تَعْلَمون أني قد بلَّغْتُ رسالاتِ ربي لَمَا أخبرتُموني ، فقام الناسُ فقالوا : نَشهَدُ أنك قد بلَّغتَ رسالاتِ ربِّك ، ونَصَحْتَ لأُمَّتِك ، وقَضَيْتَ الذي عليك ، ثم سكتوا .

فقال رسولُ الله ﷺ : أمَّا بعدُ فانَّ رجالاً يَزعُمون أنَّ كسوفَ هذه الشَّمْسِ وكسوفَ هذا القمر وزوَالَ هذه النجوم

---

(١) وأورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٧ : ٣٤٢ عن أحمد والطبراني ثم قال : « وفيه علي بن زيد ، وفيه ضعف ، وقد وُثِّق ، وبقيَّةُ رجالها رجالُ الصحيح » .أمَّا مواضع الحديث فهي : أحمد ٤ : ٢١٦ و ٢١٧،الحاكم ٤ : ٤٧٨ ، « الدر المنثور » ٢ : ٢٤٣ . وبقية المخرجين كتبُهم ليست بمطبوعة .

عن مَطالعِها لموتِ رجالٍ عُظَماءَ من أهل الأرض،وإنَّهم كَذَبُوا، ولكنْ آياتٌ[(١)] من آياتِ الله يَفْتِنُ[(٢)] بها عبادَهُ لِيَنْظُرَ مَنْ يُحدِثُ منهم توبةً[(٣)]، واللهِ لقد رأيتُ مُنْذُ قُمتُ أصلّي ما أنتم لاقُونَ[(٤)] في دُنياكم وآخِرَتِكم[(٥)].

---

(١) أي ولكنْ هُنَّ آيات . . . كما في رواية « كنز العمال » . وفي رواية « المسند » : ولكنها آياتٌ .   (٢) أي يَختَبِرُ .

(٣) في « المسند » و « مجمع الزوائد » : « من يُحدِثُ لَهُ منهم توبةً » . وقد قال ﷺ – كما في حديث عائشة – : « إنَّ الشمس والقمر آيتانِ من آيات الله تعالى ، لا يَنخسفان لموتِ أحد ، ولا لحياته ، فاذا رأيتم ذلك فاذكروا الله ، وكبِّروا ، وصَلُّوا ، وتصدَّقوا » . رواه البخاري ٢ : ٤٣٩ ومسلم ٦ : ٢٠٠ ، واللفظ للبخاري .

(٤) في « مجمع الزوائد » : « لا قُوهُ » .

(٥) وقد جاء بيانُ ما رآه ﷺ في صلاته هذه عن عَدَدٍ من الصحابة ، منهم جابر ، وابن عباس ، وعائشة ، وأسماء بنت أبي بكر . وفي حديث أسماء رضي الله عنها قالت : « فانصرف رسولُ الله ﷺ – أي من صلاة الكسوف – وقد تجلَّتْ الشمسُ خطب الناسَ فَحَمِدَ الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعدُ ما من شيءٍ لم أكن رأيتُه إلا قد رأيتُه في مقامي هذا حتى الجنّةَ والنارَ ، وإنه قد أُوحِيَ إليَّ أنكم تُفتَنُون في القبور قريباً أو مثلَ فتنةِ المسيحِ الدجّال ، فيُؤتَى أحدُكم فيقالُ : ما عِلمُك بهذا الرجل ؟

فأما المؤمنُ أو الموقِنُ فيقول : هو محمد ، هو رسولُ الله ، =

وإنَّه واللهِ لا تقومُ الساعةُ حتى يَخرجَ ثلاثون كذّاباً[١] ، آخِرُهم الأعورُ الدجّال، ممسوحُ العَيْنِ اليُسْرَى[٢] ، كأنها عينُ أبي تِحْيَى لشيخٍ من الأنصار[٣] . وإنه متى خَرَجَ فانَّه يَزْعُمُ أنه

= جاءنا بالبيِّناتِ والهُدَى ، فأَجَبْنا وأطعنا ، ثلاثَ مِرارٍ ، فيقال له : نَمْ قد كنا نعلمُ إنك لتؤمِنُ به ، فنَمْ صالحاً .

وأما المنافِقُ أو المرتابُ فيقول : لا أدري ، سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فقلته » . رواه البخاري ٢ : ٤٥٠ ومسلم ٦ : ٢١٠ .

وظاهِرُ الحديث في رؤية الجنة والنار أنه ﷺ رآها رؤيةَ عين ، فمِن العلماء مَنْ حَمَلَ ذلك على أن الحُجُبَ كُشِفَتْ له ﷺ دونها ، فرآها على حقيقتها ، ومنهم مَنْ حَمَلَ ذلك على أنها مُثِّلتا له في الحائط كما تنطبع الصورةُ في المرآة ، فرأى جميعَ ما فيها . ويَشهد لكلٍّ من هذين القولين أحاديثُ ذكرها الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٢ : ٤٤٨ . وقال القاضي عياض : القولُ الأول ـ وهو أنها رؤيةُ عينٍ حقيقةً ـ أولى كما حكاه عنه النووي في « شرح صحيح مسلم » ٦ : ٢٠٧ ، وأقرَّه .

(١) تقدم تعليقاً ما يتعلَّق بهذا في ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

(٢) انظر التوفيق بين هذه الرواية ورواية أنه (أعور العين اليُمنى) في « شرح صحيح مسلم » للنووي ٢ : ٢٣٥ و « فتح الباري » لابن حجر ١٣ : ٨٥ ـ ٨٦ .

(٣) هو صحابي أنصاري جليل ، وتِحْيَى بكسر التاء كما ضبطه الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١٣ : ٨٥ وفي ترجمة أبي تِحيَى =

الله! فَمَنْ آمَنَ به وصَدَّقه واتَّبَعَه فليس يَنفعُه صالحٌ مِن عَمَلٍ سَلَف، ومَنْ كَفَر به وكذَّبه فليس يُعاقَبُ بشيءٍ مِن عَمَلٍ سَلَف.

وإنه سيَظهَرُ على الأرضِ كُلِّها إلاَّ الحرَمَ وبيتَ المَقْدس، وإنه يَحْصُرُ المؤمنين في بيتِ المَقْدِس، فيَتزلزلون زِلزالاً شديداً، فيُصبِحُ فيهم عيسى ابنُ مريم عليه السلام، فيَهزِمُه اللهُ وجنودَه، حتى إنَّ جِذْمَ[1] الحائطِ وأصْلَ الشجرة ليُنادي: يا مُؤْمِنُ هذا كافرٌ يَستترُ بي، فتعالَ اقتُلْهُ.

ولنْ يكونَ ذلك حتى تَرَوْا[2] أموراً يَتفاقَمُ شأنُها[3]

= في «الإصابة في تمييز الصحابة» ٧ : ٢٥. وكان أبو يَحْيَى رضي الله عنه قاعداً حينذاك بين مقام رسول الله وبين حجرة عائشة كما جاء ذلك في «مسند أحمد» ٥ : ١٦. ولا يَضرُّه رضي الله عنه هذا التشبيه الجسماني، فانَّ الغرَضَ منه توضيحُ صفةٍ من صفات الدجَّال ليَحذروه. (١) أي أصل الحائط.

(٢) هكذا جاءت الرواية في «مسند أحمد». وجاءت في الأصل تبعاً لما في «مستدرك الحاكم»: (حتى تَرَوْنَ أموراً). باثبات النون ورفع الفعل بعد حتى، وهو وارد في كثير من الأحاديث، وجائزٌ في اللغة كما أوضحه إمام النحاة ابن هشام في «المغني» في مبحث (حتى).

(٣) أي يَعظُمُ شأنُها لما فيها من كثرة الأهوال والفتن وخوارق العادات.

في أنفسكم، تَسَاءَلُون بينكم هل كان نبيُّكم ذَكَرَ لكم منها ذِكْراً؟ وحتى تَزُولَ جبالٌ عن مَرَاسِيها ، ثم على أثَرِ ذلك القَبْضُ [(١)]، وأشار بيده » .

قال [(٢)] : ثم شَهِدْتُ خطبةً أُخرى . فذكَرَ هذا الحديثَ ما قدَّمَها ولا أخَّرَها . قال الحاكم : هذا حديثٌ صحيحٌ على شرطِ الشيخين ولم يُخرجاه ، ووافَقَه الذهبي على تصحيحه ، وأخرجه الإمام أحمد في « مسنده » ، ولفظُه : «ثم يَجيء عيسى ابنُ مريم عليه السلام مِنْ قِبَلِ المَغْرِب » . وأخرجه الطبراني بلفظ « المسند » كما في « الدر المنثور » ، وأخرجه ابن خزيمة وابن حِبَّان في « صحيحيهما » ، والطحاوي في « معاني الآثار » ، والبيهقي في « السنن الكبرى» وابن جرير في «تهذيب السنن والآثار» ، وسعيد بن منصور في « سننه » وأبو يعلى في « مسنده » كما في « كنز العمال » . وأخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه في « سننهم » ، والبزَّار في

---

(١) يعني الموتَ العام وقيامَ الساعة .

(٢) أي قال ثعلبةُ بن عبَّاد راوي الحديث عن سَمُرة : ثم شهدتُ خطبةً أخرى لسَمُرة فذكر هذا الحديث أيضاً كما سمعتُه منه أوَّل مرَّة ما قدَّم فيه كلمةً ولا أخَّرها .

« مسنده » ، والبخاري في « خَلْق أفعال العباد » مختصَراً ، وبعضُ ألفاظه يتَّحِدُ مع ما عند مسلم عن عبد الرحمن بن سَمُرة [(١)] .

الحديث : ١٨ عن عبد الله بن عُمَر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف تَهلِكُ أُمَّةٌ أنا أوَّلُها ، وعيسى ابنُ مريم آخِرُها ؟ » . رواه الحاكم كما في « كنز العمال » ، وصحَّحه السيوطي في « الدُّرّ المنثور » في ضمن أثَر كعب ، وحسَّنه الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » من (فضائل أصحاب النبي ﷺ) ، وذكَرَه في « المِشكاة » في (ثواب هذه الأُمَّة) عن رَزِين

(١) مواضع الحديث : الحاكم والذهبي ١ : ٣٣٠ وقد أقر الذهبيُّ الحاكمَ على تصحيحه هنا ، وانتقده بعد ورقتين ١ : ٣٣٤ والسندُ واحد! ، أحمد ٥ : ١٣ و ١٦ ، « الدر المنثور » ٢ : ٢٤٢ ، الطحاوي ١ : ١٩٧ مختصراً ، البيهقي ٣ : ٣٣٩ ، أبو داود ١ : ٣٠٨ ، النسائي ٣ : ١٤٠ و ١٤٨ و ١٥٢ مختصراً ، الترمذي ٣ : ٤٠ مختصراً ، ابن ماجه ١ : ٤٠٢ مختصراً ، « خلق أفعال العباد » ص ٨٧ مختصراً . وبقيةُ كتب المخرجين ليست بمطبوعة . وحديثُ عبد الرحمن بن سمرة المشارُ إليه هو في « صحيح مسلم » ٦ : ٢١٦ . وقد صحّح الحديثَ الحافظُ ابنُ حجر في « الإصابة » في ترجمة أبي يحيى ٧ : ٢٥ ، وأقرّ الحاكمَ على تصحيحه في « فتح الباري » ١٣ : ٨٥ . وقد أضفتُ إلى مُخرّجيه المذكورين في الأصل : الترمذي ، ابن ماجه ، البيهقي ، سعيد بن منصور ، أبا يعلى ، البزار ، كما في « مجمع الزوائد » ٧ : ٣٤١ .

بِسِلْسِلَةِ الذهب ، وقال المُناوي في « التيسير » : رواه النسائي وغيرُه (١) .

---

(١) مواضع الحديث : « كنز العمال » ٧ : ٢٠٣ ، وعزاه فيه إلى الحاكم . وهو يفيد باطلاقه أن الحاكم أخرجه في « المستدرك » ، ولكني لم أره فيه ، فلعلّه خفي عليّ مكانُه ؟ أو لعلّه أخرجه الحاكم في « التاريخ » أو غيرِه وغفَلَ صاحبُ « كنز العمال » عن تبيينه ؟ ، « الدر المنثور » ٢ : ٣٦ . حيث صَحّح السيوطيُّ أثَرَ كعب .

وتحسينُ الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٧ : ٥ الذي يعنيه المؤلّفُ هنا لم يكن لحديث ابن عُمَر هذا ، وإنما هو لحديث عبد الرحمن ابن جُبَيْر المذكور بعده برقم : ١٩ ، وهو بمعنى حديث ابن عمر ، ويكون إطلاقُ المؤلّف تحسينَ الحافظ ابن حجر على حديث ابن عُمَر ليس على طريقة المحدثين بل على طريقة الفقهاء ، إذ أنهم يَعدُّون الحديثَ واحداً إذا كان المعنى واحداً ، وإن كان الحديثان عن صحابيين ، كذا كَتَب لي أستاذنا تلميذ المؤلف العلامة محمد شفيع حفظه الله تعالى حين كاتبته بما توقفتُ فيه هنا من كلام المؤلف الإمام الكشميري رحمه الله تعالى .

وكذلك يكون قول الإمام الكشميري فيما نقله عن المُناوي في كتابه « التيسير بشرح الجامع الصغير » ٢ : ٣٠٢ : « رواه النسائي وغيره » ، إذْ إنما قال المُناويُّ هذا في حديثٍ آخر رواه ابن عباس ، وهو الحديث الآتي برقم : ٢٧ ، وهو بمعنى حديث ابن عمر هذا .

وكذلك يكون مرادُ الإمام الكشميري من حديثِ رَزِين المخرجِ بسلسلة الذهب وهو الحديث الآتي برقم : ٦٦ ، إذ هو عن جعفر الصادق ، عن أبيه محمد الباقر ، عن جَدّه زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهم ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أبشِرُوا وأبشِرُوا ، إنما مَثَلُ =

الحديث : ١٩ عن عبد الرحمن بن جُبَير بن نُفَير الحضرمي ، عن أبيه التابعيّ الجليل جُبَير بن نُفَير قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يُخزِيَ اللهُ أُمَّةً أنا في أوَّلِها ، وعيسى في آخِرِها » . أخرجه ابن أبي شيبة والحكيم الترمذي والحاكم وصحَّحه كما في « الدر المنثور » . وقال الذهبي في « تلخيص المستدرك » : « هو خَبَرٌ منكر » . ولم يَذكُر له وجها وجيهاً ، بل الصحيحُ أنه إن لم يكن صحيحاً فلا يَنحطُّ عن درجة الحَسَن كما صَرَّحَ به الحافظ ابنُ حجر في « فتح الباري »[1] .

= أمَّتي مَثَلُ النيث ، لا يُدرَى آخِرُهُ خيرٌ أم أوَّلُه ؟ ... كيف تَهلِكُ أمَّةٌ أناأوَّلُها ، والمَهديُّ وسَطُها ، والمسيحُ آخِرُها ؟ ... » وهو في « المشكاة » ٣ : ٢٩٣ ، والله تعالى أعلم .

(١) مواضع الحديث : الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » ص ١٥٦ عن الصحابي عبد الرحمن بن سمرة مرفوعاً ، الحاكم وكذلك الذهبي ٣ : ٤١ ، « الدر المنثور » ٢ : ٢٤٥ . ابن حجر ٧ : ٥ ، وكتاب ابن أبي شية غير مطبوع . وسبَبُ ورود الحديث استشهادُ بعض قادة المسلمين في الجهاد يوم مُؤْتَة . وأوَّلُ الحديث : « ليُدركَنَّ الدجَّالُ قوماً ... » وفي رواية : « ليُدركَنَّ المسيحُ أقواماً ... » . كما في الكتب المذكورة و « فيض القدير » للمناوي ٥ : ٣٥٣ .

الحديث : ٢٠ عن حُذَيفة بن أَسِيد رضي الله عنه ،

قال أبو الطُّفَيل الليثيُّ : كنتُ بالكوفه، فقيل : قد خَرَجَ الدجّالُ! فأتينا حُذَيفَةَ بنَ أَسِيد ، فقلتُ : هذا الدجّالُ قد خَرَجَ ! فقال : اجلِسْ فجلستُ ، فنُودِيَ إنَّها كَذِبَةُ صبّاغ [١] .

فقال حُذَيفة : إنَّ الدجّالَ لو خَرَجَ في زمانِكم لرمَتْهُ الصِّبيانُ بالحَذَف [٢] ، ولكنه يَخرجُ في نَقْصٍ من الناس ، وخِفَّةٍ من الدِّين ، وسُوءِ ذاتِ بَيْن [٣] ، فيَرِدُ كلَّ مَنْهَل [٤] ، وتُطوَى له الأرضُ طيَّ فَرْوَةِ الكَبْش [٥] حتى يأتيَ المدينةَ فيَغلِبَ على خارجِها ، ويُمنَعَ داخِلَها ، ثم جَبَلَ إيلياء [٦] فيُحاصِرَ عِصابةً من المسلمين .

---

(١) أي كَذِبةُ كذّاب . وأطلقوا لفظَ الصبّاغ على الكذّاب لأنه يَصْبَغُ الحديث ، أي يُلوِّنه ويُغيِّره كما يَفعَلُ الصبّاغ بالثياب .

(٢) الحَذَفُ صِغارُ الحصَى .

(٣) أي يَخرجُ والعداواتُ متأجِّجةٌ بين الناس : الأقاربِ والأباعد .

(٤) النهل : مَوْرِدُ الماء الذي يُشرَبُ منه .

(٥) أي جِلْدِ الكبش من الغنم . وهذا كناية عن سُرعة سيره في قطع المسافات .

(٦) إيلياء : مدينة بيت المقدس . ويعني بجَبَلِها : جبلَ الطُّور .

فيقولُ لهم الذي عليهم : ما تَنتظرون بهذا الطاغيةِ أن تقاتلوه حتى تَلْحقوا بالله أو يُفتَحَ لكم ؟ فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا ، فيُصبحون ومعهم عيسى ابنُ مريم ، فيَقْتُلُ الدجَّالَ ، ويَهزِمُ أصحابَه . حتى إنَّ الشَّجَرَ والحَجَرَ والمَدَرَ يقولُ : يا مؤمنُ هذا يهوديٌ عندي فاقْتُلْه .

قال : وفيه ثلاثُ علامات ، هو أعور . وربُّكم ليس بأعور . ومكتوبٌ بين عينيه : (كافر) ، يَقرأه كلُّ مؤمنٍ أُمّيٍ وكاتبٍ . ولا يُسَخَّرُ له من المطايا إلا الحمار ، فهو رِجْسٌ على رِجْس [١] .

ثم قال : أنا لَغَيْرُ الدجّالِ أخوفُ عليَّ وعليكم ! فقلنا : ما هو ؟ قال : فِتَنٌ كأنها قِطَعُ الليل المُظْلِم . قال : فقلنا : أيُّ الناسِ فيها شَرٌّ ؟ قال : كلُّ خطيبٍ مِصْقَع [٢] ، وكلُّ راكبٍ مُوْضِع [٣] . قال : فقلنا : أيُّ الناس فيها خير ؟ قال : كلُّ غنيٍّ

---

(١) أي فهو قَذِرٌ على قَذِر .

(٢) أي كلُّ خطيبٍ بليغ اللسان . ويريد به الخطيبَ البليغ الذي يَخدَعُ بلاغته وفصاحته العقولَ والألباب ، فيُرِيها الباطل حقاً والحقَّ باطلاً .

(٣) أي مُسْرِع . ويريد به مَنْ يَخِفُّ ويُسرِعُ في الفتنة ونُصرةِ الباطل وتأييد دُعاته .

خفيٍّ [١] . قال : فقلتُ ما أنا بالغنيّ ولا بالخفيّ ، قال : فكُنْ كابنِ اللَّبُون : لا ظَهْرَ فيُركَب ، ولا ضَرْعَ فيُحْلَب » [٢] .
أخرجه الحاكم وصحَّحه كما في « الدر المنثور » ، وأقرَّه الذهبي في « تلخيص المستدرك » [٣] .

الحديث : ٢١ عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجنَّةَ يومَ القيامةِ وأُشَفَّعُ ، وسيُدرِكُ رجالٌ مِن أُمَّتي عيسى ابنَ مريم ، ويَشهدون قِتالَ الدجَّال » . أخرجه الحاكم في « المستدرك » وصحَّحه

---

(١) أي كلُّ غنيِّ النَّفْس معتزلٍ عن الناس ، مُختفٍ عليهم مكانُه . منقطعٍ إلى العبادة والشغل بأمور نفسه أيامَ الفِتَن والأهواء .

(٢) اللبون : الناقة ذاتُ اللَّبَن تُرضِعُه ولدَها . وابنُ اللَّبون هو ولدُها الصغير الذي ما يزال يَرْضعُ لبنَ أُمّه . فهو لصغره لا يُمكِن أن يُركَبَ عليه لقتال ونحوه ، ولا أن يكون فيه لبنٌ ليُحلَب فيُتَغَذّى بلبنه . فيَبْقَى بعيداً عن أن يُستعانَ به في أمرٍ من أمور الفتنة .

(٣) مواضع الحديث : الحاكم والذهبي ٤ : ٥٢٩ ، « الدر المنثور » ٢ : ٢٤٣ . وما بعد قوله : (يَهزِمُ أصحابَه) إلى آخر الحديث زيادة مني على الأصل من « مستدرك الحاكم » . والحديث موقوفٌ لفظاً على حُذَيفة بن أَسِيد رضي الله عنه ، لم يُسْنَد إلى رسول الله ﷺ ، ولكنه مرفوعٌ حكماً ، إذ لا يُعْلَمُ ما فيه إلا من جانب وحي النُّبُوَّة .

كما في « الدر المنثور » ، وأخرجه ابنُ خُزَيمة في « صحيحه » كما في « كنز العمال » ، مُصحِّحاً ما وقع فيه من الأغلاط من « المستدرك » [(١)].

الحديث : ٢٢ عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أدرَكَ منكم عيسى ابنَ مريم فلْيُقْرِئه مني السلام ». أخرجه الحاكم وصحَّحه كما في « الدر المنثور » [(٢)].

الحديث : ٢٣ عن واثِلَةَ بن الأسْقَع رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا تقومُ السَّاعةُ حتى تكونَ عشرُ آيات : خَسْفٌ بالمشرق [(٣)] ، وخسفٌ بالمغرب ،

---

(١) ورواه الطبراني في « الأوسط » كما ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٧ : ٣٤٩ ، وقال : « فيه معاوية بن وهب ، ولم أعرفه » . ومن أوَّل الحديث حتى قوله : « وأشتَفَّع » زيادة مني على الأصل من « مجمع الزوائد » . أمَّا مواضع الحديث فهي : الحاكم ٤ : ٥٤٤ ، « الدر المنثور » ٢ : ٢٤٥ ، « كنز العمال » ٧ : ٢٠٢ .

(٢) مواضع الحديث : الحاكم ٤ : ٥٤٥ ، « الدر المنثور » ٢ : ٢٤٥ .

(٣) سبق شرحُ هذه الآيات العشر في التعليق على الحديثِ الخامسِ ص ١٠٢ وما بعدها ، وعلى الحديثِ الثامنِ ص ١٣٢ وما بعدها ، فعُدْ إليه .

وخسفٌ في جزيرة العرب ، والدجَّالُ ، والدُّخانُ ، ونزولُ عيسى ، ويأجوجُ ومأجوجُ ، والدَّابَّةُ ، وطلوعُ الشمس من مَغرِبِها ، ونارٌ تَخْرُجُ مِن قَعْرِ عَدَن تَسوقُ الناسَ إلى المَحْشَر تَحْشُرُ الذَّرَّ والنَّمل »[١] . رواه الطبراني والحاكم وصحَّحه ووافَقَه الذهبيُّ في « تلخيص المستدرك » ، ورواه ابنُ مَرْدُوْيَه كما في « كنز العمال »[٢] .

الحديث : ٢٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ الأعورَ الدجَّالَ مَسيحَ الضَّلالةِ يَخرُجُ مِن قِبَلِ المَشْرِق ، في زمان اختلافٍ من الناس وفُرْقَةٍ ، فيَبْلُغُ ما شاء الله أن يَبْلُغَ من الأرض في أربعين يوماً ، اللهُ أعلمُ ما مِقدارُها ؟ اللهُ أعلمُ ما مِقدارُها ؟ ـ مَرَّتين ـ ويَنزلُ عيسى ابنُ مريم فيَؤُمُّهُم ، فاذا رَفَعَ من الركوع قال : سَمِعَ اللهُ لمن حَمِدَهُ قَتَلَ اللهُ الدجَّالَ ، وأَظهرَ المؤمنين »[٣] . أخرجه ابنُ

---

(١) هذا كناية عن حشرها الناسَ جميعاً ضعيفَهم وقويهم .

(٢) مواضع الحديث : « مجمع الزوائد » للهيثمي ٧ : ١٨٦ ، عن الطبراني ، الحاكم والذهبي ٤ : ٤٢٨ « كنز العمال » ٧ : ١٨٦ .

(٣) الظاهرُ أنَّ في ألفاظ هذا الحديث تصرُّفاً من بعض =

حِبَّان في « صحيحه » كما في « السِّعاية في كشفِ ما في شرح الوقاية »

= الرواة ، إذ قد تقدَّم في الأحاديث أنَّ عيسى عليه السلام يَقْتُلُ الدجَّالَ بباب لُدّ . وذهب شيخنا عبد الله الغُمَاري في كتابه « إقامة البرهان » ص ٣٢ - ٣٤ إلى سلامة هذه الرواية من تصرُّف الرواة ، إذ أوسعَ الكلامَ في بيان معنى الحديث وتوجيهه فقال :

« هذا الحديثُ يُفيدُ أنَّ قَتْلَ الدجَّالِ يَحْدُثُ وعيسى ابنُ مريم في صلاة ، مع أن الأحاديث الأخرى التي ذَكَرَتْ أنَّ عيسى يَقْتُلُ الدجَّالَ بباب لُدّ أو قريبٍ منه لم تَذْكُرْ أنَّ ذلك يكون أثناء الصلاة ، فكيف الجمعُ بين هذه وذاك ؟

والجوابُ عن ذلك سهلٌ بتسهيل الله ، غير أنه يَتوقَّفُ على مقدِّمةٍ وهي : أنَّ الذي دلَّتْ عليه الأحاديث أنَّ عيسى عليه السلام يصلِّي أوَّلَ صلاة بعد نزوله من السماء - وهي صلاة الصبح - مؤتماً بإمام المسلمين ، إظهاراً لكرامة هذه الأُمَّة وفضلها . ثم بعد ذلك يتقلَّد عيسى مقاليدَ الأمور ، ويصير خليفةَ المسلمين ، وتُجمَعُ له الصلاةُ أي يَصيرُ هو الإمامَ فيها مع قيامه بأعباء الإمامة العظمى ، ومن هنا تعلم أن قوله في هذا الحديث : (فيَؤُمُّهم) على ظاهره ، أي فيؤمُّهم في الصلوات . ولا شكَّ أنَّ ممَّا شرَعَه الله لهذه الأُمَّة في جهادها مع العدوِّ صلاةَ الخوف .

إذا تقرَّر هذا : فالحديثُ محمولٌ على أن عيسى عليه السلام يؤمُّ المسلمين في صلاةِ خوفٍ وهم يقاتِلون الدجَّال ومَنْ معه ، فاذا رَفَعَ عيسى رأسَهُ من الركوع أمكنَتْه الفرصةُ من العدوّ ، فيَحمِلُ على الدجَّالِ فيَقتُلُه ، ومباشَرةُ الأعمال الواجبة الضرورية لا تَمْنَعُ منها الصلاةُ كما هو معروف . =

لعبد الحيّ اللّكنوي (١) .

الحديث : ٢٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إني لأرجو إنْ طالَ بي عُمُرٌ أنْ ألقى عيسى ابن مريم ، فانْ عَجِلَ بي موتٌ فمَن لَقيَهُ منكم فليُقْرِئه مني السلامَ » . رواه أحمد في « مسنده » ، قال : حدّثنا محمد بن جعفر ، حدّثنا شُعْبَة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ .

ورواه من طريقٍ آخر موقوفاً على أبي هريرة ، قال : حدّثنا

= وهذا معنى قوله : « ويَنزِلُ عيسى ابنُ مريم فيؤمُّهم ، فاذا رَفَعَ رأسَه من الركوع قال : سَمِعَ الله لمن حَمِدَهُ ، قتَلَ اللهُ المسيحَ الدجّال » ، أي على يَدِ عيسى . وإسنادُ القتل إلى الله من باب قوله تعالى : ﴿ فلم تَقتُلوهم ولكنَّ اللهَ قتَلَهم وما رَمَيْتَ إذ رَمَيْتَ ولكنَّ اللهَ رَمَى ﴾ . فبهذا التأويل يتّضح المعنى ويكون الحديث متفقاً مع غيره من الأحاديث ، متمشياً مع قواعد الشريعة الغراء » . انتهى .

(١) مواضع الحديث : « السعاية » ٢ : ١٨٤ وذكرَه الحافظُ الهيثمي في « موارد الظمآن إلى زوائد ابن حِبّان » ص ٤٦٩ . وذكره أيضاً في « مجمع الزوائد » ٧ : ٣٤٩ وقال : « رواه البزّار ، ورجالُه رجالُ الصحيح ، غير علي بن المنذر ، وهو ثقة » . ومن أوّل الحديث إلى قوله : (ينزِلُ عيسى ابن مريم . . .) زيادةٌ مني على الأصل من « موارد الظمآن » .

يزيدُ بن هارون ، أخبرنا شُعبة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة قالَ : إني لأرجو إنْ طالتْ بي حياةٌ أنْ أُدركَ عيسى ابنَ مريم ، فانْ عَجِلَ بي موتٌ فمَنْ أدركَهُ فليُقْرِئهُ مني السَّلامَ .

ورجالُ الطريقين رجالُ «صحيح البخاري»[1]، وقد أخرج البخاري بهذا الإسناد أحاديثَ عديدةً في غير موضعٍ من « صحيحه »[2]. فهذا حديثٌ صحيحُ الإسناد ، رُوِيَ مرفوعاً وموقوفاً . ومَنْ أمعَنَ النظرَ في أحاديث الباب علم أنَّ الإيصاءَ بإبلاغِ السلام وقراءتِهِ على عيسى ابن مريم عليه السلام صحيحٌ مرفوعاً وموقوفاً .

وأما الجملةُ الابتدائيةُ من قوله : « إني لأرجو إنْ طالَ بي عُمُرٌ أنْ ألقَى عيسى ابنَ مريم » عليه السلام . فالنَّظرُ في أحاديث الباب يَحْكُم بأنها موقوفة لا مرفوعة .

كيف وقد وقع التصريحُ بوفاة نبيِّنا ﷺ عند نزول عيسى عليه السلام في أحاديث كثيرة ؟ منها ما أخرجه مسلمٌ مختصَراً

---

(١) وهكذا قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٨ : ٥ و ٢٠٥ .

(٢) انظر ـ على سبيل المثال ـ هذا الإسنادَ في « صحيح البخاري » في كتاب الفرائض : باب الولد للفراش حُرَّةً كانت أو أَمَةً ١٢ : ٣٣ ، وفي كتاب المحاربين من أهل الكفر والرِّدَّة : باب للعاهر الحَجَر ١٢ : ١١٣ .

والحاكمُ في « المستدرك » مطوَّلاً من قوله عليه الصلاة والسلام : « وَلَيَأْتِيَنَّ قبري حتى يُسلِّمَ عليَّ ، ولأَرُدَّنَّ عليه » [1] . وفي « فتح الباري » للحافظ ابن حجر : ولأحمد مِن وجهٍ آخَر عن أبي هُرَيرة : أقرِؤه مِن رسولِ الله السَّلامَ [2] .

الحديث : ٢٦ عن عبد الله بن سَلَام رضي الله عنه قالَ : مكتوبٌ في التوراة : صِفَةُ محمَّد ، وعيسى ابنُ مريم : يُدْفَنُ معه . أخرجه الترمذيُّ وحسَّنه ، كما في « الدر المنثور » [3] .

الحديث : ٢٧ عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لن تَهْلِكَ أُمَّةٌ أنا في أوَّلِها ، وعيسى ابنُ مريم في آخِرِها ، والمَهْدِيُّ في وَسَطِها » [4] . رواه النسائي ،

---

(١) وقد تقدَّم هـذا اللفظ في آخر الحديث الرابع ص ١٠٢ ، وتقدَّم تعليقاً تخريجُه وبيانُ مواضعه من كتب الحديث .

(٢) مواضع الحديث : أحمد ٢ : ٢٩٨ و ٢٩٩ ، ابن حجر ٦ : ٣٥٦ . (٣) مواضع الحديث : الترمذي ١٣ : ١٠٤ ، و الدر المنثور ٢ : ٢٤٥ .

(٤) المراد بالوسط ما قبل الآخر لأنَّ نزول عيسى عليه السلام لقتل الدجَّال يكون في زمن المهدي ، ويصلي سيدنا عيسى خلفه كما جاءت به الأخبـار .

وأبو نُعَيم في « أخبار المهدي » ، والحاكمُ وابنُ عساكر في « تاريخيهما » . ولفظُهما : « كيف تهلِكُ أُمَّةٌ أنا في أوَّلها . . . » . كما في « كنز العمال » . وهو حديثٌ حَسَن كما في « السراج المنير » للعَزِيزي [1] .

الحديث : ٢٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لم يُسلَّطْ على قَتْلِ الدجَّالِ إلاَّ عيسى ابنُ مريم » . أخرجه أبو داود الطَّيالسيّ في « مسنده » . كما في « الجامع الصغير » للسيوطي . وقال العَلْقمي : بجانبه علامةُ الحَسَن . كما في « السراج المنير » [2] .

---

(١) مواضع الحديث : النسائي في « سننه » كما قاله المناوي في كتابه « التيسير بشرح الجامع الصغير » ٢ : ٣٠٢ و « فيض القدير » ٥ : ٣٠١ ، « كنز العمال » ٧ : ١٨٧ في موضعين ، « السراج المنير بشرح الجامع الصغير » ٣ : ١٩٦ .

(٢) مواضع الحديث : « مسند الطيالسي » ص ٣٢٧ ، « السراج المنير » ٣ : ١٩٤ ، وقال المناوي في « التيسير » ٢ : ٣٠١ « إسناده ضعيف » . انتهى . قلت : معناه ثابت في غير حديث ، ولعل هذا ما جعَل السيوطيَّ يرمز له بالحَسَن ؟ وجعَلَ شيخَنا النهاريَّ يقول في « عقيدة أهل الإسلام » ص ٩٥ : « هو حديث صحيح » .

الحديث : ٢٩ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : « إنَّ امرأةً من اليهود بالمدينة وَلَدَتْ غلاماً ممسوحةً عينُه ، طالعةً ناتئَةً ، فأشفَقَ رسولُ الله ﷺ أن يكون الدجَّالَ [١] ، فوَجَدَه [٢] تحت قَطيفةٍ [٣] يُهَمْهِمُ [٤] ، فآذَنَتْه أُمُّهُ فقالت: يا عبدَ الله [٥] هذا أبو القاسم قد جاء فاخْرُجْ إليه ، فخَرَجَ من

---

(١) هذا الإشفاقُ من رسول الله ﷺ إنما كان قبلَ أن يُعلِمَه الله أن الدجَّال لا يَدخُلُ المدينة ولا مكة ، كما جاء في أحاديث كثيرة تقدَّمتْ في مواضعها ، ولا شك أنَّ ابن صيَّاد وُلِدَ بالمدينة ، وأسلم ، وذهَبَ إلى مكة حاجاً صحبة أبي سعيد الخدري وغيره من الصحابة ، وهذه أوصافٌ لا توجَدُ في الدجَّال قطعاً . كما قاله شيخنا الغُماري في « إقامة البرهان » ص ٤٢ . (٢) أي فذهب إليه فوجده . . .

(٣) هي كِساءٌ مُخْمَلٌ أي له خَمْلٌ ووَبَر في وجهه .

(٤) أي يقول كلاماً خفياً لا يُفهَمُ منه شيء .

(٥) قيل : هذا اسمُه ، والأصحُّ أنَّ اسمَهُ صافي ، فقد نَقَل الإمام العيني في « عمدة القاري » ٨ : ١٧٠ - وتابَعَه القسطلاني في « إرشاد الساري » ٢ : ٥٤٠ - عن ابنِ الجوزي قولَه : « واسمُهُ : صافي كقاضي ، وقيل : عبدُ الله » . انتهى .

قلتُ : وقد تُرجِمَ باسم (عبد الله في « أُسد الغابة » و « الإصابة » . ولكن قد جاء صريحاً في « صحيح البخاري » ٣ : ١٧٥ و ٦ : ١٢١ ، و « صحيح مسلم » ١٨ : ٥٥ أنَّ اسمَه : صاف . وقال الإمام العيني في « عمدة القاري » ١٤ : ٢٧٨ عند قول الحديث : =

القَطِيفَةِ ، فقال رسول الله ﷺ : مالَها قاتَلها اللهُ لو تركَتْهُ لبَيَّنَ (١) .

ثم قال : يا ابنَ صائِدٍ (٢)

= « فقالت ـ أمُّه ـ : يا صافُ هذا محمدٌ » بوصف اسمُ ابن صيَّاد ، بضم الفاء وكسرها » . ثم قال العيني في ص ٣٠٣ « وفي حديث جابر : فقالت : يا عبد الله هذا أبو القاسم قد جاء » . وكأنَّ الراوي عبَّر باسمه الذي تَسمَّى به في الإسلام ؟ وأمَّا اسمُه الأوَّل فهو صاف » . انتهى . ومثلُه في « فتح الباري » ٦ : ١٢١ .

وقال العلاَّمة علي القاري في « المرقاة » ٥ : ٢١٦ تعليقاً على قول الحديث : « أيْ صافُ » : « هو بالضم ، وفي نسخة بالكسر ، على أنَّ أصلَه : صافي ، فحُذِفَ الياء ، واكتُفِي بالكسرة . ويؤيِّدُ الأوَّلَ ظاهرُ قوله : « وهو اسْمُه » . ويمكن أن يكون الاسمُ بمعنى الوصف ، فانه قد يُستعمَل بالمعنى الأعمِّ من نحوِ اللَّقَبِ والعَلَم » .

(١) أي لأظهَرَ ما في ضميره ، ولَظهَرَ لنا مِن حاله ما نطَّلع به على حقيقة أمره .

(٢) ويقال فيه : ابنُ الصَّائد ، بالتعريف ، كما يقال فيه : ابنُ صيَّاد وابنُ الصيَّاد كما جاء في « صحيح البخاري » ٣ : ١٧٥ ، و١٣٩ : ٢٧٣ ، و « صحيح مسلم » ١٨ : ٤٦ و ٥٥ .

قال العلاَّمة علي القاري في « المرقاة شرح المشكاة » ٥ : ٢١٣ « وهو يهوديٌّ من يهود المدينة ، وقيل : هو دخيلٌ فيهم ، وكان حالُه حالَ الكُهَّان : يَصدُقُ مرةً ويَكذِبُ مِراراً ، ثم أسلَم لمَّا كَبِرَ ، =

. . . .

= وظهرَتْ منه علاماتٌ من الحجّ والجهاد مع المسلمين، ثم ظهرتْ منه أحوال، وسُمِعَتْ منه أقوالٌ تُشْعر بأنه الدجّال».

قال الإمام النووي في «شرح صحيح مسلم» ١٨ : ٤٦ «ولا شكَّ في أنه دجّال من الدجاجلةِ الكذّابِين، - أي الذين أنذَرَ بهم النبيُّ ﷺ في قوله: «إنَّ بين يدَي السَّاعةِ كذّابِينَ» كما رواه مسلم في «صحيحه» ١٨ : ٤٥ - قال العلماء: وظاهِرُ الأحاديث أنَّ النبي ﷺ لم يُوحَ إليه بأنه المسيحُ الدجّال ولا غيرُه، وإنما أوحي إليه بصفاتِ الدجّال، وكان في ابن صيّاد قرائنُ مُحتمِلَةٌ، فلذلك كان النبي ﷺ لا يَقطَعُ بأنه الدجّالُ ولا غيرُه، ولهذا قال لعُمَر رضي الله عنه: إن يكن هو فلن تستطيع قَتْلَه». انتهى.

وقد ذهب بعضُ العلماء إلى أنَّ ابن صيّاد هذا هو الدجّالُ الأكبر، وهو وَهَمٌ من قائله، إذ الدجّال لا يَدْخُلُ المدينة، وابنُ صيّاد قد وُلِدَ فيها، والدجّالُ لا يَدْخلُ مكّة، وابنُ صيّاد قد حَجَّ ودخَلَ مكة، والدجّالُ يَخرُجُ وهو شابٌّ قَطَط، وابنُ صيّاد قد مات في عصر الصحابة وشهدوا وفاته. فلا يصحُّ أن يقال: هو الدجّالُ الأكبر. ولهذا قال علاّمةُ زمانه ومحدّثُ أوانه الشيخ محمد يحيى الكاندِهْلَوِي في كتابه: «الكوكب الدُّريّ على جامع الترمذي» ٢ : ٦٤ «والحقُّ في ذلك أنه غيرُه كما ذهب إليه أكثرُ العلماء».

وقال نجلُه أستاذُنا العلامة المحدّث الكبير، الفقيه الصوفيُّ البصير، الشيخ محمد زكريا شيخُ الحديث في مدرسة مظاهر العلوم في سهارنبور، وريحانةُ الهند كما لقّبْتُه بذلك يوم زُرتُه في رحلتي للهند والباكستان عام ١٣٨٢، قال حفظه الله تعالى تعليقاً على كلام والده رحمه الله تعالى: =

ماتَرى(١)؟ قال، أَرى حقّــاً، وأَرى باطلاً، وأَرى عَرْشاً على الماء(٢) .

= «قال الشيخ علي القاري - في «المرقاة» ٥ : ٢٢٠ - : قال بعضُ المحققين : الوجهُ في الأحاديث الواردة في ابن صيَّاد مع ما فيها من الاختلاف والتضاد أن يقال : إنه ﷺ حَسِبَه الدجَّالَ قبل التحقيق بخبر المسيح الدجَّال، فلما أُخبِرَ ﷺ بما أُخْبِرَ به من شأن قصته في حديث تَميمٍ الداريّ، ووافَقَ ذلك ما عنده، تبيَّنَ له ﷺ أنَّ ابن الصيَّاد ليس بالذي ظنّه - أي ليس هو الدجَّالَ الأكبر - .

وأما توافُقُ النُّعوتِ في أبوي الدجَّال وأبوي ابن صيَّاد فليس مما يُقطَع به قولاً، فانَّ اتفاقَ الوصفَيْنِ لا يَلزمُ منه اتحادُ الموصوفَيْنِ انتهى .

وكذا حَكَى الحافظُ ابنُ حجر عن البيهقي أنه قال : ليس في حديثِ جابرٍ أكثرُ من سكوتِ النبي ﷺ على حَلِفِ عُمَر، فيُحتَمَلُ أن يكون النبي ﷺ كان متوقّفاً في أمره، ثم جاءه الثَّبَتُ - أي الحُجَّةُ والبَيِّنَةُ - من الله تعالى أنه غيرُه، على ما تقتضيه قِصَّةُ تميم الداريّ، وبه تمسَّكَ من جَزَمَ بأنَّ الدجَّالَ غيرُ ابن الصيَّاد، وطريقُه أصَحُّ . انتهى . وإليه مال الحافظ ابنُ حجر» . انتهى كلامُ شيخنا محمد زكريا سلَّمه الله تعالى .

وقد علمتَ أوائلَ هذه التعليقة ص ١٨٥ أنَّ الدجَّالَ غيرُ ابنِ صيَّادٍ قطعاً، فلا تُلْقِ بالاً إلى ما سواه، والله يتولاَّنا ويتولاَّك .

(١) أي ما تُبصِرُ وتُكاشَفُ به من الأمرِ الغَيبي !

(٢) وفي رواية أخرى في «المسند» ٣ : ٣٨٨ «قال : أرى عرشاً على البحر، حولَهُ حيّاتٌ . قال رسول الله ﷺ : ذاك عَرشُ إبليس» . =

قال : فلُبِسَ عليه [١] . فقال : أتشهدُ أني رسولُ الله ؟ [٢]

= وجاء عند مسلم في « صحيحه » ١٨ : ٤٩ من حديث أبي سعيد الخدري : « قال : أرى عَرْشاً على الماء ، فقال رسول الله ﷺ : ترى عَرْشَ إبليس على البحر . وما ترى ؟ قال : أرى صادِقَيْنِ وكاذِباً ، أو كاذِبَيْنِ وصادقاً . فقال رسول الله ﷺ : لُبِسَ عليه - أي خُلِّطَ عليه - دَعُوه » . وفي حديثِ ابن عُمَر عند مسلم أيضاً ١٨ : ٥٤ « قال : يأتيني صادقٌ وكاذبٌ ، فقال له رسول الله ﷺ : خُلِّطَ عليك الأمرُ » .

قال العلماء : ومعنى قولِ ابن صيَّاد : « أرى صادِقَيْنِ وكاذباً ، أو كاذِبَيْنِ وصادقاً » : أي يأتيني شخصانِ يُخبراني بما هو صِدْق ، وشخصٌ يخبرني بما هو كذب ، أو بالعكس . وكذلك معنى قولِه : « يأتيني صادقٌ وكاذب » أي يأتيني خبرٌ صادقٌ تارةً ، وخبرٌ كاذبٌ تارةً أخرى ، أو يأتيني مَلَكٌ صادقٌ وشيطانٌ كاذب . أو عَنَى بذلك أنَّ تابِعَه من الشياطين يَصْدُقُ مرةً ويَكذبُ أخرى . وهي حالةُ الكُهَّان .

قال العلماء : وهذا الشكُّ من ابن صيَّاد في عَدَدِ الصادق والكاذب يَدلُّ على افترائه ، وكذلك قولُه : « يأتيني صادقٌ وكاذب » . إذْ المؤيَّدُ من عند الله تعالى لا يكون كذلك ، ولا يأتيه إلا صادق .

(١) أي خَلَّطَ عليه شيطانُه ما يُلقيه إليه . فتارةً يصيب وتارةً يُخطىء كشأن الكُهَّان والسَّحَرَة .

(٢) أراد رسول الله ﷺ باستنطاقه بالشهادة له بالرسالة إظهارَ كذبه المنافي لدعوى النبوَّةِ المتوهَّمة من قوله : « أرى حقّاً » ، =

فقال هو : أتشهَدُ أني رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : آمَنْتُ بالله ورُسُلِهِ (١) ، ثم خرَجَ وترَكه .

ثم أتاه مرَّةً أُخرى ، فوجده في نَخْلٍ له يُهَمْهِمُ ، فآذَنَتْهُ أُمُّه فقالت : يا عبدَ الله هذا أبو القاسم قد جاء ، فقال رسول الله ﷺ : ما لَها قاتَلَها الله لو ترَكَتْهُ لبيَّنَ ، قال : فكان رسول الله ﷺ يَطمَعُ أن يَسمَعَ مِن كلامِهِ شيئاً فيَعْلَمَ هُوَ هُوَ أم لا ؟

قال : يا ابنَ صائدٍ ما تَرى ؟ قال : أَرى حقّاً ، وأَرى باطلاً ، وأَرى عَرْشاً على الماء . قال : أتشهد أني رسولُ الله ؟ فقال هو : أتشهَدُ أني رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : آمَنْتُ بالله ورُسُلِه ، فلُبِسَ عليه . ثم خرَجَ فترَكه .

ثم جاء في الثالثةِ أو الرابعةِ ومعه أبو بكر وعُمَر بن الخطاب

= وأرى باطلاً ، وأرى عرشاً على الماء » . إذ لو فُرِضَ أنه نبيٌّ لأقرَّ بنبوَّة سيدنا رسول الله ﷺ ، فإنَّ الأنبياء يُؤمنُ كلٌّ منهم بنبُوَّة الآخر . عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين .

(١) أي وأنتَ لستَ منهم .

في نَفَرٍ من المهاجرين والأنصار وأنا مَعَهُ[١] ، فبادَرَ رسولُ اللهُ ﷺ بين أيدينا ، ورَجَا أن يَسمَعَ مِن كلامِهِ شيئاً ، فسَبَقَتْهُ أُمُّه إليه فقالت : يا عبدَ الله هذا أبو القاسم قد جاء ، فقال رسول الله ﷺ : مالَـها قاتَلَها اللهُ لو تركَتْه لبَيَّنَ .

فقال : يا ابنَ صائدٍ ما تَرى ؟ قال : أَرى حقّاً ، وأَرى باطلاً ، وأَرى عَرْشاً على الماء . قال : أتشهَدُ أني رسول الله ؟ فقال : أتشهَدُ أنتَ أني رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : آمَنْتُ بالله ورُسُلِه . فلُبِسَ عليه . فقال له رسول اللهُ ﷺ : يا ابنَ صائدٍ إنَّا خبَأْنا لك خَبِيئاً فما هو؟[٢] قال : الدُّخ الدُّخ[٣] ،فقال له رسول الله ﷺ:

---

(١) أي جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

(٢) الخبيء : الغائب المستور المخبوء . أي قد أخفيتُ لك في نفسي شيئاً وأضمرتُه لتُخبرَني ما هو ؟ وكان رسول الله ﷺ قد خَبَأَ له قولَه تعالى : ﴿ فارْتَقِبْ يوم تأتي السَّماء بدُخَانٍ مُبِين ﴾ . وإنما امتَحَنَه رسولُ الله بهذا ليُظهِرَ إبطالَ حالِهِ للصحابة ، وليتبيَّنَ أنه كاهنٌ يأتيه الشيطانُ فيُلقي على لسانه .

(٣) أي الدُّخَان ، وفي حديث أبي الدرداء في « مسند أحمد » ٥ : ١٤٨ « فأراد أن يقول : الدُّخَانُ فلم يَستطع ، فقال : الدُّخ الدُّخ . . . » . فلم يَهتد من الآية التي أَضمَرها النبي ﷺ إلا لهذا اللفظ الناقص ، على عادة الكُهَّانِ إذا ألقَى الشيطانُ إليهم بشيء فانَّما يُلقي بقَدْرِ ما يَخْطَفُ من السمع قَبْلَ أن يُدركه الشهابُ فيُحرقَه .

اخْسَأْ اخْسَأْ (١) .

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ائذَنْ لي فأقتُلَهُ يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : إنْ يكُنْ هو فلستَ صاحِبَهُ (٢) ، إنما صاحِبُه عيسى ابنُ مريم عليه الصلاة والسلام ، وإنْ لا يكُنْ (٣) فليس لك أن تقتل رجلاً من أهل العَهْد (٤) .

---

(١) وعند البخاري ٣ : ١٢١ ومسلم ١٨ : ٤٨ من حديث ابن عُمَر : « اخْسَأْ فلن تَعْدُوَ قَدْرَك ! » . وكلمةُ (اخسَأْ) كلمةُ زجرٍ واستهانة ، من الخُسُوءِ وهو زَجْرُ الكلب . أي ابْعُدْ حقيراً واسكُتْ مزجوراً ، فلن تتجاوز مقدارَ أمثالك من الكُهَّان ، الذين يَحفظون من إلقاء الشيطان كلمةً واحدةً من جملةٍ كثيرة ، وما أتيتَ به من الأمرِ الناقصِ جداً هو قَدْرُ الساحرِ الكاذب ، ولن يَبلُغَ قدرُك أن تطَّلعَ على الغيب من قِبَلِ الوحي ، أو تُحقِّقَ شيئاً من أمور الغيب التي اختَصَّ الله بها الأنبياء ، وغايةُ أمرِك أن تقول مثلَ هذا الكلام الأبتر الذي لا يَظهر له معنى جازم !

(٢) أي إن يكن هو الدجَّالَ الأكبر فلستَ ـ يا عُمَرُ ـ الذي يقتلُه ، إنما يقتلُه عيسى ابنُ مريم عليه السلام .

(٣) أي وإن لم يكن هو الدجَّالَ . . .

(٤) أي الذِّمَّة . وإنما لم يأذن رسول الله ﷺ لعمر بقتله ، مع أنه ادَّعى النبوَّة بحضرته ، لأنه كان من اليهود ، وكان بينهم وبين رسول الله يومئذ مهادنة وعَهْد . قال الإمام الخطَّابي في « معالم السنن » ٤ : ٣٤٩ « هذه القصة جرَتْ أيام مُهادنةِ رسولِ الله اليهودَ وحلفاءَهم ، =

قال (١) : فلم يَزَلْ رسول الله ﷺ مُشْفِقاً أنه الدجّال»(٢) .
رواه أحمد في « مسنده » ، وعزاه في « كنز العمال » إلى « المختارة »
للضياء المقدسي ، ومِن شَرْطِهِ : الحَسَنُ(٣) .

الحديث : ٣٠ عن أَوْس بن أوس الثَّقَفِي رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « يَنزِلُ عيسى ابنُ مريم عند المَنَارةِ

= وذلك أنه ﷺ بعد مَقْدَمِهِ المدينة كَتَبَ بينه وبين اليهود كتابَ صُلح : على أن لا يُهاجُوا ـ لا يُقاتَلوا ـ وأن يُترَكوا على أمرهم . وكان ابنُ صيّاد منهم أو دخيلاً فيهم ، وكان يَبلغُ رسولَ الله خبرُه وما يدّعيه من الكهانةِ ويتعاطاه من الغيب ، فامتحنه ﷺ بذلك لينكشف أمرُه ، فلما سَمِعَ منه قولَه : (الدُّخّ) زجرَه فقالَ : اخسأْ فلن تعدوَ قَدْرَكَ » . ولم يَسمح لعمر بقتله للعهدِ الذي كان قائماً .

(١) أي جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

(٢) هذا من كلام سيدنا جابر وفَهْمِه . فقد كان يَرى أن ابن صيّاد هو الدجّال . وقد علمتَ مما سبق تعليقاً في ص ١٨٥ أنَّ الحقَّ أنه غيرُه كما ذهب إليه أكثرُ العلماء ، وكما قدّمنا فيه الأدلّةَ القاطعة .

(٣) قلتُ : أخرجه الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٨ : ٤ ، وقال : « رواه أحمد ، ورجالُه رجالُ الصحيح » . واستَشهد به الحافظُ ابنُ حجر في « فتح الباري » ٦ : ١١٩ - ١٢١ . وشَرْطُهُ فيما يورده فيه : الصِّحّةُ أو الحُسْنُ ، كما تقدّم ذكرُه تعليقاً في ص ١٥٦ - ١٥٧ . أمّا مواضعُ الحديث فهي : أحمد ٣ : ٣٦٨ ، « كنز العمال » ٧ : ٢٠٢ ، « المختارة » لم تُطبع .

البيضاء شرقيَّ دمشق »[١] . أخرجه الطبراني كما في « الدُّرّ المنثور » و « كنز العمال » ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » ، وعزاه في « تهذيب تاريخ ابن عساكر » إلى سَمُّويَهْ والطبرانيِّ والضياء المقدسيِّ في « المختارة »[٢] .

الحديث : ٣١ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يَخرُجُ الدجّالُ في خِفَّةٍ من الدِّين[٣] ،

(١) سبق تعليقاً في ص ١١٦ ذكرُ الأقوال في موطن نزوله عليه السلام . ووقع في « الدر المنثور » (في دمشق) ، وهو تحريف .

(٢) قلت : وأخرجه الرَّبَعيُّ في « فضائل الشام ودمشق » ص ٧١ ، بسندٍ صحيح ، وهو في « مجمع الزوائد » للهيثمي ٨ : ٢٠٥ ، عن الطبراني ، وقال الهيثمي : « رجاله ثقات » ، وأورده السيوطي في « الجامع الصغير » عن الطبراني ورَمَزَ لحُسْنِه . وأقرَّه المُناوي . أمَّا مواضع الحديث فهي : « الدر المنثور » ٢ : ٢٤٥ ، « كنز العمال » ٧ : ٢٠٢ ، « تهذيب تاريخ ابن عساكر » ٥ : ٣٠٤ ، وما عداها غيرُ مطبوع . وسيأتي مزيدُ كلام في تخريج هذا الحديث عند روايته عن (كيسان) في الحديث : ٤٥ ، فانظره .

(٣) أي في حالِ ضعفٍ من الدِّين وقلَّةِ أهله . ولفظُ « في خِفَّة » روايةُ الحاكم ، وروايةُ أحمد : « في خَفْقَةٍ من الدين » . والمعنى واحد ، مأخوذ من خَفَقَ الليلُ إذا ذهب ، أو خَفَقَ الأمرُ إذا اضطرب ، أو خَفَقَ الرجُلُ إذا نَعَس .

وإدبارٍ من العلمِ ، وله أربعون يوماً [١] يَسيحُها في الأرض ، اليومُ منها كالسَّنَة ، واليومُ منها كالشَّهْر ، واليومُ منها كالجُمُعة ، ثم سائرُ أيَّامِه كأيَّامِكم هذه [٢] .

وله حِمارٌ يَرْكَبُه ، عَرْضُ ما بين أُذُنَيْهِ أربعون ذِراعاً . فيقولُ للناسِ [٣] : أنا رَبُّكم . وهو أعوَرُ . وإنَّ رَبَّكم ليس بأعور . مكتوبٌ بين عينيهِ : (كافر) ، ك ف ر ، مُهَجَّاةً ، يَقرؤه كلُّ مؤمنٍ كاتبٍ وغيرِ كاتب .

يَرِدُ كلَّ ماءٍ ومَنْهَلٍ إلا المدينةَ ومكَّةَ حَرَّمهما الله تعالى عليه ، وقامَتْ الملائكةُ بأبوابها [٤] . ومعه جِبالٌ من خُبْزٍ ، والناسُ في جُهْدٍ إلاَّ مَنْ تَبِعَه . ومعَهَ نَهْرانِ أنا أعلمُ بهما

---

(١) هذه الجملة من رواية الحاكم ، وروايةُ أحمد « فله أربعون ليلة . . . » .

(٢) فيكون مجموع إقامته في الأرض أربعة عشر شهراً وأسبوعين . وقد تقدَّمَ تعليقاً في ص ١١٠ - ١١١ نقلُ كلام العلماء في بيان أيام الدجَّال ، فراجعه .

(٣) رواية الحاكم : « يأتي الناس فيقول . . . » .

(٤) هذه رواية الحاكم ، ورواية أحمد « بأبوابها » .

منه ، نَهْرٌ يقولُ : الجنَّةُ ، ونَهْرٌ يقولُ : النارُ ، فمن أُدخِلَ الذي يُسمِّيه الجنَّةَ فهو النارُ ، ومن أُدخِلَ الذي يُسمِّيه النارَ فهو الجنَّة (١) .

ويَبْعَثُ اللهُ معه شياطينَ تُكلِّمُ الناسَ . ومعَهُ فِتنةٌ عظيمةٌ : يأمرُ السماءَ فتُمطِرُ فيما يَرى الناسُ ، ويَقتُلُ نفساً ثم يُحييها فيما يَرى الناسُ ، لا يُسلَّطُ على غيرها من الناس . ويقولُ : يا أيها النَّاسُ هل يَفعَلُ مثلَ هذا إلاَّ الرَّبُّ عزَّ وجلَّ ؟ (٢) فيَفِرُّ المسلمون إلى جبَل الدُّخَان بالشام ، فيأتيهم فيُحاصِرُهم ، فيَشتدُّ حِصارُهم ، ويَجْهَدُهم جُهْداً شديداً (٣) .

ثم يَنزِلُ عيسى ابنُ مريم مِن السَّحَر ، فيقول : يا أيها النَّاسُ ما يَمنعكم أن تَخرُجُوا إلى الكذَّابِ الخبيثِ ؟ فيقولون : هذا رَجُلٌ جِنِّي (٤) ، فيَنطلِقون فاذا هُمْ بعيسى ابنِ مريم عليه

---

(١) سبق تعليقاً ص ١٤٤ ما يتعلق بشرح هذه الجملة فراجعه .

(٢) تقدم في ص ١١٤ و١٤٥ كيف يَقتُلُ الدجَّالُ تلك النفسَ المؤمنة ثم يُحييها فيا يَزعمُ ويَرى الناسُ ! .

(٣) سبق في ص ١٢٣ بيانُ الجهد الذي ينالهم .

(٤) هذا كناية عن شِدَّة أذاه .

السلام ، فتُقامُ الصلاة ، فيقال له : تَقدَّمْ يا رُوحَ الله ، فيقولُ : ليَتَقَدَّمْ إمامُكم فليُصَلِّ بكم، فاذا صَلَّى صلاةَ الصُّبح خرَجُوا إليه . فحينَ يَراهُ الكذَّابُ يَنْماثُ كما يَنْماثُ المِلْحُ في الماءِ [١] ، فيَمشي إليه فيَقْتُلُه ، حتى إن الشَّجَر والحَجَر يُنادي يا رُوحَ الله هذا اليهوديّ ، فلا يَترُكُ ممن كان يَتْبَعُه أحداً إلاَّ قَتَله » . رواه أحمد في « مسنده » ، وصحَّحه الحاكم في « المستدرك » ، ورِجالُه ثقات [٢] .

الحديث : ٣٢ عن عِمْران بن حُصَين رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لا تَزالُ طائفةٌ مِن أُمَّتي على

---

(١) أي يختفي ويتوارى كما يذوب الملح في الماء .

(٢) وقال الذهبي في « تلخيص المستدرك » ٤ : ٥٣٠ « هو على شرط مسلم » ، وأورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٧ : ٣٤٤ وقال : « رواه أحمد باسنادين ، رجالُ أحدهما رجالُ الصحيح » . انتهى . وصحَّحه ابنُ خُزَيمة إذ أورده في « صحيحه » ، كما في « إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان » لشيخنا عبد الله ابن الصديق الغُماري ص ٤١ ، وأورد جُملاً منه الحافظ ابنُ حجر في « فتح الباري » ٦ : ٣٥٨ ، وقد علمتَ شرْطَه فيما يورده مما مرّ تعليقاً في ص ١٥٦ – ١٥٧ . أمَّا مواضعُ الحديث فهي : أحمد ٣ : ٣٦٧ ، الحاكم ٤ : ٥٣٠ .

الحقّ ، ظاهرِينَ على من ناوأهم [١] حتى يأتيَ أمْرُ اللهِ تبارك وتعـالى ، وينَزِلَ عيسى ابنُ مريم عليه السلام » . رواه أحمد في « مسنده » ، ورجالُه كلُّهم ثقات [٢] .

الحديث : ٣٣ عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : دخَلَ عليَّ رسولُ الله ﷺ وأنا أبكي ، فقال لي : « ما يُبكيكِ ؟ قلتُ : يا رسول الله ذكَرتُ الدجّالَ فبكيتُ ، فقال رسول الله ﷺ : إنْ يَخْرُجْ وأنا حيّ كَفَيْتُكُموه ، وإنْ يَخْرُجِ الدجّالُ بعدي فانّ ربّكم عزّ وجلّ ليس بأعور ، إنّه يَخرُجُ في يَهوديّةِ أصبهان [٣] ، حتى يأتيَ المدينة ، فيَنزِلَ ناحيتَها ، ولها يومئذٍ سبعةُ

---

(١) أي عاداهم .

(٢) وأخرجه الحافظ أبو عَمرو الداني في « سننه » بنحو هـذا اللفظ كما في « إقامة البرهان » ص ٥٨ لشيخنا الغماري ، وقد أورده في كتابه « عقيدة أهـل الإسلام » ص ١٠٥ ، ثم قال : « وهو حديث صحيح » . أمّا موضع الحديث : فهو : أحمد [illegible] : ٤٢٩ .

(١) يهودية أصبهان : اسمُ بلدة في [illegible] ، قال العلامة ياقوت الحموي في « معجم البلدان » ٨ : ٥٣١ « قال أهـلُ السِّيَر : لمّا أُخرِجَتْ اليهودُ من البيتِ المقدَّس في أيام بُخْتَ نَصّر ، وسِيقُوا إلى العراق حمَلوا معهم من ترابِ بيت المقدس ومن مائه ، فكانوا لايَنزلون منزلاً ولا يدخلون مدينة إلا وزنوا ماءها وترابها ، فما زالوا =

أبواب على كُلِّ نَقْبٍ[١] منها مَلَكانِ ، فيَخرُجُ إليه شِرارُ أهلِها حتى يأتيَ الشامَ : مدينةً بفلسطين ببابِ لُدٍّ[٢] ، ـ وقال أبو داود مَرَّةً[٣] ـ حتى يأتيَ فِلَسْطِينَ بابَ لُدٍّ ، فيَنزِلُ عيسى عليه السلام فيَقتُلُه . ثم يَمكثُ عيسى عليه السلام في الأرضِ أربعين سنةً إماماً عَدْلاً ، وحَكَماً مُقسِطاً » . رواه أحمد في « مسنده » ، وأخرجه ابنُ أبي شيبة بسنده كما في « الدر المنثور » ورجالُه كُلُّهم ثقات[٤] .

= كذلك حتى دخلوا أصبهان فنزلوا بموضعٍ منها يقال له : بنجارو ، وهي كلمة عبرانية ، معناها انزلوا ، فنزلوا وزنوا الماء والتراب الذي في ذلك الموضع فكان مثلَ الذي معهم من ترابِ البيتِ المقدَّس ومائِه ، فعنده اطمأنوا وأخذوا في العمارات والأبنية ، وتوالدوا وتناسلوا ، وسُمِّيَ المكان بعد ذلك : اليهوديَّة » .

(١) هو الطريق بين جبلين .

(٢) قوله : « مدينةً بفلسطين بباب لُدٍّ » هو بدَلٌ من قوله : « الشام » . وأرادَ به بيانَ البلدة التي يأتيها الدجَّالُ من بلاد الشام . وفلسطين من (الشام) كما في « معجم البلدان » ٥ : ٢١٩ .

(٣) هو أبو داود الطيالسي شيخ الإمام أحمد في هذا الحديث .

(٤) وأورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٧ : ٣٣٨ وقال : « رجالُه رجالُ الصحيح غيرَ الحضرمي بن لاحق ، وهو ثقة . ورواه ابن حِبَّان في « صحيحه » كما في « إقامة البرهان » ص ٥٥ ، وأمَّا مواضع الحديث فهي : أحمد ٦ : ٧٥ : « الدر المنثور » ٢ : ٢٤٢ .

الحديث : ٣٤ عن عبد الله بن عُمَر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَنزِلُ عيسى ابنُ مريم ، فاذا رآه الدجَّالُ ذابَ كما تذوبُ الشَّحْمَةُ ، فيَقْتُلُ الدجَّالَ ، ويُفرِّقُ عنه اليهودَ فيُقْتَلُون ، حتى إنَّ الحَجَرَ يقولُ : يا عبدَ الله للمسلمِ : هذا يهوديٌّ فتعالَ فاقْتُلْه » . أخرجه ابنُ أبي شيبة كما في « كنز العمال » ، وأخرجَه مسلم مختصَراً ، فهو صحيح [1] .

الحديث : ٣٥ عن سَفِينَةَ مَولى رسول الله ﷺ ورضي الله عنه قال : خَطَبَنا رسولُ الله ﷺ فقال : « ألا إنَّه لم يكن نَبِيٌّ قبلي إلاَّ قد حَذَّرَ الدجَّالَ أُمَّتَهُ ، هو أعورُ عَيْنِه اليُسْرَى [2] ،

---

(١) وأخرجه مختصَراً أيضاً البخاري في « صحيحه » ٦ : ٤٤٩ ، وأحمد في « مسنده » ٢ : ٦٧ . وروايةُ مسلم في « صحيحه » ١٨ : ٤٤ « تُقَاتِلُكم اليهودُ ، فتُسلَّطون عليهم ، حتى يقولَ الحَجَرُ : يا مُسلِمُ هذا يهوديٌّ ورائي تعالَ فاقْتُلْه » . أمَّا مواضع الحديث فهي : « كنز العمال » ٧ : ٢٦٨ ، مسلم ١٨ : ٤٤ .

(٢) استوفى التوفيقَ بين هذه الروايةِ وروايةِ (أعورُ العينِ اليمنى) كلٌّ من الإمامِ النووي في « شرح صحيح مسلم » ٢ : ٢٣٥ ، والحافظِ ابن حجر في « فتح الباري » ١٣ : ٨٥ - ٨٦ . كما استوفى =

بعَيْنِه اليُمنَى ظَفَرةٌ غليظة [١] ، مكتوبٌ بين عينيه : (كافر) ، يَخرُجُ مَعَهُ واديانِ : أحدُهما جنَّةٌ والآخَرُ نار، فنارُهُ جنَّة، وجنَّتُه نار [٢] .

مَعَه ملَكانِ من الملائكة يُشْبِهانِ نَبيَّيْنِ من الأنبياء ، لو شئْتُ سَمَّيتُهما بأسمائِهما [٣] وأسماءِ آبائِهما ، واحدٌ منهما [٤] عن يَمينِه ، والآخَرُ عن شمالِه ، وذلك فِتْنَةٌ . فيقول الدجَّالُ : ألستُ بربِّكم ؟ ألستُ أُحْيِي وأُميتُ ؟ فيقولُ له أحدُ الملَكينِ : كَذبتَ ، ما يسْمَعُهُ أحَدٌ من الناس إلاَّ صاحِبُه ، فيقولُ له : صدقتَ ، فيَسْمَعُهُ الناسُ فيَظُنُّونَ إنَّما يُصَدِّقُ الدجَّالَ ، وذلك فِتْنَةٌ .

ثم يَسيرُ حتى يأتيَ المدينةَ فلا يُؤْذَنُ له فيها ، فيقولُ :

= الحافظ ابنُ حجر الكلامَ على توجيه الرواية المذكورة هنا نحويًا في « فتح الباري » ٦ : ٣٥٣ .

(١) الظَّفَرَةُ : لحْمَةٌ تَنبتُ عند مُوقِ العين ، وقد تمتدُّ إلى سواد العين فتُغَشّيه .

(٢) سبق تعليقاً ص ١٤٤ ما يتعلق بشرح هذه الجملة فراجعه .

(٣) أي النبيَّيْنِ . (٤) أي من الملَكَيْنِ .

هذه قَرْيَةُ ذلكَ الرَّجُل [١] ، ثم يَسيرُ حتى يأتيَ الشـامَ ، فيَنْزِلُ عيسى عليه السلام ، فيَقْتُلُهُ عندَ عَقَبَةِ أَفِيقٍ » [٢] .
رواه أحمـد في « مسنده » واللفظ له [٣] ، وهو حديثٌ حَسَنٌ إن شاء الله كما هو سائرُ حالِ أحاديثِ « المسند » ، ورواه ابنُ أبي شيبة كما في « الدر المنثور » [٤] .

الحديث : ٣٦ عن حُذَيفَةَ بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أعلمُ بما مع الدجَّال منه ، معه

---

(١) أي بلدةُ ذلك النبيّ العظيم سيدنا محمد ﷺ .

(٢) تقدَّم بيانُ (عَقَبَة أَفِيق) تعليقاً في ص ١٦٣ ، فعُدْ إليه .

(٣) سوى قوله ﷺ : « فيَنْزِلُ عيسى عليه السلام ، فيقتلُهُ عند عَقَبَةِ أفيق » ، فانه من رواية ابن أبي شيبة ، وهي في « الدر المنثور » ٥ : ٣٥٤ .

(٤) وأورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٧ : ٣٤٠ وقال : « رواه أحمد والطبراني ورجالُهُ ثقات ، وفي بعضهم كلام لا يضر » . أما مواضع الحديث فهي : أحمد ٥ : ٢٢١ ، « الدر المنثور » ٥ : ٣٥٤ . ووقع فيه نقص يُتمَّمُ من هنا أو من « المسند » . وكانت عبارة الأصل : (أخرجه ابن أبي شيبة كما في « الدر المنثور وأخرجه أحمد في «مسنده» مختصراً ...) فعدَّلتُها إلى ما ترى ، إذ روايةُ أحمد أتمُّ سِياقةً دون الجملة الأخيرة من الحديث كما نبَّهتُ عليه في التعليقة السابقة .

نَهْرانِ أحدُهُما : نارٌ تأجَّجُ (١) في عينِ من رَآه ، والآخَرُ ماءٌ أبيضُ ، فانْ أدرَكه أحَدٌ منكم فليُغَمِّضْ (٢) . وليَشرَبْ مِن الذي يَراهُ ناراً فانه ماءٌ بارِد ، وإياكم والآخَرَ فانه الفِتْنَة .

واعلموا أنـه : مكتوبٌ بين عينيه : (كافر) ، يقرأه مَن يَكتُبُ ومَنْ لا يَكتُب ، وإنَّ إحدى عيْنيهِ ممسوحةٌ ، عليها ظَفَرَةٌ (٣) ، إنَّهُ يَطلُعُ مِن آخر أمره على بَطْنِ الأُردُنّ على ثَنيَّةِ أَفيقٍ (٤) ، وكلُّ واحدٍ يُؤمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ ببَطْنِ الأُردُنّ (٥) ، وإنَّهُ يَقتُلُ مِن المسلمين ثُلُثاً ، ويَهزِمُ ثُلُثاً ، ويُبقي ثُلُثاً . ويَجُنُّ عليهم الليلُ (٦) فيقول بعضُ

---

(١) أي تتوقَّدُ . (٢) أي عيْنَيه .

(٣) سبق تفسيرُها قريباً ص ١٩٩ .

(٤) الثَّنيةُ هنا معناها : العَقَبَة ، وهي المرتفَعُ العالي من الأرض . فيكونُ (ثَنيَّةُ أفيق) بمعنى (عَقَبَة أفيق) ، وقد تقدَّم بيانُها تعليقاً في ص ١٦٣ . وقولُه : (إنه يَطلُعُ مِن آخِرِ أمْرِه على بَطْنِ الأُرْدُنّ) هو بمعنى قوله في الحديث السابق ص ٢٠٠ « ثم يَسيرُ حتى يأتيَ الشام » ، إذ الأُردُنُّ من الشام .

(٥) يعني : تجمُّعَ المسلمين في أرض الشام يومئذ .

(٦) أي يَسترهم الليل بسواده .

المؤمنين لبعض : ما تَنْتَظِرُون [١] أن تَلْحقوا باخوانكم في مَرْضاةِ رَبّكم ؟ مَنْ كان عنده فَضْلُ طعام فليَعُدْ به على أخيه [٢] ، صَلّوا حِينَ يَنْفَجِرُ الفجرُ ، وعَجّلُوا الصلاة ، ثم أقبِلُوا على عَدُوِّكم .

فلمّا قاموا يُصَلّون نَزَلَ عيسى ابنُ مريم عليه السلام أمامَهم فصَلّى بهم [٣] ، فلما انصرف قال : هكذا افرِجُوا بيني وبينَ عَدُوِّ الله [٤] . قال أبو حازم [٥] : قال أبو هريرة رضي الله عنه :

---

(١) وفي رواية : « ما تنظرون » ، والمعنى واحد .

(٢) أي فليقدّمه إلى أخيه . ووقع في « المستدرك » : « فليَغْدُ به ... » . وهو تحريف .

(٣) أي صلّى معهم مقتدياً بامامهم . ومجيءُ الباء بمعنى (مع) شائع في لغة العرب ، قال تعالى : ﴿ يانوحُ اهْبِطْ بسلامٍ منّا ﴾ ، أي مع سلامٍ منا . وهذا التأويل موافق لما تقدّم في الحديث الثاني ص ٩٧ « وإمامُكم منكم » . ولما تقدّم أيضاً في الحديث الثالث ص ٩٩ - ١٠٠ والحديث الثالث عشر ص١٥٠ - ١٥١ وغيرها من الأحاديث التي أفادتْ أنّ سيدنا عيسى يقتدي بإمام تلك الصلاة التي أُقيمت ، وهي صلاة الفجر .

(٤) أي أشار بيده قائلاً : أَخْلُوا بيني وبينه .

(٥) هو أبو حازم الأشجعي أحَدُ رواة هذا الحديث . وأرادَ بذكر روايةِ أبي هريرة وروايةِ عبد الله بن عَمْرو هنا : بيانَ حالِ الدجّال حين يراه سيدُنا عيسى عليه السلام كيف يختفي ويَهرُب .

فيَذُوبُ كما تَذُوبِ الإهالَةُ في الشمس [١] . وقال عبدُ الله بن عَمْرو رضي الله عنه : كما يذوبُ المِلْحُ في الماء ، ويُسلِّطُ اللهُ عليهم المسلمين فيَقْتُلُونَهم ، حتى إنَّ الشَّجَرَ والحَجَرَ ليُنادِي : يا عَبْدَ الله يا عَبْدَ الرحمنِ يا مُسْلِمُ هذا يهوديٌّ فاقْتُلْه ، فيُفنِيهم اللهُ تعالى ويَظْهَرُ المسلمون ، فيَكسِرون الصَّليبَ ، ويَقْتلون الخِنزيرَ ، ويَضَعُون الجِزْيَة .

فبينما هم كذلك إذْ أخرجَ اللهُ يأجوجَ ومأجوجَ ، فيَشرَبُ أوَّلُهم البُحَيرَةَ [٢] ، ويجيء آخرُهم وقد انتشَفُوه فما يَدَعُونَ فيه قَطْرةً [٣] ، فيقولون [٤] : قد كان ها هَنا أَثَرُ ماءٍ .

فيَجيء نبيُّ الله وأصحابُه وراءَه حتى يَدْخُلوا مَدِينةً من مدائنِ فِلَسْطِين يُقالُ لها : لُدٌّ . فيقولون : ظَهَرنا على مَنْ في الأرض فتعالَوْا نُقاتِلْ مَنْ في السَّماء ! فيَدْعُو اللهَ نَبيُّهُ عند ذلك ، فيَبْعَثُ اللهُ قَرْحةً في حُلوقِهم [٥] ، فلا يَبْقَى منهم

---

(١) الإهالَةُ : كلُّ دُهْنٍ يُؤتدَمُ به . (٢) أي بُحَيرَة طَبَرِيَّة .

(٣) انتَشَفُوه أي شربوا الماءَ كلَّه . وقد وقع في « مستدرك الحاكم » ، (استقوه) ، وهو تحريف .

(٤) كان النصُّ : « فيقولون : ظهرنا على أعدائنا ، قد ... » . ولعله تكرار من الرواة ؛ إذ سيأتي نحوُها بعد سطر .

(٥) أي حَبَّة تخرُجُ فيها ، وتقدَّم في حديث النوَّاس بن =

بَشَرٌ[(١)] ، فتُؤذي رِيحُهُم المسلمين ، فيدعو عيسى ـ صلواتُ الله عليه وسلامهُ ـ عليهم فيُرسِلُ الله عليهم رِيحاً فتَقْذِفُهم في البحرِ أجمعين » . أخرجه الحاكم في « المستدرك » وقال : صحيحٌ على شرط مسلم ، وسكت عليه الذهبيّ ، ورواه ابن عساكر كما في « كنز العُمَّال » . وأخرجه مسلم مختصَراً ، وصحَّحه الحافظُ ابن حجر في « فتح الباري »[(٢)] .

الحديث : ٣٧ عن حُذَيفَةَ بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أوّلُ الآياتِ الدجَّالُ ، ونُزولُ عيسى ، ونارٌ تَخرجُ من قَعْرِ عَدَن تَسُوقُ النَّاسَ إلى المَحْشَر ... » . أخرجه ابن جرير كما في « الدر المنثور »[(٣)] .

= سمعان ص ١٢٣ : « فيُرسِلُ اللهُ عليهم النَّغَفَ في رِقابهم » . وهو الدُّودُ الذي يكون في أنوف الإبل والغَنَم . وأفاد الحديثُ هنا : أن الله يَبْعَثُ عليهم القَرْحَةَ في حُلُوقِهم ، ووَجْهُ الجمع بين الحديثين: أنَّ اللهَ يُسلِّطُ عليهم الدُّودَ في رقابهم ، وهو يُحدِثُ لهم القَرْحَةَ في حُلوقهم .

(١) أي يموتون جميعُهم .

(٢) مواضع الحديث : الحاكم والذهبي ٤ : ٤٩٠ – ٤٩١ ، « كنز العمال » ٧ : ١٩٨ ، مسلم ١٨ : ٦١ ، ابن حجر ٦ : ٤٥٠ .

(٣) مواضع الحديث : ابن جرير في « تفسيره » ١٧ : ٦٩ ، « الدر المنثور » ٤ : ٣٣٧ .

الحديث : ٣٨ عن عبد الله بن مُغَفَّل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أَهبَطَ اللهُ عزَّ وجلَّ إلى الأرض منذُ خَلَقَ آدمَ إلى أن تقومَ السَّاعةُ فِتنةً أعظمَ مِن فتنةِ الدجَّال. وقد قلتُ فيه قولاً لم يَقُلْهُ أحدٌ قبلي :

إنَّه آدَمُ[1] ، جَعْدٌ[2] ، مَمْسُوحُ عَينِ اليَسار ، على عَيْنِهِ ظَفَرَةٌ غليظة ، يُبرِىءُ الأكمَهَ والأبرصَ ، ويقول : أنا ربُّكم . فمَنْ قال : ربِّيَ اللهُ فلا فِتنَةَ عليه ، ومَنْ قال : أنت ربِّي فقد افتُتِنَ[3] . يَلْبَثُ فيكم ما شاء الله ، ثم يَنزِلُ عيسى ابنُ مريم مُصَدِّقاً بمحمَّدٍ على مِلَّتِه ، إماماً مَهْدِيّاً ، وحَكَماً عَدْلاً ، فيَقْتُلُ الدجَّال » . رواه الطبراني[4] كما في « كنز العمال »،

---

(١) أي شديدُ السُّمرة أقربُ إلى السَّواد .

(٢) أي شديدُ جُعودة الشعر جعودةً مكروهة . وقيل معناه : القصيرُ المتناهي في القِصَر . (٣) أي كَفَر .

(٤) في المعجم الكبير والوسط كما قاله الحافظ الهيثميُّ في « مجمع الزوائد » ٧ : ٣٣٦ ، وقالَ : « رجالُه ثقات ، وفي بعضهم ضَعْفٌ لا يَضرّ » . وقال السيوطي في « الحاوي » في رسالة « الإعلام بحكم عيسى عليه السلام » ٢ : ١٥٦ « وأخرجه الطبراني في الكبير والبيهقي في البعث بسند جيِّد » .

وهو أيضاً حديثٌ حسَنٌ إن شاء الله . ولَفْظُهُ مُتَّحِدٌ بكثيرٍ مما مَرَّ مُصَحَّحاً أو مُحَسَّناً ، واستَشْهَدَ به الحافظُ ابن حجر في « فتح الباري » ، مع ما اشْتَرَطَه في مُقَدّمته : « هَدْي السَّاري » [(١)] .

الحديث : ٣٩ عن حُذَيفَة بن اليمان رضي الله عنه قال : إنَّ أصحابَ النبيِّ ﷺ كانوا يَسألونَ عن الخير ، وكنتُ أسألُ عن الشَّرِّ مَخافةَ أنْ أُدْرِكَهُ [(٢)] . وإني بينما أنا مع

(١) تقدَّم تعليقاً في ص ١٥٦ – ١٥٧ بيانُ ما اشتَرَطه الحافظ ابنُ حجر فيما يُوردُه في كتابه « فتح الباري » فعُدْ إليه . أما مواضعُ الحديث فهي : « كنز العمال » ٧ : ١٩٩ ، « مجمع الزوائد » ٧ : ٣٣٥ – ٣٣٦ ، ابن حجر ٦ : ٣٥٦ .

(٢) وفي « المستدرك » للحاكم : ٤٣٢ « وكنتُ أسألُهُ عن الشرّ كيما أعرفَهُ فأتَّقِيَهُ ، وعلمتُ أنَّ الخير لا يفوتني » ، أي إذْ يَسألُ غيري عنه . قال العلامة ابن أبي جمرة في كتابه « بهجة النفوس » ٤ : ٢٦١ : شاءت حكمةُ الله تعالى أن يُقيمَ كُلّاً من عباده فيما شاء سبحانه، فحَبَّبَ إلى أكثر الصحابة السؤالَ عن وجوه الخير ليعملوا بها ويُبَلِّغوها غيرَهم . وحَبَّبَ إلى حذيفة السؤالَ عن الشرّ ليجتنبَه ويكونَ سبباً في دفعه عمن أراد اللهُ له النجاة .

وكلُّ مَنْ حُبِّبَ إليه شيءٌ فانه يفوقُ فيه غيرَه ، ولهذا كان حذيفةُ صاحبَ السِّرِّ الذي لا يَعلمه غيرُه ، حتى خُصَّ بمعرفة أسماء =

رسولِ الله ﷺ ذاتَ يومٍ قلتُ : يا رسولَ الله أرأيتَ هذا الخيرَ

= المنافقين ، وبكثيرٍ من الأمور الآتية أي التي ستقع . ونقلَه مُلخَّصاً الحافظُ ابن حجر في « فتح الباري » ١٣ : ٣١ .

وقـد عُرِفَ حذيفة رضي الله عنه بين الصحابة بصاحبِ سِرِّ رسول الله ﷺ ، روى مسلم في « صحيحه » ١٨ : ١٦ عن حُذَيفَةَ أنه قال : أخبرَني رسولُ الله ﷺ بما هو كائنٌ إلى أن تقومَ السَّاعةُ ، فما منه شيء إلا قد سألتُه ، إلا أني لم أسأله ما يُخرِجُ أهلَ المدينةِ من المدينة ؟ » . وروى البخاري ومسلم في « صحيحيهما » أنَّ أبا الدرداء قال لعلقمة : أليس فيكم صاحبُ السِّرِّ الذي لا يَعلَمُه غيرُه ؟ يعني : حذيفة . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسـأله عن المنافقين ، ويَنظُرُ إلـيه عند موت من يموت منهم ، فان لم يَشهد حذيفةُ جنازتَه لم يَشهدها عمر .

وهو الذي كان يَحفظ حديثَ الفتنة كما قاله رسول الله ﷺ . قال حذيفة رضي الله عنه : « كنا جلوساً عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : أيُّكم يَحفظُ قولَ رسول الله ﷺ في الفتنةِ كما قال ؟ فقلتُ : أنا أحفظُه كما قال ، قال : أنتَ لله أبوكَ هاتِ ، إنك عليه لجريء ـ أي إنك لَعَالِمٌ به ، قويٌّ على حفظـه ، لكثرةِ اهتمامك بالسؤال عنه وعن أمثاله من أحاديث الفِتَن ـ فكيف ؟

قلتُ : فِتنةُ الرَّجُل في أهلِهِ ومالهِ ونَفْسِهِ وجارِه تُكفِّرُها الصَّلاةُ والصيامُ والصَّدقةُ والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر . قال : ليس هذه أُريدُ ، إنما أُريدُ الفتنةَ التي تموجُ كمَوْجِ البحر .

فقلتُ : مالَكَ ولَها ؟ لا بأسَ عليك منها يا أمير المؤمنين ، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « تُعرَضُ الفِتَنُ على القُلُوب كالحَصيرِ =

. . .

= عُوداً عُوداً ، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها نُكِتَ فيه نُكْتةٌ سوادءُ ، وأيُّ قَلْبٍ أنكرَها نُكِتَ فيه نُكتةٌ بيضاءُ ، حتى تَصيرَ ـ أي تلك القُلُوبُ ـ على قَلْبَيْنِ ـ أي على نوعين ـ أبيضَ مثلِ الصَّفَا ـ أي الحَجَرِ الأملَسِ الأصمّ ـ فلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دامت السماواتُ والأرض . والآخَرُ أسْوَدُ مُرْبَادّاً ـ أي مُتَغَيِّراً مُظلِماً تستهويه كلُّ فتنة ـ ، كالكُوزِ مُجَخِّياً ـ أي منكوساً مقلوباً لا يَعْلَقُ به خيرٌ ولا تَستقرُّ فيه حكمة ـ ، لا يَعرفُ معروفاً ، ولا يُنْكِرُ مُنكَراً إلا ما أُشْرِبَ هواه .

وإنَّ بينك وبينها ـ أي الفتنة ـ باباً مُغْلَقاً يُوشِكُ أن يُكسَر ، فقال عُمَر : أكَسْراً ؟ فلو أنه فُتِحَ لعلَّه كان يُعادُ ؟ قلتُ : لا بل يُكْسَرُ ! قال : ذلك أحرى أن لا يُغلَقَ أبداً إلى يوم القيامة .

فقلْنا ـ أي سامعو هذا الحديث مِن حذيفة ـ لحذيفة : هل كان عُمَرُ يَعلَمُ مَنْ البابُ ؟ قال : نعم ، كما يَعْلَمُ أنَّ دون غدٍ الليلةَ . إني حدَّثتُه حديثاً ليس بالأغاليط . ـ أي حدَّثتُه حديثاً صِدقاً محقَّقاً مِن حديث النبي ﷺ لا عن اجتهاد ورأي ـ فهِبْنا أن نَسألَ حذيفةَ مَنْ البابُ ؟ فقلنا لمسروقٍ : سَلْهُ ، فسألَهُ فقال : البـابُ عُمَرُ رضي الله عنه » . رواه البخاري في « صحيحه » ٢ : ٦ و ٣ : ٢٣٩ و ٤ : ٩٥ و ٦ : ٤٤٥ ، ومسلم في « صحيحه » ٢ : ١٧٠ و ١٨ : ١٦ ، وقد جمعتُ بين رواياتها . ورواه الترمذي ٩ : ١١٥ وابن ماجه ٢ : ١٣٠٥ .

توفي حذيفة سنة ٣٦ هـ في المدائن مجاهداً فاتحاً رضي الله عنه . ومن كلامه وقد سُئِلَ أيُّ الفِتَنِ أشدُّ ؟ فقال : أن يُعرَضَ عليك الخيرُ والشرُّ ، فلا تَدري أيَّهما تَرْكَب ! !

الذي أعطانا اللهُ (١) ، هل بعدَهُ مِن شَرٍ كما كان قبلَه شَرٌ ؟ قال : نَعَمْ .

قلتُ : فما العِصمةُ منه ؟ قال : السَّيْفُ (٢) . قلتُ : وهل للسَّيْفِ من بَقِيَّة (٣) ؟ قال : هُدْنَةٌ على دَخَنٍ (٤) . قلتُ : يا رسول الله ما بعدَ الهُدْنَة ؟ قال : دُعَاةٌ للضَّلالة (٥) ، فانْ لَقِيتَ لله يومئذٍ خليفَةً في الأرض فالْزَمْهُ وإنْ أخَذَ مالَكَ وضَرَبَ ظَهْرَكَ ، فان لم يكن خليفةٌ فاهْرُبنَّ في الأرض حدَّ هَرَبِكَ (٦) ، حتى يُدركَكَ الموتُ وأنتَ عاضٌ على أصلِ

---

(١) وهو الإيمان والاسلام والأمْنُ وصلاح الحال واجتنابُ الفواحش وما إلى ذلك من صُنوف الخير .

(٢) أي تحصل العصمة باستعمال السيف .

(٣) أي هل يُبْقي استعمالُ السيف بقيّةً من الناس ؟

(٤) في رواية أبي داود « قال : بَقِيّةٌ على أقذاء ـ وفي رواية ـ جَمَاعةٌ على أقذاء ، وهُدْنةٌ على دَخَن » . أي يَبقى الناسُ على فسادٍ في قلوبهم ، وعلى اجتماعٍ في ظاهرهم ، ولكن لأهواءٍ مختلفة وعيوبٍ مؤتلفة ، وعلى هُدنةٍ على دَخَن أي صُلْحٍ على فسادٍ ونفاقٍ في القلوب وحِقدٍ في النفوس .

(٥) وفي رواية البخاري : « دُعاةٌ على أبواب جهنم » أي يَدعون إلى الكفر الذي يؤولُ بهم وبمن تبعهم إلى جهنم .

(٦) أي منتهى هَرَبِك وأقصى ما تستطيعُ من البُعْد عن الفتنة وأهلها .

شَجَرة [(١)] .

قلتُ : يا رسول الله فما بعدَ دُعاةِ الضَّلالة ؟ قال : خُروجُ الدجَّال . قلتُ : يا رسول الله وما يَجيء الدجَّالُ ؟ قال : يجيء بنارٍ ونَهْرٍ ، فمن وَقَعَ في نارِهِ وجَبَ أجْرُهُ ، وحُطَّ وِزْرُه ، ومن وَقَعَ في نَهرِه وجَبَ وِزْرُهُ وحُطَّ أجره [(٢)] .

قلتُ : يا رسول الله فما بعدَ الدجَّال ؟ قال : عيسى ابنُ مريم ، قلتُ : فما بعدَ عيسى ابن مريم ؟ قال : لو أن رجلاً أنْتَجَ فَرَسَاً لم يُرْكِبْ مُهْرُها حتى تقومَ السَّاعَةُ » [(٣)] . رواه ابن أبي شيبة وابن عساكر كما في « كنز العُمَّال » . وبعضُ ألفاظه

---

(١) أي حتى تموت وأنت على انقطاعك عن الناس وبُعدِك منهم ، صابراً على شِدَّة الزمان ومكابدة المشقَّة التي تنالك في ذلك .

(٢) يعني : مَنْ خالَفَ أمْرَ الدجَّال ولم يُطعه في دعوته وأوزاره فألقاه في ناره : وجَبَ أجرُه ، وعُفِي له عن ذنوبه السابقة . ومن وافَقَه في دعوتـه وأطاع أمرَهُ : ثبتَ عِقابُه وبَطَلَ ثوابه . وجملة « ومَنْ وَقَعَ في نهره ... » زدتُها من رواية أبي داود .

(٣) أي لو أنَّ رجلاً ولَّدَ فَرَساً عنده وَلَداً ، فما يَحِينُ ركوبُ ذلك المُهْرِ الذي وَلَدتْه الفرسُ إلا وتقوم السَّاعة ، وهـذا كناية عن شِدَّةِ قربِ قيامِها .

يتَّحدُ مع ما عند البخاري ، فهو قويّ إن شاء الله تعالى (١) .

الحديث : ٤٠ عن عبد الرحمن بن سَمُرَة رضي الله عنه قال : بعثَني خالدُ بن الوليد بشيراً إلى رسول الله ﷺ يوم مُؤْتَة (٢) ، فلما دخلتُ عليه قلتُ : يارسول الله ، فقال : «على رِسْلِكَ يا عبدَ الرحمن (٣) ، أَخَذَ اللِّواءَ زيدُ بن حارثة ، فقاتَلَ حتى قُتِلَ ، رَحِمَ اللهُ زيداً . ثم أخَذَ اللِّواءَ جَعْفر ، فقاتَلَ فقُتِلَ ، رَحِمَ اللهُ جعفراً ، ثم أخَذَ اللواءَ عبدُ الله بن رَوَاحة ، فقاتَلَ فقُتِلَ ، رَحِمَ اللهُ عبدَ الله . ثم أخَذَ اللِّواءَ خالدٌ ، ففَتَحَ اللهُ لخالدٍ ،

---

(١) مواضع الحديث : « كنز العمال » ٧ : ٢٦٤ . وأصلُ الحديث في « صحيح البخاري » ٦ : ٤٥٣ و ١٣ : ٣٠ ، و « صحيح مسلم » ١٢ : ٢٣٦ ، و « سنن أبي داود » ٤ : ٩٥ ، و « سنن ابن ماجه » ٢ : ١٣١٧ ، وقال المنذري في « مختصر سنن أبي داود » ٦ : ١٣٤ « وأخرجه النسائي » . انتهى . ولعل ذلك في « السنن الكبرى » ؟ ورواه الحاكم في « المستدرك » مختصَراً في موضعين ٤ : ٤٣٢ و ٤٣٣ وصحَّحه وأقرَّه الذهبي . واستشهد الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١٢ : ٣٠ بجُمَل من حديث ابن أبي شيبة ، فهو حديث صحيحٌ أو حسن عنده . وذكره شيخنا عبد الله الغماري في « عقيدة أهل الإسلام » ص ١٠٢ وقال : « هو حديث صحيح » .

(٢) وهي موقعة كانت للمسلمين مع الروم في بلاد الشام .

(٣) أي على مَهَلِك لا تتعجَّل بما عندك من خَبَر فأنا أُخبرُك بما قد كان .

لخالدٌ سَيْفٌ مِن سيوفِ الله (١).

فبَكَى أصحابُ رسول الله ﷺ، فقال: ما يُبكيكم؟ قالوا: وما لنا لا نَبكي وقد قُتِلَ خيارُنا وأشرافُنا وأهلُ الفضلِ منّا! فقال: لا تَبْكُوا، فإنما مَثَلُ أُمَّتي مَثَلُ حديقةٍ قام عليها صاحبُها، فاجْتَثَّ رَوَاكِيَها، وهيَّأ مساكنَها، وحَلَّق سَعَفَها (٢)، فأطعمتْ عاماً فَوْجاً، ثم عاماً فوْجاً، ثم عاماً فوجاً، فلعلَّ آخِرَها طعْماً يكونُ أجودَها قِنْواناً وأطولَها شِمْراخاً (٣)؟.

---

(١) قال عبد الفتاح: ومن اللطائف النفيسة ما حدَّثني به شيخنا وبركتُنا العلاّمة المحدّث الفقيه جامع العلوم الشيخ محمد إدريس الكانْدِهْلَوِي صاحبُ «التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح» حفظه الله تعالى، حين زرته في الجامعة الأشرفية في لاهور من باكستان أثناء رحلتي للهند وباكستان سنة ١٣٨٢ قال: إنه سَمِع من شيخه حكيم الأُمَّة أشرف علي التهانوي، وهو قد سَمِعَ من شيخه محمد يعقوب أوَّلِ صدرٍ للمدرِّسين في دار العلوم في دُيوبَنْد أنه قال: تعليقاً على تمنّي سيدنا خالد بن الوليد أن يموت شهيداً، قال الشيخ محمد يعقوب رحمه الله تعالى: «كان تمنّيه عَبَثاً، لأن النبي ﷺ لقَّبَهُ: سيفَ الله. وسيفُ الله لا يُكسَرُ ولا يُقْتَلُ، فلهذا لم تكن له الشهادة رضي الله عنه». انتهى.

قلتُ لشيخنا حفظه الله تعالى: هذه الفائدةُ تَعْدِلُ رِحلةً عندي.

(٢) اجتَثَّ: قَطَع، ورَوَاكيَها: زوائدها الموَقِّة لنموِّها. وحلَّقَ سَعَفَها: أزالَ أغصانَ نخيلها اليابسة.

(٣) القنوانُ - مثلَّث القاف - جمعُ قِنْو بكسر القاف وضمّها، =

والذي بَعَثَني بالحقّ نبيّاً لَيَجِدَنَّ عيسى ابنُ مريم في أمّتي خَلَفاً مِن حَوَارِيِّه »(١) . أخرجه الحكيمُ الترمذي في « نوادر الأصول » كما في « الدُّرّ المنثور » . ورواه أبو نُعَيم كما في « كنز العُمّال » ، وهو يَتَّحِدُ في المعنى مع ما في « المستدرك » مِن المغازي مُصَحَّحاً(٢) ، فهو أيضاً قويّ إن شاء الله تعالى(٣) .

فهذه أربعونَ حديثاً من صحيح وحسن بتصريحاتِ أئمة الحديث.

= وهو من النخيل كالعُنقود الكبير من العنب . والشِّمْراخُ : هو الغُصْنُ عليه التَمْرُ قبل أن يصير رُطَباً . (١) أي أنصارهِ وأصحابِه .

(٢) ونصه كما في « المستدرك » ٣ : ٤١ « عن عبد الرحمن بن جُبَير بن نُفَير عن أبيه رضي الله عنه قال : لمّا اشتدّ جَزَعُ أصحاب رسول الله ﷺ على من قُتِلَ يوم مؤتة قال رسول الله : لَيُدرِكَنَّ الدجّالُ أقواماً مثلَكم أو خيراً منكم ـ ثلاثَ مرّات ـ ولن يُخزِيَ الله أمّةً أنا أوّلُها ، وعيسى ابنُ مريم آخِرُها » . قال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، وعلّق عليه الذهبي في « تلخيص المستدرك » بقوله : « ذا مُرْسَلٌ ، سَمِعَهُ عيسى بن يونس عن صفوان ، وهو خبرٌ منكر » . أي من حيث تفضيله غير الصحابة عليهم . وقد وَجَّهَ شيخُنا الغُماري في « إقامة البرهان » ص ٦٦ معنى الحديث بما ينفي النكارة منه . وتقدّم للمؤلّف ص ١٧٢ تصحيحُه وردُّ نكارته .

(٣) مواضع الحديث : « نوادر الأصول » ص ١٥٦ ، « الدر المنثور » ٢ : ٢٤٥ ، « كنز العمال » ٦ : ٢٣٥ . أما أبو نعيم فلم أجد الحديث عنده باللفظ المذكورِ فيه نزولُ عيسى لا في « دلائل النبوة » ولا في « الحلية » . فالله أعلم به أين رواه ؟

أحاديث أخرى
مما أخرجه المحدثون وسكتوا عليه

الحديث : ٤١ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «مِنَّا [١] الذي يُصلِّي عيسى ابنُ مريم خَلْفَهُ» . رواه أبو نُعَيم في «كتاب المَهْدِي» كما في «كنز العمال» [٢] .

الحديث : ٤٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لِعَمِّه العبَّاس رضي الله عنه : « يا عَمِّ إن الله تعالى ابتدأ الإسلامَ بي ، وسيَخْتِمُهُ بغلامٍ من وَلَدِكَ ، وهو الذي يتَقدَّمُ عيسى ابنَ مريم » . أخرجه أبو نعيم في « الحِلية » كما في

---

(١) يعني : معشَرَ أهل بيتِ النُّبُوَّة .

(٢) ٧ : ١٨٧ . وذكره عن أبي نعيم السيوطيُّ في « الحاوي » ٢ : ٦٤ . وفي « الجامع الصغير » . وقال المناوي في « فيض القدير » ٦ : ١٧ – ١٨ « فيه ضعف » . انتهى . قلتُ : ضَعْفُهُ بالنظر إلى خصوص سنده ، أما بالنظر إلى شواهده فضعفُه منجبرٌ قطعاً .

« كنز العمال »[1] .

---

(١) مواضع الحديث : « كنز العمال » ٧ : ١٨٨ . ولم أره في « الحلية » بهذا اللفظ ، مع رجوعي إلى كتاب « البُغْيَة في ترتيب أحاديث الحلية » لشيخنا عبد العزيز ابن الصديق الغُماري حفظه الله تعالى ، فقلتُ : لعلَّ أوَّلَ الحديث غيرُ ما ذُكِرَ هنا ؟ فرجوتُ من ثلاثة من شبابِ طلاب العلم وإخوانِ الصدق أن يستقصوا نظرَهم في كتاب « الحلية » في مجلَّداته العشرة كلِّها لعلَّهم يجدونه ؟ ففعلوا جزاهم الله الخير فلم يجدوا الحديث المذكور .

وإنما رأيتُ في « الحلية » ١ : ٣١٥ « عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ فتلقَّاه العبَّاسُ ، فقال : ألا أبشِّرُك يا أبا الفضل ؟ قال : بلى يا رسول الله ، قال : إنَّ الله عزَّ وجلَّ افتَتَح بي هذا الأمرَ ، وبذُرِّيَّتِك يَختِمُه » . انتهى . والظاهر أنه هو المقصود . وفي سَنَدِه : عليُّ بن زيد بن جُدْعان ، وهو ضعيف ، و : لاهِزُ بنُ جعفر التيمي ، وهو مجهول يُحدِّثُ عن الثقات بالمناكير ، كما قاله الذهبي في « ميزان الاعتدال » في ترجمته ٣ : ٢٧٩ ، ثم ساق من طريقه حديثاً باطلاً موضوعاً يُشيرُ بذلك إلى أنه آفَتُه .

وقد حكَم شيخُنا العلامة عبد الله الغُماري في تعليقه على « تنزيه الشريعة المرفوعة » لابن عراق ٢ : ١٨ على مَتْن الحديث التالي الحديث : ٤٣ ـ وهو بمعنى الحديث : ٤٢ ـ بالوضع لبطلان معناه ووَضْعِ سَنَدِه ، وقد نقلتُ كلامَه في تخريج الحديث : ٤٣ في ص ٢١٧ فانظره . وعلى هذا : فالحديثُ المذكور أعني الحديث : ٤٢ موضوع أو في حكم الموضوع ، والله تعالى أعلم .

الحديث : ٤٣ عن عمَّار بن ياسر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا عبَّاسُ إنَّ الله تعالى بدأَ بي هـذا الأمر ، وسيَختِمُهُ بغلام من ولَدِك ، يَملأُها عَدْلاً كما مُلِئَتْ جَوْراً ، وهو الذي يُصلِّي بعيسى عليه السلام » . أخرجه الدَّارقُطنيُّ في « الأفراد » والخطيبُ وابنُ عساكر كما في « كنز العمال » (١) .

---

(١) هذا الحديث موضوع . أخرجه الدارقطني في « الأفراد » ثم قال : « تفرَّدَ به سعيد بن سليمان ، عن خلف بن خليفة ، عن مُغيرة » كما نقلَه عنه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » كما في « تهذيب تاريخ ابن عساكر » ٧ : ٢٤٤ . والراوي عن سعيد بن سليمان هو أحمد بن الحجَّاج بن الصَّلْت كما عُرِفَ من سياقة الخطيب في « تاريخ بغداد » ٤ : ١١٧ في ترجمة (أحمد بن الحجَّاج بن الصَّلْت الأسدي) ، وقد ترجَمَ الحافظُ الذهبيُّ في « ميزان الاعتدال » ١ : ٤٢ ، لأحمد ابن الحجَّاج هذا ، وأوردَ هـذا الحديثَ في ترجمته ثم قال : « هو آفتُهُ ! والعجَبُ أنَّ الخطيب ذكره في « تاريخه » ولم يُضعِّفه ! وكأنَّه سكت عنه لانتهاكِ حاله !! » .

وأورده ابنُ عراق في « تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة » ١ : ٣٦ ، ووصَفَهُ بأنه خبرٌ باطل ، وأنَّ آفتَهُ (أحمدُ بن الحجَّاج) . وقولُ المحدِّثين بعد سياقتهم الحديثَ الباطلَ : (آفتُهُ فلان) . كنايةٌ عن الوضع ، كما فصَّلَه ابنُ عراق نفسُه تفصيلاً جيداً في « تنزيه الشريعة » ١ : ٣٤ . ثم أورده ابنُ عراق =

الحديث : ٤٤ عن حُذيفَةَ بن اليمان رضي الله عنه قال : قلتُ يا رسول الله الدَّجَّالُ قَبْلُ أمْ عيسى ابنُ مريم ؟ قال :

= أيضاً في كتاب المناقب ٢ : ١٨ ، وأوردَ معه ـ تَبَعاً للسيوطي في « اللآلي المصنوعة » ١ : ٤٣٤ ـ بعضَ الأحاديث الواهية من معناه كالشواهد له فعلَّق عليها جميعاً شيخُنا العلامة عبد الله الغُماري بقوله : « هذه الأحاديثُ موضوعةٌ سَنَداً ومَتْناً ، والواقعُ يَشهدُ ببطلانها » . انتهى .

وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » عن علي رضي الله عنه أن رسول اللهِ ﷺ قال للعباس : « إنَّ الله فتَح هذا الامرَ بي ، ويَختِمُه بوَلَدِكَ » . كما نقلَه عنه السيوطي في « تاريخ الخلفاء » ص ١٠ ثم قالَ : « وفي سَنَدِهِ : محمد بن يونس الكُدَيمي ، وهو وَضَّاع » .

وأخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » ٣ : ٣٤٩ في ترجمة الخليفة العباسي المهتدي بالله ومن طريقه « عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال العباسُ يا رسول الله ما لَنَا في هذا الأمر ؟ قال : لي النُّبُوَّة ، ولكم الخلافة ، بكم يُفتَحُ هذا الأمرُ وبكم يُختَم ، مَنْ أحبَّك نالَتْهُ شفاعتي ، ومن أبغضك فلا نالَتْه شفاعتي » . وفي سَنَدِهِ مجهولانِ : محمدُ بن الحسن ابن سعدان المروزي ، وشيخُه محمد بن عبد الكريم بن عُبَيد الله السرخسي ، لم أقف لهما على ترجمة .

وانظر الحديثَ : ٤٩ الآتي في ص ٢٢٤ وتخريجَه ص ٢٢٥ ، فانَّ له صلةً بموضوع هذا الحديث أيضاً . أمَّا مواضعُ الحديث فهي : الخطيب ٤ : ١١٧ ، « كنز العمال » ٧ : ١٨٨ ، « الأفراد » للدارقطني غير مطبوع .

« الدجَّالُ ثُمَّ عيسى ابنُ مريم ، ثُمَّ لو أنَّ رجلاً أَنْتَجَ فرساً لم يُرِكبْ مُهْرُها[١] حتى تقومَ الساعة » . أخرجه نُعَيم بن حَمَّاد في « كتاب الفِتَن » كما في « كنز العمال »[٢] .

الحديث : ٤٥ عن كَيْسَان بن عبد الله بن طارق رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « يَنْزِلُ عيسى ابنُ مريم بِشرقيِّ دمشق عند المنارة البيضاء » . أخرجه البخاريُّ في « تاريخه » وابنُ عساكر في « تاريخه » أيضاً كما في « كنز العُمَّال » . وأخرَجَهُ عبدُ القادر بَدْران في « تهذيب تاريخ ابن عساكر » ، ولفظُهُ : « يَنزلُ عيسى ابنُ مريم عند المنارةِ البيضاء شَرْقيَّ دمشق » .

ثم قالَ : لم يَتكلَّم عليه في الأصل بجَرْح ولا تعديل ، وكشفتُ عنه في « تذهيب تهذيب الكمال » فلم أجده . وأما الحديث فقد رَواه سَمُّوْيَهْ والطبرانيُّ والضياء المقدسيُّ في « المختارة » عن أَوْس بن أَوْس الثَّقَفي ، والطبرانيُّ عن كيسان ،

(١) أي لم يَحِن لذلك المهر أن يُركبَ باكتمال نموه حتى ...

(٢) : ٧ : ٢٦٣ .

ورواه الحافظُ ابنُ عساكر عن أوس ، وعن كيسان ، وعن النَّوّاس بن سمعان . انتهى [١] . فهوحديثٌ حَسَنٌ على شرطِ الضياء في « المختارة » [٢] .

الحديث : ٤٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ـ وذَكَرَ الهِنْدَ ـ : « يغزو الهِنْدَ بكم جَيشٌ

---

(١) قلت : وأخرجه أبو الحسن الرَّبَعيُّ في « فضائل الشام ودمشق » ص ٧١ – ٧٤ عن أوس بن أوس الثقفي ، وعن كيسان ، وعن النَّوّاس بن سمعان ، بأسانيد صحيحة ، وأخرجه الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٨ : ٢٠٥ من رواية الطبراني عن أوس ، ثم قال : « ورجالُه ثقات » . وتقدَّمَ حديث أوس الثقفي في ص ١٩١ ، فانظره .

وقال الحافظ ابن حجر في « الإصابة » في ترجمة (كيسان) ٥ : ٣١٦ « أخرج البخاريّ وابن السَّكَن والطبراني وابن منده من طريق ربيعة بن ربيعة ، عن نافع بن كيسان ، عن أبيه قال : سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : « يَنزِلُ عيسى ابنُ مريم عند المنارة البيضاء شرقيَّ دمشق » . وكذا أخرجه الربعي في « فضائل الشام » ، وتمّامٌ في « فوائده » من طريق هشام بن خالد ، عن أبي الوليد بن مسلم ، عن ربيعة ، ورجالُهُ ثقات » .

(٢) مواضع الحديث : البخاري في « التاريخ الكبير » ٤ ق ١ ص ٢٣٣ – ٢٣٤ ، في ترجمة (كيسان) ، « مجمع الزوائد » ٨ : ٢٠٥ عن الطبراني ، « كنز العمال » ٧ : ٢٦٧ ، « تاريخ دمشق » لابن عساكر ١ : ٢١٣ – ٢١٧ ، عن أوس وكيسان والنوّاس ، « تهذيب تاريخ ابن عساكر » ٥ : ٣٠٤ . وباقي الكتب غير مطبوعة .

يَفتَحُ اللهُ عليهم ، حتى يأتوا بمُلوكِهم مُغَلَّلِين بالسَّلاسِلِ [١] ، يَغفِرُ اللهُ ذُنوبَهم ، فيَنصرفون حينَ يَنصرفون فيَجِدون ابنَ مريم بالشَّام » . أخرجه نُعَيم بن حمَّاد في « كتاب الفتن » كما في « كنز العُمَّال » [٢] .

الحديث : ٤٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال : رسول الله ﷺ : « لا تزالُ عِصابةٌ مِن أُمَّتي على الحقّ ، ظاهِرين على الناس ، لا يُبالُون مَنْ خالَفَهم حتى يَنزِلَ عيسى ابنُ مريم » . قال الأوزاعي : فَحَدَّثْتُ بهذا الحديثِ قتادةَ فقال : لا أعلمُ أُولئك إلا أهْلَ الشام [٣] . أخرجه ابن عساكر كما في « كنز العمال » [٤] .

---

(١) أي تُجعَلُ السَّلاسِلُ أغلالاً وأطواقاً في أعناقهم .

(٢) : ٧ : ٢٦٧ .

(٣) هذا التفسير من قتادة لـ (العصابة) هو أحَدُ أقوالٍ عشرة لخَّصَها شيخنا عبد الله الغُماري في « إقامة البرهان » ص ٣٠ ، وحَكَى أن الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » ١٣ : ٦٣ ارتاحَ إلى أن هذه العصابة عامَّة مفرَّقة بين أنواع المؤمنين ، فمنهم علماء محدِّثون ، ومنهم فقهاء ، ومنهم زُهَّاد ، ومنهم مجاهدون مقاتلون ، ومنهم قائمون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إلى غير ذلك من أنواع الخير ، ولا يلزمُ أن يكونوا مجتمعين في بلدٍ واحد أو قطرٍ واحد .

(٤) مواضع الحديث : « تاريخ دمشق » لابن عساكر ١ : ٢٤٥ ، « كنز العمال » ٧ : ٢٦٨ .

الحديث : ٤٨ عن ابن عبَّاس رضي الله عنه قال [١] :

« الدجَّالُ أوَّلُ مَنْ يَتْبَعُه سبعون ألفاً من اليهود ، عليهم السِّيجَانُ [٢] ، ومعه سَحَرَةُ اليهود يَعمَلُون العجائبَ ويُرُونَها النَّاسَ فيُضِلُّونَهم بها .

وهو أعْوَرُ ، ممسوحُ العَيْن اليُمنَى ، يُسَلِّطُه الله على رجُلٍ من هذه الأُمَّة فيَقْتُلُه ، ثم يَضرِبُهُ فيُحيِيه ، ثم لا يَصِلُ إلى قَتْلِه ، ولا يُسلَّطُ على غيرِه ، وتكونُ آيَةُ خروجِه تَرْكَهم الأمْرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر ، وتهاونًا بالدماء .

وإذا ضَيَّعوا الحُكْمَ [٣] ، وأَكَلُوا الرِّبا ، وشَيَّدوا

---

(١) وقع في الأصل : (قال ابن عباس مرفوعاً قال : الدجال يتبعه ...) . والظاهرُ أنَّ فيه سبقَ قلم ، إذ آخرُ الحديث مرفوعٌ كما سيأتي التصريحُ به ، أمَّا أوَّلُه فهو من كلام ابن عباس كما جاء في « كنز العمال » ، وكما أورده شيخنا النهاري في « إقامة البرهان » ص ٦٠ . ولهذا أثبتُّهُ موقوفاً ، والله أعلم .

(٢) السِّيجانُ : جمعُ ساج ، وهو الطَّيْلسانُ الضخم الغليظ . وجاء في « كنز العمال » بعد لفظة (السيجان) : « وهي الأكسية من الصُّوف الأخضر ، يَعني به الطَّيالِسَةَ » . وهي زيادة مدرجة من بعض الرواة أو النساخ .

(٣) لفظ (إذا) ساقط من الأصل ومن « كنز العمال » ومن « إقامة البرهان » .

البِناء [١] ، وشَرِبُوا الخُمور ، واتَّخَذُوا القِيَان [٢] ، ولَبِسُوا الحرير ، وأظهروا بِزَّةَ آل فرعون [٣] ، ونَقَضُوا العَهْد ، وتَفَقَّهوا لغيرِ الدِّين ، وزيَّنُوا المساجد ، وخَرَّبوا القلوب ، وقَطَّعوا الأرحام ، وكَثُرَتْ القُرَّاء [٤] ، وقلَّتْ الفُقَهاء [٥] ، وعُطِّلَتْ الحُدُود ، وتَشَبَّهَ الرِّجالُ بالنِّساء والنِّساء بالرِّجال ، فتكافَى الرِّجالُ بالرِّجالِ والنِّساء بالنِّساء [٦] : بَعَثَ اللهُ عليهم الدجَّالَ فسُلِّطَ عليهم حتى يَنْتَقِمَ منهم [٧] ، ويَنحازُ المؤمنون إلى بيتِ المَقْدِس .

---

(١) أي للتباهي والافتخار زائداً عن حاجتهم .

(٢) القِيانُ : جمعُ قَيْنَة ، وهي الأَمَةَ ، مُغَنِّيَةً كانت أو غيرَ مُغَنِّيَة ، والكثيرُ أن يطلق لفظُ (القَيْنة) على الأَمَة المغنِّية ، كما هو المرادُ به هنا ليُناسِبَ شُرْبَهم الخمر .

(٣) البِزَّةُ : هيئة الثياب ، يعني تكون عليهم هيئةُ المتكبِّرين الجبابرة الطُّغَاة .

(٤) أي العلماء الزائفون .   (٥) أي العلماء العاملون .

(٦) أي اكتَفَى واستغنى كل جنس منهم بجنسه فساداً وفاحشة . ولم أر في كتب اللغة فِعْلَ (تكافَى) .

(٧) جاء في الأصلِ وفي « كنزِ العمال » : « حتى ينتقم منه » . والظاهر أنه تحريفٌ عن (منهم) .

قال ابنُ عباس : قال رسول الله ﷺ : « فعندَ ذلك ينْزِلُ أخي عيسى ابنُ مريم من السَّماء على جَبَلِ أفِيق [١] ، إماماً هادياً ، وحَكَماً عادلاً ، عليه بُرْنُسٌ له [٢] ، مربوعُ الخَلْق [٣] ، صَلْتُ الجَبين [٤] ، سَبِطُ الشَّعْر [٥] ، بيدِه حَرْبةٌ يَقتُلُ الدجَّالَ ، فاذا قَتَل الدَّجَّالَ تضعُ الحربُ أوزارَها [٦] ، فكانَ السَّلْمُ ، فيَلقَى الرَّجُلُ الأسَدَ فلا يَهيجُه ، ويأخُذُ الحيَّةَ فلا تَضُرُّه ، وتَنْبُتُ الأرضُ كنَبَاتِها على عَهْدِ آدَم [٧] ، ويُؤمِنُ به أهلُ الأرض ، ويكونُ النَّاسُ أهلَ مِلَّةٍ واحدة » . أخرجه إسحاقُ ابنُ بِشْر وابنُ عساكر كما في « كنز العمال » [٨]

---

(١) أي عَقَبَةِ أفيق . وقد سبق بيانُها تعليقاً في ص ١٦٣ .

(٢) البُرْنُسُ : قَلَنْسُوَةٌ طويلة تكون على الرأس .

(٣) أي معتدَلُ الطُّول .

(٤) أي واسِعُه . ووقع في الأصل : (أصلت) . وهو تحريف ، إذ لم أجده في كتب غريب الحديث ولا اللغة . فعدَّلته إلى ما ترى .

(٥) أي مُسْترسِلُه .

(٦) أي تضَعُ أثقالها فلا يَبقَى قتال .

(٧) أي في الرخاء ، وتقدَّم بيانُه في ص ١٥٤ – ١٥٥ .

(٨) : ٧ : ٢٦٨ ، ووقع في الأصل وفي « كنز العمال : (إسحاق ابن بشير) ، وهو تحريف ، صوابُه : (إسحاق بن بِشر) كما =

الحديث : ٤٩ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « إذا سَكَن بَنوكَ السَّوادَ[1] ،

= جاء في غير كتاب .

وهو إسحاق بن بِشْر بن محمد ، أبو حذيفة البخاري ، مؤرِّخ أخباري ، له كتاب الفتوح ، وكتاب المبتدأ ، وكتاب الرِّدَّة ، وكتاب الجَمَل ، وكتاب صِفّين . قال فيه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » ٦ : ٣٢٧ : « وكان صنَّف في بدء الخلق كتاباً ، وفيه أحاديثُ ليستْ لها أصول » .

وقال الذهبي في ترجمته في « ميزان الاعتدال » ١ : ٨٧ – ٨٨ : « تركوه ، وكذَّبه علي بن المديني ، وقال ابن حبّان : لا يحلُّ كَتْبُ حديثه إلا على جهة التعجب ، وقال الدارقطني : كذّاب متروك . ثم قال الذهبي : يَروي العظائم عن ابن إسحاق وابن جريج والثوري ، مات سنة ٢٠٦ » . انتهى . فالحديثُ ضعيفُ الإسناد .

(١) السَّوادُ : قُرَى العراقُ . والظاهرُ أن المراد به هنا : العراقُ كلُّه مُدُنُه وقُرَاه . وإنما سُمِّيتْ قُرَى العراق وضِياعُه : سَوَاداً لِمَا جاء في « معجم البلدان » لياقوت ٥ : ١٩٥ قال : « سُمِّي بذلك لسَوَاده بالزروع والنخيل والأشجار ، لأنه حين تاخَمَ جزيرة العرب التي لازرع فيها ولا شَجَر ، كانوا إذا خرجوا من أرضهم ظهرتْ لهم خُضرةُ الزروع والأشجار فيُسمُّونه : سَوَاداً ، كما إذا رأيتَ شيئاً من بُعْد قلتَ : ما ذلك السَّوادُ ؟ وهم يُسمُّون الأخضرَ : سَوَاداً ، والسَّوَادَ : أخضرَ ، فسَمَّوه : سَوَاداً لخُضرته بالزروع والأشجار » .

ولَبِسُوا السَّوادَ (١) ، وكان شِيعَتُهم (٢) أهْلَ خُراسَان : لم

(١) أي الثيابَ السُّود . قال الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية » ١٠ : ٥١ « كان السَّوادُ من شِعارِ بني العباس ، أخذوا ذلك من دخول رسول الله ﷺ مكةَ يوم الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء ، فأخذوا بذلك وجعلوه شعارهم في الأعياد والجُمَع والمحافل ، وكذلك كان جندهم لابُدَّ أن يكون على أحدهم شيء من السواد». انتهى .

ولمَّا اتَّخَذَ بنو العباس السَّوادَ شِعاراً لهم أيامَ حكمهم عُرِفُوا بالمُسَوِّدَة بكسر الواو المشدَّدة كما في « القاموس المحيط » في مادة (بيض) . ولمَّا اتَّخَذَ الأُمَوِيُّون البَيَاضَ شعاراً لهم عُرِفُوا بالمُبَيِّضَة .

وقد اصطلح المؤرِّخون على أن يقولوا فيمن شايَعَ العبَّاسيين أو انضوى إليهم : سَوَّدَ ، وفيمن شايَعَ الأمويِّين أو انضوى إليهم : بَيَّضَ . قال الإمام ابنُ جرير الطبري في « تاريخ الأمم والملوك » ٩ : ١٣٤ ـ ١٣٥ في حوادث سنة ١٣٢ : « وقَدِمَ عبدُ الله بن علي فتلقَّاه أبان مُسَوِّداً مبايعاً له ... ثم سار عبدُ الله إلى الموصل فتلقَّاه هشام ابن عَمْرو التغلبي وبِشْر بن خُزَيمة وقد سَوَّدَا في أهل الموصل ، ففتحوا له المدينة . ثم سار إلى مَنْبِج وقد سَوَّدُوا ، ثم سار إلى قِنَّسْرِين فأتاها وقد سَوَّدَ أهلُها » .

ثم قال ابن جرير في ٩ : ١٣٧ « ذِكْرُ الخبرِ عن تبييض أبي الوَرْد وما آلَ إليه أمْرُهُ وأمْرُ مَنْ بَيَّضَ معه » . ثم قال : « فخرج أبو الورد ومن معه وأظهرَ التبييضَ والخَلْعَ لعبد الله بن علي، ودَعَا أهلَ قِنَّسْرِين إلى ذلك فبَيَّضُوا بأجمعهم » .

(٢) أي أتباعُهم وأعوانُهم .

يَزَلْ هذا الأَمْرُ فيهم حتى يَدْفَعوه إلى عيسى ابنِ مريم». أخرجه ابن النَّجَّار كما في «كنز العمال»، وأخرجه الدارقطني [1].

---

(١) هذا الحديث موضوع . وقد جاء مرفوعاً وموقوفاً ، أمَّا المرفوع فرواه الدارقطني في «الأفراد» كما ساقه عنه السيوطيُّ في «تاريخ الخلفاء» ص ١١ و «اللآلي المصنوعة» ١ : ٤٣٤ ، وابنُ عراق في «تنزيه الشريعة» ٢ : ١٨ ، وقالا فيها : «في سنده : أحمدُ بن إبراهيم الأنصاري ليس بشيء ، و : شيخُهُ أبو يعقوب بن سليمان الهاشمي مجهول»، ثم زادَ السيوطيُّ في «تاريخ الخلفاء» على هذا قولَه : «والحديثُ ضعيف حتى إنَّ ابن الجوزي ذكره في الموضوعات» . انتهى .

وقد أورده موقوفاً على ابن عباس السيوطيُّ في كتابيه ثم ابنُ عراق في كتابه ، ثم أورَدَا عقبَه مايُشبه الشواهدَ له ، ولكنها جميعَها واهياتٌ تالفة لا يُقام لها اعتبار ولا وزن . ولهذا علّق عليها جميعاً شيخُنا عبد الله الغُماري فيما علَّقه على «تنزيه الشريعة» ٢ : ١٨ بقوله : «هذه الأحاديث موضوعة سنداً ومتناً ، والواقع يشهد ببطلانها» ، كما سبق تعليقُ كلامه في ص ٢١٧ .

وأما الموقوف فرواه الخطيب في «تاريخ بغداد» ١٤ : ٤٣٥ باللفظ المذكور نفسه سوى أنَّ الخِطابَ فيه مِن عبد الله بن عباس إلى (محمد بن علي بن عبد الله بن عباس) . ومحمد بن علي هذا لم يَثبت سماعُه من جَدّه ابن عباس كما جَزَم به الحافظُ ابنُ حجر في «تقريب التهذيب» ، وزادَ في «تهذيب التهذيب» : «وقال مسلم في كتاب التمييز : لا يُعلَم له سماعٌ من جَدّه ، ولا أنه لَقِيَه» . وفوق هذا : في سَنَد الخطيب طلحةُ بن عُبَيد الله الطلحي ، وشيخُه أبو يعقوب بن سليمان المنصور ، وهما مجهولان لم أقف لهما على ترجمة ، ولعلَّ شيخه =

الحديث : ٥٠ عن عائشة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله إني أُرَى أني أعيشُ من بعدك ، فتأذَنُ لي أن أُدفَنَ إلى جَنْبِك ؟ فقال : وأنَّى لك بذلكِ الموضع ؟ ما فيه إلا موضعُ قبري وقبرِ أبي بكر وعُمَر وعيسى ابنِ مريم » . أخرجه ابن عساكر كما في « كنز العمال » ، وهو في « فصل الخطاب » للشيخ خواجه محمد بارسًّا باسناد المُستغفِري في « دلائل النبوة » له [1] .

= أبا يعقوب هو أبو يعقوب الواردُ في سند المرفوع ؟ وتقدَّم أنه مجهول، هذا كلُّه إلى بُطلانِ الخبر وتكذيبِ الواقع له ، فهو موضوع مرفوعاً وموقوفاً .

أما مواضع الحديث فهي إضافةً إلى ما تقدَّم : « كنز العمال » ٧ : ٢٦٨ .

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » في آخر ترجمة المسيح عليه السلام ، كما أشار إليه الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية» ٢ : ٩٩ ، ثم قال عقِبَهُ : « ولكن لا يَصحُّ إسنادُه » .

وأورده الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٧ : ٥٤ وقال : « لا يَثبُت » . وسِياقَةُ الحديث عنده أولى مما هنا ، وهي : «رُوِيَ عن عائشة في حديثٍ لا يَثبُت أنها استأذنت النبيَّ ﷺ إن عاشت بعده أن تُدفَنَ إلى جانبه ، فقال لها : وأنَّى لكِ بذلكِ ؟ وليس في ذلكِ الموضعِ إلا قبري وقبرُ أبي بكر وعُمَرَ وعيسى ابنِ مريم» . أمَّا موضع الحديث فهو : « كنز العمال » ٧ : ٢٦٨ . وما سواه غير مطبوع .

الحديث : ٥١ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال[١] : إنَّ المسيحَ ابن مريم خارجٌ قبل يوم القيامة، وليَستغنِ الناسُ به عمَّن سِواه . أخرجه ابن عساكر كما في « كنز العمال »[٢] .

الحديث : ٥٢ عن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله عنه قال : أحَبُّ شيءٍ إلى الله الغُرَباء ، قيل : أيُّ شيءٍ الغُرَباء ؟ قال : الذين يَفِرُّون بدينهم يَجتمعون إلى عيسى ابنِ مريم . أخرجه نُعَيم بن حمَّاد في « كتاب الفِتَن » كما في « كنز العمال »[٣] .

---

(١) هكذا جاء الحديثُ موقوفاً على ابن مسعود من كلامه في « كنز العمال » . ووقع في الأصل : (عن ابن مسعود مرفوعاً) ، وهو سبقُ قلم .

(٢) : ٧ : ٢٦٨ .

(٣) وقال الحافظ ابن رجب في « كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة » ص ٤ : « أخرج الإمام أحمد - في « مسنده » ٢ : ١٧٧ و ٢٢٢ - والطبراني عن عبد الله بن عَمْرو قال : قال رسول الله ﷺ : ذاتَ يومٍ ونحنُ عنده : « طُوبَى للغرباء . فقيل : من الغرباء يارسول الله ؟ قال : أناسٌ صالحون - قليلٌ ، كما في رواية - في أناسِ سُوءٍ كثير ، مَنْ يَعْصيهم أكثَرُ ممن يُطيعهم » .

ورُوِيَ عن عبد الله بن عَمْرو مرفوعاً وموقوفاً في هذا الحديث : قيل : ومَن الغُرَباء ؟ قال : الفَرَّارون بدِينهم ، =

الحديث : ٥٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَنزِلُ عيسى ابنُ مريم فيَمْكُثُ في النَّاسِ أربعين سَنَةً » . أخرجه الطبراني ، وفي « كتاب الزهد »

= يَبعَثُهم اللهُ مع عيسى ابن مريم عليه السلام » . انتهى كلامُ الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى .

وأصلُ الحديث صحيحٌ ، قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠ : ٢٥٩ « له في الكبير للطبراني أسانيد ، ورجالُ أحدِها رجالُ الصحيح » . انتهى .

أما قولُ ابن رجب : « ورُوِيَ ... » فقد رَوَى الإمام أحمد في « كتاب الزهد » ص ٧٧ بسنده « عن عبد الله بن عَمْرو قالَ : إنَّ أحبَّ شيء إلى الله عزَّ وجلَّ الغُرَباء ، قيل : وما الغُرَباء ؟ قال : الفرَّارون بدينهم ، يَجتمعون إلى عيسى عليه السلام يومَ القيامة » . ثم رَوَى في ص ١٤٩ بسنده أيضاً « عن عبد الله بن عَمْرو قالَ : قال رسولُ الله ﷺ : أحبُّ شيءٍ إلى الله الغُرَباء ، قيل : ومَنْ الغُرَباء ؟ قال : الفرَّارون بدينهم ، يَبْعثهم الله عزَّ وجلَّ يومَ القيامة مع عيسى ابن مريم عليه السلام » . انتهى . وسنَدُ كلٍّ من الخبرين ضعيف .

ويلاحظ أن هذين الخبرين واردان في بيـان مقام أولئك الغُرَباء يومَ القيامة ، لا عند نزول عيسى عليه السلام من السماء قبلَ يوم القيامة ، وروايةُ نُعَيم بن حمَّاد التي أوردها المؤلِّف إنما تفيد نزولَ عيسى بمفردها ، أمَّا بعد الوقوف على الروايات التي نقلتُها ففي إفادتها نظر ، وعليه : فهذا الحديثُ لايَدخلُ في باب نزول عيسى عليه السلام ، والله تعالى أعلم .

للامام أحمد مثلَه وزادَ : « لو يقولُ للبَطْحاء [1] : سِيْلي عَسَلاً لَسَالَتْ » . كما في « مِرقاة الصُّعود » [2] .

الحديث : ٥٤ عن عبد الله بن عَمْرو [3] بن العاص رضي الله عنه قال : لا تقومُ السَّاعةُ حتى تَعبُدَ العَرَبُ ما كان يَعبُدُ آباؤها عِشرين ومائةَ عامٍ بعدَ نزولِ عيسى ابنِ مريم عليه السلام ، وبعدَ الدجَّال . رواه نُعَيم بن حَمَّاد في « كتاب الفِتَن » كما في « الإِشاعة لأشراط السَّاعة » للبَرْزَنْجي ، ولعلَّه هو الذي في « فتح الباري » من أواخر كتاب الرِّقاق موقوفاً على عبد الله ابن عَمْرو [4] ؟

---

(١) وهي الأرضُ التي فيها حَصَىً صِغار .

(٢) مواضع الحديث : « مجمع الزوائد » للهيثمي ٨ : ٢٠٥ وقالَ « رواه الطبراني في الأوسط ، ورجالُه ثقات » ، « مرقاة الصعود » ص ١٨٩ ، أمَّا « كتاب الزهد » المطبوع للإمام أحمد فلم أر الحديث فيه ، فالله أعلم به . ولعلَّه في « زيادات كتاب الزهد » ؟

(٣) وقع في الأصل وفي كتابِ « الإشـاعة » المنقول عنه : (عبد الله بن عمر) ، وهو تحريف ، صوابه : عبد الله بن عَمْرو كما أثبتُّه ، وقد جاء على الصواب في « الحاوي » للسيوطي في رسالة « الكشف عن مجاوزة هذه الأمَّة الألف » ٢ : ٩٠ .

(٤) قال الحافظ ابن حجر في « فتح البـاري » ١١ : ٣٠٥ « أخرج عبدُ بن حُمَيد في « تفسيره » بسندٍ جيِّد عن عبد الله بن =

الحديث : ٥٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
قال : رسول الله ﷺ : « يَنزِلُ عيسى ابنُ مريم ، فيَقتلُ الدجَّالَ ،
ويَمكُثُ أربعين عاماً يَعمَلُ فيهم بكتاب الله وسُنَّتي ، ويموتُ ،
فيَستخلِفُون بأمْر عيسى رجلاً من بني تَميمٍ يُقالُ له : المُقْعَد ،

= عَمْرو موقوفاً : تبقَى الناسُ بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائةَ سنة » .

ثم قال الحافظ ابن حجر : « وقد ورد عن عبد الله بن عَمْرو ما يعارض هـذا الخبر ، فأخرج أحمد ونُعَيم بن حمَّاد من وجهٍ آخر عن عبد الله بن عَمْرو رفَعَه : « الآياتُ ـ أي العلاماتُ الكبرى لقيام الساعة ـ خَرَزَاتٌ منظوماتٌ في سِلْك ، إذا انقطع السِّلْكُ تَبِعَ بعضُها بعضاً » .

والجوابُ عنه بأنَّ المُدَّة ولو كانت كما قال : عشرين ومائةَ سنة، لكنها تَمُرُّ مُروراً سريعاً كمقدار مُرور عشرين ومائةِ شهرٍ من قبلِ ذلك ، أو دون ذلك ، كما ثبَت في « مسند أحمد » ٢ : ٥٣٧ ـ ٥٣٨ عن أبي هريرة رَفَعه : « لا تقوم السَّاعةُ حتى يَتقارَبَ الزمانُ ، فتكونَ السَّنةُ كالشهر ، ويكونَ الشهر كالجمعة ، وتكونَ الجمعة كاليوم ، ويكونَ اليوم كالساعة ، وتكونَ الساعة كاحتراقِ السَّعَفَة » . ـ أي غُصْن النخلة اليابس ـ انتهى كلامُ الحافظ ابن حجر .

ووقع في « فتح الباري » : (كما ثبت في صحيح مسلم) ، وهو سبقُ قلم قطعاً ، إذ لا وجود لحديث أبي هريرة في « صحيح مسلم » وإنما هو في « مسند أحمد » حيث أشرتُ إليه . أمَّا مواضع الحديث فهي : « الإشاعة » ص ٢٥٤ ، « الحاوي » ٢ : ٩٠ .

فاذا مات المُقعَدُ لم يأت على النَّاسِ ثلاثُ سنين حتى يُرفَعَ القرآنُ من صُدورِ الرِّجَال ومَصاحِفِهِم » . أخرجه أبو الشيخ ابنُ حَيَّانْ في « كتاب الفِتَن » . كما في « الإشاعة »[١] .

الحديث : ٥٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « طُوبَى لِعَيْشٍ بعدَ المسيح[٢] ، يُؤْذَنُ للسَّماءِ في القَطْر ، ويُؤْذَنُ للأَرض في النَّبات ، حتى لو بَذَرْتَ حبَّكَ على الصَّفَا[٣] لنبَت ، وحتى يَمُرَّ الرَّجُلُ على الأَسَدِ فلا يَضُرُّهُ ، ويَطأ على الحَيَّةِ فلا تَضُرُّه ، ولا تَشَاحَّ ، ولا تحاسُدَ ، ولا تَباغُض »[٤] . أخرجه أبو سعيد النَّقَّاش في « فوائد

---

(١) مواضع الحديث : « الإشاعة » ص ٢٤٠ ، « الحاوي » للسيوطي ٢ : ٨٩ .

(٢) طُوبَى من الطِّيْب ، ومعناها هنا : فَرَحٌ وقُرَّةُ عَيْن . وقد يُطلق لفظُ (طوبى) ويرادُ به الجنَّةُ أو شجرةٌ فيها .

(٣) أي الحَجَر الأملس الأصمّ .

(٤) قال المُناويُّ في « فيض القدير » ٤ : ٢٧٥ «مقصودُ الحديث أنَّ النقصَ في الأموال والثمرات ، ووقوعَ التحاسُد والتباغض : إنما هو من شؤم الذنوب والمعاصي ، فاذا طهرَتْ الأرض من ذلك أخرجَتْ بركتَها ، وعادت كما كانت ، حتى إنَّ العصابة ـ الجماعة من الناس ـ =

العراقيين » ورواه عنه أبو نُعَيم كما في « كنز العمال » [١]

الحديث : ٥٧ عن الرَّبيع بن أَنَس البَكري أحدِ التابعين رحمه الله تعالى مُرْسَلاً قالَ : إنَّ النَّصارَى أتوا رسولَ الله ﷺ فخاصموه في عيسى ابنِ مريم [٢] ، وقالوا له : مَنْ

= ليأكلون الرُّمَّانة ، ويَستظلُّون بقِحْفِها ، ويكون العُنقودُ من العِنَب وَقْرَ - حِمْلَ - بعير ، فالأرضُ إذا طهرَتْ ظهرَتْ فيها آثارُ البركة التي محَقَتْها الذنوب ، ذكره ابن القيِّم » . انتهى .

قلتُ : للشيخ ابن قيِّم الجوزيَّة رحمه الله تعالى كلامٌ نفيسٌ للغاية في بيان آثارِ الذنوب وآثار تركها وثمراتِ الطاعات وفِعلِها ، لخَّصتُه من كلامه وعلَّقتُه على « رسالة المسترشدين » للإمام أبي عبد الله المُحاسبي ص ٨٢ - ٨٤ ، فعُدْ إليه لنفاسته ونفعه ، واللهُ يتولاَّنا ويتولاَّك .

(١) وأخرجه السيوطي في « الجامع الصغير » في (طوبى) ، ورمَزَ إلى حُسْنه . وقال شيخنا عبد الله الغُماري في « إقامة البرهان » ص ٢٩ وفي « عقيدة أهل الإسلام » ص ٩٤ : « رجالُ إسناده ثقات ، وبعضُهم من رجال الشيخين » .

أما مواضع الحديث فهي : « كنز العمال » ٧ : ٢٠٢ و ٢٠٣ ، أمَّا أبو نُعَيم فالظاهر أنه أخرجه في غير « الحلية » إذ لم أجده فيها ، والله أعلم .

(٢) أي جادلوه . وتوضيحُ مجادلتهم : أنَّ وَفْدَ نصارى نَجْران - وهي بلدة كبيرة تشتمل على قُرَى كثيرة ، على سبع مراحل من =

أبوه ؟ وقالوا على اللهِ الكذبَ والبُهْتَان .

= مكّة إلى جهة اليمَن - قَدِموا على رسول الله ﷺ ، وكانوا ستين راكباً ، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم ، وفي الأربعة عشر : ثلاثةُ نَفَرٍ إليهم يؤول أمرُهم ، هم : أبو حارثة بن علقمة ، وكان أسقُفَّهم وحَبْرَهم ، والعاقبُ عبدُ المسيح ، وهو أميرُهم وذو رأيهم ومشورتهم ، لا يَصدرون إلا عن رأيه . والسيّدُ الأيْهَم ، وهو صاحبُ رَحْلِهم ومُجتمعِهم .

وهم من النصرانيّة على دِين المَلِك ، مع اختلافٍ من أمرهم : يقولون - في عيسى - : « هو الله » ، ويقولون : « هو ولَدُ الله » ، ويقولون : « هو ثالثُ ثلاثة » .

فهم يَحتجّون في قولهم : « هو الله » بأنه كان يُحيي الموتى ، ويُبرِئ الأسقام ، ويُخبِرُ بالغيوب ، ويَخلُقُ من الطّين كهيئة الطّير ثم يَنفُخُ فيه فيكون طائراً ، وذلك كلّه بإذن الله تبارك وتعالى ليَجعلَه آيةً للناس .

ويَحتجّون في قولهم : « إنه وَلَدُ الله » بأنهم يقولون : لم يكن له أبٌ يُعْلَم ، وقد تَكلّم في المهد . وهذا شيء لم يصنعه أحدٌ من وَلَدِ آدم قبلَه .

ويَحتجّون في قولهم : « إنه ثالثُ ثلاثة » بقول الله عزّ وجلّ : « فعَلنا ، وأمَرنا ، وخلَقنا ، وقَضينا » . فيقولون : لو كان - الإله - واحداً ما قال إلا : « فعلتُ ، وأمرتُ ، وقضيتُ ، وخلقتُ » ، ولكنه : هو ، وعيسى ، ومريم .

فلمّا كلّم السيّدُ والعاقبُ رسولَ الله ﷺ قال لهما رسولُ الله ﷺ : أسْلِما ، قالا : أسلَمْنا ، قال : إنكما لم تُسلما ، فأسْلِما ، =

فقال لهم النبي ﷺ : ألستم تعلمون أنه لا يكون ولَدٌ إلا

= قالا : بلى قد أسلَمْنا قبلك ، قال : كذبتُما ، يَمنعكما من الإسلام دُعاؤكما لله عزَّ وجلَّ ولداً ، وعبادتُكما الصَّليبَ ، وأكلُكما الخنزيرَ .

قالا : إن لم يكن عيسى وَلَدَ اللهِ فمن أبوه ؟ وخاصموه جميعاً في عيسى ، فقال لهم . . . إلى آخر الخبر المذكور ، وأنزل الله عزَّ وجلَّ صَدْرَ سورة آل عمران إلى بضعٍ وثمانين آيةً منها .

كما في « السيرة النبوية » لابن هشام ٢ : ٢٢٤ – ٢٢٥ ، و « أسباب النزول » للواحدي ص ٦٨ ، و « تفسير ابن جرير » ٣ : ١٠٨ .

ورأيتُ استكمالاً للفائدة أن أورد هنا ما قاله الإمام السُّهَيليّ في « الرَّوْض الأُنُف » ٢ : ٤٧ – ٤٩ تعليقاً على ما احتجَّ به الأحبارُ والقِسِّيسون لمعتقدهم بعيسى وأمّه عليهما السلام ، ولو كان فيه طولٌ فانه من نفيس العلم .

قال رحمه الله تعالى : « احتجَّ الأحبار والقسيسون من أهل نجران بقوله عزَّ وجلَّ : (خلَقنا ، وأمَرْنا) وأشباهِ ذلك ، وقالوا : هذا يدلُّ على « أنه ثالثُ ثلاثة » . تعالى الله عن قولهم ، وهذا من الزيغ بالمتشابه دون ردِّه إلى المُحكَم نحو قوله تعالى : ﴿ وإلهكم إلهٌ واحد ﴾ و ﴿ قل هو اللهُ أحَد ﴾ .

والعجَبُ من ضعفِ عقولهم كيف احتَجّوا على محمد ﷺ بما أنزِلَ على محمد ﷺ ، وهو أعلَمُ بمعنى ما أُنزِلَ عليه ، لأنَّ هذا اللفظ الذي احتجّوا به مَجازٌ عربي ، وليس هو لفظَ التوراة والإنجيل. وأصلُ هذا المجاز في العربية أنَّ الكِتابَ إذا صَدرَ عن حضرة ملِكٍ كانت العبارة فيه عن المَلِكِ بلفظ الجمع دلالةً على أنه كلامُ ملكٍ متبوعٍ =

وهو يُشبِهُ أباه ؟ قالوا : بلى ، قال : ، ألستم تعلمون أنَّ ربَّنا حيٌ لا

= على أمرِهِ وقولِه . فلمَّا خاطب اللهُ العربَ بهذا الكتاب العزيز أنزله على مذاهبهم في الكلام ، وجاء اللفظُ فيه على أسلوب الكلام الصادر عن حضرة المَلِك .

وليس هذا في غير اللسان العربي ، ولا يتطرَّقُ هـذا المجازُ في حكم العقل إلى الكلام القديم ، إنما هو في اللفظ المُنزَّل ، ولذلك نجده سبحانه إذا أخبر عن قولٍ قاله لنبيٍّ قبلَنا ، أو خاطبَ به غيرَنا قال : ﴿ما منَعَك أن تسجُدَ لِمَا خَلَقتُ بيَدَيَّ﴾ ؟ ولم يقل : (خلَقنا بأيدينا) ، كما قال : ﴿ مِمَّا عَمِلَتْهُ أيدينا﴾ . وقال حكايةً عن وَحْيه لموسى : ﴿ولِتُصْنَعَ على عَيْني﴾ ، ولم يقل كما قال في الآية الأُخرى : ﴿ تَجري بأعيننا ﴾ ، لأنه سبحانه أخبَر عن قولٍ قاله لم يُنزِله بهذا اللسان العربي ، ولم يَحكِ لفظاً أنزله ، وإنما أخبر عن المعنى ، وليس المجـازُ في المعنى .

ولذلك لا يجوز لعبدٍ أن يقول : رَبِّ اغفِرُوا لي ، ولا ارْحَمُوني ولا عليكم توكلتُ ، ولا إليكم أنبتُ . ولا قالها نَبِيٌّ قطُّ في مناجاته ، ولا نَبِيٌّ في دُعائه ، لوجهين : أحدُهما أنه واجبٌ على العبد أن يُشعِرَ قلبَه التوحيـد ، حتى يُشاكِلَ لفظُه عَقْدَه - أي مُعتَقَده - . الثـاني : ما قدَّمنا من سِرِّ هذا المجاز ، وأنَّ سبَبَه صُدورُ الكلام عن حضرة المَلِك مُوافَقَةً للعرب في هـذا الأسلوب مِن كلامها واختصاصِه بعادة ملوكها وأشرافها .

ولا تَنْظُرْ لقولِ من قال في هذه المسئلة : « وبذلك رُوجِعوا» ، يعني بلفظ الجمع ، واحتجَّ بقوله سبحانه خـبراً عمن حَضَره الموتُ من الكفار إذ يقول : ﴿ رَبِّ ارجِعُونِ ﴾ . فيقال له : هـذا خَبَرٌ =

يموت ، وأنَّ عيسى يأتي عليه الفَنَاء ؟ قالوا : بلى ، قال : ألستم تعامون

= عمن حضَرتْه الشياطين ، وحضرَته زَبانيَةُ العذاب ، وجرى على لسانه في الموت ما كان يعتاده في الحياة من رَدِّ الأمر إلى المخلوقين ، فلذلك خَلَط فقال : رَبِّ ، ثم قال : ارجعونِ . وإلا فأنتَ أيها الرجل المجيزُ لهذا اللفظ في مخاطبة الربِّ سبحانه : هل قلتَ قطُّ في دُعائك : ارحمونِ يارب وارزقونِ ؟ بل لو سمعتَ غيرَك يقولها لسطوتَ به !

وأمَّا قولُ مالكٍ وغيرِه من الفقهاء : الأمرُ عندنا ، أو : رَأَينا كذا ، أو : نَرَى كذا ، فانما ذلك لأنه قولٌ لم ينفرد به ، ولو انفرد به لـكان بدعة . ولم يَقصِد به تعظيماً لنفسه لا هو ولا غيرُه من أهل الدين والدَّعَة ـ أي التواضع ـ .

وأمَّا احتجاجُ القِسِّيسين بأنَّ عيسى عليه السلام كان يُحيي الموتى، ويَخلُق من الطين كهيئة الطير فيَنفُخُ فيه . فلو تفكَّروا لأبصروا أنها حُجَّةٌ عليهم ، لأنَّ الله تعالى خصَّه دون الأنبياء بمعجزاتٍ تُبطِل مقالةَ من كذَّبه ، وتُبطِل مقالةَ من زَعَم أنه « إله » ، أو « ابنُ إله » ، واستحالَ عنده أن يكون مخلوقاً عليه السلام من غير أب ! فكان نَفخُه في الطين فيكون طائراً حيّاً : تنبيهاً لهم لو عقلوه على أنَّ مَثَلَه كمَثَلِ آدم خُلِقَ من طينٍ ثم نُفِخَ فيه الروح فكان بَشَراً حيّاً ، فنَفخُ الروح في الطائر ليس بأعجَب من ذلك ، الكلُّ فِعلُ الله تعالى .

وكذلك إحياؤه عليه السلام للموتى ، وكلامُه في المَهد ، كلُّ ذلك يَدلُّ على أنه مخلوق من نفخةِ رُوحِ القُدُس في جَيْبِ أُمِّه ، ولم يُخلَقْ من مَنِيِّ الرِّجال ، فكان معنى الرُّوحِ فيه عليه السلام أقوى منه في غيره ، فكانت معجزاتُه رُوحانيةً دالَّةً على قُوَّةِ المناسبة بينه وبين رُوح الحياة ، ومن ذلك بقاؤه عليه السلام حَيّاً إلى قُرْب =

أنَّ ربَّنا قَيِّمٌ على كلِّ شيءٍ يكلأُهُ ويَحفظُه ويَرزقُه ؟ قالوا : بلى ، قال : فهل يَملِكُ عيسى من ذلك شيئاً ؟ قالوا : لا .

قال : أفلستُم تعلمون أنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ لا يَخفَى عليه شيءٌ

= السَّاعة . ورُوِي عن أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه أنَّ الرُّوح الذي تمثَّلَ لها بَشَراً هو الرُّوحُ الذي حَمَلَتْ به ، وهو عيسى عليه السلام دَخَلَ مِن فيها إلى جَوْفِها ، رواه الكَشِّي بإسنادٍ حَسَنٍ يَرفعه إلى أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه .

وخُصَّ عليه السلام بإبراء الأكمه والأبرص ، وفي تخصيصه بإبراء هاتين الآفتين مُشاكَلَةٌ لمعناه عليه السلام . وذلك أنَّ فِرْقَةً عَمِيَتْ بصائرُهم فكذَّبوا نُبُوَّته ، وهم اليهود . وطائفةً غَلَوْا في تعظيمه بعدَ ما ابيضَّتْ قلوبُهم بالإيمان ، ثم أفسدوا إيمانَهم بالغُلُوِّ . فمَثَلُهم كمَثَل الأبرص ابيضَّ بياضاً فاسِداً ، ومَثَلُ الآخَرِين مثَلُ الأكمه الأعمى ، وقد أعطاه الله تعالى من الدلائل على الفريقين ما يُبطِلُ المقالتين .

ودلائلُ الحدوث — من ولادتِه ونشأتِه وأكلِه وشُربِه ونومِه وما إلى ذلك — تُثْبِتُ له العُبوديَّةَ ، وتَنفِي عنه الرُّبُوبِيَّةَ . وخصائصُ معجزاته تَنفِي عن أُمِّه الرِّيْبَةَ ، وتُثْبِتُ له النُّبُوَّةَ ولها الصِّدِّيقيَّةَ ، فكان في مَسِيح الهُدَى عليه السلام من الآياتِ ما يُشاكِلُ حالَهُ ومعناه حكمةً من الله تعالى . كما جَعَلَ سبحانه في الصورة الظاهرة من مَسِيح الضَّلالة وهو الأعورُ الدجَّال : ما يُشاكِلُ حالَه ويناسِبُ صورتَه الباطنة ، على نحوِ ما شرحنا وبيَّنَّا في غير هـذا الكتاب ، والحمدُ لله » . انتهى .

في الأرض ولا في السَّماء ؟ قالوا : بلى ، قال : فهل يَعلمُ عيسى من ذلك شيئاً إلا ما عُلِّم ؟ قالوا : لا . قال : فانَّ ربَّنا صوَّرَ عيسى في الرَّحِم كيف شاء ، فهل تعلمون ذلك ؟ قالوا : بلى .

قال : ألستم تعلمون أنَّ ربَّنا لا يأكلُ الطَّعام ، ولا يَشربُ الشَّراب ، ولا يُحدِثُ الحَدَث ؟ قالوا : بلى ، قال : ألستم تعلمون أنَّ عيسى حَمَلَتْه أُمُّه كما تَحمِلُ المرأة ، ثم وضعَتْه كما تَضعُ المرأةُ ولدَها ، ثم غُذِّيَ كما تُغذِّي المرأةُ الصَّبِيَّ ، ثم كان يَطْعَمُ الطَّعام ، ويَشرَبُ الشَّراب ، ويُحدِثُ الحَدَث ؟ قالوا : بلى .

قال : فكيف يكون هذا ـ إلٰهاً ـ كما زعمتم ؟ قال : فعرَفوا ، ثم أبَوْا إلا جُحوداً ! فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ ألم . اللهُ لا إِلٰهَ إلا هو الحيُّ القَيُّوم ﴾ » . أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كما في « الدر المنثور » من أوَّل سورة آل عمران [١] .

الحديث : ٥٨ عن عبد الله بن عُمَر رضي الله عنه[٢]

---

(١) مواضع الحديث : ابن جرير في « تفسيره » ٣ : ١٠٨ ، « الدر المنثور » ٢ : ٣ .

(٢) هكذا جاء : (عبد الله بن عُمَر) في الأصل وفي =

قال: قال رسول الله ﷺ: «يَنْزِلُ عيسى ابن مريم إلى الأرض، فيَتزَوَّجُ، ويُولَدُ له، ويَمكُثُ خمساً وأربعين سنة [١]، ثم يَمُوتُ فيُدفَنُ معي في قبري، فأقومُ أنا وعيسى ابنُ مريم مِن قبرٍ واحدٍ بين أبي بكر وعُمَر». أخرجه في «المشكاة» وعزاه إلى «كتاب الوفاء» لابن الجوزي وأخرجه الزين المراغي في «تحقيق النُّصرة». عن ابن الجوزي في «المنتظم» كما في «كنز العمال» [٢].

= «وفاء الوفا» للسمهودي ١ : ٣٩٧ وفي «المواهب اللدنية» للقسطلاني ٢ : ٣٨٢ و «شرحها» للزرقاني ٨ : ٣٢٨ . وجاء (عبد الله بن عَمْرو) في «المشكاة» وشرحها «المرقاة» لعلي القاري ٥ : ٢٢٣ ، فالله أعلم .

(١) هذه رواية ضعيفة . والرواية الصحيحة : أنه يبقى في الأرض أربعين سنة ، كما تقدم ذلك في ص ٩٦ و ١٤٠ و ١٩٧ و ٢٢٩ و ٢٣١، وتعليقاً في ص ١٢٩ .

(٢) مواضع الحديث : «المشكاة» ٣ : ٤٧ ، «وفاء الوفا» للسمهودي ١ : ٣٩٧ ، «المواهب اللدنية» ٢ : ٣٨٢ ، «شرحها» ٨ : ٣٢٨، أما «كنز العمال» فلم أجده فيه مع تقليب النظر في مواطن كثيرة منه ، فلعلَّه خَفِيَ عليَّ مكانُه ؟ إذْ قد يكون صاحبُ «كنز العمال» أورده في موضع لا تظهر فيه المناسبةُ لمعنى الحديث ؟ والله أعلم .

وكانت عبارة الأصل : (أخرجه في المشكاة وعزاه لكتاب =

الحديث : ٥٩ عن عبد الله بن سَلام رضي الله عنه قال: يُدفَنُ عيسى ابنُ مريم مع رسولِ الله ﷺ وصاحِبَيْه، فيكون قبرُهُ رابعاً . أخرجه البخاري في « تاريخه » ، والطبراني كما في « الدر المنثور » [1] .

= الوفاء ، وأخرجه ابن المراغي في المدينة وابن الجوزي في المنتظم كما في كنز العمال) . وفيها تحريف ، فعدَّلتُها إلى الصِّحَّة كما ترى . فقد عزاه كلٌّ من القسطلاني والزرقاني في « المواهب اللدنية » و « شرحها » إلى « المنتظم » لابن الجوزي ، وقالا : أخرجه عنه الزَّيْنُ المَراغي في « تحقيق النُّصرة » . وعزاه السمهودي في « وفاء الوفا » إلى الزين المراغي أيضاً عن ابنِ الجوزي في « المنتظم » . ولم أجده في القسم المطبوع من « المنتظم » .

وكتابُ « تحقيق النُّصرة بتلخيص مَعَالم دار الهجرة » لزين الدين أبي بكر بن الحسن المَراغي المتوفَّى سنة ٨١٦ مطبوع بمصر سنة ١٣٧٤ طبعه صديقُنا العالم الفاضل الكتبي الشيخ محمد النمنكاني جزاه الله خيراً . ولكني لم أجد الخبرَ المنقولَ عنه هنا فيه ، فقد حَكَى في ص ١٠٠ منه صِفَةَ القبور الشريفة ، وذكَرَ بعض الأخبار التي جاءت فيها ، ولم يُذكَر هذا الخبر ، فلعلَّ في الأصلِ المطبوع عنه سقطاً أو اختصاراً ؟ والله أعلم .

(١) مواضع الحديث : « التاريخ الكبير » للبخاري ١ ق ١ ص ٢٦٣ ، في ترجمة (محمد بن يوسف بن عبد الله بن سَلام) . وقال البخاريُّ عقيبَهُ : « هذا لا يَصحُّ عندي ، ولا يُتابَعُ عليه» . انتهى . =

الحديث : ٦٠ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أنكَرَ خُروجَ المهديِّ فقد كَفَرَ بما أُنزِلَ على محمد ﷺ ، ومَنْ أنكَرَ نُزولَ عيسى ابن مريم عليه السلام فقد كَفَرَ ، ومن أنكَرَ خُروجَ الدجَّال فقد كَفَرَ ،ومن لم يُؤمِن بالقدر خَيرِهِ وشَرِّه من اللهِ عزَّ وجلَّ فقد كَفَرَ . فانَّ جبريل أخبرني بأنَّ الله تعالى يقول : من لم يؤمن بالقدر خيرِهِ وشرِّهِ من الله فليَتَّخِذْ رَبّاً غيري ».

ذكره الشيخ خواجه محمد بارسَّا في « فصْل الخطاب » ناقلاً عن « معاني الأخبار » للشيخ أبي بكر الكلاباذي ، باسناده قال : حدَّثنا محمد بن الحَسَن ، حدَّثنا أبو عبدِ الله الحُسَينُ بن محمد ،

= « مجمع الزوائد » للهيثمي ٨ : ٢٠٦ عن الطبراني واللفظُ المذكورُ له ، وقال الهيثمي : « في سندهِ عثمان بن الضحاك ، ووثَّقه ابنُ حبَّان ، وضعَّفه أبو داود » . « الدر المنثور » ٢ : ٢٤٥ .

وقد جاء نحوُ هذا الخبر عن سعيد بن المسيَّب رحمه الله تعالى ، كما في « الدُّرَّة الثمينة في أخبار المدينة » لابن النجار المطبوع مع «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» للفاسي ٢ : ٣٩١ ، وكما في « تحقيق النُّصرة » للزين المراغي ص ١٠٠ ، ولكن نبَّه الحافظُ ابن حجر في « فتح الباري » ٧ : ٥٤ على أنه من وجهٍ ضعيف .

حدَّثنا إسماعيل بن أبي أُوَيْس ، حدَّثنا مالك بن أنس ، حدَّثنا محمد ابن المُنْكَدِر ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال . . . الحديث. وأخرج السُّهَيْلِيُّ في « الرَّوض الأُنُف » قطعةً منه [1] .

الحديث : ٦١ عن الحسن البصري رحمه الله تعالى مُرسَلاً يَرفَعُه إلى رسول الله ﷺ قال : قال رسولُ الله ﷺ لليهود : « إنَّ عيسى لم يَمُتْ ، وإنه راجعٌ إليكم قبلَ يوم القيامة » .

---

(١) هـذا الحديث موضوع كما نَصَّ عليه الحافظ ابن حجر في « لسان الميزان » ٢ : ٣١٠ في ترجمة (الحسين بن محمد بن أحمد) ، وفي ٥ : ١٣٠ في ترجمة (محمد بن الحسن بن راشد الأنصاري) ، وقال فيها بعد أن ساقه بهذا السَّنَد عن كتاب الكلاباذي : « وقد غلَب على ظنِّي أنه ـ أي محمد بن الحسن المذكور في سَنَد الكلاباذي ـ هذا ، وشيخُه ما عرفتُه بعد البحث عنه » . انتهى .

وأورده السُّهَيْليُّ في « الروض الأُنُف » ١ : ١٦٠ بلفظ أخفَّ نكارةً من هـذا ، ثم أشار إلى غرابة إسناده فقال : « والأحاديث الواردة في المهديّ كثيرة جداً ، ومِن أغربها إسناداً ما ذكره أبو بكر الإسكاف ـ هو الكلاباذي ـ في « فوائد الأخبار » ـ هو المعروف باسم « معاني الأخبار » وباسم « بحر الفوائد » ـ مُسْنَداً إلى مالك بن أنس، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : من كذَّب بالدجّال فقد كفر ، ومن كذَّب بالمهديّ فقد كفر » . انتهى .

وأورده السيوطي في « الحاوي » في رسالة « العَرْف الوَرْدي في أخبار المَهديّ » ٢ : ٨٣ بمثل لفظ السُّهَيلي ساكتاً عليه !

نقَلَه الحافظ ابن كثير في « تفسيره » من سورة آل عمران فقال : قال ابنُ أبي حاتم : حدَّثنا أبي ، حدَّثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدَّثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، حدَّثنا الرَّبيعُ بن أنس ، عن الحَسَن ... الحديث .

وذكره ابنُ كثير مرَّةً ثانية في سورة النساء من طريقٍ آخَر موقوفاً على الحَسَن ، فهو مرفوعٌ عند الحَسَن ، وموقوفٌ عليه . وكذا أخرجه ابنُ جرير مرفوعاً عن الحسن [١] .

الحديث : ٦٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: « والذي نفسي بيده لَينزِلَنَّ عيسى ابنُ مريم إماماً مُقسِطاً ، وحَكَماً عَدْلاً ، فلَيَكسِرنَّ الصَّليبَ ، ولَيَقتُلَنَّ الخِنزيرَ ، ولَيُصلِحَنَّ ذاتَ البَيْن ، ولَيُذهِبَنَّ الشَّحناء ، ولَيَعرِضَنَّ المالَ فلا يَقبلُه أحَد . ثم لئن قام على قبري وقال : يا محمَّدُ لأُجيبَنَّه » . رواه أبو يعلى كما في « رُوح المعاني » للآلوسي من تفسير سورة الأحزاب [٢] .

---

(١) مواضع الحديث : ابن كثير في « تفسيره » ١ : ٣٦٦ و ٥٧٦ ، ابن جرير في « تفسيره » ٣ : ٢٠٢ .

(٢) مواضع الحديث : « مجمع الزوائد » للهيثمي ٨ : ٢١١ ، عن =

الحديث : ٦٣ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ عيسى عليه السلام يتزوَّجُ في الأرض ، ويُقيمُ بها تِسعَ عشرةَ سنةً » . رواه نُعَيم بن حمَّاد في « كتاب الفتن » كما في « فتح الباري » للحافظ ابن حجر [1] .

والمرادُ إقامتُه بعدَ التزوُّج تسعَ عشرةَ سنةً ، لِمَا صَحَّ فيما مَرَّ من الأحاديث أنَّ جميعَ مُدَّة إقامته عليه السلام بعد النزول من السماء أربعون سنة [2] .

الحديث : ٦٤ عن عُروَةَ بن رُوَيم رحمه الله تعالى مرسَلاً يَرفَعُهُ إلى رسول الله ﷺ قال : « خيرُ هذه الأمَّة أوَّلُها

= أبي يعلى وقال : « رجالُه رجالُ الصحيح ، وهو في الصحيح باختصار » ، « الحاوي » للسيوطي في رسالة « الإعلام بحكم عيسى عليه السلام » ٢ : ١٦٣ ، الآلوسي في « تفسيره » ٧ : ٦٠ عند قوله تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ وخاتَمَ النبيِّين ﴾ . وسياقةُ الآلوسي مختصرةٌ أتممتها من « مجمع الزوائد » . ووقع في « مجمع الزوائد » وفي « إقامة البرهان » لشيخنا الغماري ص ٣٤ : (لأجنبّه) ، وهو تحريف .

(١) ٦ : ٣٥٧ .

(٢) تقدم ذلك في ص ٩٦ و ١٢٩ - تعليقاً - و ١٤٠ و١٩٧ و ٢٢٩ و ٢٣١ .

وَآخِرُها . أوَّلُها فيهم رسولُ الله ، وآخِرُها فيهم عيسى ابنُ مريم وبَيْنَ ذلك ثَبَجٌ أعوَجُ[١] ، ليسَ منكَ ، ولستَ منهم » . رواه أبو نُعَيم في « الحلية » كما في « كنز العمال »[٢]

الحديث : ٦٥ عن كعب الأحبار رحمه الله تعالى قال : لمَّا رأى عيسى عليه السلام قِلَّةَ من اتَّبَعَهُ ، وكثرةَ من كذَّبه : شكا ذلك إلى الله تعالى ، فأوحى اللهُ إليه : إني مُتَوفّيك ورافِعُك إليّ ، وليس مَنْ رفَعْتُه عندي ميتاً ، وإني سأبعثُك على الأعورِ الدجَّالِ فتَقتُلُه ، ثم تَعيشُ بعدَ ذلك أربعاً وعشرين سنة ، ثم أُميتُك ميتةَ الحيّ .

قال كعب : وذلك يُصدّقُ حديثَ رسول الله ﷺ حيث قال : « كيف تَهلِكُ أُمَّةٌ أنا في أوَّلِها وعيسى في آخِرِها ؟ » . أخرجه ابن جرير بسندٍ صحيح[٣]

---

(١) الثَّبَجُ : الوسَطُ . ووقع في الأصلِ و « كنز العمال » و« إقامة البرهان » ص ٦٨ : (وبين ذلك نهج أعوج) . وهو تحريف .

(٢) مواضع الحديث : « الحلية » ٦ : ١٢٣ ، « كنز العمال » ٧ : ٢٠٢ .

(٣) علّق عليه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى في تعليقه =

كما في « الدر المنثور »[١] .

الحديث : ٦٦ عن زَيْن العابدين عليّ بن الحُسَين ابن علي رضي الله عنهم مُرسَلاً يَرفعُهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « أبْشِرُوا وأبْشِرُوا[٢] ، إنّما مَثَلُ أمّتي : مَثَلُ الغَيْث[٣] ،

= على « تفسير ابن جرير » في طبعة دار المعارف ٦ : ٤٥٧ بقوله : « حديثُ كعب عن رسول الله ﷺ : حديثٌ مرسَل ، ومهما كان سندُهُ صحيحاً فان رواية كعب الأحبار إنما هي لا شيء ، ولا يُحتَجُّ بها ، وصَدَقَ معاويةُ رضي الله عنه في قوله في كعب الأحبار : « إنْ كان لَمِن أصدقِ هؤلاء المحدِّثين الذين يُحدِّثون عن أهل الكتاب ، وإنْ كنا مع ذلك لَنبلُو عليه الكذب » . رواه البخاري » . انتهى .

قال عبد الفتاح : حديث « كيف تَهلِكُ أمّةٌ ... » له شواهد حَسَنة وصحيحة تؤيِّدُه مع صحّةِ سنده مرسَلاً هنا ، وقد تقدَّمتْ تلك الشواهدُ في ص ١٧٠ و ١٧٢ و ١٨١ ويأتي منها في ص ٢٤٩ . ويَبقى الكلامُ الذي قاله كعب فيه غرابةٌ ونكارة ، ولكنه ما يعدو أن يكون خبراً من الأخبار الإسرائيلية التي لم نؤمر بتصديقها ولا بتكذيبها . ولشيخنا الإمام الكوثري رحمه الله تعالى في « المقالات » ص ٣١ ـ ٣٥ مقالةٌ عادلة جامعة في شأن كعب الأحبار ، فعُد إليها .

(١) مواضع الحديث : ابن جرير في « تفسيره » ٣ : ٢٠٣ ، « الدر المنثور » ٢ : ٣٦ .

(٢) كُرِّرَ للتأكيد ، أو الثاني بمعنى بَشِّرُوا ، كما جاء في اللغة .

(٣) أي كَمَثَلِ المطرِ في حصول المنفعة بأنواعه كلِّها .

لا يُدرَى آخِرُهُ خيرٌ أمْ أوَّلُه (١) .

أو كحديقةٍ أُطعِمَ منها فَوْجٌ عاماً ، ثم أُطعِمَ منها فَوْجٌ عاماً ، ثم أُطعِمَ منها فَوْجٌ عاماً ، لعلَّ آخِرَها فَوْجاً أن يكون أعرَضَها عَرْضاً ، وأعمَقَها عُمْقاً ، وأحسَنَها حُسْناً ؟ (٢)

---

(١) قال العلماء : لا يُحمَلُ هذا الحديث على التردُّدِ في فضل أوَّل هذه الأُمَّة على آخِرِها فانَّ أهلَ القَرْن الأوَّل هم المفضَّلون على سائر القرون من غير شبهة ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم .

وإنَّما المرادُ أنَّ كلَّ طبقةٍ من طبقات هـذه الأُمَّة فيها خير ، لاختصاصِ كلِّ طبقةٍ منها بخاصيَّةٍ وفضيلةٍ تُوجِبُ خيريَّتَها ، كما أنَّ كلَّ نَوْبَةٍ من نُوَب المَطَر لها فائدةٌ في النُشُوِّ والنَّماء ، لا يُمكِنُ إنكارُها والحُكمُ بعَدَمِ نفعها . فانَّ الأوَّلِين آمنوا بما شاهدوا من المعجزات ، وتلقَّوْا دَعْوةَ الرسول ﷺ بالإجابة والإيمان ، وإنَّ الآخِرِين آمَنُوا بالغيب لِمَا تواتَرَ عندهم من الآيات ، واتَّبَعُوا مَنْ قبلَهم بالإحسان ، إذْ آمنوا بالآيات والمعجزات ولم يروها .

وكما اجتهد الأوَّلون في تأسيس هذا الدين وتمهيده للناس ، اجتهد المتأخِّرون في تيسيره وتجريده من الشوائب ، وصَرَفوا أعمارَهم في تقريرِ حُجَجه ونَصْرِ حقائقه ومُقارعةِ خصومه ، ومع هذا كلِّه فالفضلُ للمتقدِّم ولا ريب . وإنما جاء الحديث من باب التسلية للمتأخِّر إيماءً إلى أنَّ بابَ كرمِ الله تعالى مفتوح ، وأنَّ فضلَه سبحانه مستمرٌّ لا يَغيضُ ولا ينقطع .

(٢) هـذا تشبيهٌ ثانٍ منه ﷺ لأمَّته ، فبعدَ أن شبَّهها =

كيف تَهلِكُ أُمّةٌ أنَا أوّلُها ، والمَهْدِيْ وسَطُها[١] ، والمَسيحُ آخِرُها ؟ ولكنْ بين ذلك فَيْجٌ أعوَجُ ، ليسوا مِنّي ، ولا أنا مِنهم[٢] » . رواه رَزِين العَبْدَرِيْ الأندلسي كما في في « المشكاة » من باب ثواب هذه الأمّة . عن جعفرٍ الصّادق ، عن أبيه محمّدٍ الباقر ، عن جَدِّه زين العابدين عليّ بن الحُسَين بن

= بالمَطَر من حيث الخيريَّة ، شبَّهها بالحديقة التي أطعَمَتْ أعواماً وراءَ أعوامٍ مِن خيراتها ، ولعلَّ آخرَ ما أطعَمَتْ يكون بخيريَّتِه ونَمائِه وطِيبِ طَعْمِه أوفى مِن كلّ ما أطعَمَتْه قبل ؟

ويكونُ التشبيهُ الأوّلُ للأُمّة بالمطر : في نفعِ النـاس وإحيائهم بالعِلْم والهُدَى ، والتشبيهُ الثاني بالحديقة : في الانتفاع بذلك ونقلِه من سَلَفِ الأمّة إلى خَلَفِها بأمانةٍ وإخلاص ، يَنتفعُ به كلُّ مسلم مسترشد، حتى لقد يكون في بعض المتأخرين من أولئك المسلمين من هو أجمعُ للفضل من بعض المتقدّمين ، كما كان في أعوام الحديقة المذكورة .

ووقع في الأصل وفي « المشكاة » قولُه : « أُطعِمَ منها فوجٌ عاماً » مكرَّراً مرّتين ، فأثبتُه مكرَّراً ثلاثاً ، تقديراً مني أن فيه سقطاً ، كما هو الأسلوب النبوي في مثل هـذا السياق ، وكما تقدّم نظيرُه مكرَّراً ثلاثاً في حديث عبد الرحمن بن سَمُرة في ص ٢١٢ .

(١) المرادُ به ما قَبْلَ الآخِر ، كما سبَقَ بيانُه في ص ١٨١ .

(٢) الفَيْجُ بالياء بمعنى الفَوْجِ بالواو ، وهو : الجماعة . وإنما وَصَفَهم النبيُّ ﷺ بالعِوَج ثم تبرَّأ منهم : لانحرافهم عن الجادّة والسبيلِ التي جاء بها عليه الصلاة والسلام .

عليٌّ رضي الله عنهم (١) .

الحديث : ٦٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
قال رسول الله ﷺ : « ألا إنَّ عيسى ابنَ مريم ليس بيني وبينه نَبِيٌّ ولا رسول ، ألا إنَّه خليفتي في أُمَّتي مِن بعدِي ، ألا إنَّه يَقْتُلُ الدجَّالَ ، ويَكسِرُ الصَّليبَ ، ويَضَعُ الجِزْيَة ، وتَضعُ الحَرْبُ أوزارَها . ألا مَنْ أدرَكه منكم فليَقْرأ عليه السَّلام » . أخرجه الطبراني كما في « الدر المنثور » (٢) .

---

(١) قال العلامة علي القاري في « المرقاة » ٥ : ٦٥٨ « ويُسمَّى مثلُ هذا السَّند : سلسلةَ الذهب » أي مع إرساله . وكذلك سمَّاه المؤلِّفُ رحمه الله تعالى كما تقدَّم في ص ١٧٠ - ١٧١ . أمَّا موضع الحديث فهو : « المشكاة » ٣ : ٢٩٣ .

(٢) قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٨ : ٢٠٥ بعد أن أورد الحديث المذكور عن المعجم الأوسط والصغير للطبراني : « في الصحيح بعضُه ، وفي سنده محمد بن عُقْبة السَّدُوسِي ، وثَّقَه ابن حِبَّان ، وضعَّفَه أبو حاتم » . انتهى . وقال شيخنا النهاري في « عقيدة أهل الإسلام » ص ٩٣ : « إسنادُه حسن » .

أما مواضع الحديث فهي : « تاريخ بغداد » للخطيب ١١ : ١٧٢ من طريق الطبراني ، « الدر المنثور » ٢ : ٢٤٢ .

الحديث ٦٨ : عن عَمْرو بن سفيان الثَّقَفِي التابعيِّ رحمه الله تعالى قال : أخبرَني رجلٌ من الأنصار ، عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال : ذَكَرَ رسولُ الله ﷺ الدجَّالَ فقال : « يأتي سِباخَ المدينة [1] ، وهو مُحرَّمٌ عليه أن يَدخُلَها ، فتَنْتَفِضُ المدينةُ بأهلِها نَفْضةً أونَفْضَتينِ [2] ، وهي الزلزلة، فيَخرُجُ إليه منها كلُّ مُنَافقٍ ومُنافقة [3] .

ثم يأتي الدجَّالُ قِبَلَ الشَّام ، حتى يأتيَ بعضَ جبالِ الشَّام

---

(١) السِّباخُ جمعُ سَبَخَة ، وهي الأرض التي تعلوها المُلُوحة، ولا تكاد تُنبِتُ إلا بعض الشجر .

(٢) هـذا التردُّدُ شكٌّ من الراوي . والصحيحُ ما تقدَّم في حديث أبي أمامة ص١٤٧ وحديث مِحْجَن ص١٤٨ تعليقاً ، وماجاء في حديث جابر في « مجمع الزوائد » ٣ : ٣٠٧ عن « مسند أحمد »، وفي رواياتهم جميعاً : « فترجُفُ المدينةُ بأهلِها ثلاثَ رجَفَات » .

(٣) وقع في « تاريخ دمشق » لابن عساكر ١ : ٦١٥ : (فيُخرجُ الله منها كلَّ منافق ومنافقة) . وهو تحريف ، صوابه كما جاء هنا وفي « تهذيب تاريخ ابن عساكر » لبدران ١ : ١٩٣ . وقد سبق في حديث أبي أمامة ص ١٤٧ وحديث مِحْجَن ص ١٤٨ تعليقاً ، وجاء في حديث جابر في « مجمع الزوائد » ٣ : ٣٠٧ عن « مسند أحمد » اللفظُ الآتي : « فلا يَبقَى منافقٌ ولا منافقهُ إلا خرَجَ إليه » .

فيُحاصِرُهم . وبَقِيَّة المسلمين يومَئذٍ معتصمون بذرْوَةِ جبَلٍ من جبال الشَّام ، فيُحاصِرُهم الدجَّالُ نازلاً بأصلِه .

حتى إذا طالَ عليهم الحِصارُ قال رجلٌ من المسلمين : يامعشَرَ المسلمين حتى متَى أنتم هكذا وعدُوُّكم نازلٌ بأصلِ جبَلِكم هذا ؟ ! هل أنتم إلا بينَ إحدى الحُسْنَيَينِ : بينَ أن يَستشهِدَكم اللهُ ، أو يُظهِرَكم ؟ فيَتبايعون على القِتالِ بَيْعةً يَعلمُ اللهُ أنها الصِّدقُ مِن أنفسِهم .

ثم تأخُذُهم ظُلمةٌ لا يُبصِرُ أحدُهم فيها كفَّه ! فيَنزِلُ عيسى ابنُ مريم ، فتَنْحَسِرُ عن أبصارهم وبينَ أرجُلِهم ، وعليه لأمَةٌ (١) ، فيقولون : مَنْ أنتَ ؟ فيقول : أنا عبدُ الله ورسولُه ورُوحُه وكلِمَتُه : عيسى ابنُ مريم ، اختارُوا بينَ إحدى ثلاث :

---

(١) اللأمَةُ : الدِّرْع ، وقيل : السِّلاح . ولأمَةُ الحَرْبِ : أداتُهُ .

وقد وقع هنا في الأصلِ وفي « الدرِ المنثور » ٢ : ٢٤٣ وفي « تاريخ دمشق » لابن عساكر ١ : ٦١٥ وفي كتابِ شيخنا الغُماري « إقامةِ البرهان » ص ٦٥ تحريفاتٌ هائلة ! فقد جاءت الجملة هكذا : (فيحسر عن أبصارهم ، وبين أظهرهم رجل عليه لأمته) . والتصويب عن « تهذيب تاريخ ابن عساكر » لبدران رحمه الله تعالى : ١ : ١٩٤ .

بين أن يَبْعَثَ اللهُ على الدجَّالِ وجنودِه عذاباً من السَّماء جسيماً ، أو يَخْسِفَ بهم الأرض ، أو يُسلِّطَ عليهم سِلاحكم ويَكُفَّ سلاحَهم عنكم .

فيقولون : هذه يا رسول الله أَشفَى لِصُدورِنا ولأنفُسِنا ، فيومئذٍ ترَى اليهوديَّ العظيمَ الطويلَ الأكولَ الشَّروبَ لا تُقِلُّ يَدُه سَيْفَه من الرُّعْب[1] ، فيَنزِلُون إليهم فيُسلَّطُون عليهم ، ويَذوبُ الدجَّالُ حين يَرى ابنَ مريم كما يذوبُ الرَّصاصُ[2] ، حتى يأتيَه عيسى عليه السلام أو يُدرِكَه فيَقْتُلَه». أخرجه مَعْمَر في « جامعه » عن الزُّهري قال : أخبرني عَمْرو بن سفيان الثقفي ... الحديث . كما في « الدر المنثور »[3] .

---

(١) أي لا تُطيقُ يدُه حملَ السيف من شدة الرُّعب الذي يناله . وفي رواية ابن عساكر : « من الرِّعْدَة » ، أي الاضطراب والخوف .

(٢) أي يَهرُبُ مسرعاً في هَرَبه كذَوَبانِ الرَّصاص على النَّار .

(٣) ٢ : ٢٤٣ ، ورواه الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » ١ : ٦١٥ بسنده إلى معمر من طريق عبد الرزَّاق . وقد جمعتُ بين الروايتين .

الحديث : ٦٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
قال رسول الله ﷺ « يَنزِلُ عيسى ابنُ مريم على ثمانمائةِ رجلٍ وأربعمائةِ امرأةٍ ، أخيارِ مَنْ على الأرض ، وصُلَحاءَ مَنْ مَضَى ».
أخرجه الدَّيلمي كما في « كنز العمال »[١] .

الحديث : ٧٠ عن أبي الأشعث الصَّنْعاني رحمه الله تعالى قال : سمعتُ أبا هريرة رضي الله عنه يقولُ : يَهبِطُ عيسى ابنُ مريم ، فيُصلّي الصلواتِ ، ويُجمّعُ الجُمَعَ[٢] ، ويَزيدُ في الحلال ، كأني به تَجذِبُهُ رَوَاحِلُه بِبَطْنِ الرَّوحاء[٣] حاجّاً أو مُعتمِراً . رواه ابن عساكر كما في « كنز العمال »[٤] .

الحديث : ٧١ عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَخرُجُ الدجَّالُ عَدُوُّ اللهِ ومعَهُ جُنودٌ من اليهودِ وأصنافِ الناس . ومَعه جَنَّةٌ ونار ، ورجالٌ

---

(١) ٧ : ٢٠٣ .

(٢) أي يُصلّي الصلواتِ الخمس إماماً بالناس ، ويُصلّي بهم أيضاً الجمعة في أيام الجمعة .

(٣) هو مكان في طريق النبي ﷺ من المدينة الى بَدْر كما تقدَّم بيانُه في ص ١٠٠ .   (٤) ٧ : ٢٦٧ .

يَقتُلُهم ثم يُحييهم [١] ، ومعه جَبَلٌ من ثَرِيد [٢] ، ونَهْرٌ من ماء .

وإني سأنْعَتُ لكم نَعْتَه [٣] : إنه يَخرجُ ممسوحَ العين ، في جَبهته مكتوبٌ : (كافر) . يَقرأه من كان يُحسِنُ الكِتابَ [٤] ومن لا يُحسِن . فجنَّتُه نار ، ونارُهُ جنَّة ، وهو المَسيحُ الكذَّاب ، ويَتْبَعُه من نساء اليهود ثلاثةَ عشَرَ ألفَ امرأة ، فرَحِمَ اللهُ رجلاً مَنَعَ سَفيهَهُ أن يَتْبَعَه ، والقوَّةُ عليه يومئذٍ بالقرآن ، فانَّ شأنَه بَلاءٌ شديد !

يَبعَثُ اللهُ إليه [٥] الشياطينَ من مَشَارِقِ الأرض ومَغَارِبها فيقولون له : اسْتَعِنْ بنا على ما شِئتَ ، فيقول : نَعَمْ ، انطلِقُوا

---

(١) أي فيما يَرى الناسُ كما يفعل المشعوذون لا حقيقةً .

(٢) الثريد : الخبزُ المقطَّع قِطَعاً يُؤْدَمُ باللَّحم ، وهو أفضلُ طعام العرب . والمرادُ بقوله : « جبَلٌ من ثريد » : الكثيرُ منه جداً ، أو هو كنايةٌ عن كثرة الأطعمة الفاخرة التي مع الدجَّال ، وعلى رأسها الثريد . وهذا التفسير أقربُ لما سيأتي مِن قولِه : « ومعه الأنهارُ والطَّعام » .

(٣) أي أُبيِّنُ لكم صِفتَه .   (٤) أي الكتابة .

(٥) لفظُ (إليه) أضفتُه ولم يكن في « كنز العمال » فلعلَّه ساقط منه ؟

فأخبِروا النَّاسَ أنّي ربُّهم ، وأنّي قد جئتُهم بجنَّتي وناري ، فينطلقُ الشياطينُ فيدخُلُ على الرجلِ أكثرُ من مائةِ شيطان ، فيتمثَّلون له بصورةِ والدِه ، وولدِه ، وإخوتِه ، وموَاليه (١) ، ورفيقِه ، فيقولون : يا فُلانُ أتعرِفُنا ؟ فيقول لهم الرَّجلُ : نعَمْ هذا أَبي ، وهذه أُمّي ، وهذه أُختي ، وهذا أَخي .

فيقولُ الرجلُ : ما نبأكم ؟ فيقولون : بل أنتَ فأخبِرنا ما نبأك ؟ فيقول الرجل : إنَّا قد أُخبِرنا أنَّ عدُوَّ الله الدجَّالَ قد خرَج . فيقول له الشياطينُ : مَهْلاً ، لا تَقُل :هذا، فانه ربُّكم يُريدُ القضاءَ فيكم ، هذه جنَّةٌ قد جاء بها ونارٌ ، ومعَهُ الأنهارُ والطَّعام ، فلا طعامَ إلا ما كان قِبَلَه (٢) إلا ما شاء الله .

فيقول الرجُلُ: كذبتُم ، ماأنتم إلا شياطين ، وهو الكذَّاب ، وقد بلَغنا أنَّ رسول الله ﷺ قد حدَّثَ حديثكم ، وحذرنا وأبناءنا منه ، فلا مرْحباً بكم ، أنتم الشياطين ، وهو عدُوُّ الله ، ولَيَسُوقَنَّ اللهُ عيسى ابنَ مريم حتى يقتُلَه ، فيخسأوا فينقلبوا خاسئين .

---

(١) أي عبيده وأرقائه . (٢) أي معَه .

ثم قال رسولُ الله ﷺ : إنَّما أُحدِّثكم هذا لتَعقلوه ، وتَفقهوه ، وتَفهموه ، وتَعُوه [1] ، فاعمَلوا عليه ، وحدِّثوا به مَنْ خَلفكم ، وليُحدِّث الآخرُ الآخرَ ، فإنَّ فتنتَه أشدُّ الفِتَن » . أخرجه نُعَيم بن حمَّاد في « كتاب الفِتَن » . وفي سَنَدِه : سُوَيد بنُ عبد العزيز ، وهو متروك [2] ، كما في « كنز العمال » [3] .

الحديث : ٧٢ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كان طعامُ عيسى عليه السلام الباقلاءَ [4] حتى رُفِعَ ، ولم يكن يأكلُ شيئاً غيَّرتْهُ النارُ [5] حتى رُفِعَ » .

---

(١) أي تحفظوه .

(٢) وإذا قيل في الراوي : متروك ، أو متروك الحديث ، فحكمُهُ أنه لا يُحتَجُّ به ، ولا يُستشهَدُ به ، ولا يُعتبَرُ به ، كما تراه فيما علَّقتُه على « الرفع والتكميل في الجرح والتعديل » للإمام عبد الحي اللكنوي ص ٨٠ .

(٣) : ٧ : ٢٦٣ . وكان الحديث في الأصل مقتصراً فيه على موضع الشاهد فأتممتُه بطوله .

(٤) الباقِلاءُ هو الفُولُ . وإذا شدَّدتَ اللامَ قلتَ الباقِلَّى ، وإذا خفَّفتَ اللامَ قلت : الباقِلاء ، كما في كتب اللغة .

(٥) أي طُبِخَ على النار .

رواه الدَّيلمي كما في « كنز العمال » [١]

الحديث : ٧٣ عن سَلَمة بن نُفَيل السَّكُوني رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يَنقطعُ الجهادُ حتى يَنزِلَ عيسى ابنُ مريم » . ذكره الحافظ علاء الدين مُغُلْطاي في « سيرته » من السنة التاسعة من الهجرة قال : وباع المسلمون أسلحتهم وقالوا : انقطع الجهاد ، فقال النبيُّ ﷺ ... الحديث ، وأصلُ هذا الحديث في « مسند أحمد » [٢] .

الحديث : ٧٤ عن صَفِيَّة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها أنها كانت إذا زارَتْ بيتَ المَقْدِس ، وفرغَتْ من الصلاة في المسجد الأقصى : صَعِدَتْ على جَبَلِ زَيْتَا فصلَّتْ عليه وقالت : هذا الجبَلُ هو الذي رُفِعَ منه عيسى عليه السلام إلى السَّماء ، وكانَتْ النصارى يُعظّمون ذلك الجبَل، وكذلك اليومَ يُعظّمونه.

---

(١) : ٦ : ١٢٦ . وجاء فيه (ولم يأكل عيسى شيئاً غيَّرته النار ...) .

(٢) : ٤ : ١٠٤ . قلت : وأصلُ هذا الحديث في « سنن النسائي » ٦ : ٢١٤ ، والعَزْوُ إليها ـ وهي من الكتب الستة ـ مقدَّم على العزو إلى سواها .

ذكره في تفسير « فتح العزيز » في سورة التين .

الحديث : ٧٥ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

ذُكِرَ عنده الدجَّالُ فقال : يَفترِق الناسُ عندَ خُروجه ثلاثَ فِرَق : فِرقةٌ تَتْبَعُه ، وفِرقةٌ تَلْحَقُ بأرض آبائِها بِمَنابتِ الشِّيح [١] ، وفِرقةٌ تأخُذُ شَطَّ الفُرات فيُقاتِلُهم ويُقاتِلُونه حتى يَجتمعَ المؤمنون بقُرَى الشَّام [٢] ، فيَبعثون إليه طَلِيعةً [٣] فيهم فارسٌ على فَرَسٍ أشقرَ أو أبلَق [٤] ، فيُقتَلُون لا يَرجِعُ منهم أَحَد . ثم إنَّ المَسِيحَ عليه السلام يَنزِلُ فيَقتُلُهُ .

ثم يَخرُجُ يأجوجُ ومأجوجُ فيَمُوجون في الأرض فيُفسِدونَ فيها ، ثم قرأ عبدُ الله : ﴿وهُمْ مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُون﴾ [٥] . ثم يَبْعَثُ اللهُ عليهم دابَّةً مثلَ النَّغَف [٦] ،

---

(١) يعني : البادية ، إذ الشِّيحُ : نَبْتٌ يَخرجُ في البادية .

(٢) وفي رواية : بغَرْبِيِّ الشام .

(٣) الطَّلِيعةُ : جماعة يتقدَّمون الجيش ليكشفوا أحوالَ العدوِّ .

(٤) أي فيه سواد وبياض . (٥) من سورة الأنبياء : ٩٦ .

(٦) هو دُودٌ يكون في أنوف الإبل والغنم كما تقدم ص ١٢٣ .

فتَدْخُلُ في أسماعِهم ومَنَاخِرِهم فيموتون منها ، فتُنتِنُ الأرضُ منهم ، فيَجأرُ أهلُ الأرض إلى الله (١) ، فيرُسِلُ اللهُ ماءً فيُطهِّرُ الأرضَ منهم ، ثم يَبْعَثُ اللهُ ريحاً فيها زمهريرٌ باردة (٢) ، فلا تَدَعُ على وجه الأرض مؤمناً إلا كفأتْهُ تلك الريحُ (٣) . ثم تقوم السَّاعةُ على شِرارِ النَّاس .

ثم يقومُ مَلَكُ الصُّور بين السَّماء والأرض (٤) ، فيَنْفُخُ فيه فلا يَبقَى خَلْقٌ لله في السماوات والأرض إلا مات إلا من شاء ربُّك . ثم يكون بين النَّفختينِ ما شاء الله أن يكون ، فليس من بَنِي آدم خَلْقٌ إلا وفي الأرض منه شيء (٥) . ثم يُرسِلُ الله مَاءً

(١) أي يتضرَّعون إلى الله بالدُّعاء .

(٢) الزمهرير : شِدَّةُ البرد ، ووَصْفُهُ بالباردة نظراً لمعناه وإشارةً إلى بالغ برودته . وفي رواية للحاكم ٤ : ٥٥٦ : «زمهريرٌ بارد» .

(٣) أي أمالَتْهُ مَيتاً بلُطفٍ وراحة .

(٤) الصُّور هو القَرْنُ الذي يَنفخ فيه إسرافيلُ عليه السلام .

(٥) أي ليس من بني آدم مخلوقٌ إلا وفي الأرض جزءٌ منه . وهذا الجزء كما قال سفيان الثوري : « عَجْبُ الذَّنَب » كما في « تذكرة القرطبي » و «مختصرها» للشعراني ص ٤٠ . وعَجْبُ الذَّنَب ـ ويقال : عَجْمُ الذَّنَب بالميم ـ : هو عَظْمٌ لطيف كحَبَّةِ الخردل في أصل الصُّلْب ، وهو رأسُ العُصْعُص بين الأليتين ، وهو مَكانُ الذَّنَب من الحيوانات =

مِن تحتِ العَرْشِ كمَنِيِّ الرِّجَال (١) ، فتَنْبُتُ جُسْمانُهم

= ذوات الأربع ، كما قاله الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٨ : ٤٢٤ .

وقد روى البخاري ٨ : ٤٢٤ ومسلم ١٨ : ٩٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « كلُّ ابنِ آدم يأكلُه الترابُ إلا عَجْبَ الذَّنَب ، ومنهُ خُلِقَ ، ومنه يُركَّبُ الخَلْقُ يومَ القيامة » .

قال الحافظ ابن حجر : « قال الشيخ ابنُ عَقيل الحنبلي : لله عزَّ وجلَّ في هذا سِرٌّ لا نعلمه ، لأنَّ من يُظهِرُ الوجودَ من العَدَمِ لا يَحتاجُ إلى شيء يَبْني عليه » . انتهى . وسيأتي للإمام الغزالي في آخر التعليقة التالية كلمةٌ نافعةٌ ساطعة في شِبْهِ هذا الموضوع ، فارْبِطْ بينها وبين ماجاء هنا ، تالياً قولَه تعالى : ﴿ واللهُ يَعلَمُ وأنتم لاتَعْلَمون ﴾ .

(١) أي من حَيْثُ شكلُه وصُورتُه ، لا من حيث الحقيقة . ويقالُ لذلك الماء : ماءُ الحياة ، ومَطَرُ الحياة ، كما في « الدر المنثور » ٥ : ٣٣٧ و٣٣٩ . وقد جاء في « صحيح مسلم » ١٨ : ٧٦ من حديث عبد الله بن عَمْرو بن العاص قولُه ﷺ : « ثم يُرسِلُ اللهُ مَطَراً كأنَّه الطَّلُّ - وهو : المطرُ الضعيفُ الصغيرُ القَطْر ، و : الماءُ الذي يُرَى قَطَراتٍ على وجه الأرضِ والنباتِ صبيحة أيام الصَّحْو - تَنْبُتُ منه أجسادُ النَّاس » . ومن حديث أبي هريرة ١٨ : ٩١ قولُه ﷺ : « ثم يُنزِلُ اللهُ من السَّماءِ ماءً فيَنْبُتُون كما يَنْبُتُ البَقْلُ » . أي تَنْبُتُ أجسادُهم نباتاً سريعاً من الأرض بعد نزول الماء الذي هو كالطَّلِّ عليها .

قال الإمام الغزالي في « الإحياء » ١٦ : ٢٥ و ٣٠ « إيَّاك أن تُنكِر شيئاً من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياسَ ما في الدنيا ، فانك لو لم تكن قد شاهدتَ عجائبَ الدنيا ، ثم عُرِضَتْ عليك قبل المشاهدة لكنتَ أشدَّ إنكاراً لها ، وفي طبع الآدمي إنكارُ كلِّ مالم يأنس به ! =

ولُحْمَانُهم [١] من ذلك الماء ، كما تَنْبُتُ الأرضُ من الرَّيِّ [٢] ، ثم قرأ عبدُ الله : ﴿ اللهُ الذي يُرسِلُ الرِّياحَ فتُثِيرُ سَحَاباً فسُقْنَاهُ إلى بَلَدٍ مَيِّتٍ فأحيَيْنَا به الأرضَ بَعْدَ مَوْتِها كذلك النُّشُورُ ﴾ [٣] .

= ولو لم يشاهد الإنسانُ الحيَّةَ وهي تمشي على بطنها كالبَرْق الخاطف لأنكرَ تَصَوُّرَ المَشْي على غير رِجْل ، والمَشْيُ بالرجل أيضاً مُستبعَدٌ عند من لم يشاهد ذلك . وَلَوْ لَمْ يُشَاهِد الإنسانُ توالُدَ الحيوان ، وقيل له : إنَّ له صانعاً يَصنَعُ من النُّطفَة القَذِرَة مِثْلَ هـذا الآدميِّ : المصوَّرِ ، العاقلِ ، المتكلِّمِ ، المتصرِّفِ ... لاشتَدَّ نُفورُ باطنه عن التصديق به .

في خَلْق الآدميِّ مع كـثرة عجائبه واختلافِ تركيب أعضائه : أعاجيبُ تَزيدُ على الأعاجيب في بَعْثه وإعادته ، فكيف يُنكِرُ ذلك مِن قُدرةِ الله تعالى وحِكمتِه : مَنْ يُشاهِدُ ذلك في صنعته وقدرته ؟! فان كان في إيمانك ضعفٌ فقَوِّ الإيمـانَ بالنظر في النشأة الأولى : ﴿ أيحسَبُ الإنسانُ أن يُترَكَ سُدَىً ؟ ألم يَكُ نُطْفَةً مِن مَنِيٍّ يُمْنَى ؟ ثم كان عَلَقَةً فخَلَقَ فسَوَّى ، فجَعَلَ منه الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأنثَى . أليس ذلك بقادرٍ على أن يُحيِيَ المَوْتَى ؟ ﴾ . بلى إنَّ الله على كلِّ شيء قدير .

(١) أي أجسادُهم ولحُومُهم .

(٢) أي مِن ارتوائها بالماء . وفي رواية « من الثَّرى » أي التُّراب النَّدِيّ . (٣) من سورة فاطر : ٩ .

ثم يقومُ مَلَكٌ بالصُّورِ بين السَّماءِ والأرض ، فيَنْفُخُ فيه فتَنْطَلِقُ كلُّ نَفْسٍ إلى جَسَدِها حتى تَدخُلَ فيه ، فيقومون فيُجَبُّون تَجْبِيَةَ رَجُلٍ واحدٍ[1] قياماً لِربِّ العالمين. ثم يَتمثَّلُ الله تعالى للخَلْقِ[2] فيَلْقاهم ، فليس أحَدٌ مِن الخَلْقِ يَعْبُدُ مِن دونِ اللهِ شيئاً إلا وهو مرفوعٌ له يَتْبَعُه .

فيَلْقَى اليهودَ فيقول : ما كنتُم تَعْبُدون ؟ فيقولون : نَعْبُدُ عُزَيراً ، فيقول : هل يَسرُّكم الماءُ ؟ فيقولون : نَعَمْ ، فيُريهم جَهنَّمَ كهيئةِ السَّراب[3] ، ثم قرأ عبدُ الله : ﴿ وعَرَضْنَا جَهنَّمَ يومئذٍ للكافرين عَرْضاً ﴾[4] .

ثم يَلْقَى النَّصارى فيقول : ما كنتُم تَعْبُدون ؟ فيقولون : المَسيحَ ، فيقول : هل يَسرُّكم الماءُ ؟ فيقولون : نَعَمْ ، فيُريهم جَهنَّمَ كهيئةِ السَّراب . . .

---

(١) أي يَضعون أيديَهم على رُكَبِهم وهم قائمون . كما في « النهاية » لابن الأثير . وقد وقعتْ هذه الجملةُ في الكتب محرَّفةً تحريفاتٍ عجيبة !

(٢) أي يتجلّى لهم سبحانه .

(٣) السَّرابُ ما تراه في شِدَّة الحَرِّ على وجه الأرض كالماء .

(٤) من سورة الكهف : ١٠٠ .

ثم كذلك كلُّ مَنْ كان يَعبُدُ من دونِ الله شيئاً [١] ، ثم قرأ عبدُ الله : ﴿ وقِفُوهم إنَّهم مَسْئُولون ﴾ [٢] .

ثم يَتَمثَّلُ اللهُ تعالى للخَلْقِ حتى يَبقَى المسلمون فيَلْقَاهم ، فيقول : مَنْ تَعْبُدُون ؟ فيقولون : نَعْبُدُ اللهَ ولا نُشرِكُ به شيئاً ، فيَنْتَهِرُهم مرَّتين أو ثلاثاً فيقولُ : مَنْ تعبدون ؟ فيقولون : نعبُدُ اللهَ ولا نُشرِكُ به شيئاً ، فيقول : هل تَعرِفون ربَّكم ؟ فيقولون : سبحانه إذا تَعرَّفَ لنا عرَفناه [٣] ، فعند

---

(١) وفي حديث أبي هريرة عند البخاري ١٣ : ٣٥٧ ومسلم ٣ : ١٨ قولُه ﷺ : « يَجمَعُ اللهُ الناس يوم القيامة فيقول : من كان يَعبُدُ شيئاً فليَتْبَعه ، فيَتْبَع من كان يعبدُ الشمسَ : الشمس ، ويَتْبَعُ من كان يَعبُدُ القمرَ : القمر ، ويَتْبَعُ من كان يَعبُدُ الطواغيت : الطواغيتَ ، وتَبْقَى هذه الأمَّةُ فيها شافعوها » .

وفي حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري ١٣ : ٣٥٨ ومسلم ٣ : ٢٦ قولُه ﷺ : « ثم ينادي منادٍ : لِيَذْهَبْ كلُّ قومٍ إلى ما كانوا يعبدون ، فيذهب أصحابُ الصَّليب مع صليبهم ، وأصحابُ الأوثان مع أوثانهم ، وأصحابُ كلِّ آلهةٍ مع آلهتهم ، فلا يَبقَى أحَدٌ كان يَعبُدُ غيرَ الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلاَّ يتساقطون في النار » .

(٢) من سورة الصافات : ٢٤ .

(٣) أي إذا ظهر لنا على وجه لا يشبه المخلوقين ، في مُلكٍ لا ينبغي لغيره ، وعظمةٍ لا تشبه شيئاً من مخلوقاته : عرفناه أنه ربُّنا سبحانه ، فيتجلَّى لهم سبحانه ، فاذا تجلَّى فلا يَبقَى مؤمنٌ إلا خرَّ لله ساجداً .

ذلك يُكشَفُ عن ساق(١) ، فلا يبقى مؤمنٌ إلا خَرَّ لله ساجداً ،

---

(١) ساقُ الشيء : أصلُه . قال شيخنا الكوثري فيما علّقه على « دَفْع شُبْهَةِ التشبيه » لابن الجوزي ص ١٤ عند ذكر قوله تعالى : ﴿ يومَ يُكشَفُ عن ساقٍ ويُدْعَونَ إلى السُّجُود فلا يَستطيعون ﴾ . قال رحمه الله تعالى : « في محاسن التأويل للعلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى ١٦ : ٥٩٠٥ : قال أبو سعيد الضرير : أي يُكشَفُ عن أصْلِ الأمرِ . وساقُ الشيء أصلُه الذي به قِوامُه ، كساقِ الشجرة وساقِ الإنسان . أي تَظهَرُ يوم القيامة حقائقُ الأشياءِ وأصولُها . فالساقُ بمعنى أصلِ الأمر وحقيقتِه ، استعارةٌ من ساقِ الشجرة » . انتهى كلام شيخنا الكوثري .

وقال المفسِّرُ الآلوسي عليه الرحمة في « روح المعاني » ٩ : ١٤٦ « وقيل : ساقُ الشيء أصلُه الذي به قِوامُه ، كساق الشجرة وساق الإنسان ، والمرادُ يومَ يُكشفُ عن أصل الأمر فتَظهر حقائقُ الأمور وأصولُها بحيث تصيرُ عِياناً ، وإليه يُشير كلامُ الرَّبيع بن أنس ، فقد أخرج عَبْدُ بن حُمَيد عنه أنه قال : في ذلك اليوم يُكشَفُ الغِطاء ، وكذا أخرجه البيهقي عن ابن عباس أيضاً قال : حين يُكشَفُ الأمرُ وتبدو الأعمال » . انتهى .

فالمعنى هنا في كلام سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : فعند ذلك اليوم الذي يَلْقَى اللهُ فيه عبادَه جميعاً يُكشَفُ عن أصل الأمر وحقيقته فيهم ، فيَظهَرُ إيمانُ المؤمن على حقيقته ، ونِفاقُ المنافق على حقيقته ، وينتفي التدليسُ والخِداعُ الذي كان من المنافقين في الدنيا .

فلذا يَخِرُّ المؤمنون لله سُجَّداً كما كانوا يَسجُدون له في الدنيا ، ولا يَستطيعُ المنافقون السجودَ وقد كانوا في الدنيا يسجدون ولكنْ رياءً وسُمعة ! ذلك لأنَّ الآخرة دارُ الحقِّ ، لا يَقَعُ فيها إلا الحقُّ والصِّدقُ دون تلبيس أو تدليس .

=

ويَبقَى المنـافقون ظُهورُهم طَبَقٌ واحِدٌ [١] ، كأنَّما فيهـا السَّفَافيد [٢] ، فيقولون : ربَّنا ! فيقول : قد كنتُم تُدْعَون إلى السُّجود وأنتم سالمون .

ثم يأمُرُ الله سبحانه بالصراط [٣] ، فيُضرَبُ على جهنَّمَ ،

= وإنما بقي المنافقون مختلطين في ذلك اليوم بالمؤمنين ظناً منهم أنَّ نِفاقَهم يَبقَى مستوراً في الآخرة كما كان مستوراً في الدنيا ، وظناً منهم أنَّ تَستُّرَهم بالمؤمنين يَنفعُهم في دار الحقّ كما كان ينفعهم في دار الدنيا جهلاً منهم بحقيقةِ الآخرةِ والفرقِ ما بين الدَّارَيْن . ولقد ظَنُّوا أيضاً أنهم إذا تأخَّروا واستَبْقَوْا أنفسَهم مع المؤمنين الصادقين أفادهم ذلك بناءً على ما كانوا يُظهرونه في الدنيا ، فلمَّا امتحنهم الله بالسجود له سبحانه فما استطاعوا : تميَّزَ حينذاك الحقُّ من الباطل ، والمؤمنُ من المنافق ، والساجدُ من الجاحد . نسأل الله السلامة .

وفي « صحيح مسلم » ٣ : ٢٧ - ٢٨ من حديث أبي سعيد الخدري قولُه ﷺ : « فيُكشَفُ عن ساقٍ ، فلا يَبْقَى من كان يسجُدُ لله مِن تلقاءِ نفسه إلا أذِنَ اللهُ له بالسجود أي سَهَّلَ له وهَوَّنَ عليه - ولا يَبقَى مَنْ كان يَسجُدُ اتِّقاءً ورِياءً إلا جَعَلَ اللهُ ظهرَهُ طبقةً واحدةً ، كلَّما أراد أن يَسجُدَ خَرَّ على قَفَاه » .

(١) الطَّبَقُ : جمعُ طَبَقَةِ فَقَارِ الظهر أي تستوي فَقارُ ظهرهم فتصيرُ كالفَقَارةِ الواحدة فلا تَنْثني ظهورُهم ولا يقدرون على السجود .

(٢) هي جمعُ سَفُّود ، وهو الحديدة التي يُشوَى فيها اللَّحم .

(٣) أي يأمر اللهُ سبحانه أن يُضرَبَ الجِسْرُ على جهنَّم =

فيَمرُّ الناسُ بقَدْرِ أعمالِهم زُمَراً (١) ، أوائلُهم كلَمْحِ البَرْق، ثم كمَرِّ الرِّيح ، ثم كمَرِّ الطَّير ، ثم كأسرعِ البهائم ، ثم كذلك حتى يَمُرَّ الرجلُ سَعْياً (٢) ، حتى يَمُرَّ الرجلُ مَشْياً ، حتى يَجيءَ آخرَهم رَجُلٌ يَتلبَّطُ على بَطْنِه (٣) ، فيقول : يا ربِّ لِمَ أبطأتَ بي ؟ فيقول : لم أُبْطئ بك ، إنما أبطأ بك عَمَلُك !

ثم يأذَنُ اللهُ تعالى في الشَّفاعة ، فيكون أوَّلُ شافع رُوحَ القُدُسِ جبريلَ ، ثم إبراهيمَ خليلَ الله ، ثم موسى ، أو قال : عيسى ، ثم يقومُ نبيُّكم رابعاً (٤) ، لا يَشفَعُ أَحَدٌ بعده فيما يَشفعُ فيه وهو

= ليَعبُرَ المؤمنون عليه إلى الجنَّة . وفي حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري ١٣ : ٣٥٩ ومسلم ٣ : ٢٩ « قلنا : يا رسول الله وما الجسرُ ! قال : مَدْحَضةٌ مَزَلَّةٌ - أي تَزْلَقُ عليه الأقدام وتَزِلُّ - عليه خَطَاطيفُ وكلاليبُ وحَسَكٌ - شَوْكٌ صُلْبٌ من حديد - لها شوكة عَقيفَة - ملتوية - . فيَمُرُّ المؤمنون عليه كطَرْفِ العين ، وكالبَرْق، وكالرِّيح ، وكالطَّير ، وكأجاويد الخيل والرِّكاب ، فناجٍ مُسَلَّمٌ ، ومَخْدُوشٌ مُرسَلٌ - أي مُطلَقٌ من العذاب بعد أن أصابه - ومكدوسٌ - مدفوع مصروع - في نار جهنَّم » .

(١) أي جماعات . (٢) أي رَكْضاً .

(٣) أي يَتقلَّبُ على بطنه .

(٤) قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠ : ٣٣٠ « هذا مخالف للحديثِ الصحيح وقولِ النبي ﷺ : أنا أوَّلُ شافع » . =

المقامُ المحمود الذي وعَدَه الله تعالى : ﴿ عَسَى أَنْ يَبعثَكَ ربُّكَ مَقاماً محموداً ﴾ (١) .

فليس مِن نَفْسٍ إلا وهي تَنْظُرُ إلى بَيْتٍ في الجَنَّة ، وبَيْتٍ في النَّار ، وهو يومُ الحَسْرَة ! فيَرى أهلُ النار البيتَ الذي في الجَنَّة فيقال : لو عَمِلتُم ؟! فتأخُذُهم الحَسْرة ! ويُرَى أهلُ الجَنَّة البيتَ الذي في النَّار فيقال : لولا أَنْ مَنَّ الله عليكم (٢) .

ثم يَشفَعُ الملائكةُ والنَّبيّون والشُّهداء والصالحون

= وقال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١١ : ٣٦٩ عقب حديث ابن مسعود : « وهذا الحديث لم يُصرِّح برفعه ، وقد ضعَّفه البخاري » وقال : المشهورُ قولُه ﷺ : « أنا أوّلُ شافع » . ثم قال الحافظ ابن حجر : « وعلى تقدير ثبوته فليس في طُرُقه التصريحُ بأنه المقامُ المحمود » . انتهى .

قلت : في السياقة المذكورة التصريحُ بذكر المقام المحمود ، فالحقُّ ما قاله الإمام البخاري والحافظ الهيثمي .

(١) من سورة الإسراء : ٧٩ .

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يَدْخُلُ أحَدٌ الجَنَّةَ إلا أُرِيَ مَقْعدَهُ من النار - لو أساء - ليزداد شكراً . ولا يَدْخُلُ النارَ أحَدٌ إلا أُرِيَ مَقعدَهُ من الجنَّة - لو أحسن - ليكون عليه حسرة » . رواه البخاري ١١ : ٣٨٤ .

والمؤمنون فيُشفِّعُهم اللهُ تعالى .

ثم يقول الله: أنا أرحَمُ الراحمين، فيُخرِجُ من النّار أكثَرَ مما أخرَجَ من جميع الخلق برحمته، حتى لايَترُكَ فيها أحداً فيه خير [١].
ثم قرأ عبدُ الله : ﴿ ما سَلَكَكم في سَقَر ؟ قالوا : لم نَكُ من المُصلّين ! ولم نَكُ نُطعِمُ المِسكينَ ! وكُنّا نَخُوضُ معَ الخائضين ! وكُنّا نُكذِّبُ بيومِ الدّين ﴾ [٢] . فعقَدَ عبدُ الله بيده أربعاً ثم قال : هل تَرَوْنَ في هؤلاء أحداً فيه خير ؟ لا ، وما يُترَكُ فيها أحَدٌ فيه خير !

فاذا أراد اللهُ أن لا يُخرِجَ منها أحداً غَيَّرَ وجوهَهم وألوانَهم ، فيَجيء الرَّجُلُ من المؤمنين فيَشْفَع ، فيُقالُ له : من عَرَفَ أحداً فلْيُخرِجْهُ ، فيَجيء الرجلُ فيَنظُرُ فلايَعرِف أحداً ، فيُناديه الرجلُ فيقولُ : يافلانُ أنا فلان ، فيقول: ماأعرِفُك، فعند ذلك يقولون :﴿ربَّنا أخرِجْنا منها فانْ عُدْنا فانّا ظالمون﴾ [٣].

---

(١) أي إيمان ولو كحبَّة خردل . يَعني : يُخرج اللهُ من النار - بعد خروج الذين عُذّبوا فيها من المؤمنين بشفاعة الأنبياء والملائكة والصالحين . . . - كلَّ من كان في قلبه إيمانٌ بالله ولو كحبَّة خردل ، ولكن بعد أن يُصيبه من عذابِ جهنَّمَ ما يُصيبُه !
(٢) من سورة المدَّثر : ٤٢ - ٤٦ .
(٣) من سورة المؤمنون : ١٠٧ .

فيقول عند ذلك : ﴿ اخسَئُوا فيها ولا تُكلِّمُون ﴾[1] .فاذا قال ذلك أُطبقَتْ عليهم فلا يَخرُجُ منهم أحَد !

أخرجه ابن أبي شيبة وعَبْدُ بن حُمَيد وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصحَّحه ، والبيهقيُّ في البعث والنشور كما في « الدر المنثور » من سورة نون ، وصحَّحه الحاكم في « المستدرك » ولم يتكلَّم عليه الذهبيُّ في « تلخيص المستدرك » بشيءٍ سوى أنه من رواية أبي الزَّعْراء عبدِ الله بن هانئ ، ولم يُخرِج عنه الشيخان . انتهى . ولا شَكَّ أنَّ أبا الزَّعْراء ثقةٌ كما صَرَّح به في « التهذيب » وغيرِه ، فعدَمُ تخريجِهما عنه لا يَضُرُّ بصحَّةِ الحديث[2] .

---

(١) من سورة المؤمنون : ١٠٨ .

(٢) قلت : تعليقُ الذهبي هـذا على كلام الحاكم إنما علَّقه على سياقة الحاكم هـذه في كتاب الأهوال من « المستدرك » ٤ : ٥٩٨ ـ ٦٠٠ ، ولكنَّ الحاكم ساقه قبلَ ذلك في موضعين من كتاب الفتن ، ومن طريق أبي الزَّعْراء أيضاً ، مطوَّلاً كسياقة كتاب الأهوال في ٤ : ٤٩٦ ـ ٤٩٨ ، ومختصراً في ٤ : ٥٥٦ ، وقـال في كلا الموضعين : « هـذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » . وأقرَّه الذهبي فرمز إلى أنه على شرطهما ، فكأنَّ الذهبي جَنَح في هذين الموطنين إلى إقرار الحاكم ذهاباً منه إلى أن أبا الزَّعْراء ثقة فهو على شرطهما من حيث كونه ثقة وإن لم يُخرجا له ؟ =

. . . .

= وقال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١١ : ٣٢٠ بعد ذكره طرفاً من الحديث من رواية البيهقي من طريق أبي الزَّعْراء : « ورواتُه ثقات إلاَّ أنه موقوف » . وأمَّا قول ابن حجر في ١١ : ٣٦٩ « وقد ضعَّفَه البخاري . . . » كما سبق نَقْلُ عبارته في ص ٢٦٨ – فهو تضعيف في مقابل الأصحّ المشهور . وأورد المفسِّرُ القرطبي في تفسيره « الجامع لأحكام القرآن » ١٨ : ٢٥٠ طرفاً منه ثم قال : « ومعناه ثابت في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وغيره » .

أما مواضع الحديث فهي : الحاكم : ٤ : ٤٩٦ و٥٥٦ و٥٩٨ ، الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠ : ٣٢٨ عن الطبراني ، « الدر المنثور » ٦ : ٢٥٧ . وما سواها من الكتب غير مطبوع . وقد وقع فيه في الكتب المذكورة تحريفاتٌ كثيرة أشرتُ إلى بعضها وأغفلتُ باقيَها لكثرته وطوله فليُصحَّح عن هذا المكان . وكان هذا الحديث في ترتيب المؤلف الحديثَ : ٧٣ ، فأخَّرتُه إلى هنا وجعلتُه الحديثَ : ٧٥ ، وأتممتُه بطوله – وكان لا يجاوز ستة أسطر – : ليكون مِسْكَ الختام للأحاديث الشريفة التي أوردها المؤلِّف ، وخاصةً لما تضمَّنه من أحوال الآخرة والبعث والحشر والنشر والحساب .

نسألُ الله تعالى حُسْنَ الخاتمة في الدارين لنا ولسائر المسلمين .

تتمة واستدراك

جَمَعَ الإمامُ الكشميري رحمه الله تعالى في كتابه هذا من الأحاديث التي جاء فيها نُزولُ عيسى عليه السلام ما لم يجمعه غيرُه قبلَه، ومع هذا فقد فاتَه طائفةٌ من الأحاديث الواردة بذلك ، وقفتُ عليها أثناء تحقيق هذا الكتاب ، فرأيتُ إيرادَها هُنا استكمالاً للفائدة ، وعِوَضاً مِمَّا وقع فيه من بعضِ الأحاديث الموضوعة ، وهي أربعة أحاديث تقدَّمَتْ في ص ٢١٤ الحديث : ٤٢ ، وص ٢١٦ الحديث : ٤٣ ، وص ٢٢٦ الحديث : ٤٩ ، وص ٢٤٣ الحديث : ٦٠ . أما الحديث : ٥٢ فلا يَدخُلُ - على الظاهر - في نزول عيسى عليه السلام .

وإليك تلك الأحاديث المستدركة ، وهي أيضاً مما أخرجه المحدِّثون وسكتوا عليه ، وعِدَّتُها عشَرَةُ أحاديث .

الحديث : ١ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يَنزِلُ الدجَّالُ المدينة ، ولكنه بين الخَنْدَق . وعلى كلِّ نَقْبٍ منها ملائكةٌ يَحرُسُونها . فأوَّلُ من يَتْبَعُه النِّساءُ ، فيؤذُونه فيَرْجِعُ غضبانَ حتى يَنزِلَ الخَنْدَق ، فعندَ ذلك يَنزِلُ عيسى ابنُ مريم » . رواه الطبراني في « الأوسط » ، ورجالُه رجالُ الصحيح غير عُقْبة بن مُكْرَم بن عُقْبة الضَّبِّي ، وهو ثقة . قاله الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٧ : ٣٤٩ .

غريبُ ألفاظ الحديث : النَّقْبُ : طريقٌ بين جبَلين . وقوله : « فيؤذونه » أي يؤذيه الناسُ المؤمنون . ووقع في كتابَيْ شيخنا الغماري : « إقامة البرهان » ص ٢٧ ، و « عقيدة أهل الإسلام » ص ٩٢ :

(فيؤذينه) . وهو تحريف . وقال شيخُنا : « وقولُه : فعند ذلك ينزل عيسى ، أي عند نزول الدجّال الخندق مع توجهه لحصار المسلمين وشروعه فيه ، كما جاء في الروايات الأخرى ، والأحاديثُ يفسّرُ بعضُها بعضاً » .

الحديث : ٢ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ وإنّه لَعَلَمٌ للسّاعةِ ﴾ قال : « نزولُ عيسى ابنِ مريم قبلَ يوم القيامة » . رواه ابنُ حِبّان في « صحيحه » عن أبي يحيى مَولى ابن عَفْراء عن ابن عباس . نقله شيخنا الغُماري في « عقيدة أهل الإسلام » ص ١٠٧ .

الحديث : ٣ عن نافع بن كَيْسَان رضي الله عنهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « يَنزِلُ عيسى ابنُ مريم عند بابِ دمشق الشرقيّ» . أورده ابن أبي حاتم الرازي في « الجرح والتعديل » ٣ ق ٢ ص ١٦٥ في ترجمة (نافع بن كيسان) دون سند . ورواه الحافظ ابن حجر في « الإصابة » في ترجمته أيضاً ٦ : ٢٢٧ من طرق متعدّدة ولكن فيها مجاهيل ، ثم هو لفظ فيه نكارةٌ مخالفٌ للروايات القائلة : « شَرْقيَّ دمشق » .

الحديث : ٤ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَنزلُ عيسى ابنُ مريم ، فيقول أميرُهم المَهديُّ : تعالَ صَلِّ بنا ، فيقول : لا ، إنّ بعضكم على بعض أُمَراءُ تَكرِمةَ الله لهذه الأُمّة » . أخرجه أبو نُعَيم في « أخبار المهدي » كما في « الحاوي » للسيوطي في رسالة « العَرْف الوَرْدي في أخبار المَهْدي » ٢ : ٦٤ . ووقع في « الحاوى » وفي « إقامة البرهان » ص ٤٠ : (فيقول : ألا وإنّ بعضكم ...) ، وهو تحريف .

تتمة واستدراك

الحديث : ٥ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي تقاتِلُ على الحقّ حتى يَنزِلَ عيسى ابنُ مريم عند طُلوعِ الفجر ببيتِ المقدس ، يَنزِلُ على المهديّ فيقال : تقدَّمْ يا نبيَّ الله فصَلِّ بنا ، فيقول : هذه الأُمَّةُ أمراءُ بعضُهم على بعض » . أخرجه أبو عَمْرو الداني في « سننه » كما في « الحاوي » للسيوطي في رسالة « العَرْف الوَرْدي » ٢ : ٨٣ .

الحديث : ٦ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزالُ أُمَّتي ظاهرين على الحقّ حتى ينزلَ عيسى ابنُ مريم ، فيقولُ إمامُهم : تقدَّمْ فيقول : أنتَ أحقُّ ، بعضُكم أمراءُ على بعض ، أمْرٌ أكرمَ به هذه الأُمَّة » . أخرجه أبو يعلى، أورده شيخنا الكشميري في « إقامة البرهان » ص ٤٠ .

الحديث : ٧ عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يلتفت المهديُّ وقد نَزَلَ عيسى ابنُ مريم ، كأنما يَقْطُرُ مِن شعره الماء ، فيقولُ المهديُّ : تقدَّمْ صَلِّ بالناس ، فيقول عيسى : إنما أُقيمَتْ الصلاةُ لك فيُصلّي خلْفَ رجلٍ مِن وَلَدي » الحديث . أخرجه أبو عَمْرو الداني في « سننه » كما في « الحاوي » للسيوطي في رسالة « العَرْف الوَرْدي » ٢ : ٨١ .

الحديث : ٨ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « بيْنَ أُذنَيْ حمار الدجّال أربعون ذراعاً » ، فذكَرَ الحديثَ إلى أن قال : « وينزِلُ عيسى ابنُ مريم فيَقتُلُه فيتمتّعون أربعين سنةً لا يموتُ أحد ، ولا يَمرضُ أحد . ـــــــــــ =

ويقول الرجلُ لغنمه ولدَوابّه : اذهبوا فارْعَوا ، وتمرُّ الغنمة بين الزَّرْعين لا تأكل منه سُنْبلة ، والحيّاتُ والعقاربُ لا تؤذي أحداً ، والسَّبُعُ على أبواب الدُّور لا يُؤذي أحداً . ويأخذُ الرجلُ المُدَّ من القَمْح فيَبْذُره بلا حَرْث فيَجيء منه سبعُمائةِ مُدّ ..

فيَمكثون في ذلك حتى يُكسَرَ سَدُّ يأجوج ومأجوج ، فيَموجون ويُفسدون في الأرض ، فيَبعثُ اللهُ دابّةً من الأرض فتَدخلُ آذانَهم فيُصبحون مَوْتَى أجمعين ، وتُنتِنُ الأرضُ منهم فيُؤذون الناسَ بنَتْنهم فيَستغيثون بالله ، فيَبعثُ اللهُ ريحاً يمانيّةً غبراءَ ، ويَكشف ما بهم بعد ثلاثٍ وقد قُذفَتْ جيفَهُم في البحر ، ولا يَلبثون إلا قليلاً حتى تَطلُعَ الشمسُ من مغربها » . أخرجه الحاكم في « المستدرك » ، كذا في « الحاوي » للسيوطي في رسالة « الكشف عن مجاوزة هذه الأُمّة الألف » ٢ : ٨٩ . ولكني لم أره في « المستدرك » وقد نظرت فيه كتاب التفسير وكتاب الفتن وكتاب الأهوال ، فلعلّه في غيرها ؟

الحديث : ٩ عن أبي الدَّرْداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خير أُمّتي أوّلُها وآخِرُها ، وفي وَسَطِها الكَدَر ، ولن يُخزِيَ اللهُ أُمّةً أنا أوّلُها ، والمَسيحُ آخِرُها » . أخرجه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول ». ذكره شيخنا النُّهاري في « إقامة البرهان » ص ٦٦ وقال : « إسنادُه ضعيف كما قال المُناوي » . انتهى .

قلتُ : الذي في « نوادر الأصول » للحكيم الترمذي ص ١٥٦ من حديث أبي الدَّرْداء ينتهي عند قوله : « وفي وَسَطِها الكَدَر ». وعلى هذا فليس في الحديث ذكرُ نزولِ عيسى عليه السلام . أما الجملةُ التي بعده فقد أوردها الحكيم الترمذي في الصفحة نفسها عقب حديثِ عبد الرحمن

تتمة واستدراك

ابن سَمُرة المتقدِّم ، وهو الحديث : ٤٠ ص٢١١ - ٢١٣ على أنها روايةٌ من رواياته . فان كان شيخنا حفظه الله اعتمد في سياقته هـذه على هذا من كتاب الحكيم الترمذي فيكون قـد وَهِم ، وإن كان رأى الحديثَ بهذه السياقة في موطن آخر فمَنْ حَفِظَ حُجَّةٌ على من لم يَحفظ . وقـد تقدَّمَتْ هذه الجملةُ في حديث عبد الرحمن بن نُفَير المذكور تعليقاً ص ٢١٣ عن « مستدرك الحاكم » فانظرها .

الحديث : ١٠ عن عَمْرو بن عوف المُزَني رضي الله عنه قال : غَزَوْنَا مع رسول الله ﷺ أوّلَ غَزْوَةٍ غزاها : الأَبْوَاءَ ، حتى إذا كُنَّا بالرَّوْحاء نَزَل بعِرْقِ الظُّبْيَة فصلَّى ثم قال : هل تَدرون ما اسْمُ هذا الجَبَل ؟ - يعني : وَرْقان - قالوا : اللهُ ورسولُه أعلم ، قال : هذا حَمْتٌ ، هذا جَبَلٌ من جبال الجنَّة . اللهم بارك فيه ، وبارك لأهله فيه ، ثم قال : تَدْرون ما اسْمُ هـذا الوادي - يعني : واديَ الرَّوْحاء - ؟ هذه سَجَاسِجُ ، وإنَّها وادٍ من أودية الجَنَّة .

لقد صلَّى في هذا المسجد - أي مسجد عِرْق الظُّبْيَة - قَبْلي سبعون نبيّاً ، ولقد مَرَّ بهـا - أي بالرَّوحاء - موسى عليه عَباءَتَانِ قَطَوانيَّتان ، على ناقةٍ وَرْقَاء ، في سبعين ألفاً من بني إسرائيل حاجِّينَ البيتَ العتيق . ولا تقوم السَّاعةُ حتى يَمُرَّ بها - أي بالرَّوْحاء - عيسى عبدُ الله ورسولُه حاجّاً أو معتمراً ، أو يَجمعُ اللهُ له ذلك » .

أورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٦ : ٦٨ وقال : « رواه الطبراني من طريق كَثِير بن عبد الله المُزَني ، وهو ضعيفٌ عند الجمهور وقد حسَّنَ الترمذيُّ حديثَه ، وبقيَّةُ رجاله ثقات » . انتهى .

قلت : رَدَّ الحافظُ الذهبيُّ تحسينَ الترمذي هذا في « ميزان

الاعتدال » ٢ : ٣٥٤ فقال بعد أن أوردَ طُعُونَ العلماء الكثيرة في كثير : « وأمَّا الترمذيُّ فرَوَى من حديثه : « الصُّلحُ جائزٌ بين المسلمين » وصحَّحَه ! فلهذا لا يَعتمدُ العلماءُ على تصحيح الترمذي . وقال ابنُ عَدِيّ : عامَّةُ حديثه لا يُتابَعُ عليه » . ثم ساق الذهبيُّ من طريق ابن عَدِيّ الحديثَ المذكور كنموذجٍ من غرائب كثير .

ورواه أبو نُعَيم في « الحلية » ٢ : ١٠ بنحو هذا اللفظ مختصراً ، وبسند فيه : كثير ، وفيه : أحمدُ بن سهل الأهوازي ، وهو صاحب غرائب ومناكير ، كما تراها في ترجمته في « لسان الميزان » لابن حجر ١ : ١٨٤ ، وفيه أيضاً : إسماعيلُ بن أبي أُوَيس ، وله غرائبُ أيضاً . فالحديثُ ضعيفُ الإسناد . وقد أورده السيد السَّمْهوديُّ في « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » ﷺ عند كلامه على (مسجد عِرْقِ الظُّبْيَة) ٢ : ١٦٧ . وجمعتُ بين ألفاظ روايته ورواية الحافظ الهيثمي ، وما تراه مُدرَجاً بين المعترضتين هو من كتاب السمهودي أيضاً .

أما غريبُ ألفاظ الحديث فهي : غَزْوةُ الأبواء ، وهي غزوةُ وَدَّان ، وكانت على رأسِ سَنَةٍ من مقدَمه ﷺ للمدينة . والرَّوْحاء : مكان في طريق النبي ﷺ من المدينة إلى بَدْر ، كما تقدَّم تعليقاً في ص ١٠٠ . وعِرْقُ الظُّبْيَة هي من الرَّوْحاء على ثلاثة أميال مما يلي المدينة كما في « معجم البلدان » لياقوت ٦ : ٨٣ « وقال : « وبعِرْقِ الظُّبْيَة مسجدٌ للنبي ﷺ » .

وحَمْتُ بحاء مهملة ثم ميم ثم تاء مبسوطة ، وبوزن بَيْت كما ضبطه البكريُّ في « معجم ما استعجم » ٢ : ٤٦٨ ، وقال ياقوت في « معجم البلدان » في (قدس) ٧ : ٣٥ « بالحجاز جبلان يقال لهما :

تتمة واستدراك

القُدْسَانِ : قُدْسٌ الأبيضُ ، وقُدْسٌ الأسودُ ، وهما عند وَرْقَان ، فأما الأبيضُ ... وأمّا قُدْسٌ الأسودُ فيَقطعُ بينه وبين وَرْقَان عَقَبَةٌ - أي جَبَلٌ - يقال لها : حَمْتٌ » . انتهى .

وقد وقعَتْ هذه الكلمةُ : (حَمْتٌ) في « ميزان الاعتدال » ٢ : ٣٥٥ محرَّفةً إلى (رحمة) ، فتَجنَّبَها شيخُنا النبهاريُّ وأثبتَها في كتابه « إقامة البرهان » ص ٦٤ : (رَجْمَة) ! وقال : « رجمة بالجيم هو الحجارة ، ووقع في ميزان الذهبي : رحمة ، وهو تصحيف » . انتهى . قلتُ : فَرَّ شيخُنا سلَّمه الله من الرحمة إلى الرجمة ولم يَسلم من التصحيف ! ولو فَرَّ إلى (حَمْتٍ) جَبَلٍ من جبال الجنَّة لَسلِمَ ونجا .

والسَّجاسِجُ : جمعُ سَجْسَجٍ ، وهي الأرضُ ليست بصُلْبة ولا سَهْلة .

وقَطَوانِيَّتانِ : مثنّى قَطَوانيَّةٍ ، وهي عباءةٌ بيضاءُ قصيرةُ الخَمْل .

وناقةٌ ورقاءُ : يُخالط بياضَها سواد .

آثار الصحابة والتابعين

١

الأثر ٧٦ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وإنْ مِن أهْلِ الكتاب إلا لَيُؤْمِنَنَّ به قبلَ موته ﴾ [١] . قال : خُروجُ عيسى ابن مريم . أخرجه الفِرْيابي وعبدُ بن حُمَيد والحاكم وصحَّحه كما في « الدر المنثور » [٢] .

٢

الأثر ٧٧ عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وإنْ مِن أهلِ الكتاب إلا لَيُؤْمِنَنَّ به قبلَ موتهِ ﴾ . قال : قبلَ موتِ عيسى . أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم من طُرُق كما في « الدر المنثور » [٣] .

٣

الأثر ٧٨ عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله

---

(١) من سورة النساء : ١٥٩ .

(٢) مواضع الأثر : الحاكم ٢ : ٣٠٩ ، « الدر المنثور » ٢ : ٢٤١.

(٣) مواضع الأثر : ابن جرير : ٦ : ١٤ ، « الدر المنثور » ٢ : ٢٤١ .

تعالى : ﴿وإنْ مِن أهلِ الكتاب إلا ليُؤْمِنَنَّ به قَبْلَ مَوْتِه﴾. قال : يعني أنه سيُدرِكُ أناسٌ من أهل الكتاب حين يُبعَثُ عيسى ، فيُؤمنون به . أخرجه ابن جرير كما في « الدر المنثور »[1] .

٤

الأثـر ٧٩ عن محمد بن علي بن أبي طالب وهو ابنُ الحَنَفيَّة رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وإن مِن أهلِ الكتاب إلا ليَؤْمِنَنَّ به قبلَ موتِه ﴾ . قال : ليس مِن أهلِ الكتاب أحَدٌ إلا أتَتْهُ الملائكةُ يَضرِبون وجْهَهُ ودُبُرَه ، ثم يقالُ : يا عَدُوَّ الله إنَّ عيسى : رُوحُ الله وكَلِمَتُه ، كذَبْتَ على الله وزعَمْتَ أنه الله . إنَّ عيسى لم يَمُتْ ، وإنه رُفِعَ إلى السَّماء ، وهو نازلٌ قبلَ أن تقومَ الساعة ، فلا يَبقَى يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ إلا آمَنَ به . أخرجه عبدُ بن حُمَيد وابن المنذر عن شَهْر بن حَوْشَب عن محمد بن علي كما في « الدر المنثور »[2] .

٥

الأثـر ٨٠ عن شَهْر بن حَوْشَب رحمه الله تعالى

---

(١) مواضع الحديث : ابن جرير ٦ : ١٤ ، « الدر المنثور » ٢ : ٢٤١ .   (٢) : ٢ : ٢٤١ .

قال : قال لي الحجَّاجُ : يا شَهْرُ آيةٌ من كتاب الله ما قرأتُها إلا اعتَرضَ في نفسي منها شيء ، قال الله تعالى : ﴿ وإنْ مِن أهْلِ الكتاب إلا لَيُؤْمِنَنَّ به قبلَ موتِه ﴾ ، وإني أُوتَى بالأَسارَى فأضْرِبُ أعناقَهم ولا أَسمعُهم يقولون شيئاً ؟ فقلتُ : رُفِعَتْ إليك على غيرِ وجهها .

إنَّ النَّصراني إذا خَرجَتْ رُوحُه ضَربَتْهُ الملائكةُ مِن قُبُلِه ودُبُرِه وقالوا : أيْ خَبيثُ[1] إنَّ المَسيحَ الذي زعمتَ أنه اللهُ أو ثالثُ ثلاثة : عبدُ اللهِ ورُوحُه ، فيُؤمِنُ به حين لا يَنفعُهُ الإيمانُ .

وإنَّ اليهوديَّ إذا خرجَتْ نَفْسُه ضَربَتْهُ الملائكةُ مِن قُبُلِه ودُبُرِه وقالوا : أيْ خبيثُ إن المَسيحَ الذي زَعمْتَ أنك قَتَلْتَه : عبدُ الله ورُوحُه : فيُؤمِنُ به حينَ لا يَنفعُهُ الإيمان .

فاذا كان عندَ نُزولِ عيسى آمنَتْ به أحياؤهم كما آمنَتْ به مَوْتاهم . فقال : مِن أينَ أخذتَها ، فقلت : مِن محمد بن عليّ ، قال : أخذتَها مِن مَعْدِنِها . قال شَهْرٌ : وأيمُ اللهِ[2] ما حدَّثَنيه

---

(١) : يا خبيث .   (٢) أي أقسمُ بالله .

إلا أمُّ سَلَمة ، ولكني أحبَبْتُ أن أَغيظَه [١] ، أخرجه ابن المنذر كما في « الدر المنثور » [٢] .

الأثـر ٨١/٦ عن قتادة [٣] في قوله تعالى : ﴿ وإنْ مِنْ أهلِ الكتاب إلا لَيُؤْمِنَنَّ به قبلَ موتِه ﴾ . قال : إذا نَزَلَ آمنَتْ به الأديانُ كلُّها ، ويومَ القيامة يكون عليهم شهيداً أنه قد بَلَّغَ رسالةَ رَبِّه ، وأقَرَّ على نفسِهِ بالعُبوديَّة . أخرجه عبد الرزاق وعبدُ بن حُمَيد وابن جرير وابن المنذر كما في « الدر

---

(١) أي بذكر سيدنا علي ووَلدِه محمد بن الحنفية ، لأنَّ الحجّاج كان يُبْغِضُ عليّاً وأولاده رضي الله عنهم بغضاً شديداً . وقصَدَ شهْرُ بمن أخذها منه : مَنْ فسَّرها هذا التفسير وهو محمد بن علي ، وإن كان هو قد سمعها من أمّ سَلَمة . (٢) : ٢ : ٢٤١ .

(٣) هو قتادة بن دِعامة السَّدُوسِيُّ البصري التابعيُّ الجليل . وُلِدَ أعمى ، وكان آيةً في الحفظ لما يسمعُ يحفظُه من مرَّة واحدة . ذُكِرَ عند الإمام أحمد بن حنبل فأطنَبَ في علمه وفقهه ومعرفته بالاختلاف والتفسير ، ووَصَفَه بالحفظ والفقه وقال : قلَّما تجدُ مَنْ يتقدَّمُه ، أمَّا مثلَه فلعلَّ ؟ وقال ابنُ حِبَّان في كتابه « الثقات » : كان من علماء الناس بالقرآن والفقه ، ومِن حُفَّاظ أهل زمانه مات بواسط سنة ١١٧ من الهجرة رحمه الله تعالى . انتهى ملخَّصاً من ترجمته في « تهذيب التهذيب » للحافظ ابن حجر ٨ : ٣٥١ - ٣٥٦ .

المنثور » [١]

الأثـــر $\frac{٧}{٨٢}$ عن ابن زيد [٢] في قوله تعالى : ﴿ وإنْ مِن أهلِ الكتاب إلا لَيُؤْمِنَنَّ به قبلَ موتِه ﴾ . قال : إذا نَزَلَ عيسى عليه السلام فقَتَلَ الدجّالَ لم يَبقَ يهوديٌ في الأرض إلا آمَنَ به . أخرجه ابن جرير [٣] .

الأثـــر $\frac{٨}{٨٣}$ عن أبي مالك [٤] في قوله تعالى : ﴿ وإنْ مِن أهلِ الكتاب إلا لَيُؤْمِنَنَّ به قبلَ موتِه ﴾ . قال : ذلك عند نُزولِ عيسى ابن مريم لا يَبقَى أحَدٌ مِن أهلِ الكتاب إلا آمَنَ به . أخرجه ابن جرير [٣] .

الأثـــر $\frac{٩}{٨٤}$ عن الحسن البصري في قـوله تعـالى :

---

(١) مواضـع الأثر : ابن جرير ٦ : ١٤ ، « الدر المنثور » ٢ : ٢٤١ .

(٢) هو محمـد بن زيد بن المهاجر المدني التابعي الجليل ، شيخ مالك والزهري رحمه الله تعالى .   (٣) : ٦ : ١٤ .

(٤) هو أبو مالك الغِفَاري ، واسمُه : غَزْوَان ، تابعي جليل كوفي رحمه الله تعالى .

﴿ وإنْ مِن أهلِ الكتابِ إلا ليُؤْمِننَّ به قبلَ موتِه ﴾ . قال : قبلَ موتِ عيسى ، واللهِ إنه الآن لحيٌّ عندَ الله ، ولكن إذا نزَل آمنوا به أجمعون . أخرجه ابن جرير (١) .

١٠

الأثر ٨٥ عن الحسن أيضاً أن رجلاً سأله عن قوله تعالى : ﴿ وإنْ مِن أهلِ الكتابِ إلا ليُؤْمِننَّ به قبلَ موتِه ﴾ . قال : قبلَ موتِ عيسى ، إنَّ الله رفَعَ إليه عيسى ، وهو باعثُه قبلَ يوم القيامة مقاماً يؤمنُ به البَرُّ والفاجر . أخرجه ابن أبي حاتم كما في « الدر المنثور » (٢) .

١١

الأثر ٨٦ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : لمَّا أرادَ اللهُ أن يرفَع عيسى إلى السَّماء خرَجَ إلى أصحابه وفي البيت اثنا عشَرَ رجلاً من الحواريِّين ، فخرَجَ عليهم مِن عيْنٍ في البيت ورأسُهُ يَقْطُرُ ماءً ، فقال : إنَّ منكم مَنْ يكفُرُ بي اثنتَيْ عَشْرَةَ مرَّةً بعد أن آمَنَ بي .

ثم قال : أيُّكم يُلقَى عليه شَبَهِي فيُقتَلَ مكاني ويكون معي في درَجتي (٣) ؟ فقام شابٌّ مِن أحْدَثِهم سِنّاً ، فقال له :

(١) ٦ : ١٤ . (٢) ٢ : ٢٤١ .
(٣) في رواية : ويكون رفيقي في الجنَّة

اجلِسْ ، ثم أعادَ عليهم فقامَ الشابُ فقال : اجلِسْ ، ثم أعاد فقام الشابُ فقال : أنا ، فقال : أنتَ ذاكَ ، فأُلقِيَ عليه شَبَهُ عيسى ، ورُفِعَ عيسى من رَوْزَنَةٍ (١) في البيت إلى السَّماء .

وجاء الطَّلَبُ من اليهود ، فأخذوا الشَّبَهَ فقتَلُوه ثم صَلَبوه ، وكَفَر بعضُهم اثنتي عَشْرَةَ مرَّةً بعد أن آمَنَ به . وافترقوا ثلاثَ فِرَق .

فقالتْ فِرْقةٌ : كان اللهُ فينا ما شاء ثم صَعِدَ إلى السَّماء ، فهؤلاء اليَعْقُوبيَّة . وقالت فِرْقةٌ : كان فينا ابنُ الله ما شاء ، ثم رفَعَهُ الله إليه ، وهؤلاء النَّسْطُوريَّة . وقالت فِرْقة : كان فينا عبدُ الله ورسولُه ، وهؤلاء المسلمون .

فتظاهرَتْ الكافرتانِ على المُسْلِمة فقتَلُوها ، فلم يزَلْ الإسلامُ طامِساً حتى بعَثَ اللهُ محمداً ﷺ ، فأنزلَ اللهُ : ﴿ فآمنَتْ طائفةٌ من بَنِي إسرائيل ﴾ (٢) . يعني الطائفةَ التي آمنَتْ في زمنِ عيسى ، ﴿ وكفرَتْ طائفةٌ ﴾ (٢) . يعني التي كفرَتْ

---

(١) هي الخَرْقُ في أعلى السَّقْف .

(٢) من سورة الصَّفّ : ١٤ .

في زمن عيسى ، ﴿ فأيَّدْنا الذين آمَنُوا ﴾ (١) . في زمنِ عيسى باظهار دِينِ محمَّدٍ دِينَهم على دينِ الكافرين . أخرجه عبدُ بن حُمَيد والنَّسائي وابن أبي حاتم وابن مَرْدُويَه كما في « الدر المنثور » (٢) .

١٢

الأثـــر ٨٧ عن قتادة في قوله تعـالى : ﴿ وقَولِهِم إنَّا قتَلْنا المَسيحَ عيسى ابنَ مريم رَسُولَ الله ، وما قتَلُوه وما صَلَبُوه ولكنْ شُبِّهَ لهم ، وإنَّ الذين اختَلَفُوا فيه لَفِي شَكٍّ منه ما لَهُمْ به مِن علمٍ إلا اتِّباعَ الظَّنِّ وما قتَلُوه يَقيناً (٣) . بل رفَعَهُ اللهُ إليه وكان اللهُ عزيزاً حكيماً ﴾ (٤) . قال : أُولئك أعداء الله اليهودُ افتخروا بقتْلِ عيسى ، وزعموا أنهم قتلوه وصَلَبُوه .

---

(١) من سورة الصَّفّ : ١٤ .

(٢) : ٢ : ٢٣٨ . وقال الحافظ ابن كثير في « تفسيره » ١ : ٥٧٤ بعد أن ساق هذا الأثر عن ابن أبي حاتم بسنده إلى ابن عباس : « وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى ابن عباس ، ورواه النَّسائي بنحوه » . انتهى . وكان هذا الأثر في الأصل مقتصَراً فيه على موضع الشاهد فأتممتُه بطوله .

(٣) قال الحافظ ابن كثير في « تفسيره » ١ : ٥٧٤ « يَعني بذلك مَنْ ادَّعى أنه قتَلَه من اليهود ومَنْ سلَّمه إليهم من جُهَّال النصارى كلُّهم في شكٍّ من ذلك وحَيْرةٍ وضلالٍ وسُعُر ، ولهذا قال : ﴿ وما قتَلُوه يقيناً ﴾ أي وما قتلوه متيقِّنين أنه هو ، بل شاكِّين متوهِّمين » .

(٤) من سورة النساء : ١٥٧ – ١٥٨ .

وَذُكِرَ لنا أنه قال لأصحابه : أيُّكم يُقْذَفُ عليه شَبَهِي فانه مقتول ؟ قال رجل من أصحابه : أنا يانَبِيَّ الله ، فقُتِل ذلك الرَّجُلُ ، ومَنَعَ اللهُ نَبِيَّهُ ورَفَعَهُ إليه . أخرجه عبدُ بن حُمَيد وابن جرير وابن المنذر كما في « الدر المنثور »[(١)] .

الأثر $\frac{١٣}{٨٨}$ عن مجاهد[(٢)] في قوله تعالى : ﴿ ولكنْ شُبِّهَ لَهُم ﴾ . قال : صَلَبُوا رجلاً غيرَ عيسى ، شَبَّهُوه بعيسى يَحسبونَه إياه ، ورَفَعَ اللهُ إليه عيسى حَيّاً . أخرجه عبدُ بن حُمَيد وابن جرير وابن المنذر كما في « الدر المنثور »[(٣)] .

الأثر $\frac{١٤}{٨٩}$ عن أبي رافع[(٤)] قال : رُفِعَ عيسى ابنُ

---

(١) مواضع الأثر : ابن جرير ٦ : ١١ - ، « الدر المنثور » ٢ : ٢٣٨ .

(٢) هو الإمام مجاهد بن جَبْر المكيّ التابعيّ الجليل : أعلمُ التابعين بالتفسير وحاوي علم ابن عباس ، توفي بمكة سنة ١٠٢ أو ١٠٣ رحمه الله تعالى .

(٣) مواضع الأثر : ابن جرير ٦ : ١٢ ، « الدر المنثور » ٢:٢٣٨.

(٤) هو أبو رافع نُفَيع بن رافع الصّائغُ المَدَنيّ ، نَزيلُ البصرة ، وأحَدُ كبارِ التابعين وعلمائِهم الأجلّة الثقات رحمه الله تعالى.

مريم وعليه مِدْرَعةٌ وخُفَّا راعٍ وحذّافةٌ يَحْذِف بها الطَّيْرَ [١] . أخرجه عبد الرزاق وأحمد في « الزُّهد » وابن عساكر من طريق ثابت البُنَاني كما في « الدر المنثور » [٢] .

١٥

الأثر ٩٠ عن أبي العالية [٣] قال : ما تَرَكَ عيسى ابنُ مريم حين رُفِعَ إلا مِدْرَعةَ صُوفٍ وخُفَّيْ راعٍ وحذّافةَ يَحذِفُ بها الطَّيْر [١] . أخرجه أحمد في « الزهد » وأبو نعيم وابن عساكر من طريق ثابت البُنَاني كما في « الدر المنثور » [٤] .

١٦

الأثر ٩١ عن عبد الجبَّار بن عُبَيْد الله بن سليمان [٥]
قال : أقبلَ عيسى ابنُ مريم على أصحابه لَيْلَةَ رُفِعَ فقال : لا

---

(١) المِدْرَعَة : ثوبٌ لا يكون إلا من صُوف . والحذّافَةُ : آلةٌ يُرمَى بها الطَّيرُ ويُصاد . والخُفَّان تثنية خُفّ وهو الحِذاء المعروف . (٢) : ٢ : ٢٣٩ .

(٣) هو أبو العالية رُفَيْع بن مِهْران الرِّيَاحِيّ البصري ، التابعيُّ الجليل الثقة ، أعلمُ الناس بعد الصحابة بالقراءة ، توفي سنة ٩٣ رحمه الله تعالى . (٤) : ٢ : ٢٣٩ .

(٥) ويُكنى : أبا عبد ربِّه ، تابعي دمشقي زاهد ثقة ، مات سنه ١١٢ رحمه الله تعالى .

تأكلُوا بكتاب الله أجْراً ، فانكم إنْ لم تَفعلوا [١] أقعدَكم اللهُ على منابرَ الحَجَرُ منها خيرٌ من الدُّنيا وما فيها ، قال عبدُ الجبَّار : وهي المقاعِدُ التي ذَكَرَ اللهُ تعالى في القرآن : ﴿ في مَقْعَدِ صِدْقٍ [٢] عِندَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ [٣] . ورُفِعَ عليه السلام . أخرجه ابن عساكر كما في « الدر المنثور » [٤] .

١٧
الأثر ٩٢ عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وإنَّهُ لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ ﴾ [٥] . قال : خُروجُ عيسى

---

(١) أي إن لم تأكلوا بكتابِ الله .

(٢) قال الحافظ ابن كثير في « تفسيره » ٤ : ٢٦٩ « أي في دار كرامة الله ورضوانه » .

(٣) من سورة القمر : ٥٥ .

(٤) ٢ : ٢٣٩ .

(٥) أي إنَّ سيدنا عيسى عليه السلام - والمرادُ نزولُه - أمارَةٌ وعلامةٌ على قُربِ وقوعِ الساعة . والآية المذكورة من سورة الزُّخْرُف : ٦١ . وهذه قراءةُ ابن عباس وأبي هريرة وأبي العالية وأبي مالك وعِكرِمة والحسن وقتادة والضحَّاكِ وغيرِهم كما في « تفسير ابن كثير » ٤ : ١٣٢ ، وهي قراءة الأعمش من القُرَّاء أصحاب القراءات كما في « إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر » للدمياطي ص ٣٨٦ . وقراءةُ الجمهور : ﴿ وإنَّهُ لَعِلْمٌ للسَّاعة ﴾ . وفي هذه القراءة أيضاً الضميرُ عائد إلى عيسى عليه السلام . والمرادُ أن عيسى عليه السلام بحُدوثِه من غير أب وباحيائِه الموتى : يَكفي دَليلاً على صحَّةِ البَعْث وإعادةِ الخلق يوم القيامة .

عليه السلام قبلَ يوم القيامة . أخرجه الفِرْيابي وسعيد بن منصور ومُسَدَّد وعبدُ بن حُميد وابن جرير وابن أبي حاتم والطَّبراني من طُرُق كما في « الدر المنثور »[١] .

١٨

الأثر ٩٣ عن الحسن البصري في قوله تعالى : ﴿ وإنَّه لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ ﴾ قال : نُزولُ عيسى . أخرجه عبدُ بنُ حُمَيد وابنُ جرير كما في « الدر المنثور »[٢] .

١٩

الأثر ٩٤ عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ وإنَّه لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ ﴾ . قال : نُزولُ عيسى عليه السلام عَلَمٌ للساعة ، وناسٌ يقولون : إن القرآنَ عَلَمٌ للسَّاعَة[٣] . أخرجه عبد الرزاق

---

(١) مواضع الأثر : ابن جرير ٢٥ : ٥٤ ، « مجمع الزوائد » للهيثمي ٧ : ١٠٤ عن الطبراني ، « الدر المنثور » ٦ : ٢٠ .

(٢) مواضع الأثر : ابن جرير ٢٥ : ٥٤ ، « الدر المنثور » ٦ : ٢٠ .

(٣) وذلك لأنه يَدُلُّ على قُرب مجيء الساعة ، أو به تُعلَمُ السَّاعةُ وأهوالُها وأحوالُها . ولكن هذا التفسير رَدَّهُ الحافظ ابن كثير في « تفسيره » ٤ : ١٣٢ إذْ لا ذِكْرَ للقرآن في الآية ، وقال : « بل الصحيحُ أن الضمير في ﴿ وإنَّهُ ﴾ عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام فانَّ السِّياق في ذِكره » .

وعبدُ بن حُمَيد وابن جرير كما في « الدر المنثور » [١] .

٢٠

الأثــر ٩٥ عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وإنَّه لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ ﴾. قال : نُزولُ عيسى عليه السلام . أخرجه ابن جرير من طُرُق كما في « الدر المنثور » [٢] .

٢١

الأثــر ٩٦ عن الحسن البصري في قوله تعالى : ﴿ وإنَّه لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ ﴾ . قال : نُزولُ عيسى عليه السلام . أخرجه عبدُ بن حُمَيد وابن جرير كما في « الدر المنثور » [١] .

٢٢

الأثــر ٩٧ عن ابن زيد في قوله تعالى : ﴿ يُكلِّمُ النَّاسَ في المَهْدِ وكَهْلاً ومن الصَّالحين ﴾ [٣] . قال : قد كلَّمهم عيسى عليه السلام في المَهْد ، وسيُكلِّمُهُم إذا قتَلَ الدجَّالَ وهو يومئذٍ كَهْل . أخرجه ابن جرير كما في « الدر المنثور » [٤] .

---

(١) مواضع الأثر: ابن جرير ٢٥ : ٥٤ ، « الدر المنثور » ٦ : ٢٠ .

(٢) مواضع الأثر : ابن جرير ٢٥ : ٥٤ ، « الدر المنثور » ٦ : ٢١ .

(٣) من سورة آل عمران : ٤٦ .

(٤) مواضع الأثر : ابن جرير : ٣ : ١٨٨ ، « الدر المنثور » ٢ : ٢٥ . ووقع فيه وفي الأصل محرَّفاً : (إذا أقبل الدجَّال) والتصويب عن تفسير ابن جرير .

٢٣

الأثـــر ٩٨ عن وَهْب بن مُنَبِّه في أثَرٍ طويلٍ جاء فيه : وظَنُّوا ـ أي اليهودُ ـ أنهم قَتَلوا عيسى وصَلَبُوه ، فظَنَّتْ النَّصارى مِثْلَ ذلك ، ورَفَعَ الله عيسى مِن يومِه ذلك . كما في « الدر المنثور » [١] .

٢٤

الأثـــر ٩٩ عن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله عنه قال : تَخْرُجُ الحَبَشَةُ بعد نُزولِ عيسى عليه السلام فيَبْعَثُ عيسى طائفةً فيُهْزَمُون [٢] . أخرجه نُعَيم بن حَمَّاد في « كتاب الفتن » كما في « عمدة القاري شرح صحيح البخاري » للعَيْني ، وأخرجه البَرْزَنجيُّ في « الإشاعة في أشراط الساعة » مُفَصَّلاً [٣] .

٢٥

الأثـــر ١٠٠ عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ إنْ تُعَذِّبْهُم فانهم عِبادُك وإنْ تَغْفِر لهم فانك أنتَ

---

(١) ٢ : ٢٣٩ – ٢٤٠ .

(٢) أي الحَبَشيُّون ، كما جاء مصرَّحاً به في رواية « الإشاعة » .

(٣) مواضع الأثر : « عمدة القاري » للعيني ٩ : ٢٣٣ في كتاب الحجّ في باب قول الله تعالى : ﴿ جعل الله الكعبة البيتَ الحرام قياماً للناس ﴾ . في شرح قوله ﷺ : « يُخَرِّبُ الكعبةَ ذو السُّوَيقَتَينِ مِن الحَبَشَة » ، « الإشاعة » للبرزنجي ص ٢٤٧ – ٢٤٨ .

العزيزُ الحكيم ﴾ (١) . يقول : عَبِيدُكَ قد استَوْجَبوا العذابَ بمقالتهم ، وإنْ تَغْفِرِ لهم أي مَنْ تركتُ منهم ومُدَّ في عُمُره حتى أُهبِطَ من السَّماء إلى الأرض لِقَتْلِ الدجَّال فنَزلُوا عن مَقالِتهم ووحَّدُوكَ وأقرُّوا أنَّا عَبيد ، وإنْ تَغفِرْ لهم حيث رَجَعُوا عن مَقالتِهم فانكَ أنتَ العزيزُ الحكيم . كما في « الدر المنثور » (٢) .

الحديث : ١٠١ رُوِيَ أنّ رسول الله ﷺ قال لوَفْدِ جُذَام : مرحباً بقومِ شُعَيب وأصهارِ موسى ، ولا تقومُ الساعة حتى يتزوج فيكم المسيح ويولد له . ذكره المقريزي في « الخطط » (٣) .

فهذه مائةُ خَبَرٍ وخَبَر من المرفوع والموقوف ، والحمدُ لله أولَّهُ وآخِرَهُ .

---

(٢) من سورة المائدة : ١١٨ . (٣) ٢ : ٣٥٠ .

(١) في كلامه على مدينة مَدْيَن ١ : ٣٣١ . وهذا الخبر أشار إليه شيخنا محمد شفيع في الجدول الآتي ، ولم يُذكَرْ في أصل الكتاب ، ولم أطلع عليه في الجدول إلا بعد طبع الأحاديث فاستدركتُه هنا .

تتمة واستدراك في الآثار

جَمَعَ الإمامُ الكشميري رحمه الله تعالى في كتابه هذا من الآثار التي جاء فيها نُزولُ عيسى عليه السلام القَدْرَ الكثير ، مِن مَظَانّه ومن غير مَظَانّه التي لا يَقِفُ عليها ولا يَعلَمُ بها إلا مِثْلُه من الأئمة الحافظين المدقّقين. وقد فاتَه بعضُ آثار وقفتُ عليها أثناء خِدمتي لكتابه هذا ، فرأيت أن أوردَها هُنا تتميماً لمقاصده وهي عشرةُ آثار .

الأثـــر : ١ عن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله عنه قال : ما كان مُنذُ كانَتْ الدُّنيا رأسُ مائةِ سنةٍ إلا كان عندَ رأسِ المائة أَمْر ، فاذا كان رأسُ مائةٍ خَرَجَ الدجّالُ ويَنزِلُ عيسى عليه السلام فيَقتُلُه . أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » فقال : حدَّثنا يحي بن عَبْدَك القرطي ، حدَّثنا خَلَف بن الوليد ، حدَّثنا المبارك بن فَضَالة، عن عليّ بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر ، عن العُرْيان بن الهيثم عن عبد الله بن عَمْرو بن العاص . كما في « الحاوي » للسيوطي في رسالة « الكشف عن مجاوزة هذه الأُمَّة الألف » ٢ : ٨٩ .

الأثـــر : ٢ عن عبد الله بن عَمْرو أيضاً قال : يُرسِلُ اللهُ بعدَ يأجوجَ ومأجوجَ ريحاً طيِّبة ، فتَقبِضُ رُوحَ عيسى وأصحابه وكلَّ مؤمنٍ على وَجْهِ الأرض ، ويَبْقَى بَقَايا الكُفّار وهم شِرارُ الأرض مائةَ سَنَة . أخرجه نُعَيم بن حَمَّاد في كتاب الفتن كما في « الحاوي » للسيوطي في رسالة « الكشف عن مجاوزة هذه الأُمَّة الألف » ٢ : ٩٠.

الأثـــر : ٣ عن عبد الله بن عَمْرو أيضاً قال : المَهديُّ ينزل عليه عيسى ابنُ مريم ، ويُصلّي خَلْفَه عيسى . أخرجه نُعَيم بن حَمَّاد

في كتاب الفتن كما في « الحاوي » للسيوطي كما في رسالة العَرْف الوَرْدي في أخبار المهدي » ٢ : ٧٨ .

الأثـــر : ٤ عن ابن سيرين قال : المَهديُّ من هذه الأُمَّة وهو الذي يَؤُمُّ عيسى ابنَ مريم عليهما السلام . أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنَّف » . كما في « الحاوي » للسيوطي في رسالة « العَرْف الوَرْدي » ٢ : ٦٥ .

الأثـــر : ٥ عن الوليد بن مسلم قال : سمعتُ رجلاً يُحدِّثُ قوماً فقال : المهديُّون ثلاثة ، مَهديُّ الخير : عُمَرُ بن عبد العزيز . ومَهديُّ الدَّم وهو الذي تَسْكُنُ عليه الدِّماء ، ومَهديُّ الدِّين : عيسى ابنُ مريم تُسْلِمُ أمَّتُه في زمانه . أخرجه نُعَيم بن حَمَّاد في كتاب الفتن كما في « الحاوي » للسيوطي في رسالة « العَرْف الوردي » ٢ : ٨٧ .

الأثـــر : ٦ عن أرْطاة قال : بلَغَني أنَّ المَهديَّ يَعيشُ أربعين عاماً ثم يَموتُ على فِراشه ، ثم يَخرُجُ رجلٌ مِن قَحْطان مثقوبَ الأُذُنَيْن على سِيرة المَهديِّ ، بقاؤه عِشرون سنة ، ثم يموتُ قتيلاً بالسِّلاح ، ثم يَخرُجُ رجلٌ مِن أهل بَيْتِ النبي ﷺ مَهديٌّ حسَنُ السِّيرة ، يَغزو مدينةَ قَيْصَر ، وهو آخِرُ أمير من أُمَّة محمد ﷺ ، ثم يَخرُجُ في زمانه الدجَّالُ ، ويَنزِلُ في زمانِه عيسى ابنُ مريم . أخرجه نُعَيم بن حَمَّاد في كتاب الفتن كما في « الحاوى » للسيوطي في رسالة « العَرْف الوَرْدي » ٢ : ٨٠ .

الأثـــر : ٧ عن قتادة قال : الشَّامُ أرض المحشر والمنشر ، وبها يَجتمعُ الناسُ رأساً واحداً ، وبها يَنزِلُ عيسى ابنُ مريم ، وبهـا يُهلِكُ اللهُ المَسيحَ الكذَّاب . أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » ١ : ١٧٠ .

تتمة واستدراك

الأثـــر : ٨ عن كعب الأحبار قال : يَهبِطُ المَسيحُ عليه السلام عند القنطرة البيضاء على باب دمشق الشرقي ، تَحملُه غَمامة ، واضعٌ يديه على منكبي مَلَكين ، عليه رَيْطتان مُؤْتَزِرٌ إحداهما مُرْتدٍ الأخرى ، إذا أكبَّ رأسه قَطرَ منه الجُمَان . أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » ١ : ٢١٨ .

الأثـــر : ٩ عن كعب الأحبار قال : يُحاصِرُ الدجَّالُ المؤمنين بيتِ المَقْدِس ، فيُصيبُهم جُوعٌ شديد حتى يأكلوا أوتارَ قِسِيِّهم – أي أقواسِهم – من الجوع ، فبينا هم على ذلك إذْ سَمِعُوا صَوْتاً في الغَلَس ، فيقولون : إنَّ هذا لَصَوْتُ رَجُلٍ شبعان ، فيَنظرون فاذا بعيسى ابن مريم ، وتُقامُ الصَّلاةُ ، فيَرجِعُ إمام المسلمين المَهديُّ فيقولُ عيسى : تقَدَّمْ فلك أُقيمَتْ الصَّلاة ، فيُصلِّي بهم تلك اللَّيلة ، ثم يكونُ عيسى إماماً بعدَه . أخرجه نُعَيم بن حَمَّاد في كتاب الفتن كما في « الحاوي » للسيوطي في رسالة « العَرْف الوَرْدي » ٢ : ٨٤ .

الأثـــر : ١٠ عن كعب الأحبار قال : إذا انصرف عيسى ابن مريم والمؤمنون من يأجُوجَ ومأجُوجَ لَبِثُوا سنوات ، فاذا رَأَوْا كهيئة الهَرْج والغُبَار ، فاذا هي رِيحٌ قد بَعَثَها اللهُ لِتَقْبِضَ أرواحَ المؤمنين ، فتلك آخِرُ عِصابةٍ تُقبَضُ من المؤمنين ، ويَبْقَى النَّاسُ بعدَهم مائةَ عامٍ لايَعرِفُون دِيناً ولا سُنَّةً ، يَتَهارَجُون – يَتسافدون ويَتَجامعون علانيةً – تَهارُجَ الحُمُر ، عليهم تقومُ الساعة . أخرجه نُعَيم بن حَمَّاد في كتاب الفتن ، كما في « الحاوي » للسيوطي في رسالة « الكشف عن مجاوزة هذه الأمَّة الألف » ٢ : ٩٠ .

وأورد ابن عساكر في « تاريخ دمشق » ١ : ٢١٧ أثراً عن ابن عائش الحضرمي في سنده مجاهيل وفي متنه نكارة ، استغنيت عن إيراده بالإشارة إليه .

المحتوى

١ ـ الجدول بأوصاف سيدنا عيسى عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله وكفى ، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى

وبعد فهذا الجدولُ الذي وَعَدنا به في حاشية ص ٧٥ ـ ٧٦ ، وهو تلخيصٌ لطيف موجز لما في كتاب « التصريح بما تواتر في نزول المسيح » من شمائل عيسى المسيح عليه السلام وأمَاراتِه الكريمة عند نزوله من السَّماء قبلَ يوم القيامة ، مُرتَّباً بترتيب حياته الشريفة من أوَّلها حتى رَفْعِه إلى السَّماء ، ثم نزولِه إلى الأرض ، ثم وفاتِه ودَفْنِه ، ثم قيامِ الساعة .

صنَعَه باللغة الأوردية تلميذُ المؤلِّف الإمام الكشميريِّ أستاذُنا العلاَّمة الجليل الشيخ محمد شفيع حفظه الله تعالى ، ثم تفضَّلَ بترجمته من الأوردية إلى العربية الأخ الكريم الشابُّ الألمعيُّ النجيب الشيخ محمد تقي العثماني نجلُ شيخنا العلاَّمة محمد شفيع بأمر والده ، فجزاهما الله خيراً .

وقال شيخُنا في مُستهلِّه : أشرنا في هذا الجدول إلى شمائل سيدنا عيسى المذكورة في هذا الكتاب برقم الحديث الوارد فيه تلك الشمائل ، مع الإشارة إلى المفارقة بين حالِ عيسى النبيِّ الرَّسولِ الأمين عليه الصلاة والسلام وحالِ ميرْزَا غلام أحمد القادياني الضَّالَ مُدَّعي المَسيحيَّة من خِسَّةِ أحواله وسَيِّء أفعاله ورديء صفاته وقبيح نهايته ، ليَظهرَ الحقُّ من الباطل ، ويَنكشِفَ المُزوِّرُ المارق من النبيِّ الصَّادق ، ويَتَبيَّنَ الصُّبحُ لذي عَيْنيْن . ولله الحمدُ على دين الإسلامِ الذي أبانَ كلَّ شيءٍ تفصيلاً ﴿ ليَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عن بَيِّنَةٍ ويَحْيَى مَنْ حَيَّ عن بَيِّنَة ﴾ . وصلى الله على أشرف خلقه وخاتم رسله محمد وعلى إخوانه النبيين وأحبابه الصديقين والشهداء والصالحين وسلَّم تسليماً كثيراً .

جدول ما ثبت بالقرآن والسنة من أمارات المسيح الموعود عيسى عليه السلام
تأليف العلامة المحقق الجليل الشيخ محمد شفيع مفتي باكستان
حفظه الله تعالى

١ ـ اسمه السامي : عيسى ، يدل عليه ما لا يحصى من الآيات والأحاديث . والقادياني اسمه : غلام أحمد .

٢ ـ كنيته : ابن مريم (ذلك عيسى ابن مريم) مريم : ٣٤ . والقادياني ليس له كنية .

٣ ـ لقبه : المسيح .

٤ ـ و : كلمة الله .

٥ ـ و : روح منه (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) النساء : ١٧١ . والقادياني ليس له لقب معروف .

٦ ـ والدته : مريم ، يدل عليه ما لا يحصى من الآيات والأحاديث . والقادياني والدته : جراغ بي .

٧ ـ نفي الوالد : ولد عيسى من غير أب بمحض قدرة الله تعالى . والقادياني كان والده : غلام مرتضى .

٨ ـ والد أمه : عمران عليه السلام (ومريم ابنة عمران) التحريم : ١٢ . والد أم القادياني لا يعرفه أحد .

٩ ـ خاله : هارون (يا أخت هارون) مريم : ٢٨ . خال القادياني لا يعرفه أحد . وهارون خال عيسى ليس هو بالنبي المعروف أخي موسى عليهما السلام ، فان هارون النبي كان قبل مريم بقرون طويلة ، وإنما اسم خال عيسى : هارون ، وهو رجل آخر كما رواه مسلم والنسائي والترمذي مرفوعاً .

١٠ ـ والدة أمه : امرأة عمران ـ حنة ـ (إذ قالت امرأة عمران) آل عمران : ٣٥ .

١١ ـ نذر جدته حملها للوقف على بيت المقدس (إني نذرت لك مافي بطني محرراً) آل عمران : ٣٥ .

١٢ ـ ولادة حملها أنثى (فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى) آل عمران : ٣٦ .

١٣ ـ اعتذارها في حضرة الله بأنها وضعتها أنثى وهي لا تليق أن تخدم بيت المقدس (قالت رب إني وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى) آل عمران : ٣٦ .

١٤ ـ تسميتها مريم (وإني سميتها مريم) آل عمران : ٣٦ . والقادياني أين هو من ذلك ؟

بعض ما ورد من أحوال أمه عليهما السلام

١٥ ـ استعاذتها من مس الشيطان (أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) آل عمران : ٣٦ . وكيف تحصل لجراغ بي هذه المرتبة الرفيعة ؟ وقد نص الحديث النبوي بأن هذا مما خص الله به مريم عليها السلام كما في صحيحي البخاري ومسلم.

١٦ – ترعرعها بسرعة غير اعتادية إذ كانت تقطع مدة سنة في يوم واحد (وأنبتها نباتاً حسناً) آل عمران : ٣٧ .
١٧ – اختصام مجاوري بيت المقدس في تربية مريم وكفالة زكريا عليه السلام لها (وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون) آل عمران : ٤٤ .
١٨ – إقامتها بالمحراب ورزقها من الغيب (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا) آل عمران : ٣٧ .
١٩ – سؤال زكريا عن الرزق وجوابها أنه من عند الله (قالت هو من عند الله) آل عمران : ٣٧ .
٢٠ – مخاطبة الملائكة إياها (إذ قالت الملائكة يامريم إن الله) آل عمران : ٤٢ .
٢١ – كونها مقبولة عند الله (اصطفاك) آل عمران : ٤٢ .
٢٢ – كونها طاهرة من الحيض (وطهرك) آل عمران : ٤٢ .
٢٣ – كونها أفضل نساء زمنها (واصطفاك على نساء العالمين) آل عمران : ٤٢ .
٢٤ – ذهابها إلى زاوية (إذ انتبذت من أهلها) مريم : ١٦ .
٢٥ – كون الزاوية في جانب شرقي (مكاناً شرقياً) مريم : ١٦ .
٢٦ – اتخاذها حجاباً (فاتخذت من دونهم حجاباً) مريم : ١٧ .
٢٧ – وجاءها ملك بشكل إنسان (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً) مريم : ١٧ .
٢٨ – استعاذتها (إني أعوذ بالرحمن منك) مريم : ١٨ .
٢٩ – ثم بشرها الملك بولادة عيسى عليه السلام (لأهب لك غلام زكياً) مريم : ١٩.
٣٠ – تعجبها بهذا الخبر (أنى يكون لي غلام) مريم : ٢٠ .
٣١ – إخبار الملك بأن ذلك ليس بصعب على الله (قال ربك هو علي هين) مريم : ٢١ .
٣٢ – حملها عيسى بمحض قدرة الله من غير أن يمسها رجل (فحملته) مريم : ٢٢ .
٣٣ – ذهابها إلى جذع نخلة وقت المخاض (فأجاءها المخاض إلى جذع نخلة) مريم : ٢٣ . وهل حصل لوالدة مرزا القادياني شيء من هذه الفضائل ؟ كلا . وقال العلماء : إن كل ما حصل لمريم عليها السلام من خوارق العادة كان في الأصل إرهاصات تبشر بنبوة عيسى عليه السلام .

محل ولادته عليه السلام وكيفية ذلك

٣٤ – ولد في زاوية بستان بعيد من العمارة (فانتبذت به مكاناً قصياً) مريم : ٢٢.
٣٥ – كانت متكئة إلى جذع نخلة (فأجاءها المخاض إلى جذع نخلة) مريم : ٢٣ .

أحوال مريم بعد ولادته عليه السلام

٣٦ ـ اضطرابها حياءً وخوفاً من تهمة الناس (قالت ياليتني مت قبل هذا) مريم : ٢٣.
٣٧ ـ نداء الملك من تحت الشجرة أن لا تحزني فقد منحك الله ابناً من سادة الناس (ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا) مريم : ٢٤ .
٣٨ ـ رزقها الله تعالى رطباً جنياً (تساقط عليك رطباً جنياً) مريم : ٢٥ .
٣٩ ـ إتيانها قومها بعيسى عليه السلام في حجرها (فأتت به قومها تحمله) مريم : ٢٧ . وأما مرزا القادياني فأنى له ذلك ؟
٤٠ ـ تهمة القوم للسيدة مريم (يامريم لقد جئت شيئاً فرياً) مريم : ٢٧ .
٤١ ـ كلام سيدنا عيسى عليه السلام في حجرها (إني عبد الله آتاني الكتاب) . وهل تكلم مرزا القادياني في حجر أمه ؟

وجاهة عيسى عليه السلام

٤٢ ـ (وجيهاً في الدنيا والآخرة) آل عمران : ٤٥ .
٤٣ ـ قامته معتدلة ، الحديث : ١٠ .
٤٤ ـ لونه أبيض مشرب بالحمرة ، الحديث : ١٠ .
٤٥ ـ شعر رأسه ممتد إلى منكبيه ، الحديث : ١٠ .
٤٦ ـ شعره أسود كأنه يقطر وإن لم يصبه بلل ، الحديث : ١٠ .
٤٧ ـ شعره جعد ، في بعض الروايات كما في الحديث : ١٥ أنه سبط ، ويمكن أن هذا الاختلاف باختلاف الأوقات .
٤٨ ـ نظيره في الحلية : يشابهه من الصحابة عروة بن مسعود رضي الله عنه ، الحديث : ٦ . وكانت حلية مرزا القاياني مضادة لجميع هذه الصفات .
٤٩ ـ غذاؤه عليه السلام : الباقلى وما لم تغيره النار ، الحديث : ٧٢ . وكان المتنبي القادياني يأكل اللحوم والبيض .

خصائص عيسى المسيح الموعود عليه السلام

٥٠ ـ إحياؤه الموتى باذن الله (وأحيي الموتى باذن الله) آل عمران : ٤٩ . وكان مرزا القادياني بصدد أن يميت الأحياء ، فقد دعا على كثير من الناس بالموت وإن لم يستجب له من الله تعالى .
٥١ ـ إبراء الأكمه باذن الله (وأبرىء الأكمه) آل عمران : ٤٩ ، ولم يبرىء المتنبي القادياني من البرص أحداً من الناس .
٥٢ ـ إبراء الأبرص باذن الله (وأبرى الأكمه والأبرص) آل عمران : ٤٩ . والمتنبي القادياني لم يحصل له شيء من ذلك .
٥٣ ـ النفخ في تراب حتى يصير طيراً (فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله) آل عمران : ٤٩ .

٥٤ ـ الاخبار بما أكله الناس وما ادخروه في بيوتهم (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) آل عمران : ٤٩ .

٥٥ ـ عزم بني إسرائيل على قتله ، وحفظ الله تعالى له (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) آل عمران : ٥٤ .

٥٦ ـ رفع الله تعالى له إلى السماء حياً (إني متوفيك ورافعك إلي) آل عمران : ٥٥ . ولم يحصل لمرزا القادياني شيء من ذلك وأنى له ذلك ؟

٥٧ ـ نزوله عليه السلام من السماء إلى الدنيا ثانياً في قرب من يوم القيامة ، الحديث : ١ إلى الحديث : ٧٥ . وأنى للقادياني ذلك ؟

حليته عليه السلام وقت نزوله

٥٨ ـ يلبس ثوبين أصفرين ، الحديث : ١٠ .

٥٩ ـ على رأسه قلنسوة طويلة ، الحديث : ٤٨ . والقادياني لم يحصل له شيء من ذلك .

٦٠ ـ يلبس درعاً ، الحديث : ٦٨ . ولم يلبس القادياني درعاً طول حياته .

بعض أحواله عليه السلام وقت نزوله

٦١ ـ ينزل واضعاً يديه على أجنحة ملكين ، الحديث : ٥ .

٦٢ ـ في يده حربة يقتل بها الدجال ، الحديث : ٤٨ .

٦٣ ـ لا يجد كافر ريح نفسه إلا ويموت ، الحديث : ٥ .

٦٤ ـ يبلغ نفسه إلى ما يبلغ طرفه ، الحديث : ٥ . ولم يحصل لمرزا القادياني شيء من ذلك .

محل نزوله عليه السلام ووقت نزوله

٦٥ ـ ينزل في الشام ، الحديث : ٥ .

٦٦ ـ ينزل في الجانب الشرقي من دمشق ، الحديث : ٥ .

٦٧ ـ ينزل عند المنارة البيضاء ، الحديث : ٥ . ولم يزر القادياني دمشق في ساعة من حياته .

٦٨ ـ وقت نزوله : عند صلاة الفجر ، الحديث : ١٦ .

أحوال الحاضرين في المسجد وقت نزوله عليه السلام

٦٩ ـ جماعة من المسلمين يقودهم المهدي يجتمعون لقتال الدجال ، الحديث : ٧ .

٧٠ ـ عددهم حينئذ يبلغ إلى ثمانمائة رجل وأربعمائة امرأة ، الحديث : ٦٩ .

٧١ ـ كلهم يسوي الصفوف عندما ينزل عيسى عليه السلام ، الحديث : ٧ .

٧٢ ـ يؤمهم الامام المهدي ، الحديث : ١٣ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣ . وأما مرزا القادياني فأنى له ذلك ؟

بعض أحواله بعد نزوله عليه السلام

٧٣ — يدعوه الامام المهدي لامامة الصلاة بالناس فيأبى ، الحديث : ٣ .

٧٤ — حينما يريد الامام المهدي أن يتخلف يضع عيسى عليه السلام يده على ظهره ولا يرضى إلا أن يكون المهدي إماماً ، الحديث : ١٣ .

٧٥ — ثم يتقدم الامام المهدي ويصلي بهم ، الحديث : ٤١ . ولم يحصل للقادياني شيء من ذلك وأنى له ذلك ؟

٧٦ — إقامته في الدنيا بعد نزوله أربعين سنة ، الحديث : ١٠ . وكان عمر المتنبي القادياني أكثر من أربعين سنة .

٧٧ — نكاحه بعد النزول وأولاده : يتزوج عيسى عليه السلام بعد النزول ، الحديث : ٥٨ و ٦٣ .

٧٨ — يتزوج عيسى بامرأة من قوم شعيب عليهما السلام ، الحديث : ١٠١ .

٧٩ — يولد له بعد نزوله أولاد ، الحديث : ٦٣ .

المشروعات التي يقوم بها بعدنزوله عليه السلام

٨٠ — يكسر الصليب ويستأصل عبادته ولا يبقى في الدنيا من النصرانية شيئاً . أما في زمن القادياني فقد شاعت النصرانية وشملت كثيراً من البلاد . الحديث : ١ و ٤ و ١٢ وغيرها .

٨١ — يقتل الخنازير ، الحديث ١ و ٤ و ١٢ وغيرها .

٨٢ — يفتح باب المسجد بعد الفراغ من الصلاة فيرى وراءه الدجال وقوماً من اليهود الحديث : ١٣ .

٨٣ — يقاتل عليه السلام الدجال وأعوانه من اليهود ، الحديث : ١٣ وغيره ، ولم يشهد مرزا القادياني القتال قط .

٨٤ — يقتل الدجال ، الحديث : ١٣ وغيره . وفي زعم القادياني : الدجال هم الانكليز ، ولم يقتل منهم أحداً .

٨٥ — يقتل عليه السلام الدجال في أرض فلسطين عند باب لد ، الحديث : ١٣ وغيره . والقادياني لم ير باب لد قط .

٨٦ — ثم يكون بعد نزوله جميع العالم مسلماً ، الحديث : ١٣ وغيره . وقد كفر جميع العالم — على قول مرزا — بمجيئه إلى الدنيا .

٨٧ — ثم يقتل عليه السلام ما بقي من اليهود ، الحديث : ١٣ وغيره . ولم يقتل القادياني يهودياً واحداً .

٨٨ — ولا يجد يهودي ملجأ ، الحديث : ١٦ وغيره . وكان اليهود في زمن القادياني مرفهين منعمين .

٨٩ — حتى تشهد الحجارة والأشجار على أن وراءها يهودياً .

٩٠ – تدرس حينئذ جم المذاهب سوى الاسلام ، الحديث : ١٠ وغيره .وصار الاسلام في زمن القادياني يصيبه ضعف ووهن .

٩١ – ولا يبقى حكم الجهاد إذ لا يبقى أحد من الكفار ، الحديث : ١ وغيره . وكان الكفار في زمن القادياني أكثرين حتى إن بعض المسلمين جاهدوا بهم ، نعم لم يرزق القادياني نصيباً من الجهاد .

٩٢ – ومن أجل ذلك لا يبقى حكم الجزية ، الحديث : ٤ وغيره .

٩٣ – ويعم عليه السلام الناس بالمال حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقبل الصدقات ، الحديث : ١ وغيره . وقد ازداد الناس في زمن القادياني فقراً وجدباً .

٩٤ – ويؤم عليه السلام الناس بعد صلاة الفجر الأولى التي صلاها مقتدياً بالامام المهدي ، الحديث : ٤ وغيره .

٩٥ – يسافر إلى موضع فج الروحاء ، الحديث : ٤ وغيره . ولم يسافر إليه القادياني قط .

٩٦ – يحج أو يعتمر أو يؤدي كلا النسكين ، الحديث : ٤ وغيره . وحرم القادياني من كليهما .

٩٧ – يسافر إلى روضة سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم ، الحديث : ٤ وغيره .

٩٨ – ويرد على سلامه سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم ، الحديث : ٤ . وحرم القادياني من ذلك كله .

٩٩ – منهجه الذي يدعو إليه الناس : يعمل بالقرآن والسنة ويحث الناس عليه ، الحديث : ٥٥ . وكان القادياني يرد أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم .

البركات الظاهرة والباطنة في زمنه عليه السلام

١٠٠ – تنزل في زمنه بركات دينية ودنيوية من كل نوع . وانعكس الأمر في زمن مرزا القادياني فقد وقعت الفتن في زمنه كوقع المطر .

١٠١ – ويخرج الحقد والضغينة من أفئدة الناس ، الحديث : ١ وغيره . وقد كثر كل ذلك في زمن القادياني .

١٠٢ – يكون الرمان في زمانه كبيراً حتى تكفي الرمانة الواحدة لجماعة من الناس الحديث : ٥ .

١٠٣ – ويكفي لبن ناقة واحدة لجماعة من الناس ، الحديث : ٥ .

١٠٤ – ويكفي لبن شاة واحدة لقبيلة واحدة ، الحديث : ٥ .

١٠٥ – وتنزع الحمة من كل ذي حمة حتى يدخل الوليد يده في فم الحية فلا تضره ، الحديث : ١٣ وغيره .

١٠٦ – وتكشف الوليدة عن أسنان الأسد فلا يضرها ، الحديث : ١٣ وغيره .

١٠٧ – ويكون الذئب مع الغنم كأنه كلبها ، الحديث : ١٣ . والأمر بالعكس في كل ذلك في زمن القادياني .

١٠٨ – وتمتلىء الأرض من السلم كما يمتلىء الاناء من الماء ، الحديث : ١٣ . وامتلأت كفراً في زمن القادياني على زعمه .

١٠٩ – ولا يوجد فقير وتترك الصدقة ، الحديث : ١٣ . ومدار النبوة في زعم مرزا على أخذ الصدقات .

١١٠ – مدة هذه البركات : وكل هذا يكون إلى مدة سبع سنين ، الحديث : ٦ . ولم تحدث هذه البركات يوماً من الأيام في حياة مرزا .

شتى أحوال الناس في زمن عيسى المسيح الموعود عليه السلام

١١١ – ينزل جيش من الروم بموضع الأعماق أو دابق ، الحديث : ٧ .

١١٢ – فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ ، الحديث : ٧ .

١١٣ – ويصير هذا الجيش على ثلاثة أقسام ، الحديث : ٧ .

١١٤ – قسم ينهزم وهو الثلث الأول من الجيش ، الحديث : ٧ .

١١٥ – قسم يستشهد في سبيل الله وهو الثلث الآخر ، الحديث : ٧ .

١١٦ – قسم يفتتح ، الحديث : ٧ .

١١٧ – يفتتح هذا القسم الأخير قسطنطينية ، الحديث : ٧ . ولم يكن شيء من ذلك كله في زمن مرزا ولا قبله .

١١٨ – الخبر الباطل في نزول المسيح عليه السلام : بينا هم يقتسمون الغنائم إذ يشيع فيهم الخبر بأن المسيح عليه السلام قد نزل ويكون ذلك باطلاً . الحديث : ٧ .

١١٩ – ثم إذا جاؤا الشام ينزل عيسى عليه السلام في الحقيقة على الكيفية المذكورة قبل ، الحديث : ٧ . ولم يكن شيء من ذلك في زمن مرزا ولا قبله .

أحوال العرب في ذلك الزمان

١٢٠ – العرب يومئذ قليل وأكثرهم ببيت المقدس ، الحديث : ١٣ .

١٢١ – يجتمع المسلمون بجبل أفيق حذراً من الدجال ، الحديث : ١٦ .

١٢٢ – ويصيب المسلمين بؤس ومجاعة شديدة حتى إن أحدهم ليحرق وتر قوسه ويأكله ، الحديث : ١٦ .

١٢٣ – ثم ينادي مناد : يا أيها الناس أتاكم الغوث ، الحديث : ١٦ .

١٢٤ – فيتعجب منه الناس ويقول بعضهم لبعض : إن هذا لصوت رجل شبعان ، الحديث : ١٦ . والقادياني أنى له ذلك ؟

ذكر غزو المسلمين الهند

١٢٥ – يغزو جيش من المسلمين بلاد الهند فيستأسر ملوكها ، الحديث : ٤٦ .

١٢٦ – يغفر الله ذنوب أصحاب هذا الجيش ، الحديث : ٤٦ .

١٢٧ – وحينا ينصرف هذا الجيش نحو الشام يجد المسيح عليه السلام هناك ، الحديث : ٤٦ . ولم يقع شيء من ذلك في زمن مرزا ولا قبله .

١٢٨ – يسكن بنو العباس حينئذ بالريف ، الحديث : ٤٩ . سبق التنبيه تعليقاً عند الأحاديث المتعلقة ببني العباس عند نزول عيسى أنها أحاديث موضوعة .

١٢٩ – ويلبسون ثياباً سوداً ، الحديث : ٤٩ .

١٣٠ – ويكون أتباعهم حينئذ من أهل خراسان ، الحديث : ٤٩ .

١٣١ – يخرج الناس من عهدتهم اعتماداً على عيسى عليه السلام ، الحديث : ٤٩ . ولم يقع شيء من ذلك في زمن مرزا ولا قبله .

خروج الدجال قبل نزول عيسى عليه السلام

١٣٢ – يخرج الدجال من بين الشام والعراق ، الحديث : ٥ . ومرزا القادياني وإن كان دجالاً من الدجاجلة فلم يخرج في زمنه الدجال الأكبر .

أمارات الدجال وأصافه

١٣٣ – مكتوب بين عينيه كافر بشكل ك ف ر ، الحديث : ٣١ وغيره .

١٣٤ – يكون أعور العين اليسرى ، الحديث : ٣٥ وغيره .

١٣٥ – بعينه اليمنى ظفرة غليظة ، الحديث ٣٥ وغيره .

١٣٦ – يدور في جميع أنحاء العالم ، الحديث : ٣١ .

١٣٧ – ولا يبقى على وجه الأرض موضع محفوظ من شره إلا مكة والمدينة ، الحديث : ٣١ .

١٣٨ – يحرس الملائكة أبوابها ولا يستطيع الدجال أن يدخلها ، الحديث : ٣١ .

١٣٩ – ويقيم حيث تنتهي السبخة من الظريب الأحمر بعد ما يدفعه الملائكة من الحرمين ، الحديث : ١٣ .

١٤٠ – ويأخذ أرض المدينة زلازل تخرج المنافقين من المدينة ، ويلتحق المنافقون رجالهم ونساؤهم بالدجال ، الحديث : ٦٨ .

١٤١ – يكون معه نهران يقول لأحدهما : إنه جنة ولثانيها : إنه نار ، فمن أدخل الذي يسميه الجنة فهو النار ، ومن أدخل الذى يسميه النار فهو الجنة ، الحديث : ٣١ .

١٤٢ – يكون في زمنه يوم كالسنة ويوم كالشهر وآخر كالأسبوع ثم سائر أيامه كالأيام العادية ، الحديث : ٣١ .

١٤٣ – يركب حماراً عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً ، الحديث : ٣١ .

١٤٤ – يكون معه شياطين تكلم الناس ، الحديث : ٣١ . ولم يقع شيء من ذلك في زمن مرزا .

أحوال الدجال الأكبر

١٤٥ ـ يأمر السحاب فيمطر ، الحديث : ٥ .
١٤٦ ـ وتجدب الأرض متى شاء ، الحديث : ٥ .
١٤٧ ـ يبرىء الأكمه والأبرص ، الحديث : ٣٨ .
١٤٨ ـ يأمر كنوز الأرض فتخرج وتتبعه ، الحديث : ٥ .
١٤٩ ـ يقتل شاباً ويقطعه بالسيف نصفين ثم يدعوه فيأتي حياً ضاحكاً ، الحديث : ٥ .
١٥٠ ـ يكون معه سبعون ألف يهودي ، كلهم ذو سيف محلى وساج ، الحديث: ١٣.
١٥١ ـ يفترق الناس ثلاث فرق : فرقة تتبعه ، وفرقة تلحق بأرض آبائها ، وفرقة تقاتله على شاطىء الفرات ، الحديث : ٧٥ .
١٥٢ ـ يجتمع المسلمون بقرى الشام فيبعثون إليه طليعة ، الحديث : ٧٥ .
١٥٣ ـ يكون في هذه الطليعة فارس على فرس أشقر أو أبلق فيقتلون ولا يرجع منهم أحد ، الحديث : ٧٥ .
١٥٤ ـ حينما ينظر الدجال إلى المسيح عليه السلام يذوب كما يذوب الملح في الماء ، الحديث ١٣ وغيره .
١٥٥ ـ وحينئذ ينهزم جميع اليهود ، الحديث : ١٣ و ١٤ . وأما القادياني فأنى له ذلك كله ؟

خروج يأجوج ومأجوج

١٥٦ ـ ثم يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، الحديث : ٥ .
١٥٧ ـ فيخرج نبي الله عيسى عليه السلام إلى الطور ومعه المسلمون ، الحديث : ٥ . والقادياني أنى له ذلك ؟
١٥٨ ـ بعض أحوال يأجوج ومأجوج : يمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون جميع ما فيها ، الحديث : ٥ .
١٥٩ ـ يكون رأس الثور للمسلمين خيراً من مائة دينار ـ بسبب الفقر أو لقلة الرغبة في الدنيا ـ الحديث : ٥ . وهل يمكن أن يثبت من ذلك شيء في زمن مرزا ؟
١٦٠ ـ دعاء المسيح عليه السلام على يأجوج ومأجوج وهلاكهم : ثم يدعو المسيح عليه السلام على يأجوج ومأجوج ، الحديث : ٥ .
١٦١ ـ فيرسل الله تعالى عليهم النغف في رقابهم فيصبحون صرعى كموت نفس واحدة ، الحديث : ٥ .
١٦٢ ـ ثم يهبط المسيح عليه السلام ومن معه إلى الأرض ، الحديث : ٥ .
١٦٣ ـ فيجدون الأرض ممتلئة بزهمهم ونتنهم ، الحديث : ٥ .

١٦٤ – ثم يدعو المسيح عليه السلام لأن يزول النتن ، الحديث : ٥ .
١٦٥ – فيرسل الله تعالى مطراً يزيله ، الحديث : ٥ .
١٦٦ – ثم تعود الأرض كما كانت ممتلئة بالثمار والأزهار ، الحديث : ٥ . وأما مرزا القادياني فأنى له ذلك ؟

وفاته عليه السلام وبعض الأحوال قبل وفاته

١٦٧ – ويأمر المسيح عليه السلام بان يستخلفوا بعده رجلاً من بني تميم اسمه : المقعد .
١٦٨ – ثم يتوفاه الله تعالى ، الحديث : ٥٥ و ١٥ . وهل من رجل يثبت هذه الوقائع في زمن مرزا ؟
١٦٩ – قبره عليه السلام : ويدفن في روضة النبي صلى الله عليه وسلم بجنب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، الحديث : ٥٠ و ٥٩ . أما مرزا القادياني فقد سقط على وجهه ميتاً في بيت الخلاء ودفن في قاديان ، فأين مقام من يدفن في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في الروضة ، ممن يسقط على وجهه ميتاً في بيت الخلاء بالهيضة ؟

أحوال المسلمين بعد وفاته عليه السلام

١٧٠ ويستخلف الناس (المقعد) كما أمرهم المسيح عليه السلام ، الحديث : ٥٥ .
١٧١ – ثم يتوفى « المقعد » أيضاً ، الحديث : ٥٥ .
١٧٢ – ثم يرفع القرآن عن صدور الناس ، الحديث : ٥٥ .
١٧٣ – ويكون ذلك بعد ثلاث سنين من وفاة « المقعد » الحديث : ٥٥ .
١٧٤ – وتقترب الساعة حينئذ حتى إن رجلاً إذا أنتج فرساً لم يركب مهرها حتى تقوم الساعة ، الحديث : ٣٩ .
١٧٥ – ثم تظهر أشراط الساعة القريبة ، الحديث : ١٥ و ٥٥ وهل من رجل يثبت هذه الوقائع في زمن مرزا القادياني ؟

هذا ، ولم نستوف في هذا الجدول تلخيص كل ماورد في أحاديث الكتاب اكتفاءً بهذا القدر الكاشف بين الحق الصحيح والباطل الصريح ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إليه تعالى
محمد شفيع

٢ ـ الأحاديث الشريفة مرتبة على أوائل الحروف[1]

الصفحة

---

(١) حرف التاء : ت يشير إلى أن ما ذكر قبله وارد في التعليقات ، وأغفلت من هنا المحتوى الآثار المذكورة في ص ٢٧٩ وما بعدها لتيسر الوقوف عليها لقلتها .

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

٣ ـ أسماء رواة الأحاديث والآثار الواردة بنزول عيسى عليه السلام دون رواة الشواهد المدرجة في التعليقات

٤ ـ المصادر التي عُزِيَ إليها في التعليقات وما طُبِعَ منها بمصر ذكرتُ تاريخ طبعه دون تسمية بلده .

١ ـ إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للدمياطي ط حنفي ١٣٥٩
٢ ـ الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة للكنوي ط حلب ١٣٨٤
٣ ـ إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي ط لجنة الثقافة الإسلامية ١٣٥٦
٤ ـ الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة لصدّيق حسن خان ط النمنكاني بمصر ١٣٧٩
٥ ـ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني الطبعة الخامسة ١٢٩٣
٦ ـ أسباب النزول للواحدي ط ١٣١٥
٧ ـ الإشاعة لأشراط الساعة للبَرْزَنْجِي ط السعادة ١٣٢٥
٨ ـ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ط السعادة ١٣٢٣
٩ ـ الإعلام بحكم عيسى عليه السلام للسيوطي في « الحاوي » وسيأتي .
١٠ ـ إقامة البرهان في نزول عيسى في آخر الزمان للغُمَاري ط مصر دون تاريخ .
١١ ـ البداية والنهاية لابن كثير ط السعادة ١٣٥١
١٢ ـ البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي ط السعادة ١٣٢٨
١٣ ـ بهجة النفوس وتحلّيها لابن أبي جمرة ط مطبعة الصدق ١٣٤٨
١٤ ـ تاج العروس للمرتضى الزّبيدي ط الخيرية ١٣٠٦
١٥ ـ تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ط الحسينية ١٣٢٦
١٦ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ط السعادة ١٣٤٩
١٧ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي ط المنيرية ١٣٥١
١٨ ـ تاريخ دمشق لابن عساكر ط المجمع العلمي بدمشق ١٣٧١
١٩ ـ التاريخ الكبير للبخاري ط حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٧٥
٢٠ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي الطبعة الثالثة ط حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٧٥

٢١ - التذكرة بأحول الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (مخطوط) .
٢٢ - تفسير ابن جرير الطبري ط البولاقية ١٣٢٣
٢٣ - تفسير ابن كثير ط مصطفى محمد ١٣٥٦
٢٤ - تحقيق النّصرة بتلخيص معالم دار الهجرة للمراغي ط السعادة ١٣٧٤
٢٥ - تقريب التهذيب لابن حجر ط النمنكاني في دار الكتاب بمصر ١٣٨٠
٢٦ - التلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني ط المطبع الأنصاري بالهند ١٣٠٧
٢٧ - تلخيص المستدرك للذهبي ط حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٣٤
٢٨ - تنزيه الشريعة المرفوعة لابن عراق ط مكتبة القاهرة ١٣٧٨
٢٩ - تهذيب تاريخ ابن عساكر لبدران ط روضة الشام بدمشق ١٣٢٩
٣٠ - تهذيب التهذيب لابن حجرالعسقلاني ط حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٢٥
٣١ - التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي ط بولاق ١٢٨٦
٣٢ - الجامع الصغير للسيوطي المطبوع مع « فيض القدير » للمناوي » وسيأتي .
٣٣ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ط دار الكتب المصرية ١٣٥٤
٣٤ - الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ط حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٧١
٣٥ - حاشية السندي على صحيح مسلم ط البرقية في مُلْتان من باكستان ١٣٤٧
٣٦ - الحاوي للفتاوي للسيوطي ط المنيرية ١٣٥٢
٣٧ - الحلية لأبي نعيم ط السعادة ١٣٥١
٣٨ - الخطط للمقريزي ط بيروت بمطبعة الساحل الجنوبي ١٣٧٩
٣٩ - الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور للسيوطي ط اليمنية ١٣١٤
٤٠ - الدرة الثمينة في أخبار المدينة لابن النجار ط عيسى البابي ١٣٧٥
٤١ - دفع شُبْهَة التشبيه لابن الجوزي ط الترقي بدمشق ١٣٤٨
٤٢ - ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث للنابلسي ط جمعية النشر الأزهرية ١٣٥٢
٤٣ - رسالة المسترشدين للمحاسبي ط حلب ١٣٨٤
٤٤ - الرفع والتكميل في الجرح والتعديل للكنوي ط حلب ١٣٨٣

٤٥ ـ الروض الأُنُف للسُّهَيلي ط الجمالية ١٣٣٢
٤٦ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي ط بولاق ١٣٠٣
٤٧ ـ الزهد للإمام أحمد بن حنبل ط مطبعة أم القرى بمكة المكرمة ١٣٥٧
٤٨ ـ السراج المنير شرح الجامع الصغير للعزيزي ط الميمنية ١٣١٢
٤٩ ـ السيرة النبوية لابن هشام ط مصطفى الحلبي ١٣٥٥
٥٠ ـ السعاية في كشف مافي شرح الوقاية للكنوي ط المصطفائي بالهند ١٣٠٦
٥١ ـ سنن أبي داود ط مصطفى محمد ١٣٥٤
٥٢ ـ سنن النسائي ط المطبعة المصرية ١٣٤٨
٥٣ ـ سنن الترمذي ط المطبعة المصرية بشرح ابن العربي ١٣٥٠
٥٤ ـ سنن ابن ماجه ط عيسى البابي الحلبي ١٣٧٢
٥٥ ـ السنن الكبرى للبيهقي ط حيدر آباد الدكن بالهنْد ١٣٤٤
٥٦ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ط مكتبة القدسي ١٣٥٠
٥٧ ـ شرح صحيح مسلم للنووي ط المطبعة المصرية ١٣٤٧
٥٨ ـ شرح صحيح مسلم للأُبّيّ ط السعادة ١٣٢٧
٥٩ ـ شرح المواهب اللدنية للزرقاني ط بولاق ١٢٩١
٦٠ ـ صحيح البخاري ط بولاق المطبوع معه فتح الباري ١٣٠٠ والعزو إليه .
٦١ ـ صحيح مسلم ط المطبعة المصرية بشرح النووي ١٣٤٧ والعزو إليه .
٦٢ ـ طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ط الحسينية ١٣٢٤
٦٣ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد ط بيروت ١٣٧٦
٦٤ ـ ظَفَر الأماني بشرح مختصر الجُرْجاني للكنوي ط لكنو بالهند ١٣٠٤ .
٦٥ ـ العَرْف الوَرْدي في أخبار المَهْدي للسيوطي في « الحاوي » وتقدم .
٦٦ ـ عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام للكشميري ط قاسمي في ديوبند من الهند دون تاريخ وطبعة المجلس العلمي في كراتشي ١٣٨٠

٦٧ ـ عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام للغماري ط عاطف دون تاريخ .
٦٨ ـ عمدة القاري في شرح صحيح البخاري للعيني ط المنيرية ١٣٤٨
٦٩ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ط بولاق ١٣٠٠
٧٠ ـ فضائل الشام ودمشق للربعي ط المجمع العلمي بدمشق ١٣٦٩
٧١ ـ فيض الباري بشرح صحيح البخاري للكشميري ط حجازي ١٣٥٧
٧٢ ـ فيض القدير بشرح الجامع الصغير للمناوي ط مصطفى محمد ١٣٥٦
٧٣ ـ كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة لابن رجب ط المنيرية ١٣٥١
٧٤ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ط اصطنبول ١٣٦٠
٧٥ ـ الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف للسيوطي في « الحاوي » وتقدم .
٧٦ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي ط حيدر آباد الدكن ١٣١٢
٧٧ ـ الكوكب الدري المنير على جامع الترمذي لمحمد يحيى الكاندهلوي ط المكتبة اليحيوية في سهارنبور بالهند ١٣٥٤
٧٨ ـ اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ط الحسينية ١٣٥٢
٧٩ ـ لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ط حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٢٩
٨٠ ـ لوامع الأنوار البهية شرح عقيدة الفرقة المرضية للسفاريني ط جدة ١٣٨٠
٨١ ـ مجمع الزوائد للهيثمي ط مكتبة القدسي ١٣٥٢
٨٢ ـ محاسن التأويل للقاسمي « تفسير القاسمي » ط عيسى البابي الحلبي ١٣٧٦
٨٣ ـ مختصر تذكرة القرطبي للشعراني ط صبيح ١٣٥٤
٨٤ ـ مختصر سنن أبي داود للمنذري ط أنصار السنة المحمدية ١٣٦٧
٨٥ ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي القاري ط الميمنية ١٣٠٩
٨٦ ـ مرقاة الصعود . عزوتُ إليه بالواسطة .
٨٧ ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم ط حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٣٤

٨٨ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ط الميمنية ١٣١٣
٨٩ ـ مسند الطيالسي ط حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٢١
٩٠ ـ مشكاة المصابيح للتبريزي ط المكتب الاسلامي بدمشق ١٣٨٠
٩١ ـ معالم السنن للخطابي ط العلمية بحلب ١٣٥١
٩٢ ـ معاني الآثار المختَلِفَة المأثورة للطحاوي ط المصطفائي بالهند ١٣٠٠
٩٣ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي ط السعادة ١٣٢٣
٩٤ ـ معجم ما استعجم لأبي عُبَيد البكري ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٤
٩٥ ـ المقالات للكوثري ط الأنوار ١٣٧٣
٩٦ ـ المقاصد الحسنة للسخاوي ط دار الأدب العربي ١٣٧٥
٩٧ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ط حيدر آباد الدكن ١٣٥٧
٩٨ ـ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبّان للهيثمي ط السلفية دون تاريخ
٩٩ ـ المواهب اللدنية للقسطلاني ط الشرفية ١٣٢٦
١٠٠ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ط السعادة ١٣٢٥
١٠١ ـ نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى قبل الآخرة للكوثري ط أمين عبد الرحمن ١٣٦٢
١٠٢ ـ نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني ط المولوية بفاس ١٣٢٨
١٠٣ ـ النهر الماد من البحر لأبي حيان الأندلسي ط السعادة ١٣٢٨
١٠٤ ـ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ط العثمانية ١٣١١
١٠٥ ـ نوادر الأصول للحكيم الترمذي ط اصطنبول ١٢٩٣
١٠٦ ـ هدي الساري في مقدمة فتح الباري لابن حجر العسقلاني ط المنيرية ١٣٤٧
١٠٧ ـ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودي ط الآداب ١٣٢٦

٥ ـ محتوى الموضوعات الواردة في الأحاديث وشروحها (١)

الصفحة

---

(١) حرف التاء : ت يشير إلى أن ماذكر قبله وارد في التعليقات .

الصفحة

الصفحة

الصفحة

أول كتاب التصريح بما تواتر في نزول المسيح

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصحفة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصحفة

الصفحة

الصفحة

تتمة واستدراك في الأحاديث

الصفحة

آثار الصحابة والتابعين

الصفحة

الصفحة

تتمة واستدراك في الآثار

المحتوى

استدراك

رأيت أن أذكر هنا ما بدا لي إضافتُه على بعض المواضع من التعليق إتماماً للفائدة ، كما أذكر التصويب لما ندّ من فرطات مطبعية وإن كانت طفيفة .

الصفحة

١١٤ س ٢٠ يضاف بعد آخر السطر : وفائدةُ صنيعه هذا أن يُظهِرَ للناس أن ذلك الشابَّ هلك بلا ريب كما يفعله السَّحَرَةُ والمشعوذن .

١٢٢ س ٢٣ يضاف بعد نهاية السطر : هذا ، وللمؤلف الإمام الكشميري في كتابه « عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام » ص ٢٩٦ - ٣٠٥ مقالة في عشر صفحات وهي مختصرة من مقالة طويلة جداً في مبحث سدّ يأجوج ومأجوج ، وله فيها تحقيق وتوجيه جيد بشأن السدّ وخروجهم منه ، وأنه خروج مخصوص يسبقه نزول عيسى عليه السلام ، ولو لا طولُها واتساعُ الكتاب لنقلتُها ، فأكتفي بالإشارة إليها . وقد نقلها شيخنا

الصفحة

البَنُوري في « نفحة المنبر من هدي الشيخ الأنور » ص ١٣٧ - ١٤٣ .

١٥٩ س ٨ فيَجرِفُ أجسادَهم . يُعلَّق عليه: هكذا جاء في بعض الكتب ، وجاء في بعضها : فيَجتَرِفُ أجسادَهم . وكلٌّ منها صحيح .

١٧١ س ٧ يضاف بعد آخر السطر : وأورده السيوطي في « الحاوي » في رسالة « الإعلام بحكم عيسى عليه السلام » ٢ : ١٥٦ من حديث عبد الله ابن عَمْرو بن العاص ، وعزاه إلى ابن عساكر ، وكذلك صَنَع شيخنا النُّهاري في « إقامة البرهان » ص ٣٩ فعزاه إلى « الحاكم وابن عساكر عن ابن عَمْرو » . ولكني لم أره في « المستدرك » لا عن ابن عُمَر ولا عن ابن عَمْرو ، فالله أعلم .

٢٨٩ س ٢٠ يضاف بعد آخر السطر : وهو عليه السلام أيضاً عِلْمٌ للساعة أي تُعْلَمُ بنزوله ، فهو أَمارةٌ وعلامةٌ عليها ، قال الزمخشري في « الكشاف » ٣ : ٤٢٤ « وإنه لَعِلْمٌ للساعة » أي إنَّ عيسى عليه السلام شَرَطٌ -علامة- من أشراطِها تُعْلَمُ به، فسُمِّي الشَّرَطُ عِلماً لحصول العِلْمِ به . انتهى وهكذا فسَّرَ الآيةَ أبو حيان الأندلسي في تفسيره « البحر » ٨ : ٢٦ وابن قتيبة في « غريب القرآن » ص ٤٠٠ وغيرُهم من المفسِّرين ، وتكون الآيةُ بقراءتها ناطقةً أن عيسى عليه السلام عِلْمٌ وعَلامَةٌ على السَّاعةِ بنزوله من السماء قبل قيامِها .

١١ س ٤ بل البلاءُ . ٤٥ س ١٠ بنفسه . ٥١ س ١٣ القاديانيين . ٥٤ س ١٧ الفرسِ . ٥٧ س ١ الآلوسيُّ . ٥٧ س ١٢ في المدينة المنورة . صوابُهُ : في مكة المكرمة . ٦١ س ٦ مع ما . ٦١ س ١٠ (٢) . ٩٦ س ١٠ الدُّرّ المنثور . (تحرف في بعض النسخ) . ١٠٥ س ١٨ من فتنةِ . ١٨٩ س ١ رسولُ اللهِ . ١٩٠ س ١٢ أو تُحَقِّقَ . ٢٠٦ س ١٢ للحاكم ٤ : ٤٣٢ . ٢٠٨ س ١ سوداءَ . ٢٦٨ س ٢ فيُرَى .

الاستدراكات والإضافات على الطبعة الثالثة من كتاب
التصريح بما تواتر في نزول المسيح

الصفحة السطر

٨ س ٦ يزاد بعد هذا السطر : وروَى الإمام أحمد في « مسنده » ٢ : ٢٩٩ ، بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قولَه : إني لأرجو إن طالَتْ بي حياة أن أدرك عيسى ابنَ مريم عليه السلام، فإن عَجِلَ بي موتٌ، فمن أدركه فليقرئه مني السلام . وسيأتي ذكر هذا الحديث في الكتاب برقم الحديث ٢٥ .

٨ س ١٠ يعلق على قوله : وأعوذُ بك من فتنة المسيح الدجّال ما يلي :

وَصَفَ النبيُّ ﷺ (المسيحَ) بالدجّال ، احترازاً عن سيدنا عيسى عليه السلام ، وإنما استعاذ ﷺ من (المسيح الدجّال) ، مع كونه لا يدركه : نَشْراً لخبره بين أمّتِه جيلاً بعد جيل ، لئلا يَلتَبِسَ كُفْرُه على مُدركِه . قاله المناوي في « فيض القدير » ٢ : ١٢٧ .

١٠ س ١٨ يزاد بعد هذا السطر الحديثُ التالي ، ويعدَّل رقم الحديثين بعده إلى ٥ — و ٦ — .

٤ — عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعةُ حتى يَكثُرَ المالُ ويَفيضَ ، حتى يَخرجَ الرجلُ بزكاةِ مالهِ فلا يجدُ أحداً يَقبلُها منه ، وحتى تَعودَ أرضُ العرب مُروجاً وأنهاراً » . رواه مسلم في « صحيحه » ٧ : ٩٧ ، في كتاب الزكاة في (باب أن اسم الصدقة يقع على كل معروف) .

٢٢ س ٧ يعلق على قوله : وبالنادي فتني أراملُه ما يلي :

هكذا جاء بخط الشيخ الكشميري ، وروايةُ ابن خلّكان الآتي الحديثُ

عنها . (وبالنادي فتَبكِي أراملُه) .

وهكذا نَسَبَ الإمامُ الكشميريُ رحمه الله تعالى هذين البيتين إلى أحدِ شعراء مكة ، في الوزير جمال الدين ، كما رأيتُه بخطه .

وحقاً إن البيتين المذكورين ذُكِرَا في ترجمة الوزير جمال الدين الجَوَاد الأصفهاني (أبي جعفر محمد بن علي بن أبي منصور) ، المتوفى بالموصل سنة ٥٥٩ ، ثم المنقولِ منها في سنة ٥٦٠ إلى مكة ثم المدينة ، والمدفونِ فيها بالبقيع ، كما في ترجمته في « الوفَيَات » لابن خلّكان ٢ : ٧٢ — ٧٤ ، و « الوافي بالوفَيَات » للصلاح الصَّفَدي ٤ : ١٥٩ — ١٦١ .

لكن نبّه القاضي ابن خلكان رحمه الله تعالى في ترجمة (الوزير جمال الدين) ، إلى أنهما من قصيدةٍ قِيلَتْ في رثاء (المُقَلَّد بن نَصْر بن مُنقِذ الشَّيْزَري الحَمَوي) ، الشامي المتوفى بحلب سنة ٤٣٥ ، أو سنة ٤٥٠ ، المترجَم عنده في « الوفيات » ٢ : ١١٨ — ١٢٠ .

وقد ساق في ترجمته قصيدة هذين البيتين في ٥١ بيتاً ، وسَمّى قائلَها فقال : « ورثاه القاضي أبو يعلى حمزةُ بن عبد الرزاق بن أبي حصين ، بهذه القصيدة ، وهي من فائق الشعر ... » ، ثم ذكرها بتمامها .

وإنما ظُنَّ أن هذين البيتين قِيلا في (الوزير جمال الدين الجواد) ، لإنشادهما في رثائه ، ولكونه كان جُوْداً وكَرَماً كما جاء فيهما ، وهما قِيلا قبلَه بأكثر من مئة سنة ، كما علمت .

وجاء في كتاب « تالي كتاب وفَيَات الأعيان » ص ١٣٣ ، لفضل الله الصُّقَاعي النصراني الدمشقي ، الذي طَبَعَه المعهد الفرنسي بدمشق في المطبعة اليسوعية ببيروت سنة ١٩٧٤ ، في ترجمة (الأمير حُسَام الدين لاجين الدَّوادَار الظاهري ، المعروف بالدرفيل) ، قولُه : « وتوفي سنة ٦٧٢ بمصر ، وتأسَّفَ الناسُ عليه ، ورثاه الصدر محيي الدين بن عبد الظاهر ،

بمَرْثِيَةٍ ، من جملتها :

قالوا : حُسامُ الدين قد قَطَعَ الوَرَى
قلتُ : الحُسامُ بلا خلافٍ يَقطَعُ
قالوا : مَضَى عنا وَلم يَرجِع لنا
قلتُ : الحُسامُ إذا مَضَى لا يَرجِعُ .

ولـه :

مَرَى نعشُه فوق الرقاب وطالما
مَرَى بِرُّهُ فوقَ الرِّكابِ ونائلُه
يَمُرُّ على الوادي فتُثني رِمالُه
عليه وبالنّادِي فتُثني أَرامِلُه » .

انتهى .

وهذه النصوص تفيد أن هذين البيتين السائرين ، ادّعاهما أكثرُ من شاعر ، لفصاحتهما ، وجمال معانيهما ، وضخامة رثائهما ، وهما — كما سبَق — للقاضي حمزة بن عبد الرزاق ، ورُثِي بهما الأمراء والكرماء ، والله أعلم .

٣٦ س ١٤ يزاد هنا : وجاء في « بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز » ٢ : ١٣٧ — ١٤٤ للإمام الفيروزآبادي صاحب « القاموس » ، بيان اشتقاقِ لفظ (المسيح) في صِفَة نبيِّ الله عيسى عليه السلام ، واشتقاقِه في صفة عدوِّ الله : الدجّال أخزاه الله ، وقد ذكَر فيه ستاً وخمسين قولاً ، فارجع إليه إذا شئت .

٥٣ س ١٨ يضاف إلى ما ذكرته من الكتب التي أُلِّفت للردّ على القاديانية مما لم أذكره قبل ، أو طُبِع بعد طبع كتابي ما يلي :

٤٨ — سواطع الحق المبين، في الرد على من أنكر أن سيدنا محمداً خاتمُ النبيين . لمحمد طاهر الأتاسي مفتي حمص من بـلاد الشام . طبع في حمص ١٣٥٠ ، ١١٦ صفحة .

٤٩ — محمد رسول الله خاتم النبيين والرد على القادياني . للشيخ المحدث محمد الحافظ التيجاني رحمه الله تعالى . القاهرة .

٥٠ — القاديانية دراسات، وتحليل للأستاذ إحسان إلهي ظهير الباكستاني. حلب ١٣٨٧ .

٥١ — ما هي القاديانية ؟ للأستاذ أبو الأعلى المودودي . طبعته دار القلم الكويتية في بيروت ١٣٨٩ ، ٢٣٨ صفحة .

٥٢ — القاديانية مطية الاستعمار البغيض من مصادره الموثوقة ، للأستاذ محمد خير القادري . دمشق ١٢٧٣ .

٥٣ — القاديانية ما هي ؟ للعلامة المحدث الشيخ محمد عاشق إلهي البرني ، طبعته دار التصنيف في دار العلوم بكراتشي ١٣٨٩ ، ٢٤ صفحة .

٥٤ — القادياني ومعتقداته للعلامة الشيخ منظور أحمد جنيوتـي الباكستاني ، مناظر القاديانية المظفار . طَبع في جنيوت — باكستان من نحو سنتين ، ٤٢ صفحة .

٥٥ — مِسكُ الختام في ختْم النبوَّة لخير الأنام — بالأوردية — لشيخنا العلامة المحدِّث محمد بَدْر عالَم ، المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١٣٨٥ ، رحمه الله تعالى ، في ٤٢ صفحة، طُبع قديماً في الهند، ثم طبع بالمطبعة الإسلامية السعودية في لاهور بباكستان سنة ١٣٩٨ .

٥٦ — موقف الأمة الإسلامية من القاديانية. تأليف نخبة من علماء باكستان بتوجيه شيخنا العلامة المحدث محمد يوسف البنوري رحمه الله تعالى ، نشرَتَه (جمعية تَحفُّظ ختْم النبوة) المركزية بباكستان في سنة

١٣٩٥، دون تاريخ عليه، وهو كتاب الكتب في هذا الموضوع، ليس قبلَه ولا بعدَه مثلُه، ١٨٨ صفحة، وعلى أثره – مع جهود العلماء الربانيين – أصدرت حكومة باكستان حكمَها أن القاديانية طائفةٌ من الأقليات غير المسلمة.

٥٨ س ٧ يضاف إليه من أول السطر ما يلي:

«ومثالُه: أن يروي واحدٌ، أن حاتِماً وَهَب لرجل مئةً من الإبل، وأخبر آخَرُ أنه وَهَب خمسين من العبيد، وأخبر آخر أنه وَهَب عشرة دنانير، ولا يزالُ يروي كل واحد من الأخبار شيئاً، فهذه الأخبارُ تدلُّ على سَخَاء حاتِم». انتهى من «مسوَّدة آل تيمية في أصول الفقه» ص ٢٣٥.

٦١ س ١٧ يزاد عليه من أول السطر:

ثم ترجّح لي الجزمُ بأن الصواب فيه (أبو الحُسَيْن)، وما سواه تحريف وإنْ تعدد وقوعُه في الكتب! وذلك أن اسمَ الآبُرِي: (محمد بن الحُسَيْن بن إبراهيم)، وجرَتْ العادةُ في التكنية: أن يكنى الرجلُ باسم أبيه، وأن يُسَمِّي أولَ ولدٍ يُولَدُ له باسم أبيه، فيكون هو (أبو الحُسَيْن).

ثم رأيت المحقِّقَيْنِ لكتاب «طبقات الشافعية الكبرى» ٣ : ١٤٧ من الطبعة المحققة، رجّحا في ترجمة (الآبُرِي) أن اسمَه (محمد بن الحُسَيْن)، وأنّ كنيته (أبو الحُسَيْن)، كما في أكثر الأصول المخطوطة.

٦٥ س ١٨ يضاف بعده ما يلي:

ومنهم شيخنا العلامة الضليع الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى، في تعليقه على «مسند أحمد» ١٥ : ٢٧ عند ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «يَنزِلُ عيسى ابنُ مريم، فيَقتُلُ الخنزير، ويمحو

الصَّليب ... ثم تلا أبو هريرة ﴿ وإنْ مِن أهلِ الكتاب إلا لَيُؤْمِنَنَّ به قبلَ موتِه ، ويومَ القيامةِ يكونُ عليهم شهيداً ﴾ . فزَعَم حنظلةُ الراوي عن أبي هريرة : أن أبا هريرة قال : يُؤمِنُ به قبلَ موتِه : عيسى » .

قال الشيخ شاكر : « قولُه : (قَبْلَ موتِه : عيسى) ، يريد أن الضمير في (موتِه) عائدٌ على (عيسى) ، فهو تفسير للضمير . وهذا هو الثابت في الأصول الثلاثة الخطيّة للمُسْنَد. وجاء في «جامع المسانيد» لابن كثير و « تفسير ابن كثير » هـذا الحديث بلفظ (قبلَ موتِ عيسى) ، بدون ذكر الضمير ، فيكون تفسيراً لمعنى الآية لا حكايةً للفظِها ثم تفسيراً للفظ ، والأمر قريب .

وهذا هو المعنى الصحيح للآية ، أنه : وإنْ من أهلِ الكتاب إلا لَيُؤمِنَنَّ بعيسى قبلَ موتِ عيسى ، كما قال الإمام الطبري في « تفسيره » ٦ : ١٦ . وهو أيضاً يَرُدُّ على مَن أنكَرَ أن عيسى عليه السلام لا يَزالُ حَيّاً في السماءِ لم يَمُتْ،وأنه رفَعَه الله إليه. ويَدُلُّ على أنهسيَنزِلُ من السماء في آخر الزمان ، كما ثَبَتَ في الأحاديث المتواترة في ذلك ، وقد أشرنا إلى ذلك عند حديث أبي هريرة المتقدم في ١٢ : ٢٥٧ .

وقال رحمه الله تعالى في هذا الموطن — بعد أن أشار إلى تعدد الأحاديثِ الصحيحة الواردة في نزول سيدنا عيسى عليه السلام — :

« وقد لَعِبَ المُبتَدِعون ، أو المجرِّدون ، في عصرِنا الذي نحيا فيه ، بهذه الأحاديث الدالّةِ صراحةً على نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، في آخرِ الزمانِ قبل انقضاء الحياةِ الدنيا : بالتأويلِ المنطوي على الإنكار تارةً ، وبالإنكارِ الصريحِ أخرى ! ذلك أنهم — في حقيقة أمرهم — لا يؤمنون بالغيب ، أو لا يكادون يؤمنون بالغيب !

وهي أحاديث متواترةُ المعنى في مجموعها ، يُعلَمُ مضمونُ ما فيها من الدين بالضرورة . فلا يُجديهم الإنكارُ ولا التأويل » . ثم نقَلَ الشيخ شاكر رحمه الله تعالى كلامَ الحافظ ابن كثير في أن أحاديث نزول سيدنا عيسى عليه السلام متواترةٌ عن رسول الله ﷺ .

٧٠ س ٣ يعلق هنا : قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى في « مجموع الفتاوى » ٢٨ : ٦٠٦ : « جعَلَ الله المسيحَ ابنَ مريم وأمّه آيةً للناس، حيث خلَقه من غير أب ، إظهاراً لكمالِ قدرته وشمولِ كلمته ، حيث قسَم النوعَ الإنساني : الأقسامَ الأربعة، ١ – فجعَلَ آدمَ من غير ذكر ولا أنثى ، ٢ – وخلَقَ زوجَه حواءَ من ذكر بلا أنثى ، ٣ – وخلق المسيح ابنَ مريم من أنثى بلا ذكر ، و ٤ – وخلَقَ سائرهم من الزوجين الذكرِ والأنثى » .

٩٢ س ٩ وانظر تخريج حديث (لو كان موسى حياً) في «مجمع الزوائد» للحافظ الهيثمي ١ : ١٧٣ – ١٧٤ .

وقال القرطبي في « التذكرة بأحوال الآخرة » ص ٦٧٨ عند ذكره لنزول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان :

« قال العلماء رضي الله عنهم : وإذا نزَل عيسى عليه السلام في آخر الزمان ، يكون مقرِّراً لشريعة محمد ﷺ ومجدِّداً لها ، لأنه لا نبي بعد رسولِ الله يحكمُ بشريعةِ غيرِ شريعة محمد ﷺ ، لأنها ...آخِر الشرائع ، ونبيُّها خاتمُ النبيين . فيكون عيسى حكَماً مُقْسِطاً ، لأنه لا سلطان يومئذ للمسلمين ، ولا إمامَ ولا قاضيَ ولا مفتيَ لهم ، وقد قبَض الله العلمَ وخلا الناسُ منه .

فينزِلُ وقد علِمَ بأمر الله تعالى له في السماء قبلَ أن ينزل، ما يحتاج إليه من علم هذه الشريعة ، ليحكم به بين الناس ، وليعملَ به في نفسه .

فيجتمع المؤمنون عند ذلك ويحكّمونه على أنفسهم ، إذْ لا أحَدَ يَصلُح لذلك غيرُه ، ولأن تعطيل الحكم غير جائز ، وأيضاً فإنّ بقاء الدنيا إنما يكون بالتكليف ، فلا يزال التكليف قائماً إلى أن لا يَبقى على وجه الأرض من يقول : الله ، الله » . انتهى من « مختصر تذكرة القرطبي » للشَّعْراني ص ١٧٩ — ١٨٠ من طبعة القاهرة سنة ١٣٠٨ .

وجاء في « صحيح مسلم » ١٥ : ١٧٤ : عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي » .

قال الإمام النووي في شرحه ١٥ : ١٧٤ « قال العلماء : في هذا الحديث دليلٌ على أن عيسى ابن مريم ﷺ ، إذا نزل في آخر الزمان نَزَل حَكَماً من حُكّام هذه الأمة ، يحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ ، ولا ينزِلُ نبياً . وقد سَبقَتْ الأحاديثُ المصرِّحةُ بما ذكرناه في كتاب الإيمان » .

٩٥ س ٥ يعلق على قوله : وإنه نازل ، ما يلي :

تواردت النصوصُ المتواترةُ على نزول سيدنا عيسى عليه السلام ، ولكن لا توقيت فيها لزمن نزوله بالتحديد والتعيين ، وإنما التوقيت فيها بالأمارات والعلامات الدالة على نزوله .

قال الإمام ابن جرير الطبري في مقدمة « تفسيره » : ١ : ٧٤ و ٩٢ : « تأويلُ جميع القرآن على أوجه ثلاثة : أحدُها لا سبيل إلى الوصول إليه ، وهو ما لا يَعلم تأويلَه إلا اللهُ الواحدُ القهار ، وهو الذي استأثر الله بعلمه ، وحَجَب علمَه عن جميع خلقه ، وذلك ما فيه من الخبر عن آجالٍ حادثة ، وأوقاتٍ آتية ، كوقتِ قيام الساعة ، والنفخ في الصور ، ونزولِ عيسى ابن مريم ، ووقت طلوع الشمس من مغربها ، وما أشبه ذلك .

فان تلك أوقاتٌ لا يَعلم أحدٌ حُدُودَها ، ولا يَعرف أحدٌ من تأويلها إلا الخبرَ بأشراطها ، لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه ، وبذلك أنزَل ربُّنا محكمَ كتابه ، فقال : ﴿ يَسألونك عن الساعة أيّانَ مُرْساها ، قلْ إنما عِلمُها عند ربي ، لا يُجلِّيها لوقتِها إلا هو ، ثَقُلَتْ في السموات والأرض ، لا تأتيكم إلا بَغْتَةً ، يَسألونك كأنك حَفِيٌّ عنها ، قل إنما عِلمُها عند الله ولكن أكثرَ الناسِ لا يَعلمون ﴾ .

وكان نبينا محمد ﷺ إذا ذَكَر شيئاً من ذلك ، لم يَدُلَّ عليه إلا بأشراطه ، دون تحديده بوقته ، كالذي رُوي عنه ﷺ أنه قال لأصحابه ، إذْ ذكَرَ الدجّال : إنْ يَخرُج وأنا فيكم ، فأنا حَجِيجُه ، وإن يَخرُجْ بعدي ، فاللهُ خليفتي عليكم . وما أشبَهَ ذلك من الأخبار الدالّة على أنه ﷺ ، لم يكن عنده علمُ أوقاتِ شيء منه بمقادير السنين والأيام ، وأن الله جل ثناؤه إنما عرَّفه مجيئَه بأشراطه ، ووقَّتَه بأدلته » .

٩٦ س ٢ يعلق على قوله : (فيُهلِك الله في زمانه المِلَلَ كلَّها إلا الإسلام) بما يلي :

قلت : هذا النص في الحديث ، يفيد شمولَ طهارة الأرض من الشرك والكفر ، وانبساطَ الإسلام عليها ، وهو يخالف ما ذهب إليه المؤلف الكشميري في كتابه « فيض الباري » ٣ : ١٩٥ ، وأنقلُه ليُنظَر فيه .

قال رحمه الله تعالى : « ما اشتهر على الألسنة أن دين الإسلام يُبْسَطُ في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام على البسيطة كلها ، ليس في الأحاديث ، والذي فيها أنه لا يَقبل اليهودية والنصرانية بعد نزوله ، فيُنقِذُ نفسَه من أسلم ، ويُقتَلُ من أبى . وهذا أيضاً حيث يغزو نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام .

وملخّصُ الأحاديث : أن اليوم تَجري الأديانُ الثلاثة ، فإذا نزل عيسى عليه الصلاة والسلام لا يَقبل إلا الإسلام ، وحينئذ يكون الدينُ كلُّه لله .

فهذا بيانٌ للمسألة ، لا إخبارٌ بما يكون في الخارج ، فيجوز أن يَبقى الكفرُ والكُفّارُ أيضاً ، لكن إنْ يَبلُغ إليهم عيسى عليه الصلاة والسلام ، لا يَقبل منهم إلا دينَ الإسلام ، لا الجِزيةَ ، كما هو اليوم .

ويُستفاد من الأحاديث أن الغلبة المعهودة ، إنما تكون في الشام ونواحيه ، حيث ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام ، وفسادُ يأجوج ومأجوج في هذه الأطراف ، والجزيرةُ طبَرِيّةُ : أيضاً نحو الشام .

وبالجملة : لم نجد في حديث أن عيسى عليه الصلاة والسلام أيضاً يدور في الأرض كدور الدجّال، فلا تكون غلبةٌ موعودة إلا في موضع نزوله، أما سائر البلاد فمسكوت عنها ، والله تعالى أعلم بما يكون فيها » . انتهى .

وقال المؤلف الكشميري أيضاً في كتابه « فيض الباري » ١ : ١٧٢ ، عند حديث « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمرُ الله وهم ظاهرون » : « أي لا يخلو زمان إلا وتوجد فيه تلك الطائفة القائمة على الحق ، لا أنهم يكثرون في كل زمان ، ولا أنهم يغلبون على من سِواهم ، كما سبَق إلى بعض الأفهام .

حتى إنّ غلبة الدِّين في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام عندي ليس كما اشتهر على الألسنة ، بل الموعودَ هو الغلبة ، حيث يَظهر عليه الصلاة والسلام وفيما حوَالَيْه ، أما فيما وراء ذلك فلم يتعرض إليه الحديثُ ، والعموماتُ كلُّها واردة في البلاد التي يظهر فيها ، ولا تتجاوز فيما وراءها ، وإنما هو من بداهة الوهم والسبق إلى ما اشتهر بين الأنام » . انتهى كلام الشيخ الكشميري ، فتأمل .

٩٦ س ١٨ يزاد بعد هذا السطر الأخير :

ثم وقفتُ على كلام طويل في عمر سيدنا عيسى عليه السلام عند رفعه ، وفي مدة بقائه بعد نزوله ، رأيتُ الاكتفاء بالإحالة إليه في مصادره ، ليستفيد منه الباحث الممحِّص

ففي كتاب « العلل ومعرفة الرجال » للإمام أحمد ١ : ١٦٦ ، عن سعيد بن المسيب : أنه رُفع وله ثلاث وثلاثون سنة . وهكذا قاله الحافظ ابن كثير أيضاً في « البداية والنهاية » ١ : ١٢٥ . وانظر لزاماً « شرح المواهب اللدنية » للحافظ الزرقاني ١ : ٣٤ — ٣٥ من طبعة المطبعة الأزهرية ، و ١ : ٤١ — ٤٣ من طبعة بولاق الثانية ، و «شرح الإحياء» للزَّبيدي ١ : ٤٤٦ و « فيض القدير » للمناوي ٥ : ٤٣٢ .

ويُنظَرُ في مدة بقائه بعد نزوله الأحاديثُ الآتيةُ في هذا الكتاب : الحديث ٦ وما علقته عليه في ص ١٢٧ ، والحديث ١٠ ص ١٤٠ ، والحديث ٣٣ ص ١٩٧ ، والحديث ٥٣ ص ٢٢٩ ، والحديث ٥٥ ص ٢٣١ ، والحديث ٥٨ ص ٢٤٠ ، والحديث ٦٣ ص ٢٤٥ ، والحديث ٦٥ ص ٢٤٦ .

٩٧ س ١٠ يزاد هنا : وانظر الحديث ١٠ من هذا الكتاب وتخريجه ، وتفسيرَ ابن جرير الطبري بتحقيق محمود شاكر ٦ : ٤٥٩ و ٩ : ٣٨٨ .

٩٩ س ١٣ هنا يُعلَّق على قوله: طائفة من أمّتي :قال الحافظ ابن حجر في بيان هذه (الطائفة) ، في « فتح الباري ١٣ : ٢٥١ » قال النووي: يجوز أن تكون الطائفة جماعةً متعددةً من أنواع المؤمنين ،ما بين شجاع وبصير بالحربِ ، وفقيهٍ ومحدِّثٍ ومفسِّر ، وقائمٍ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وزاهدٍ وعابد .

ولا يلزمُ أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد . بل يجوز اجتماعُهم في قُطْر واحد ، وافتراقُهم في أقطار الأرض ، ويجوز اجتماعهم في البلد

الواحد ، وأن يكونوا في بعضٍ منه دون بعض ، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولاً فأولاً ، إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد ، فإذا انقرضوا جاء أمرُ الله . انتهى ملخصاً مع زيادة » . انتهى كلام الحافظ ابن حجر .

وقد استوعبتُ أقوال العلماء في تفسير هذه (الطائفة) ، فيما علقته على فاتحة «الرفع والتكميل» لعبد الحي اللكنوي ، في طبعته الثالثة ، فانظره إذا شئت .

١٠٥-س ١٩ وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى في « شرح صحيح مسلم » ١٨ : ٥٨ — ٥٩ ، بعدَ ذكر أحاديثِ الدَّجال — وكلامُه الآتي هو أصلُ كلامِ الحافظ ابن حجر السابِق ذكرُه — :

« قال القاضي عِياض : هذه الأحاديثُ التي ذكرها مسلمٌ وغيرُه في قصة الدجال : حُجَّةٌ لمذهب أهل الحق في صحةِ وجودِه ، وأنه شخصٌ بعَيْنِه ، ابتَلَى الله به عبادَه ، وأقدَرَه على أشياء من مقدوراتِ الله تعالى ، من إحياءِ الميت الذي يَقتُلُه ، ومن ظهورِ زهرةِ الدنيا والخِصبِ معه ، وجَنَّتِه ونارِه ونَهْرَيْه ، واتِّباع كُنُوز الأرض له ، وأمرِه السماءَ أن تُمطِر فتُمطِر ، والأرضَ أن تُنبِتَ فتُنبِت ، فيقعُ كل ذلك بقدرةِ الله ومشيئتِه .

ثم يُعجِزُهُ اللهُ تعالى بعدَ ذلك ، فلا يَقدِرُ على قتلِ ذلك الرجلِ ولا غيرِه ، ويُبطِلُ أمرَه ، ويَقتُلُه عيسى ابنُ مريم صلى الله عليه وسلم ، ويُثبِّتُ الله الذين آمنوا .

هذا مذهبُ أهل السنة والجماعة وجميع المحدِّثين والفقهاءِ والنُّظّار خلافاً لمن أنكره وأبطل أمرَه من الخوارج والجهْمية وبعضِ المعتزلة ، وخلافاً للبخاريِّ المعتزليِّ ومرافِقيه من الجَهْمية وغيرِهم ، في أنهُ

صحيحُ الوجود . ولكن الذي يدَّعي : مَخَارِقُ وخيَالاتٌ لا حقائقَ لها . وزعموا أنه لو كان حقاً لم يُوثَق بمعجزات الأنبياء . صلواتُ الله وسلامُه عليهم .

وهذا غلَطٌ من جميعهم . لأنه لم يَدَّعِ النبوة فيكونَ ما معه كالتصديقِ له . وإنما يدَّعي الإلهيّة ! وهو في نفسِ دعواه مكذِّب لها بصورةِ حالِه . ووجودِ دلائلِ الحدوثِ فيه ، ونقصِ صُورتِه . وعَجْزِه عن إزالةِ العَوَرَ الذي في عينيه . وعن إزالةِ الشاهد بكفره المكتوبِ بين عينيه .

ولهذه الدلائل وغيرِها لا يَغتَرُّ به إلا رَعاعٌ من الناس ، لِسَدِّ الحاجة والفاقة ، رغبةً في سَدِّ الرَّمقَ ، أو تَقيَّةً وخوفاً من أذاه ، لأنَّ فتنته عظيمة جداً ، تُدهِشُ العقول ، وتُحيِّرُ الألباب ، مع شرعةِ مروره في الأرض ، فلا يمكُثُ بحيث يتأمّلُ الضعفاءُ حالَه ودلائلَ الحدوثِ فيهِ والنقصِ ، فيُصدِّقُه من صدَّقه في هذه الحالة !

ولهذا حذَّرت الأنبياءُ صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين من فتنته ونبّهوا على نقصِهِ ودلائلِ إبطالِه ، وأما أهلُ التوفيق فلا يَغتَرُّون به ، ولا يُخدَعُون بما معه ، لِمَا ذكرناه من الدلائل المكذِّبة له ، مع ما سبَقَ لهم من العلم بحاله ، ولهذا يقول له الذي يَقتُلُه ثم يُحييه : ما ازدَدْتُ فيك إلا بصيرةً . هذا آخِرُ كلام القاضي عيَاض رحمه الله تعالى » . إنتهى كلامُ الإمام النووي رحمه الله تعالى ، وهو أوفى بياناً من كلام الحافظ ابن حجر .

١١٠ س ٩ (٢) قال الإمام النووي... تُجعَلُ التعليقةُ كما يلي : (٢) فمجموع إقامة الدجَّالِ وبقائه في الأرض: أربعةَ عشر شهراً وأربعةَ عشراً يوماً . قال الإمام النووي ... .

١١٨ س ٣ قوله : فبينما هو كذلك ، يعلّق عليه : هكذا رواية مسلم ، ورواية ابن ماجه وأحمد : (فبينما هُمْ كذلك) . وهي أقومُ من رواية مسلم .

١٢٥ س ٣ يعلق على قوله هنا : ... لَتكفِي الفَخْذَ من الناس . ما يلي :

لقد تواردَتْ الأحاديثُ الشريفة الصحيحة على هذا المعنى ، من كثرة الثمرات ، وزيادة الخيرات ، واتساع البركات في الأرض ، بعد طهارتها من أدناس الشرك والكفر والمعاصي والذنوب . ومن الأحاديثِ التي تكرر فيها هذا المعنى من أحاديث هذا الكتاب خاصة : الحديثُ ١٣ حديث أبي أمامة الباهلي في آخره ، في ص ١٥٤ ، والحديث ٤٨ حديث ابن عباس في آخره ، ص ٢٢٣ ، والحديث ٥٦ حديث أبي هريرة ص ٢٣٢ ، والحديث ٨ من (التتمة والاستدراك) حديث عبد الله بن مسعود ص ٢٧٥ .

وقال الحافظ ابن القيم في كتابه « الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي » ص ٨٣ — ٨٦ ، في الفصل — ٢٦ — من فصول الكتاب :

« فصل : ومن آثار الذنوب والمعاصي أنها تُحدِثُ في الأرض أنواعاً من الفساد في المياه والهواء والزرع والثمار والمساكن ، قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ الفسادُ في البَرِّ والبَحْرِ بما كَسَبَتْ أيدي الناسِ ، ليُذيقَهم بعضَ الذي عَمِلُوا لعلّهم يَرجِعون ﴾ .

قال بعض السلف : كلما أحدثتُم ذنباً ، أحدثَ الله لكم من سُلطانه عقوبة . والظاهر — والله أعلم — أن الفساد — المشارَ إليه في الآية — المرادُ به الذنوبُ ومُوجِباتُها ، ويَدُلُّ عليه قولُه تعالى : ﴿ ليُذيقَهم بعضَ الذي عَمِلُوا ﴾ . فهذا حالُنا ، وإنما أذاقنا الشيءَ اليسيرَ من أعمالنا ، فلو أذاقنا كلَّ أعمالنا ، لما تَرَك على ظهرها من دابّة !

ومن تأثير معاصي الله تعالى في الأرض ، ما يَحُلُّ بها من الخَسْف والزلازل ، ويَمْحَقُ بركتَها . وقد مرَّ رسول الله ﷺ على ديار ثمود ، فمنَعَهم من دخول ديارهم إلا وهم باكون ، ومن شُرْبِ مياههم ، ومن الاستسقاءِ من آبارهم ، حتى أمرَ أن لا يُعلَف العجينُ الذي عُجِنَ بمياههم لنواضحِ الإبل ، لتأثير شُؤم المعصية في الماء .

وكذلك شؤمُ تأثير الذنوب في نقص الثمار وما يُرَى بها من الآفات ، وقد ذكَرَ الإمام أحمد في «مسنده» ٢ : ٢٩٦ ، في ضمن حديثٍ قال : «وُجِدَتْ في خزائن بعض بني أمية حِنْطَةٌ ، الحبَّةُ بقَدْرِ نَوَاةِ التَمْرة ، وهي في صُرَّةٍ مكتوبٍ عليها : كان هذا يَنْبُتُ في زَمَنِ العَدْل .

وكثير من هذه الآفات أحدَثها الله سبحانه وتعالى ، بما أحدَث العبادُ من الذنوب . وأخبرني جماعةٌ من شيوخ الصحراء أنهم كانوا يَعْهَدون الثمارَ أكبرَ مما هي الآن ، وكثير من هذه الآفات التي تُصيبها ، لم يكونوا يعرفونها ، وإنما حَدَثَتْ من قُرب .

وأما تأثيرُ الذنوب في الصُّوَر والخَلْق ، فقد روَى الترمذي في « جامعه » عن النبي ﷺ أنه قال : « خلَقَ الله آدمَ وطُولُه في السماءِ ستون ذراعاً ، ولم يزَل الخَلْقُ يَنْقُصُ حتى الآن » .

فإذا أراد الله أن يُطهِّر الأرضَ من الظَّلَمةِ والخَوَنةِ والفَجَرة ، يُخرِجُ عبداً من عباده ، من أهل بيت نبيِّه ﷺ ، فيَملأ الأرضَ قِسطاً كما مُلِئَتْ جوْراً ، ويَقتُلُ المسيحُ : اليهودَ والنصارى ، ويُقيمُ الدين الذي بَعثَ الله به رسولَه ، وتُخرِجُ الأرضُ بركاتِها ، وتَعُودُ كما كانت ، حتى إن العِصابة من الناس ، ليأكلون الرُّمَّانةَ ويَستظلون بقِحْفِها ، ويكون العُنقُودُ من العِنَب وِقْرَ بعير ، ولَبَنُ اللِّقْحةِ الواحدةِ — أي الناقةِ ذاتِ اللبَن — يكفي الفِئامَ من الناس — أيَ

الجماعةَ من الناس ـ .

وهذا لأن الأرض لما طَهرَتْ من المعاصي ، ظهرَتْ فيها آثارُ البركة من الله تعالى ، التي مَحَقَتْها الذنوبُ والكفر . ولا ريب أن العقوبات التي أنزلها الله في الأرض ، بقيّةُ آثارها ساريةٌ في الأرض ، تَطلُبُ ما يُشاكلها من الذنوب التي هي آثار تلك الجرائم التي عُذِّبت بها الأمم ، فهذه الآثار في الأرض ، من آثار العقوبات ، كما أن هذه المعاصي من آثار الجرائم » . انتهى كلام الحافظ ابن القيم .

وقال الحافظ ابن كثير في « تفسيره » ٥ : ٣٦٤، عند قوله تعالى في سورة الروم : ﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ في البَرِّ والبَحْرِ بما كسَبَتْ أيدِي النَّـــاس ، لِيُذِيقَهم بعضَ الذي عَمِلُوا لعلّهم يَرجِعُون ﴾ :

« المرادُ بالبَرِّ هنا : الفيَافي ، وبالبحر : الأمصار والقُرَى . ومعنى قوله تعالى : ﴿ ظَهَرَ الفسادُ في البَرِّ والبحر بما كسَبَتْ أيدي الناس ﴾ أي إنَّ النّقْصَ في الزروع والثمار بسبب المعاصي .

وقال أبو العالية : من عَصَى الله في الأرض ، فقد أفسد في الأرض ، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة ، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود : « لَحَدٌّ يُقامُ في الأرض أحَبُّ إلى أهلِها من أن يُمطَروا أربعين صباحاً » .

والسببُ في هذا أن الحدود إذا أُقيمت ، انكف الناسُ أو أكثرُهم أو كثيرٌ منهم عن تعاطي المحرمات ، وإذا تُرِكَتْ المعاصي ، كان ذلك سبباً في حصول البركات من السماء والأرض .

ولهذا إذا نَزَل عيسى ابنُ مريم عليه السلام في آخر الزمان، يَحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت ، من قَتْلِ الخنزير ، وكسرِ الصليب ، ووضعِ الجزية وهو تَرْكُها ، فلا يَقبَلُ إلا الإسلامَ أو السيف ، فإذا

أهلَكَ الله في زمانه الدجّالَ وأتباعَه ، ويأجوجَ ومأجوج ، قيل للأرض : أخرِجي بركَتَكِ ، فيأكلُ من الرُّمَّانة الفِئامُ من الناس ، ويَستظلون بقِحْفِها ، ويكفي لَبَنُ اللِّقْحة : الجماعةَ من الناس .

وما ذاك إلا ببركةِ تنفيذ شريعةِ محمد ﷺ ، فكلما أُقيم العدل كَثُرَتْ البركاتُ والخير ، ولهذا ثبَتَ في « الصحيحين » : أن الفاجر إذا مات يَستَريحُ منه العِبادُ والبلادُ والشجرُ والدوابُّ .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا محمد والحُسَين ، قالا : حدثنا عوف ،عن أبي قَحْذَم[1] ، قال : وجَدَ رجلٌ في زمانِ زياد — بن أبيه المتوفى سنة ٥٣ — ، أو ابنِ زياد — عُبَيدِ الله بن زياد بن أبيه المتوفى سنة ٦٧ — : صُرةً فيها حَبٌّ ، يعني من بُرٍّ أمثالِ النَّوَى ، مكتوبٌ فيها — أي في الصُرَّة — : هذا نَبَتَ في زمانٍ كان يُعمَلُ فيه بالعَدْل » . انتهى .

١٢٧ س ١١ يزاد هنا : وحديث الإمام أحمد في « مسنده » ٥ : ٣٦٤ و ٤٣٤ و ٤٣٥ . وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٧ : ٣٤٧ ، في حديث جُنَادة : « رواه أحمد ورجالُه رجالُ الصحيح » .

١٣١ س ١٧ يزاد هنا : وأول الحديث الرابع والعشرين .

١٣٦ س ٤ قوله : نارٌ تَخرُجُ من اليَمَنِ ، يعلق عليه : ذهب صديقي وأخي العلامة الشيخ عبد العزيز عيون السُّود أمينُ الفتوى بمدينة حمص رحمه الله تعالى ، إلى أن النار التي تَحشُر الناس : هي البترول. وقد جَمَع الأحاديث الواردة في تلك النار الحاشرة ، فتبدّى له منها هذا التفسير ، والله تعالى أعلم .

---

(١) ووقع في « تفسير ابن كثير » هكذا : (عن أبي مهزم) . وهو تحريف ! صوابه : (عن أبي قَحْذَم) ، بالقاف فالحاء المهملة فالذال المعجمة فالميم ، كما جاء في « تعجيل المنفعة » للحافظ ابن حجر ص ٥١٤ . وانظر «المسند» ١٥ : ٩٤، بتعليق الشيخ أحمد شاكر .

والعبدُ الضعيف يَرى إطلاقَ النَّصِّ في (النار) كما جاء ، دون تعيينه أو تقييده بالبترول ، كما ذهب إليه الشيخ رحمه الله تعالى .

١٤١ س ١٣ يزاد هنا : وانظر لزاماً ما علقته على ص ٩٦ و ٩٧ .

١٤٤ س ١٢ يزاد هنا من أول السطر ما يلي :

وقال الشيخ الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، في « مجموع الفتاوى » ٢٠ : ٤٥ « دَلَّ هذا الحديث على أن المؤمن يَتَبيَّنُ له ما لا يَتَبيَّنُ لغيره ، ولا سيما في الفتن ، وينكشفُ له حالُ الكذاب الوضاع على الله ورسوله ، فان الدجّال أكذبُ خلق الله ، مع أن الله يُجري على يديه أموراً هائلة ، ومَخَاريقَ مُزَلْزِلة ، حتى إن من رآه افتُتِنَ به ، فيكشفها الله للمؤمن حتى يعتقد كذبَها وبطلانَها ، وكلّما قوي الإيمانُ في القلب ، قوي انكشافُ الأمور له ، وعرَفَ حقائقَها من بواطلها ، بخلاف القلب الخرَاب المظلم » . انتهى .

قلت: نعم، ومصداقُ هذا قولُه تعالى في سورة التغابُن في الآية ١٠: ﴿ ومَنْ يُؤْمِنْ باللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ، واللهُ بكل شيء عليم ﴾ .

١٦٠ س ١٢ يعدل هكذا : الحاكم ٢ : ٣٨٤ و ٤ : ٤٨٨ و ...

١٦٨ س ٥ قوله : وإنه يَحصُرُ المؤمنين في بيت المقدس ، يعلق عليه : كذا في رواية الإمام أحمد في «المسند» ٥ : ١٦ . وجاء في «مجمع الزوائد» للهيثمي ٧ : ٣٤١ هكذا: (وإنه يُحصَرُ المؤمنون). أي بالبناء للمجهول للفعل وبرفع ما بعده .

١٧٩ س ١٤ يزاد بعده ما يلي :

ويمكن أن يكون الجوابُ على نحو آخر ، وهو أن تُجعَل جملةُ : (قَتَل اللهُ المسيحَ ، وأظهَرَ المؤمنين) جملةً دعائية ، والتعبيرُ بفعلَيْ الماضي فيها لجعل المحقَّقِ وقوعُه كالواقع ، وهي من دُعاء المسيح عليه

السلام في اعتداله من الركوع . والقتلُ والنصرُ فعلاً سيحصُلُ بيد عيسى عليه السلام بعدئذٍ بباب لُدّ أو قريباً منه ، لأنه كان ظهورُ مسيح الضلالةِ قبلَ نزولِ مسيح الهُدى عليه السلام . فجوابُ العلامة الغُماري فيه إغراب وتمحُّل . قاله العلامة الشيخ ناجي أبو صالح من علماء بلدنا حلب حفظه الله تعالى ، فتأمَّل .

١٨٢ س ١٣ يزاد هنا : والسيوطي في « الحاوي » ٢ : ١٥٦ ، في رسالة « الإعلام بحكم عيسى عليه السلام » معزواً إلى ابن عساكر .

١٨٤ س ١٣ يزاد هنا : أي فيكون اسمُه (عبد الله) ، ولقبُه (صافي) ، فيكون نداءُ أمِّه له تارةً باسمه ، وتارةً بلقبه ، والله أعلم .

١٩٧ س ٤ يعلق على قوله : ثم يمكث عيسى عليه السلام ... أربعين سنة ... بما يلي : هذه الأداة العاطفة (ثم) للترتيب الذكري لا الزمني ، إذ مكثُه عليه السلام في الأرض كلِّه أربعون سنة منذ نزوله حتى وفاته ، وليس ابتداؤها بعدَ قتلِه الدجال ، كما هو ظاهر العبارة . قاله العلامة الشيخ ناجي أبو صالح حفظه الله تعالى .

٢١٣ س ١٨ يضاف هنا : ويمكن أن يقال في الجواب عما في الحديث ، من تفضيل من بعدَ الصحابة عليهم : إنه من باب المبالغة في بيان فضل هؤلاء الخَلَف من هذه الأمة المحمدية ، مع تأخرهم في الزمان عن تلك القرون الخيِّرة وأهلِها ، والله أعلم .

٢٢٢ س ١٧ يزاد هنا : وجاء في حديث جابر بن عبد الله ، الذي رَحَل من أجله من المدينة إلى مصر ، حتى سَمِعه من عبد الله بن أُنَيْس الأنصاري ، رضي الله عنهما ، جاء فيه قولُه ﷺ :

« ألا وإنَّ أشدَّ ما أتخوَّفُ على أمتي من بعدي : عمَلُ قوم لوط ، فلترتقب أمتي العذابَ إذا تكافأ النساءُ بالنساء والرجالُ بالرجال » .

أخرجه الحافظ الضياء المقدسي في « جزء » مفرد له ، بسنده إلى جابر بن عبد الله ، كما في تتمة « الكوكب المنير » ص ٣٥ ، من أصول الفقه الحنبلي ، لتقي الدين الفُتُوحي .

٢٢٤ س ٢١ يزاد هنا :

وانظر في بيان (سَوَاد العراق) أيضاً : « الأحكام السلطانية » للإمام الماوردي البغدادي ص ١٧٢ — ١٧٣ ، في أواخر الباب الرابع عشر فيما تختلف أحكامه من البلاد .

٢٣٠ س ١٤ يزاد هنا : ويقول الحافظ ابن حجر في « تعجيل المنفعة » ص ١١ ، في كتاب الزهد : « إنه كتاب كبير ، يكون في قَدْر ثُلُث المسند» . انتهى. وهذا يفيد أن المطبوع من كتاب «الزهد» بعضُ الكتاب لا كلُّه .

٢٤٠ س ١١ يضاف إليه من أول السطر :

وكتب لي أخي وتلميذي الأستاذ الشيخ محمد عوامة : ويؤكِّدُ أنه (عبد الله بن عَمْرو) — كما في «المشكاة» وشرحها — نقلُ الحافظ الذهبي له في « الميزان » ٢:٥٦٢ ، في ترجمة (عبد الرحمن بن زياد بن أَنْعُم الإفريقي) ، وتصريحُه بأن صحابيّه هو «عبد الله بن عمرو بن العاص» ، وعزاه إلى «ابن أبي الدنيا في بعض تواليفه». انتهى . وأفاد الذهبيُّ تأكيدَ تضعيفِ هذا الحديث مع غيره بقوله : « هذه مناكير غير محتملة » .

٢٤٨ س ٢٠ يزاد هنا : وجاء في الحديث عن عمار بن ياسر رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ : « مَثَلُ أُمّتي مَثَلُ المطر ، لا يُدرَى أوّلُه خيرٌ أم آخِرُه » . قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٧ : ٥ « هو حديث حسن، له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة .. وأغربَ النووي فعزاه في « فتاويه » إلى مسند أبي يعلى، من حديث أنس بإسناد ضعيف .

مع أنه عند الترمذي بإسناد أقوى منـــه من حديث أنس ، وصحّحه ابنُ حبان من حديث عـمّار » . انتهى .

وقال الحافظ ابن كثير في « تفسيره » ٦ : ٥١٢ ، في أوائل تفسير سورة الواقعة ، عند قوله تعالى : ﴿ثُلّةٌ من الأوّلين. وقليلٌ من الآخِرين﴾ : « رواه الإمام أحمد عن عمار بن ياسر . وهذا الحديث محمولٌ على أن الدين كما هو محتاجٌ إلى أول الأمّة في إبلاغه إلى من بعدهم ، كذلك هو محتاج إلى القائمين به في أواخرها ، وإلى تثبيتِ الناسِ على السُّنّة وروايتها وإظهارها ، والفضلُ للمتقدم . وكذلك الزرعُ هو محتاج إلى المطر الأول وإلى المطر الثاني ، ولكنْ العمدةُ على الأول ، واحتياجُ الزرع إليه آكد ، فإنه لولاه ما نبَت في الأرض ، ولا تعلّق أساسُه فيها » .

٢٥٣ س ١٦ يزاد عليه : وقال الحافظ ابن كثير في « النهاية » ١ : ١٠٠ ، بعد روايتهِ : « قال شيخنا الحافظ الذهبي : هذا حديث قوي الإسناد » .

٢٧٩ س ١٤ يزاد هنا : كتب لي الأخ الأستاذ الشيخ محمد عوامة : أخرجه ابن جرير من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، بإسناد صحيح ، كما في « فتح الباري » ٦ : ٣٥٧ ، في كتاب أحاديث الأنبياء (باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام) .

٢٨٧ س ١٥ يزاد هنا في نهاية السطر : وجاء في « تفسير الحافظ ابن كثير » ٣ : ١٢٦ ، عند تفسير قوله تعالى في سورة مريم : ﴿ واذكُرْ في الكتاب إدريسَ إنه كانَ صِدّيقاً نبياً. ورفعناه مكاناً عَليّاً ﴾ ، ما يلي : « قال ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ ، قال : إدريس رُفِعَ ولم يَمُتْ كما رُفع عيسى » .

٢٨٨ س ١٥ يزاد هنا : وهو في « الحلية » لأبي نعيم ٢ : ٢٢١ ، وجاء في روايته بلفظ « ... وقَذّافةً يَقْذِفُ بها الطير » .

٢٩٦ س ٢٤ يزاد هنا استدراكاً على ما ذكره المؤلف من الآثار ما يلي :

١١ — جاء في كتاب « الشريعة » لأبي بكر الآجُرِّي ص ٣٨١ : « حدثنا أبو العباس عبد الله بن الصقر السكري ، قال : حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ، قال : حدثنا عبد الله بن نافع الصائغ ، عن الضحاك بن عثمان ، عن يوسف بن عبد الله بن سَلاَم ، عن أبيه ، قال : الأقبُرُ المنَارية : قبرُ النبي ﷺ ، وقبرُ أبي بكر رضي الله عنه، وقبرُ عمر رضي الله عنه ، وقبرٌ رابعٌ يُدفَنُ فيه عيسى ابنُ مريم ﷺ » .

١٢ — وجاء في « الطبقات الكبرى » لابن سعد ٤ : ٢٣٠ ، في ترجمة أبي ذر الغِفَاري رضي الله عنه ما يلي : « أخبرنا الفضلُ بن دُكين ، قال : حدثنا شَرِيك ، عن إبراهيم بن مُهاجر ، عن كُلَيب بن شهاب الجَرْمي ، قال : سمعتُ أبا ذر يقول : ما يُؤْيِسُنِي رِقَّةُ عظمي ، ولا بيَاضُ شَعْري : أن ألقى عيسى ابنَ مريم » .

١٣ — وجاء في كتاب «العِلَل ومعرفة الرجال» للإمام أحمد ١ : ١٦٦ : « عن سعيد بن المسيب، قال : رُفع عيسى ابن مريم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنـــة » .

١٤ — وجاء في « تفسير الطبري » ٢٦ : ٢٧ ، في تفسير سورة محمد ﷺ ، عند قوله تعالى : ﴿ فشُدُّوا الوَثَاق ، فإمّا مَنّاً بَعْدُ وإمّا فداءً حتى تَضَعَ الحَرْبُ أوزارَها﴾ : قال ابنُ جرير : «حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، قولُه ﴿ حتى تَضَعَ الحربُ أوزارها ﴾ ، قال : حتى يَخرجَ عيسى ابنُ مريم ، فيُسْلِمَ كلُّ يهودي ونصراني وصاحبِ مِلّة ، وتأمَنَ الشاةُ من الذئب ، ولا تَقْرِضَ فأرةٌ جِراباً ، وتَذهبَ العداوةُ من الأشياء كلِّها ، ذلك ظهورُ الإسلام على الدين كلِّه ، ويُنَعَّمَ الرجلُ المسلمُ حتى تَنْطُرَ رِجلُهُ دَماً إذا وضعها — أي من النِّعْمة والرفاهية — » .

١٥ – وجاء في تفسير هذه الآيةِ السابقةِ ، في « تفسير مجاهد » ص ٥٩٨ « أنبأنا عبد الرحمن ، قال : أخبرنا إبراهيم، قال : أخبرنا آدم ، قال : حدثنا الربيع بن صبيح ، عن محمد بن سيرين ، عن عائشة قالت : يُوشِكُ أن يَنزل عيسى ابنُ مريم ،عليه السلام ، إماماً مَهْدِيّاً ، وحَكَماً عَدْلاً ، فيَقتُلَ الخنزير ، ويكسِرَ الصليب ، وتُوضعَ الجزية ، و﴿ تَضَعَ الحَرْبُ أوزارَها ﴾ . » .

٣٠٩ س ٦ يزاد بعده :

إذا نزل ابنُ مريم من السماء فيكم ، وإمامُكم منكم. ٩٨

٣١١ س ٢٤ يزاد بعده :

كيف أنتم إذا نَزَل ابنُ مريم فيكم ، فأمَّكم منكم ؟ ٩٨

٣٢١ س ٣ يزاد بعده :

٦٩ – عون المعبود على سنن أبي داود لشمس الحق العظيم آبادي . دهلي ١٣٢٢ .

* * *

يقول الفقير إلى الله تعالى عبد الفتاح بن محمد أبو غدة : قد تمت كتابة هذه الإضافات والاستدراكات مساءَ يوم الأحد ٢٦ من رمضان المبارك سنة ١٣٩٩ بمكة المكرمة ، نفع الله بها ، وجعلها في حرز القبول عنده،آمين .





لإمام العصر المحدث الكبير الشيخ محمد أنور شاه الكشميري الهندي

ولد ١٢٩٢، وتوفى ١٣٥٢هـ

رحمه الله تعالى

الناشر

المجلس العلمي

كراتشي

إخراج وتوزيع

ادارة القرآن والعلوم الاسلامية

كراتشي باكستان

٤١ من منشورات المجلس العلمى

مجموعة رسائل الكشميرى

الطبعة الأولى ١٩٩٦م-١٤١٦هـ

الطبعة الثانية ٢٠٠٤م-١٤٢٤هـ

الطبعة الثالثة ٢٠١٥م-١٤٣٦هـ

٤٨ من منشورات المجلس العلمى

إيناس بإتيان إلياس

الطبعة الأولى	١٩٦١م	١٣٨٠هـ
الطبعة الثانية	١٩٩٦م	١٤١٦هـ
الطبعة الثالثة	٢٠٠٤م	١٤٢٤هـ
الطبعة الرابعة	٢٠١٥م	١٤٣٦هـ

MAJLIS ILMI:
P. o. BOX:1 JOHANNESBURG, SOUTH AFRICA
P. O. SIMLAK, DISTRICT VALSAD, GUJRAT, INDIA.
MAJLIS ILMI KARACHI

الإخراج والطباعة والتوزيع

إدارة القرآن والعلوم الإسلامية

كلشن اقبال كراتشي ٥ - باكستان

الهاتف: ٠٢١-٣٤٩٦٥٨٧٧

ويطلب أيضا من:

مكتبة القرآن .... بنوري تاون كراتشي

مركز القرآن .... اردو بازار كراتشي

مكتبة الرشد .... الرياض - السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى والصلاة على عباده الذين اصطفى وبعد، فإني ما كنت أردت أن إلياء وإلياس اسمان ولفظان، بل هما لغتان وضبطان ك لفظ، وقيل: إن إلياء أو إلياه -بالهاء الغير الملفوظة على المعروف [١] في أواخر الأسماء العبرية- اسم غبرى، وقد يقال: إليا [٢] هو وأنّ إلياس [٣] أو إلياسين معربه [٤]، وإنما كنت [٥] أردت أن له معنى علميا ومعنى وصفيا [٦]، وقد أطلق في تياملاكى على خاتم الأنبياء -عليه السلام- بالمعنى الوصفى، وبه فسره اليهود أنه نبى منتظر عظيم الشأن، خلافا لإنجيليين على عادتهم الباطلة في إلصاقهم الأبناء السابقة بعيسى - عليه السلام - وبحاله بحق أو بغير حق، حتى حقق أنهم يخترعون القصة ويسوونها حتى يلصق به النبأ

---

(١) ذكره في "الناسخ" من شمعيا.

(٢) هامش، املوك أقل.

(٣) اسم أن.

(٤) خبر أن.

(٥) وقد جاء في يوحنا يوناس كما في "تفسير يوحنا" (صـ ٤٩٤).

(٦) أو تشبيهيا كما ذكره عندهم في "تفسير المكاشفات" (صـ ٥١/ ٢٤٢). و(صـ ١٣٥/ ٢٤٠). و"تفسير فيلبى" (صـ ٦٦) ومعجزاتهم من "تفسير يوحنا" (صـ ٣٧٥). مع عدم معجزة عن يوحنا كما في "إنجيل يوحنا" (١٠-٤١): "فأتى إليه كثيرون، وقالوا: إن يوحنا لم يفعل آية واحدة، ولكن كل ما قاله يوحنا عن هذا كان حقا".

السابق، راجع (صـ ١٩) من نظرة و(صـ ٤٦ و٤٨ وصـ ٥٠).

وذلك أنهم متفقون على أن هذا مأخوذ مما في الاصحاح الرابع من أواخر "سفر ملاكى"، وعبارته: "ها أنا إذا أرسل إليكم إيليا النبى قبل أن يجئ يوم الرب العظيم والمخوف، ويرد قلوب الآباء على البنين وقلوب البنين على آباءهم، لئلا آتى أنا وأضرب الأرض بالحرم"، وهذا صريح في نبى الساعة؛ ولهذا اتفق عليه اليهود، وصرح به مفسر الأناجيل هو الخورى بكتابه "تحفة الجيل" عند تفسيره الاصحاح العاشر من "انجيل يوحنا"[١].. وخلاصة قوله كما في ذيل "الفارق" من (صـ ٣٤/ ٧٤/ ٦٢ من خ)[٢] فإن كان هذا مأخوذا بالمعنى مثلا فلا ريب أن مافيه من (صـ ٣٨٧) باللفظ -وإن لم يرضه الخورى من عنده فماذا؟-[٣]: إن إيلياء الرسول المذكور في آخر "شفر ملاخيا" وهو ملغوز، وهذا هو حبر العالم الذى يأتى في آخر الزمان[٤]. انتهى قول هذا المفسر.

---

(١) عن بعضهم وهذا وإن كان في تفسيره فقرة أخرى لكن مأخذه هو "سفر ملاخيا" ولا بد.

(٢) و(صـ ٣٩٩) من "الفارق".

(٣) وقوله هناك كما سمى، أى الراعى الملاكى في عدد الباباوات الذى دونه، أى عدد البابا الذى أى ذلك العدد دون الراعى في الرتبة، فسمى في عدد البابا بالقديس ملاخيا.

(٤) وفي "عقيدة الإسلام" قلت: وفي الرابع ملاخيا قبل ذكر إيلياء ذكر عهد حورب وهو جبل الطور، وفي عهد حورب توصية بخاتم الأنبياء -ﷺ- وكان أول ما خرج من مصر ثم في آخر عمره بشر بفاران، وهو مخصوص بخاتم الأنبياء -ﷺ- فإيلياء أيضا هو اهـ مع ما أعلمت به هناك، ووحى موسى إنما كان بجبل الطور وسفرا لتثنية إعادة له، وفي السابعة من الرسالة إلى العبرانيين عدم إبناء موسى -عليه السلام- بالكهانة أو النبوة في بنى يهود الذين منهم المسيح فنبأ (١٨) من "التثنية، وهو النبى من بين الإخوة مخصوص بخاتم الأنبياء -ﷺ- لكن من الباب الثالث من النسخ من "إظهار الحق" من "كتاب أرمياء": ها ستأتى أيام يقول الرب: وأعاهد بيت إسرائيل وبيت يهودا عهدا جديدا مع الآية في عهد الخروج. وحمله بولس على الشريعة العيسوية ولكن حمل نبأ من إخوتهم مع كونه واحدا وأنبياءهم كثيرون على واحد منهم - تحكم لا يصغى إليه.

فهذه شهادة من عالم النصارى فوق شهادة اليهود، وعليه ينطبق ما فيه من (صـ٣٨٦) من ترجمة الاصحاح الثالث من "سفر ملاخى" ترجمة حرفية عن الأصل العبرانى الذى هو عند اليهود من غير ترجمة النصارى، ولفظه: "ها أنا سوف أرسل رسولى، فيعزل طريقا بحضورى، حينئذ يأتى إلى هيكله الولى الذى أنتم ملتمسون، ورسول الختان الذى أنتم راغبون أيضا، هو ذا آتٍ قال الله رب الجيوش، وبسطه في (صـ٣١٩) فرسول الختان لا ريب أنه خاتم الأنبياء -ﷺ- والمراد بإتيانه الهيكل إتيانه موضعه وبقية [1] بناءه وإن كان خرب، وذلك [2] في المعراج الجسمانى ولا بد، كإتيان الأولين. والمراد بالولى قبله هو عيسى - عليه السلام - وبالرسول قبله يحيى -عليه السلام- إن شاء الله. وأما ما في الاصحاح السابع عشر من "متى" وفي التاسع من "مرقس" نحوه: - "وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلا: لا تعلموا أحدا بما رأيتم حتى يقوم ابن الإنسان من الأموات" أى لا تخبروا أحدا بمعجزة تجلى موسى وإيلياء إلى أن يقوم عيسى -عليه السلام- من الأموات، ثم قال: "وسأله تلاميذه قائلين: فلماذا يقول الكتبة: إن إيلياء ينبغى أن يأتى أولا؟ فأجاب يسوع وقال لهم: إن إيلياء يأتى أولا ويرد كل شئ، ولكنى أقول لكم: إن إيلياء قد جاء، ويعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا، كذلك ابن الإنسان أيضا سوف يتألم منهم حينئذ، فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان".

---

(١) وهو باق ذكره الحاجي محمد مع السور والمسجد.

(٢) وقد ذكر في القرآن العزيز نفسه خراب المسجد مرتين، فلا يرد ما يورده النصارى عليه كما في "الاستفسار"، وكان طيطس أمر بإبقائه لكن احترق بإلقاء أحد الرومانيين النار فيه، كما في "دين الله" (صـ ٢٥) وكان قبل ذلك بناه هيرودس الأكبر أو رحمه كما فيه (صـ ١٢٢) وذكر في "دائرة المعارف" من أدريانوس أنه عمره بعد التخريب وعمر المدينة أيضا، ثم خربها ثالثا وأبقى البيت. ذكره عن مؤرخى الإسلام، وذكر شيئا منه عن نفسه في العبرانيين، وراجع "تفسير يوحنا" (صـ ١٧٦).

فالمراد بأولية إتيانه أوّليته قبل أن يقوم ابن الإنسان، ولذا أتى بالفاء في قوله: "فلماذا يقول الكتبة" يريدون أنك تمنع من ذكر تجليه الذى له تعلق بإتيانه، وعند قيامك من الأموات قرب الساعة كما كان عقيدة الإنجيليين، ذكره في "الفارق" (صـ١٨٦/ ١٩٤ وصـ١٩٢ وصـ١٩٣/ ١٩٥) وفي ذيله (صـ٦٦) وبسطه في "نظرة في كتب العهد الجديد" من (صـ١٣٩) و"اظهار الحق" (صـ١١٣/ ١ وصـ١٣٦/ ١) والشاهد الثالث عشر من رفع شبهات القسيسين على القرآن، والأمر السادس من مقدمة الباب الرابع (صـ٢٧٨/ ١). ولا يضر ما في حاشية "دين الله" (صـ٨٣)؛ فإنه قد صرح بذلك في "نظرة" (صـ٥٢/ ٢ وصـ٦٦/ ٢) بنفسه، وما يوهمه من الإنجيل (صـ١٨٠) من "الفارق"، لعله دفعه في آخر (صـ١٨١/ ١٩١). وكذلك في عنوان (٢٤) "متى" الترجمة الهندية[١] المحشاة، فمتى يبقى الوقت لإتيانه[٢]؟

فهذا أرادوا وإلا فالسوال[٣] وارد على كل حال، لا أنه ناشئ عن قصة التجلى، ولا أنهم ذهلوا وعند القصة تنبهوا؛ لأن الإيراد لو كان كان من أول الأمر وكان أورد كاليل فكيف الذهول منه؟ ولا ما زعمه الجهال أن المراد أولية إتيانه من عيسى -عليه السلام-، وفرعوا عليه ما اخترعوه من[٤] مسئلة

(١) وهو مختار بعض مفسريهم كما في "إظهار الحق" (صـ١١٤/ ١) من الغلط (٧٨) من الباب الأول، كيف؟ والفقرة (٣٤) من هذا الأصحاح الحق: أقول لكم: لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله. فراجعه مع هامشه الذى يسمونه (رفرنس) تحصل على حقيقة الأمر.

(٢) فإن لفظ نهيه يقتضى أن لا يخبروا به وإن أتى بعينه حتى يقوم ابن الانسان من الأموات، وهو إبان القيامة.

(٣) وإن لم يكن السؤال من أولية إتيانه قبل أن يقوم ابن الإنسان، بل كان من أوليته من المسيح.

(٤) كأنهم أخذوه مما نقله في "اظهار الحق" عن المقريزى في بحث التثليث، أو من رسالة بولس إلى أهل غلاطية، ذكره من باب النسخ، أو مما نقله في الفصل الثالث من التثليث.

البروز ؛ فإن هذا جهل بمراد العبارة، ولا شائبة منه في أصل النبأ، فما حق الكتبة أن يوردوا به عليه، وليس [1] أن كل سابق كان ينبئ بمن يليه، فإن نبأ المسيح سابق على نبأ إيلياء، وليس في اللفظ المنسوب للكتبة ذكر الأولية من

(1) ولا عندهم شيء من وقعة طيطس حتى يحملوا اليوم المخوف عليه ولا طيف خيال، وإنما يكونون حملوه على اليوم الآخر لا غير، ودع ما خرصه صاحب "المعاملات" على عادته، وأيضا قوله : "لئلا آتى أنا وأضرب الأرض بالحرم" متعلق بقوله : و"يرد قلوب الآباء" اهـ لا بقوله : "قبل أن يجيء يوم الرب المخوف العظيم" ثم هذا كأنباء الأنبياء بالعقاب إن لم يتمسكوا بالشريعة وقد أكثروا منه، بخلاف ما في الاصحاح الثالث : "ها أنا سوف أرسل رسولا فيعزل طريقا بحضوري" فإنه سياق ليس فيه وعيد، وإنما هو تسوية طريق للآتي، وهذا أيضا سنة الله. ثم إن اليوم المخوف إن كان في كلام بوائل ونحوه بمعنى يوم عصيب عليهم فقد جاء في كلام عيسى -عليه السلام- بمعنى اليوم الآخر كما في (24) "متى" وما وافقه من الهوامش إلى الآخر، وبعض ألفاظه بعد خبر دانيال يميل إلى أنه يزيد خروج ياجوج وماجوج ثم نزوله، وقد انتقل هناك من نبأ دانيال إلى اليوم الآخر، فليكن الأمر في حمله نبأ ملاكى أيضا كذلك، والحامل هو هو.
ثم إن نبأ ملاكى هو حكاية عن الله - تعالى - لا عن نفسه، فيليق أن يراد به اليوم الآخر، لا نحو ما صفينا (1-14) : قريب يوم الربّ، العظيم قريب وسريع جدا صوت يوم الرب يصرخ حينئذ الجبار مرا، ذلك اليوم يوم سخط، يوم ضيق وشدة، يوم خراب ودمار، يوم ظلام وقتام، يوم سحاب رضباب" "تفسير المكاشفات" (صـ 323) ديباجه (صـ 41). والظاهر مما في بوائل (3-31) : "تتحول الشمس إلى ظلمة والقمر إلى دم قبل أن يجيء يوم الرب العظيم المخوف" أنه اليوم الآخر، فقد ذكر ما قبله قبله، وكذا "أعمال" (2002) : تتحول الشمس إلى ظلمة والقمر إلى دم قبل أن يجيء يوم الرب العظيم الشهير.
فإن قيل : إن ما أشاروا إليه في الهوامش (رفرنس) يدل على أنه يوم عصيب عليهم لو أنابوا إلى الله لزال عنهم، لا اليوم الآخر المقدر على كل حال، وليس هذا إلا يوم الرومـيين، ويدل عليه صدر هذا فإن لم يعلموهم فالمسيح قد علم ذلك وحمل عليه النبأ، ودل على أنه قد أطلق إيليا على يوحنا ولا بد، ولعل الإشارة إلى ما في صدر الأصحاح السابق غلط، فإنه يوم التمحيص على يد رسول العهد، بخلاف ما في صدر هذا الأصحاح -أى الرابع- فإنه يوم الانتقام كما ذكره بوائل أيضا. قيل : لم يظهر شرط الأولية على هذا أيضا، وبالجملة لا مسكة فيه للبروز، أى لم يقولوا : هو يحيى، فأين هو من إيلياء الذى أخبر بإتيانه؟ ولا ناقضوا عيسى بمثله، فلم يكن هناك مدخل لهذه المسألة وشقوا به كما يشقى الأم لا على هذه الشبهة، ولا إطلاق عيسى على هذه المسألة، بل لعله على مساواة الحكم مثلا.

عيسى -عليه السلام- أيضا، فكيف يلصق بهم؟ فكما كان في أصل نبأ ملاخيا التوقيت بما قبل اليوم المخرف فكذلك ههنا، وكيف الأولية من عيسى؟ وعند يوحنا من الأصحاح[1] الأول: "إني لست المسيح، فسألوه إذا ماذا أنت؟ أ إيلياء أنت؟" وهو عن الكتبة وعن يحيى صاحب الواقعة - عليه السلام - فهل بعد هذا شيء؟ والحواريون بأنفسهم كانوا سلموا المسيح بدون إتيان إيلياء أولا.

وأراد بقوله: "إن إيلياء يأتي أولا ويرد كل شيء - أي إلى أصله[2] - أو يرد قلوب الآباء على الأبناء، وقلوب الأبناء على الآباء" كما في أصل نبأ ملاخيا -عليه السلام-. وهذا خاتم الأنبياء بلا شبهة، فإنه صيغة مستقبل، ويحيى - عليه السلام - كان إذ ذاك في السجن، وهناك استشهد، بل لعله استشهد قبل ذلك كما ذكر مرقس في الأول إسلامه إلى السجن، وأرخوه في الهوامش سنة (٣٠) وسلسل الوقائع، وذكر في السادس استشهاده

---

(١) وقد ذكره المناظرون كما زفي "إظهار الحق" (صـ ٧٤/ ١) من الفصل الثالث من الباب الأول، ونقل قبيل البشارات (صـ ١٥٨/ ٢) من الترجمة العربية المطبوعة (سنة ١٨١٦ ء): "فإن أردتم أن تقبلوه فهذا هو المزمع بالإتيان" وكذا ذكر في الاستفسار، فإما زادوا أو نقصوا، راجعه من (صـ ٢٥١) وتفرد متى في هذا المحل بجعله إيلياء، وسائرهم جعلوه هناك ملاكا فقط، مع احتمال أن المتأخرين هم الذين زادوه.

ولعله لما كان يرد عليه أنه لما كان أعلمهم بكونه إيلياء في الحادى عشر من متى فلم تحيروا في السابع عشر إذن في أمره؟ فوقع لبعضهم أن يسقطوه من الحادى عشر ولا بد، وقد أورده عليهم صاحب "الفارق" من (صـ ١٣٠). ولما كان عند يوحنا الإنجيلي سؤالهم عن يحيى: أ أيلياء أنت؟ أسقط ما عند متى من السابع عشر رأسا، ولم يذكر منه شيئا كما في "الفارق" ولقد أحس، ولما كان لوقا أشبع في الأصحاح الأول أسقط السؤال من التاسع، وعكس مرقس، فسلما وقد رهنوا متى:

فلما خشيت أظافيرهم نجوت وأرهنهم مالكا

(٢) لعل المراد الصحيح ما في "دين الله" (صـ ١١٧) عن سفر الأعمال، وجعلهم كالقش وهناك من (٢- ٥).

وأرخوه (٣٠) أيضا، وذكر في التاسع قصة التجلى وذكر في "نظرة" : أن إنجيله مرتب وأرخوه (٣٢).

وأعجب منه ما عند ابن حزم قوله من (صـ ٢٠/ ٢) فمتى رد كل شئ بل لم يعرفوه وعملو به كل ما أرادوا به ينافي لفظا وعبارة ما قبله، فلم[1] يلتئم اللفظ أيضا فضلا عن المصداق، ولا يعود العاقل على موضوع لفظه بالنقض، وإذا أول في المصداق مثلا فلا يترك اللفظ متهافتا، وكما في "متى"[2] (١٠-٣٤ و٣٥) وإنما سوّاه متى من أوّل لوقا عن الملاك، ثم عن زكريا مجرد تسوية[3]. فإن هذا الكلام بعد نحو ستة أيام من رجوعه -عليه السلام- إلى نواحى قيصرية[4] "فَيْلُبُسْ"[5] كما في الأصحاح السادس عشر، ولم يحى يحيى -عليه السلام- بعده، وقد ذكر الله -تعالى- في سورة مريم خصائصه -عليه السلام-، ولم يذكر ما زاده لوقا مع الاشتراك في "أكثر الأجزاء، ولم يذكر إلا كونه برّا بوالديه وأشياء من كمالاته النفسية، لا ما يتعلق بالأمة فليقتصر عليه ولو كان لم يتركه -تعالى- وكأنهم جعلوا البر الخاص عاما. ومن عجيب التهافت الذى لا يرضاه إنسان لنفسه - ولو بحسب اللفظ - ما في العاشر من متى، والثانى عشر من لوقا، مع كون زمان عيسى ويحيى زمانا واحدا.

---

(١) ذكر أنه يرد كل شيء، وذكر أنهم لم يعرفوه، ولا يمكن أن يذكر رد كل شئ على وجه الإنكار فإنه عند ملاكى.

(٢) «لا تظنّوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض، ما جئت لألقى سلاما بل سيفا، فإنى جئت لأفرّق الإنسان ضد أبيه، والابنة ضد أمها، أو الكنّة ضد حماتها».

(٣) مع ما في آخر "إظهار الحق" (صـ ٢٥٥) عن الباب العاشر من إنجيل يوحنا الآية الحادية والأربعين: "فأتى إليه كثيرون وقالوا: إن يوحنا لم يفعل آية واحدة.

(٤) سماها في "الدائرة" بإيناس.

(٥) كذا يظهر من آخر "الناسخ" و"مختصر الدول" (صـ ١٠٩).

ولا يقال: إن المراد برد كل شئ هو الهداية إليه وإن لم يقبلوه، فإنه لا يلائم في لفظ المسيح، فإن ظاهره أنه أبقاه على حاله وسلمه. وأيضا لفظه: رد كل شئ لا رد قلوب الآبآء آهـ فقط، حتى يقال: إنه بحسب خلقه برا بوالديه مثلا ونموذجا للبر، وإنما هو كما في [(١)] ٣ "أعمال" (٢١) ثم قال: ولكنى أقول لكم: "إن إيلياء قد جاء"، فالظاهر أنه أراد إتيانه بعينه في زمانه -أعنى [(٢)] الماضى- وراجع التاسع من مرقس [(٣)]، ولا دليل ولا قرنية في كلامه -عليه السلام- أنه أراد به يحيى -عليه السلام-، وإنما هو فهم من الإنجيليين، ولا عبرة به ولا بنسبتهم [(٤)] إلى التلاميذ.

ثم إن القدر المنقول عن الكتبة الذى من "سفر ملاخيا" قد سلمه [(٥)] -عليه السلام- أنه للمستقبل، فلم يبق لأصل النبأ تعلق بيحيى -عليه السلام- وإنما زاد المسيح -عليه السلام- شيئا من عنده زائدا كما صرح عند مرقس بقوله أيضا، فلا يقال: إنه حكى لفظ الكتبة أو لا على هيأته ثم زاد من عنده شيئا، أو أراد بقوله أيضا أن هذا الأمر كما في ذهنكم أيضا قد مضى، مع احتمال أنه أرادا فرضوه فرضا قد وقع فماذا؟ ويناسبه الاستدراك

(١) الذى ينبغى أن السماء تقبله إلى أزمنة ردّ كل شئ التى تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القدّيسين منذ الدهر، فإن موسى قال للآباء: «إن نبيا مثلى سيقيم لكم الربّ إلهكم من إخوتكم، له تسمعون في كل ما يكلمكم به».

(٢) ويحتمل أن يراد به إتيان الله، وبإتيان الله إتيان أنبيائه وقتا فوقتا على ما عرف من عرف كتبهم، أى يأتىْ أنبياءه مرة بعد مرة، ولكن من قدر شقوته يشقى بهم كل مرة، وإن لم يلائم أصل ما عند ملاكى، ولكنه بعيد كأنه مبتدأ من عنده كما في قوله: "إيلى إيلى" قالوا: إنه ينادى إيلياء، ويلائم هذا ما في "هداية الحيارى" في "عقيدة الإسلام".

(٣) ولفظا: "ولكن أقول لكم: إن إيليا أيضا قد أتى.

(٤) فإن الإنجيليين هم الناسبون لا دخل فيه للتلاميذ في الواقع.

(٥) ثم رأيته في "تفسير يوحنا" (صـ ٢٣).

فإنه لإبقاء ما قبله ودفع وهم، أو أطلق على الآتى والماضى على المعنى الوصفى، وهم فهموا كذلك فلم يماروا، وقوله: فأجاب، وقال لهم: إن إيلياء يأتى أولا ويرد كل شئ، وكيف هو مكتوب عن ابن الإنسان أن يتألم كثيرا ويرذل؟ آ هـ. أى أن هذين الأمرين واقعان ولا بد من الثانى أيضا، فلا تخبروا بالأول حتى يقوم ابن الإنسان، فهذا هو ربط العبارة.

وما قال متى في الأصحاح الحادى عشر: "ولكن ماذا خرجتم لتنظروا أنبياء، نعم أقول لكم وأفضل من نبى، فإن هذا هو الذى كتب عنه، ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى -عليه السلام- الذى يهيئ طريقك قدامك" ا هـ. فهم الإنجيليون أن المراد بالضمير في: وجهك وطريقك وقدامك، هو عيسى -عليه السلام- وبمن يرسل أمامه يحيى -عليه السلام- كذلك فهموا وسيما مرقس في ابتداء إنجيله، وهو مخالف لأصل النبأ في سفر ملاخى، ولفظه: "ها أنا ذا مرسل ملاكى، ويسهل الطريق أمام وجهى" فحرفوه ونقصوه، وهو في الأصل العبرانى كما نقلنا ترجمته حرفية فسّر فيه ملاكى بالرسول، وهو كذلك في اللغة العبرية كما مر من غير ترجمة النصارى، فقد حمل على المعنى الوصفى أيضا، وقد أطلق المسيح أيضا في كتبهم على غير عيسى بن مريم على المعنى الوصفى، ولعله إيماء إلى يحيى -عليه السلام- أولا، وعيسي -عليه السلام- ثانيا، ورسول الختان الأنبياء ثالثا، ويكون عيسى -عليه السلام- أورد هكذا، والخسار في بتر العبارات والسرقات على الإنجيليين، وجنابه -عليه السلام- برئ عن كل ذلك. ثم قال متى في الحادى عشر: "وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيلياء المزمع[1] أن

---

(١) يراجع "الفارق" (صـ١٦) لإطلاقه، و"إظهار الحق" من باب النسخ من رسالة بولس إلى أهل غلاطية، ومن رسالته إلى أهل قولاسى، ومن المادة (٣٣) من دفع المطاعن، والشاهد (٤٤) من التحريف بالزيادة.

يأتى من له أذنان للسمع فليسمع" أرخوه في الهوامش سنة (٣١) لكن لم يذكر فيه رد كل شئ، فحملوه على الماضى، وقد أمر أن نبأ المستقبل باق، فحمله على من ذكره من عنده وجعله هو المزمع لا يستقيم؛ فإنه وإن لم يذكر فيه رد كل شئ حتى تأتى لهم الحمل على الماضى لكنه مذكور في أصل النبأ، فإذا كان هذا مأخوذا من "سفر ملاخيا" -عليه السلام- وقد أثبتنا أنه على المستقبل، وكذلك أثبتنا من كلام عيسى -عليه السلام- فهذا أيضا لا بد أنه على المستقبل، لئلا يقع تهافت في كلامه -عليه السلام-، ولا نبالى بالإنجيليين [1]، ولا يفهم التلاميذ إن كانوا فهموا، وإلا فأى دليل على أنهم فهموا كذلك؟ لأن الأيد الإنجيليين كالكرة في يد الصولحان، كيف؟ ولو كان هذا النبأ في يحيى -عليه السلام- بأى معنى لم يكن [2] لينفيه عن نفسه قط، ولا عقل [3] ولا دين لمن ذهب يأول نفيه بأن المراد أنه ليس [4] عين إلياء.

واعلم أن ليس المراد بقوله: "المزمع" أن من كان وعد بإتيانه قد أتى، بل أراد الاستقبال صريحا، ولا يصدق على يحيى -عليه السلام- قط، فإنه قد تقدم وحصل لعيسى -عليه السلام- التعميد منه، وأيضا قد كان سلم الشعب نبوته كما في الأصحاح العشرين من لوقا. وقوله: "فهذا هو" اهـ، مثل قول المترجمين: هانذا، مثلا. ثم في الأصحاح السادس من مرقس، والتاسع من لوقا، والسادس عشر من [5] متى، والثامن من مرقس، والتاسع

---

(١) وهم غير التلاميذ

(٢) راجع "الإظهار" (صـ١٤٧/ ٢).

(٣) ليدل إلى نبأ أشعيا كما في يوحنا (١٠ ٢٣) [1].

(٤) فإنه يلزمه على هذا أن يبطل نبأ سابقا على هذا المراد، ويرفعهم في هوة الضلال أبد الدهر.

(٥) وفيه ذكر أرمياء أيضا على عقيدتهم فيه كما في "دائرة المعارف" منه.

---

(١) قال: أنا صوت صارخ في البرية: قوموا طريق الرب. كما قال أشعياء النبى.

من لوقا ثانيا ذكرهم إيلياء على معنى الرجعة، أي رجوع أحد بعينه (١) كما كان عقيدتهم، فماذا يستبعد منهم من مسألة البروز؟ بل ليس له دخل أصلا، وإنما لم يعرفوا بعض الأنبياء كما لم يعرفهم سائر الناس، لا لخفاء مسألة البروز عليهم.

ثم إذا ثبت أن المراد به خاتم الأنبياء ثبوتا لا مرد له فإن قيل: هب أن المراد به هو فقد أطلق عليه -ﷺ- اسم نبى سابق، فهو معنى البروز أو المثلية. قيل: لا معنى لهذا الهذر؟ وما معنى بروز المفضول في الأفضل؟ أو تمثيل الأفضل بالمفضول؟ وإنما الإطلاق بالمعنى الوصفى، وقد رأيت في "مسالك النظر في نبوة خير البشر" عن إلياس -عليه السلام- أنه يكون في أولاد إسماعيل يوشياهو؛ وفسره العلامة سعيد ابن حسن الإسكندرانى بأن معناه من قرن اسمه باسم الله، وذكر عند ذكره، وهذا يقرب من معنى (٢)

---

(١) وكلا المحاورتين في "الدائرة" من أرمياء (صـ ٢٢٧/ ٣) الرجوع واستقرار الروح، وغايه (صـ ١٥١) قالوا: قد استقرت روح إيلياء على يشع ملوك ثانى. وهو نحو استخلاف واستنابة لا أزيد، ومن محاوراتهم امتلأ من الروح القدس من أول لوقا في موضعين.

(٢) والذى يظهر أن يعقوب - عليه السلام - سماه شيلوإذ لم يكن اشتهرت الأسماء حينئذ، وأطلق إلياس -عليه السلام- يوشياهو، وكان اسما معروفا عندهم يسمون به، فلما جاء ملاكى أطلق اسما كان صار إذ ذاك معروفا يتقدم إلياس وتسميته به، وكما أطلق عيسى -عليه السلام- الفارقليط والأركون مع أن الفارقليط قد ورد في التوراة أيضا كما نقله الشهرستانى، وإطلاق الأسماء بحسب المعنى اللغوى عندهم بحيث أنهم يترجمونها، فكما أطلق عليه يوشياهو، وهو اسم ملك صالح لهم، ومن أسماء الله كما في "مسالك النظر"، كذلك إيلياء من أسمائه، وشيلوه اسم بلدة من سوريا أيضا كما في "دائرة المعارف"، وقد يدور بالبال أن نبأ ملاكى -عليه السلام- هو بمعنى ما في نبأ الفارقليط كما في إنجيل يوحنا (١٤-١٣٠): «لا أتكلم أيضا معكم كثيرا: لأن رئيس هذا العالم يأتى وليس له في شئ» أى الأركون و(١٦ - ٨): «ومتى جاء ذلك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة» وقد شرحه في "الاستفسار" بما لا مزيد عليه، فتطابق النبآن، وكذلك فسره في "هداية الحيارى"، ونقل اللفظ: «وليس لى شئ أو وليس لى من الأمر شئ» وبالجملة هو على نحو ما في آخر الأصحاح الثالث والعشرين من متى، وسيما على =

إيلياء هذا، وقد سمعت أنه لغزا [1]، أى بحساب الجمل عن أحمد ﷺ، وقد نسبه في "الفارق" (صـ٣٨٦) أيضا، وفي (صـ٣٨٧) منه أن الخورى نسبه إلى بعض علماء النصارى أيضا، وإن لم يرضه هو فماذا؟ .

ولإلياس -عليه السلام- ثلاثة أسماء ذكره صاحب الناسخ؛ لأنه عمر طويلا، واشتهر في كل بلد باسم: أحدها: فينحاس (شفقت كرده شده). وثانيها: أميتآى (راست كو)، وثالثها: إليآء (بزرگوار من خدا است) على طريقتهم في التسمية بالجمل، ذكره في "كتاب دين الله" (صـ ٥٥) ولكن كيشوع سمى به ابن نون وابن مريم -عليه السلام- كما في هذا الكتاب من تلك الصفحة؛ وكما أطلق المسيح على غير عيسى -عليه السلام- أيضا.

ثم إن اليوم المخوف عليهم متعدد، فلا يتعين أن يكون يوم وقعة تيطس، فيوم عليهم في عهد المكابيين كما في "كتاب دين الله" من (صـ٣٣) إلى أن قال: "ويكون في كل الأرض إن الثلاثين منها يقطعان" اهـ. وذلك قبل ميلاد المسيح وبعد ملاكى بزمان، ثم بعد الميلاد وقعة تيطس، وبعدها وقعة ادريانوس، كما في ذلك الكتاب (صـ١٧ وصـ٩٩) وكانت وقعة تيطس في سنة (٧٠) بعد الميلاد، ولم يتم خراب الهيكل فيها، وكان بعض

= ما نقله في "هداية الحيارى" (صـ١١) من هامش الذيل من إطلاق اسم إلهى عليه -ﷺ- كما قاله الإسكندرانى في يوشيا؛ وكذن عدو نبأ به من قبل إلياس كما في "الناسخ" من (٤٤٤٢) على خلاف ما ذكروه في الهوامش من التاريخ، ثم أطلقه إلياس عليه -ﷺ- ونبأ عدو في اسلاطين (١٣ - ٢): "فنادى نحو المذبح بكلام الربّ وقال: يا مذبح، يا مذبح، هكذا قال الرب هو ذا سيولد لبيت داود ابن اسمه يوشيا، ويذبح عليك كهنة المرتفعات الذين يوقدون عليك، وتحرق عليك عظام الناس"، والتبكيت هو نحو ما في البشارة، من "إظهار الحق".

(١) أعني باللغز أن المراد به عندهم نبى منتظر يأتى آخر الزمان لا إيلياء نفسه وإن لم يعتقدوا أنه النبى الأمى.

كبراء اليهود -ومنهم يوسيفوس- مسالمين له ، وكانت وقعة ادريانوس في (سنة ١٣٢) وتم فيها خراب الهيكل ، وليس لهما اختصاص بيوحنا ، فإنهما بعد المسيح -عليه السلام- أيضا يمكن أن تكونا عقاب عصيانهم إياه أيضا ، فقد أرسل على هذا قبل اليوم المخوف كلاهما لا إيلياء فقط ، وقد بسط وقعة انيتوكس في عهد المكابيين في "إظهار الحق" من البشارة الخامسة ، فلما كان وقع بعد ملاكى -عليه السلام- مثل هذا اليوم لم يكن ليظفر منه ويبهم اليوم المخوف ، مع أن لفظه يصدق عليه أولا وإن لم يكن عندهم نبى بعده إذ ذاك ، لكن لا بد من ركة الكلام ، وقد ذكر المكابين من العبرانيين في "الدائرة" .

ثم إنه إذا كان إيلياء حيا عندهم قد رفع إلى السماء ، فهل يكون النبأ بإرساله قبل اليوم المخوّف إلا نزولا ؟ فلا علاقة له مع البروز أصلا ، ويكون رجوع الغائب بعد غيبة طويلة ملائما عندهم لكونه علما للساعة ، كما هو عندنا في المسيح ﴿وإنه لعلم للساعة﴾ ، وتقول العرب : حتى يؤب القارظان ، فحملوه لهذه الملائمة على إلياس -عليه السلام- ورجعته وإن خالف سائر ألفاظ ملاكى ، فإنها ليست على الرجعة ، فاتفق الفريقان أن من الأشراط رجوع غائب ، وذهب وهم أهل الكتاب إلى ما تقررعندهم ، والأصل هو ما عندنا ، وهو رجوع المسيح -عليه السلام- ؛ إذ هو غائب بالاتفاق من الأرض إلا عند اليهود ، وعلى مثل هذا نشأ قول : إن إلياس هو إدريس ، كما عن ابن مسعود وابن عباس -رضى الله عنهم- ، أو أن إدريس نزل وسمى إلياسا كما قاله الشيخ الأكبر .

واعلم أن البروز غير التشبيه ، فإن البروز على زعم القائلين به حقيقة كونية ، لا جريان صورة تعبير فقط في إظهار المقاصد يتوارد عليه أذهان أهل العرف لضرورة التفهيم ، وأما التشبيه فهو أمر اختيارى وقتى لا يقلب حقيقة واقعية ، ولا يبنى عليها ، ولا يحول شيئا من محل إلى غيره ، وليس فيه تصرف في الواقع أصلا ، بل فيه إبقاء الطرفين على حالهما ، بل والوصفين أيضا . وأيضا كان من أى نوعين متباينين ، وأيضا التشبيه من الأمور العرفية

العامية يأتى بكل أحد، والبروز من الأمور الغيبية لا يعينه إلا المطلعون، بخلاف التشبيه ليس مصداقه مشارا إليه في الخارج، فقد يكون تشابه ولا يشبه أحد، فهو أمر اعتبارى، متى توجّه له المتكلم تلفظ به، ومتى تركه لم يكن، بخلاف البروز فليس أمرا لفظيا فقط متى تلفظ به وجد وإلا لا.

والتشبيه المعروف في علم البيان إنما يكون بيان مشابهة بين الشيئين وهما على حالهما، لا جعل أحدهما مشابها للآخر، فلا جعل ولا تصيير هناك في الخارج، وفي البروز جعل، وكذا كون الأولياء على أقدام الأنبياء كما يذكره الشيخ الأكبر من المحمديين والموسويين أمر آخر، وكذا نحو الإلياسين والخبيبين بصيغة الجمع بدون النسبة، وقد شاع عندهم ترجمة الأعلام، فكان العلم عندهم باعتبار المعنى اللغوى، وعندهم اعتبار الوصف بها أو التشبيه، وليس ذلك في عرف كتبنا، نعم عندنا نحو: أبو يوسف أبو حنيفة: على التشبيه، ونحو: لكل فرعون موسى، بمعنى من يطلق عليه موسى ويقوم مقامه ويحذو حذوه في الفعل، وإن لم يكن في البنية بروز داخل في القوام، ولا اعتبار تحول شئ واحد وتنقّله في الأطوار، يتكلم به مع عدم العلم بمسألة البروز.

وعندنا عرف آخر أيضا يقال: هو في الفقه أبو حنيفة الثانى، وهو غير التشبيه، يريدون كأنها أول وثان في شئ والآخر مثناه وبدله، ونحو هذا ما في "الفارق" من (صـ ١١٥) من السادس عشر لمتى: "من يقول للناس: إنى أنا ابن الإنسان" أى الدائر على لسانى مع معجزاتى وآياتى مثلا، وفي الواقع أنا أشهر بقى هذا والناس ما يزعمون من أنا "فقالوا: قوم يوحنا المعمدان، وآخرون إيلياء، وآخرون ارمياء، أو واحد من الأنبياء"، أى قال التلاميذ: يقول قوم يوحنا وآخرون: إنه -أى المسيح- كذا وكذا، نقلوا اختلاف الناس في قيامه مقام من وتشبيهه به، وأقرب منه أنه تجاهل العارف، ونحو تدله يجرى على الألسنة لا يعتمد حقيقة ولا عقيدة، وهو كذلك عند متى في الرابع عشر، فليس هذا من باب البروز أصلا. وفي الرابع عشر من قول

هيردوس بعد سماعه شهرة المسيح : إنه يوحنا قام من الأموات، وهذا أيضا أمر آخر وراء البروز، وهو الحياة بعد الموت، ويستحسن في قريب، وأما في البعيد فالرجعة كان الأول من تمام ما قبله وخرق للعادة، وفسخ لما حل في البين بخلاف الرجعة.

والظاهر أن عيسى -عليه السلام- حمل النبأ على المستقبل، ثم زاد من عنده ماضيا لا على البروز، بل على القيام مقام إيلياء، والمقام بيان مساوات الحال منهم -أى الشعب- لكل من أتى، وإن أبدى أحد أن المراد بإيلياء نفسه -أى المسيح- لتشبيههم إياه به أيضا كان احتمالا جيدا، وعطف بن الإنسان عليه عند متى لا يؤثق به، فلم يذكره بصورة العطف مرقس، ويصير ربط عبارته أوضح مما مرّ، ولا عبرة بفهم التلاميذ بل الإنجيليين، فإنه لا يعلم حال التلاميذ من غيرهم هذا.

وقصر فيه في "إظهار الحق" من الأمر الثانى من المسلك السادس من إثبات نبوة خاتم الأنبياء، فسلم المشهوران عندهم أولية إيلياء من المسيح، وكذا في "الفارق" في بعض المواضع مع ردّه عليهم من عنده، وليس له أصل في أصل كتبهم، وإنما هو توهم ينشأ للمستروحين، نعم اليهود ينتظرن المسيح الدجّال في آخر الزمان، والنصارى نزول مسيح المهدى للدينونة، ويجعلونه إلها، وكان اليهود ينتظرون الاثنين ويجعلون الدجّال ملكا موعوذا، فعلى هذا أيضا لم يظهر شرط الأولية من مسيح المهدى، وإنما كانوا يتفوهون برجوع من غاب أو فقد تدلها، لا عقيدة متقررة كما غاب أرمياء وإيلياء عندهم، فلا يوثق بعقيدة الرجعة عندهم أيضا على هذا. ويراجع "إظهار الحق" من البشارات في مسيح القومين وفي الفار قليط، و"عقيدة الاسلام" من (صـ ١٠).

وإنما كان إطلاق أسماء الأنبياء السابقين عندهم على اللاحقين إما على المعنى الوصفى أو اللغوى، أو على التشبيه، وكان هذا مستحسنا إذ ذاك لكثرة الأنبياء حينئذ، ومساس الحاجة إلى بيان نوعية العمل ومقداره، وذا إنما

يحصل بالتشبيه على ما عرف من فوائده، بخلاف مطلق الإنباء بالنبوة، ولمساس الحاجة إلى بيان بيوت الأنبياء نسلاً أو عملا، وإقامة المستقبل بدل الماضي، والإيماء إلى بدل الفائت من بيت أو شعب، وكل ذلك غير البروز والرجعة، وفي "الملوك الأول" (٩١): وامسح اليشع بن شافاط من آبل مَحُولة نبيا عرضا عنك"، بخلاف ما إذا ختمت النبوة وسدّ بابها فلم يبق ذلك العرف، وبطل إطلاق الأسماء على غيرهم لئلا يؤدّى إلى الضلال.

فالأمر إذن أن إطلاق الناس إيليا وأرمياء على عيسى -عليه السلام- تشبيه مع تدله لا يعتمد حقيقة ولا عقيدة ولا رجعة ولا بروزا، بل هى احتمالات عقلية، بل تفوهية لا يعين المتكلم واحدا منها، وإطلاق عيسى يحتمل أن يكون باعتبار الحكم وتساويه قبل وبعد أن أراد يوحنا، فإنه ليس من كلام الله عندهم، بل من عندهم على اعتبارات مناسبة للمقام، بقى كلام ملاكى وهو وحى الله عنده، وهو يعتمد عرفا سماويا، وكأنه إقامة المستقبل بدل الماضى، والإيماء إلى بدل الفائت من بيت أو شعب، وهو يحوج إلى إمعان في مقدار التشابه لمن بمن إن لم يكن على المعنى الوصفى، ونفى يوحنا يدل أنه عليه، ولا ينافيه إطلاق عيسى كما مر، وسياقه ليس سياق وعيد من أول الأمر، بل هو بشارة بإرسال نبى يصنع ما أمر به، ولو لم يقع ما يصنعه لضرب الأرض بالحرم، فهذا سياقه، ولا يليق بيوم عصيب قابل للمحو والإثبات، وإنما هو يوم مبرم على البت لا يزول، وهذا إنما هو يوم الساعة، ولما كان من وحى الله لا من كلام البشر احتمل أسرارا كثيرة من سنة الله لم نكتنهها، ولم نقدر قدرها غير البروز فماذا؟.

ثم ما ذكره في "إظهار الحق" من الوجه السابع من البشارة الأولى عن بطرس ينطبق عليه إنطباقا تاما من "سفر الأعمال"، وإن حملناه على المعنى اللغوى قرب من ماء دماء دومن طاليثا على ما ذكره في "الناسخ"، ومن بمادماد على ما في ذكره في "الإظهار" عن "الرسالة الهادية" وفي "مسالك النظر" وأنه مطابق لمحمد بحساب الجمل، قال له في "الناسخ" و"الهادية".

ثم إن ما قاله بطرس لعله يريد به زمان نزول المسيح بزعمه، ولكنه ماخوذ من (١٨) "سفر الاستثناء"، وتلك الآية في حق نبينا -ﷺ- مع لفظ بطرس من "الفارق" (صـ ٣٥٥) وفيه قبل بالضم.

ويراجع ما ذكرنا من كون إلياس هو الخضر في مقالة عليحدة في خبر دانيال، ولله التسمية بأسماء، لكن إما أن يعرف بها أولا ويعلم بالتسمية من عنده أولا ثم يطلق، وإما أن يأتى بأسماء وضعها للناس فيطلقها على تعارفهم، أو على التشبيه ونحوه، لا على البروز الذى لم يعلم به الناس أولا فيقعوا في مهوى الضلال، والظاهر أن اليهود حملوه على التشبيه ونحوه، ولم يتحيروا في إطلاق الأسماء على غير من سمى به أصلا، ولم يشكل عليهم ذلك، ولم يعتذروا به في القبول، فقد جاء الإطلاق في غير اسم إيلياء أيضا ممن قد مات عندهم، وهو كثير في كتبهم، وليس نحو: لكل فرعون موسى، ليس فيه إرادة التشبيه من جانب المتكلم في الحين، بل كل من كان على هذا الوصف أشخاصا متغايرين، فلم يأت في الحين بجملة تشبيهية - وهو التشبيه في الاصطلاح - بل على نحو ما جاء من فرعون هذه الأمة، بل هو عند أهل الكتاب برعاية المعنى اللغوى مع الإيماء إلى الوصف، كما في قوله -ﷺ-: «إنما أنا قاسم والله يعطى»، وإنما كثر ذلك عندهم لأن أعلامهم كلها منقولة من المعانى المناسبة لامر تجلة، وبعضها بالإنباء.

ثم إذا لم ينقلوا أسما عربيا في الإنباء بلغتهم احتاجوا إلى أخذ الأسماء من لغتهم، وجعلوها كالألقاب برعاية الأوصاف، وهو شيلو وابن دود عن إلياس والفار قليط، وسيما على نقل الرازى في تفسيره، وكما في "فتح البيان" من الأعراف والصف، ولذا شاع عندهم ترجمة الأعلام ليدلوا على رعاية المعنى، وكذلك جرى من الجانب الآخر في اللغة العربية في تسمية شعيب ويونس من يونا، ويحيى من يوحنا، وعيسى من يسوع، وهو تعريب، ولعل التسمية بيحيى من الله، فهما اسمان له، وإليه أشار في القرآن، وإلا فقد كان يحنس عند العرب أيضا، ولعله كذلك أشار إلى

التسمية من عنده في قوله : "اسمه المسيح عيسى بن مريم" على لسان[1] عيسى -عليه السلام- وله ذلك، ولكن فيما أعلم به، ولم يوقع في الأغلوطات، ويكون اسما لازما لا إطلاقا وقتيا، ومجرد تعبير وتفهيم، وكذلك وقع في الخضر في اللغتين، فأحد اللغتين إما أن تذكر اسما وصفيا وتغير العلم شيئا، وليس لأحد أن يأخذ الأسماء المعروفة لأشخاص تواتر إطلاقها عليهم وتكرر غير محصور - أن يصدقها على نفسه بدون سبق معرفته بها، وإنما يكون للناس أن يضعوا علما مشتركا لأولادهم وضعا من عندهم، ثم يدعونهم به.

فمن ادعى أن الله - سبحانه - سماه بكذا وكذا يسلمه من اتبعه على الإلحاد في الأسماء. وأما أن يصدق الأسماء المعروفة لغيره على نفسه، وأنه المراد بما في القرآن والحديث - فهو كفر وإلحاد منه، لا يتبعه فيه إلا من أعمى الله بصيرته؛ فإن إطلاق الأسماء يحتاج إلى الإعلام بوضعها أولا لا حد وتعينه له، لا أن يدعى عند الإطلاق في ما سيأتى أنها له بدون سبق الإعلام بوضع جديد له سابق على الإطلاق في ما بعد، وإذا ادعى تسمية الله فقد يتبعه فيه أذنابه، ولكن ليس له حق أن يحول اسماء معروفة في كلام غيره عرف تخاطبه وتحاوره إلى نفسه. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ويراجع "السيف" للبروز وسبق العلم في إطلاق الأسماء من (صـ ٢٣٠ إلى صـ ٢٣٥).

وأنا الأحقر الأواه

محمد أنور شاه الكشميرى

عفا الله عنه

---

(١) لا يحتاج إلى أن يكون باعتبار العلمية، بل وصفا مشيرا للعلم، فهو وإن كان بهذا اللفظ أمر بين بين كما جعل الاسم المسيح وهو لقب، وكذلك في يحيى نحو منه.

إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا

إكفار الملحدين في ضروريات الدين

لإمام العصر المحدث الكبير الشيخ محمد أنور شاه الكشميري الهندي

ولد ١٢٩٢ وتوفى ١٣٥٢هـ

رحمه الله تعالى

الناشر

المجلس العلمي

كراتشي

إخراج وتوزيع

إدارة القرآن والعلوم الإسلامية

كراتشي باكستان

من منشورات المجلس العلمي [٤١]

مجموعة رسائل الكشميرى

الطبعة الأولى ١٩٩٦م-١٤١٦هـ

الطبعة الثانية ٢٠٠٤م-١٤٢٤هـ

الطبعة الثالثة ٢٠١٥م-١٤٣٦هـ

من منشورات المجلس العلمى [٢]

اكفار الملحدين في ضروريات الدين

الطبعة الأولى	١٩٣١م	١٣٣٩هـ
الطبعة الثانية	١٩٩٦م	١٤١٦هـ
الطبعة الثالثة	٢٠٠٤م	١٤٢٤هـ
الطبعة الرابعة	٢٠١٥م	١٤٣٦هـ

MAJLIS ILMI:
P. o. BOX:1 JOHANNESBURG, SOUTH AFRICA
P. O. SIMLAK, DISTRICT VALSAD, GUJRAT, INDIA.
MAJLIS ILMI KARACHI

الإخراج والطباعة والتوزيع

إدارة القرآن والعلوم الإسلامية

كلشن اقبال كراتشي ٥ - باكستان

الهاتف: ٠٢١-٣٤٩٦٥٨٧٧

ويطلب أيضا من:

مكتبة القرآن .... بنوري تاون كراتشي

مركز القرآن .... اردو بازار كراتشي

مكتبة الرشد .... الرياض - السعودية

كلمة عن كتاب "اكفار الملحدين" وسبب تاليفه

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك المثل الأعلى ، فلك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك . صل على سيدنا محمد صفوة رسلك ، وخاتم أنبياءك ، وبارك وسلم ما ترفرف عليه رأيات رحمتك ، وقديم إحسانك ، وعلى آله وصحبه الذين قاموا برفع ألوية الإسلام فى سائر بقاع الأرض وبلدانك .

اما بعد : فلاشك أن مدار النجاة والسعادة الأبدية على الإيمان بالله ، وأن مسألة الإيمان أول خلافية ظهرت فى الأمة ، فقام للتأليف والتحقيق فيها كبار المحدثين والأئمة ، منهم: الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى ، والإمام محمد بن نصرالمروزى ، والإمام أبوعبيد القاسم بن سلام البغدادى ، والإمام أبوبكر ابن أبى شيبة ، وأبوحاتم بن حبان البستى ، ومحمد بن أسلم الطوسى ، وأبو الحسن عبد الرحمن بن عمر بن رسته ، وأبوعبد الله بن منده الأصبهانى ، وأبوبكر البيهقى ، وأبوعبد الله الحليمى وغيرهم . ومن المتأخرين : الحافظ ابن تيمية الحرانى . وكلما حدثت الفتن وتطورت اضطر العلماء للتأليف والتحقيق بأسلوب اقتضاه العصر ، وبتدقيق توخاه الحاجة ، فقام الجهابذة من أئمة الكلام ، فحققوا الأبحاث فى أسفارهم ، والإمام الحجة محمد بن محمد بن محمد الغزالى المتوفى ٥٠٥ هـ أول من أفرد المسألة من المتكلمين بتأليف لطيف سماه : "فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة" ، وحقق فيها أن كل ما ثبت كونه من الدين بالضرورة الإيمان به واجب ، وإن الإنكارعنه كفر ، وكذلك التأويل فى ضروريات الدين يرادف الإنكار ، فالتأويل فيها كفر ، مثل الإنكار

سواءً بسواء ، ثم تطورت فتن وفتن ، وظهرت بدع ومنكرات ، واتخذت القرامطة والباطنية قدوة فى الإلحاد وأسوة فى التحريف على طوال القرون ، فلم يخل عهد من عهود الإسلام إلا وبدت فيه هذه البلايا والرزايا من إلحاد وتحريف وتلبيس ، اختباراً لإيمان المؤمنين ، وامتحاناً للراسخين فى العلم ، ولكن لله الحمد على من أنعم فوفق حملة الدين لحفظه من تلك السيول الجارفة فى كل قرن من القرون . ومما بدت فتنة فى هذه البلاد فى عهد الحكومة البريطانية واستيلائها أن ظهرمدع للنبوة وهو : المرزا غلام أحمد القاديانى ، وتدرج خطوات من دعاوٍ مختلفة ، فادعى أولاً : أنه مجدد ، ومثيل للمسيح، ثم ادعى: أنه المهدى الموعود والمسيح المعهود، وادعى معه: أنه نبى ، وظل لجميع الأنبياء، وقال فأنا آدم ، وأنا ابراهيم ،وأنا موسى ، وأنا نوح ،وأنا داؤد ويوسف ، وأناسليمان ويحيى ، وأنا عيسى . ولما استبعد ادعاءه النبوة فقال تارةً : أنه نبى لغوى ، وتارةً نبى ظلى ، وتارة بروزى ، على معان اخترعها الزنديق ، ثم ادعى أنه نبى غير تشريعى ، ورسول غير تشريعى ، ثم ارتقى وادعى أنه نبى تشريعى ورسول تشريعى ، ثم جعل وحيه مثل القرآن ، وجعل مسجده المسجد الأقصى ، وجعل قريته مكة المسيح ، وجعل بلدة لاهور مدينة ، وأسس مقبرة سماها: مقبرة الجنة ، كل من دفن فيها فهو من أهل الجنة ، وسمى أزواجه: أمهات المؤمنين ،وأتباعه: أمته ،وأنكر الجهاد وأنكر عقيدة ختم النبوة، وادعى جواز ظهور نبى بعده . فهكذا أنكر كونه ﷺ خاتم النبيين، وأنكر نزول عيسى عليه السلام من السماء، وادعى موته وصلبه ،وأنه ابن يوسف النجار. وادعى أن الدولة البريطانية ظل الله فى الأرض ،وما إلى ذلك من طامات خرافية ، واستثمر الحكومة البريطانية هذه الفتنة للقضاء على دين الإسلام فربتها ورشحتها وساعدتها بما لها من حول وطول ، ولولا رحمة الله بعباده وتوفيقه للعلماء بالذب

عن حريم دينه لزعزع هذه الفتنة الدهياء والكارثة العمياء أساس الإسلام ولكن الله من على عباده فى كل عهد بطائفة بحمل هذه الأمانة الإلهية يحفظونها ويذبون عنها كل تحريف وإلحاد ، وتأويل باطل ، ويقدمونها ناصعة لامعة تلألأ أنوارها وتشق دياجر التأويلات المظلمة . ثم لماهلك هذا الشقى المتنبئ الكاذب فافترقت أذنابه فرقتين : فرقة تدعى أنه كان نبياً ، وفرقة : أنه كان مجدداً ، وسميت بـ"اللاهورية" ، فاختلف العلماء فى إكفار هؤلاء ، وكذلك تردد بعضهم بأنه إذا أمكن تأويل كلامه فهل يتأول ولايكفر ، والتبس على آخرين قول أبى حنيفة بأنه إذا كان فى كلام أحد تسعة وتسعين وجهاً للكفر ووجه للإسلام لايفتى بكفره ، وكذا اشتبه على طائفة أن المرأ إذا لم يلتزم الكفر وادعى الإسلام أنه لايكون كافراً ، وهكذا دارت هناك آراء وأفكار بعيدة عن وجه الصواب وبعيدة عن التحقيق ، فقام إمام العصر البحاثة محقق هذه العصور الأستاذ الكبير الفقيه المحدث الإمام مولانا الشيخ محمد أنور شاه الكشميرى ثم الديوبندى المتوفى سنة ١٣٥٢هـ رحمه الله ، وحقق هذه المسائل وكشف عن وجوهها النقاب كتاباً وسنة ، حديثاً وفقهاً ، أصولاً وكلاماً ، وحقق مسألة الإيمان والكفر ، والإنكار من ضروريات الدين والتأويل فيها ، والإلحاد فى حقائق الشرع والتحريف فيها ، وما إلى ذلك من تحقيقات رصينة ومسائل عويصة من كل ما له صلة بالمقام بغرر النقول من كتب القدماء والمتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من جهابذة أهل التحقيق من مظان بعيدة وغير المظان كـ"شفاء العليل" لابن القيم ، و"صبح الأعشى" للقلقشندى ، و "خلق أفعال العباد" للبخارى ، و"كتاب العلو" للذهبى ، و" كتب الأسماء والصفات" له ، و " كتاب الفتوحات " لابن عربى الشيخ الأكبر ، وما إلى ذلك من كتب كثيرة لايخطر ببال أحد أن هناك ما يتعلق بالموضوع . ثم لم يقتصر نقوله على فقه

الحنفية ، بل جمع غرر النقول من كتب المذاهب من المالكية والشافعية والحنابلة وكذلك لم يقتصر ولم يقتنع بكتب الماتريدية من المتكلمين ، بل نقل من الأشاعرة وعقائد الحنابلة ما دل على اتفاق مذاهب الفقهاء ومذاهب أهل الكلام .

وبالجملة جمع المواد المبعثرة فى شتى المصادر فى صعيد واحد ، وجمع فأوعى ، وبحث فاستوفى ، وحقق فأجاد واستنبط حقائق فقهية من كلام جهابذة الفقه والحديث وغيرهما ، فأفاد وأفاض فى نواحى البحث والتدقيق ، فأتى بالعجب العجاب وغربل الكتب والأسفار الضخمة ، وأخرج من ثناياها و طواياها كل ما له صلة بالموضوع ، واستوعب استيعاباً بالغاً مدهشاً ما لا يرجى إلا من أمثاله من الجهابذة المستبحرين . فيا سبحان الله :

إذا كانت النفوس كباراً   تعبت فى مرادها الأجسام

يطالع مجلدات من كتاب ويستخرج منها أسطراً وخروفاً . فرحمه الله ورضى عنه وأرضاه . من ذا الذى يقدر هذه الجهود الجبارة فى البحث والتفكير فى حنايا ضلوعه ، ومن ذا الذى يدرك هذه الأفكار الدقيقة فى مشاعره بحر لا تكدره الدلاء ودأماء لا تقطع بالأرماث :

شيخ عجائبه لم تبق فى سمر   ولا عجب شيخ بعده عجباً .

فهذا هو كتاب " إكفار الملحدين فى ضروريات الدين " وكان سماه أولاً : " إكفار المتأولين والملحدين فى شئ من ضروريات الدين " لو لم يكن مثل هذا الإمام المحقق ألف مثل هـــذا العلق النفيس وحل غوامض الأبحاث وحلل عويص المسائل ودقائق الفقه لأشكل على القوم هذه المسائل ، وبقى الناس وأهل العلم فى لبســة وخفاء . والحمد لله قـــد أصبحت

المسائل هذه من عدم تكفير أهل القبلة وعدم إكفار المتأولين أبين من فرق الصديع وفلق الصبح . فلاريب أنه أحسن إلى الأمة وإلى العلم بتأليف هذا الكتاب البديع فى هذه المعضلات الدقيقة، فجزاه الله خير ما يجزى علماءه الراسخين العاملين والأعلام الربانيين . ثم قدمه لأكابر العلماء وأرباب الفتوى فى عهده مثل الحجة الفقيه المحدث العارف المحقق مولانا الشيخ خليل احمد السهارنفورى مؤلف "بذل المجهود فى شرح سنن أبى داؤد" والمحقق الفاضل الشيخ رحيم الله البجنورى من مشاهير أصحاب الحجة مولانا محمد قاسم النانوتوى ، والعارف الفقيه الديوبندى مولانا الشيخ المفتى عزيز الرحمن الذى خدم مسند الإفتاء فى دارالعلوم بديوبند خمسين عاماً ، والشيخ الفقيه المحقق حكيم الأمة مولانا أشرف على التهانوى ، والشيخ الفقيه المفتى محمد كفاية الله الدهلوى الذى كان مداراً للفتوى فى هذه البلاد ، والمحقق متكلم هذا العصر شيخ الإسلام شبيرأحمد العثمانى شارح "مسلم" وغيرهم ، وهؤلاء الأعلام كانوا مشايخ عصرهم، كان يدور عليهم رحى الإفتاء،وكانوا أقطاب التحقيق . حتى تتفق كلمة العلماء الأجلة فى هذه المعضلات العويصة ، ولايبقى هناك أى خلاف فيها ، ولايبقى أدنى ريب فى إكفار المرزا غلام أحمد القاديانى؛وكفره وكفر أتباعه وأذنابه من المرزائية واللاهورية ، ولم يكن تقديم الكتاب للتقريظ والثناء والتقدير ، وكان بعيداً من ذوقه ، وكان فى غنى من تقريظ مشايخ العصر ، بيد أنه أراد أن يتفق كلمة القوم فى هذه المسائل التى لها أهمية كبيرة فى الوقت نفسه كما سمعته أذناى ووعاه قلبى من حضرته شفاهاً ، . والله سبحانه ولى التوفيق، وهو الذى يشرح صدور العلماء لمثل هذا التحقيق ، فله الحمد الجزيل على نعمائه . والصلاة والسلام على صفوة أنبياءه وعلى آله وصحبه وأصفيائه .

وأنا الفقير إلى رحمة الله البارى محمد يوسف بن السيد محمد زكريا الحسينى البنورى عفا الله عنه وعافاه ووفقه لما يحبه ويرضاه .

يوم الخميس غرة ذى القعدة الحرام سنة ١٣٨٧ هـ . وغرة فبراير سنة ١٩٦٨ م بالمدرسة العربية الإسلامية فى كراتشى باكستان .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل الحق يعلو ولا يعلى، حتى يأخذ من مكانة القبول مكاناً فوق السماء ، يبسم عن بلج جبين ، وعن ثلج يقين ، ويبهر نوره وضياءه ، ويصدع صيته ومضاءه ، ويفتر عن سنا وسناء ، وجعله يدمغ الباطل فكيفما تقلب وصار أمه إلى الهاوية ، يتقهقر حتى يذهب جفاء ، ويصير هباء ، وحيث سطع الحق واستقام كعمود الصبح لوى الباطل ذنبه كذنب السرحان ، وتلون تلون الحرباء ، ومن تولاه تبوأ مقعداً من النار ، وحقت عليه كلمة العذاب ، وادراكه درك الشقاء وسوء القضاء ، وكم من شقى أحاطت به خطيئته (أعاذنا الله من ذلك) . والحمد لله على العافية ، والمعافاة الدائمة من البلاء . والصلاة والسلام على نبيه ورسوله نبي الرحمة محمد ﷺ ، خاتم الرسل والأنبياء ، الذى انقطعت بعده الرسالة والنبوة ، ولم يبق إلا المبشرات ، وقد كان بقى من بيت النبوة موضع لبنة فكانها وقد كمل البناء . وعلى آله وأصحابه والتابعين وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، كل صباح ومساء ، إلى يوم الجزاء .

أما بعد : فهذه رسالة فى واقعة فتوى قصدت بها النصح والذكرى، لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد، سميتها : **إكفار المتأولين والملحدين فى شئ من ضروريات الدين**، أخذاً للإسم والحكم من قوله تعالى : (إن الذين يلحدون فى آياتنا لايخفون علينا (١) ، أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمناً يوم القيامة ، اعملوا ما شئتم ، إنه بما تعملون بصير) .

قال ابن عباس : يضعون الكلام فى غير موضعه .

والمراد "بالضروريات" على ما اشتهر فى الكتب : ما علم كونه من دين محمد ﷺ بالضرورة ، بأن تواتر عنه واستفاض، وعلمته العامة (٢)، كالوحدانية، والنبوة، وختمها بخاتم الأنبياء، وانقطاعها بعده ، وهذا مما شهد الله به فى كتابه، وشهدت به الكتب السابقة ، وشهد به نبينا ﷺ ، وشهد به الأموات أيضاً ، كزيد بن خارجة الذى تكلم بعد الموت ، فقال : محمد رسول الله النبى الأمى ، خاتم النبيين ، لا نبى بعده ، كان ذلك فى الكتب الأول ، ثم قال: صدق صدق . "ذكره بهذا اللفظ فى "المواهب"

(١) أراد بقوله : « لا يخفون علينا » : أنهم وإن كتموا كفرهم ، وتستروا بالتأويل الباطل ، وأرادوا الإخفاء ، لكنهم لا يخفون علينا . قال أبويوسف فى "كتاب الخراج" (ص — ١٧٩) : وكذلك الزنادقة الذين يلحدون وقد كانوا يظهرون الإسلام . منه .

(٢) أى استفاض علمه حتى وصل إلى دائرة العوام ، وعلمه كواف منهم ، لا أن كلا منهم يعلمه ، وإن لم يرفع لتعلم الدين رأساً ، وحرم توفيقه ، فإن جهله كواف منهم لعدم رغبتهم فى تعلم الدين وعلمه كواف منهم فهو ضرورى . منه .

وغيرها ، وكالبعث والجزاء ، ووجوب الصلاة والزكاة ، وحرمة الخمر ونحوها ، سمى : ضرورياً ، لأن كل أحـد يعلم أن هذا الأمر مثلاً من دين النبي ﷺ ، ولابد ، فكونها من الدين ضرورى وتدخل فى الإيمان، لا يريدون أن الإتيان بها بالجوارح لابد منه ، كما يتوهم ، فقد يكون استحباب شئ أو إباحته ضرورياً يكفر جاحده ، ولا يجب الإتيان به ، فالضرورة فى الثبوت عن حضرة الرسالة (١) ، وفى كونه من الدين ، لا من حيث العمل ، ولا من حيث الحكم المتضمن ، فقد يكون حديث متواتراً ويعلم ثبوته عنه ﷺ ضرورة ، ولا بد ، ويكون الحكم المتضمن فيه نظرياً من حيث العقل ، كحديث عذاب القبر ، ثبوته عنـه ﷺ مستفيض، وفهم كيفية العذاب مشكل . والإيمان عمل من أعمال القلب، كما أشار إليه البخارى رحمه الله تعالى (٢) يستلزم إرادة إطاعة الشريعة فى كل شئ

(١) وكذلك فى حاشية "جوهرة التوحيد" (ص — ١٥) وإن بعض المتواترات لا يكفر بجهلها ، نعم بجحودها بعد التعليم . وفى هامش "الموافقات" (ص — ٥٦ ج — ٢) ثم عقد الفرق الرابع والتسعين بين قاعدة : ما لا يكون الجهل فيه عذراً، وقاعدة ما يكون الجهل عذراً فيه ، وخلاصة الفرق بينهما أن الجهل المعفو عنـه ما يتعذر الاحتراز عنه عادة، وغير المعفو عنه ما لا يتعذر الإحتراز عنه فى العادة، ولا بد أن يراجع ما فى الردة من "دائرة المعارف" (ص — ٣٠٨ ج — ٢) من عهده إلى أمرائه ، وكتابه إلى أهل الردة ، وما جعله دعاية (ص ٢٠٨ ج — ٤) ، ودعاية الإسلام لهرقل ونحوه . منه .

(٢) ص — ٧ ج — ١

وقبولها (١) ، وهذه الإرادة شيء واحد ينسحب على كل الشريعة ، لا يزيد ولا ينقص ، فمن جحد شيئاً واحداً من الضروريات فقد آمن ببعض الكتاب وكفر ببعضه ، وهو من الكافرين ، وإن ركض إلى بلاد "الصين" و"أوربا" لنشر ما زعمه ديناً ، ورآه الجاهلون خدمة للإسلام :

وكل يدعى حباً لليلى ... وليلى لا تقر لهم بذاكا

وهذا الأمر هو الذى دار بين الشيخين أبى بكر وعمر ، فقاتل

---

(١) وفى قصة أهل نجران من الفوائد : أن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله فى الإسلام حتى يلتزم أحكام الإسلام "فتح البارى" (ص — ٧٤ ج — ٨) وأوضحه فى "الهدى" حسناً ، فراجعه . فالإيمان هو : التصديق بكل ما جاء به رسول الله ﷺ وإن لم يكن متواتراً ، والتزام أحكامه والتبرؤ من كل دين سواه .

ومن قصره من المتكلمين على الضروريات فلأن موضوع فنهم هو القطعى ، لا أن المؤمن به هو القطعى فقط ، نعم التكفير إنما يكون بجحوده فقط .

ثم من قال : أنه قول وعمل ، يزيد وينقص — أى بالطاعة والمعصية — كان أراد : أنه لا بد من الفرق هناك بين المؤمن الكامل والعاصى . ومن قال : لا يزيد ولا ينقص ، كان أراد : أنه لا يتبعض، ويكون بمجموع ما جاء به النبى ﷺ ، ثم جاء المشغوفون بالخلاف فحملوا كل عبارة فوق ما أرادوا من التشكيك فى نفس الاعتقاد أو الإرجاء . راجع ترجمة : "عبدالعزيز بن أبى رواد" من "الميزان" (ص ١٣٦ ج — ٢) . وترجمة : "عون بن عبد الله" من "تهذيب التهذيب"(ص — ٤١ ج — ٨) ومن "ايثار الحق" (ص — ٤١٠) . منه.

أبوبكر من فرق بين الصلاة والزكاة ، يريد: أنه ليس مؤمناً من لم يؤمن بالكل ، فشرح الله له صدر عمر ﷺ أيضاً ، فرآى ما رآه أبوبكر ، فعند "مسلم" (١) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بي وبما جئت به ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله اه » (٢) .

ثم إن التواتر قد يكون من حيث الإسناد ، كحديث: « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» ، ذكر في "الفتح" (٣): أنه ثبت صحيحاً وحسناً من طريق ثلاثين صحابياً .

---

(١) ص — ٣٧ ج — ١

(٢) وعند "مسلم" أيضاً ما في (ص — ٨٦ ج — ١) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « والذي نفس محمد ﷺ بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار اه » . منه .

وما في "المستدرك" (ص ٣٤٢ ج — ٢) عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من أحد يسمع بي من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني ولا يؤمن بي إلا دخل النار . فجعلت أقول : أين تصديقها في كتاب الله؟ حتى وجدت هذه الآية : (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) قال : الأحزاب: الملل كلها اه » وراجع حقيقة المرجئة من "المعارف" . منه .

(٣) ص — ١٨١ ج — ١

قلت : وأحاديث ختم النبوة جمعها بعض أصحابى ، وهو : المولوى محمد شفيع الديوبندى (١) ، فبلغت أزيد من مائة وخمسين ، منها نحو ثلاثين من " الصحاح الستة " .

وقد يكون من حيث الطبقة ، كتواتر " القرآن " ، تواتر على البسيطة شرقاً وغرباً ، درساً وتلاوة ، حفظاً وقراءة ، وتلقاه الكافة عن الكافة طبقة عن طبقة (٢) ، اقرأ وارق إلى حضرة الرسالة ، ولا تحتاج إلى إسناد يكون عن فلان عن فلان .

وقد يكون تواتر عمل وتواتر توارث ، وقد تجتمع أقسام كما فى أشياء من : الوضوء كالسواك من المضمضة ، والاستنشاق .

ثم إن التواتر يزعمه بعض الناس قليلاً ، وهو فى الواقع يفوت الحصر فى شريعتنا ، ويعجز الإنسان أن يفهرسه ، ويذهل الإنسان عن التفاته ، فإذا التفت إليه رآه متواتراً ، وهذا كالبديهى ، كثيراً ما يذهل عنه ويحفظ النظرى .

وإذا علمت هذا فنقول : الصلاة فريضة ، واعتقاد فرضيتها فرض ، وتحصيل علمها فرض ، وجحدها كفر ، وكذا جهلها ، والسواك سنة ، واعتقاد سنيته فرض ، وتحصيل علمه سنة ، وجحودها كفر ، وجهله حرمان ، وتركه عتاب أو عقاب .

---

(١) وهو الشيخ العلامة المفتى محمد شفيع الديوبندى مدير "دارالعلوم" كراتشى متعناه الله بفيوضه وبركاته . القادرى .

(٢) وأما نقل مجموع الطبقة عن طبقة أخرى أنه كتاب منزل من الله على نبينا ﷺ فإنه يشترك فيه جميع المسلمين .

ثم أثبتنا فى الفصول الآتية إجماع أهل الحل والعقد على أن : تأويل الضروريات . وإخراجها عن صورة ما تواتر عليه ، وكما جاء ، وكما فهمه ، وجرى عليه أهل التواتر، أنه كفر . وذهبت الحنفية بعد هذا إلى أن إنكار الأمر القطعى وإن لم يبلغ إلى حد الضرورة كفر . صرح به الشيخ ابن الهمام فى " المسايرة "(١) وهو متجه من حيث الدليل .

ثم إن الأمر الشرعى الضرورى قد يكون التعبير عنه وتفهيمه للناس سهلاً ، ويشترك لسهولته فيه الخواص والأوساط والعوام ، فإذا تواتر مثل ذلك عن صاحب الشرع وكان مكشوف المراد لم تتجاذب الأدلة فيه وجب الإيمان به على حاله بدون تصرف وتعجرف ، وذلك كمسألة ختم النبوة ، لا إشكال ولا إعضال فى فهمها ، ويفهمه الكواف بجملة : « إن الرسالــة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدى ولا نبى » . أو بجملة : « ذهبت النبوة وبقيت المبشرات » . يكفى فى فهم هذه المسألة وحقيقتها هذه الحروف . ثم إذا تواتر عن صاحب الشرع ، واستفاض عنه نحو مائة وخمسين مرة وأزيد ، وأصر عليه وبلغه على رؤوس المنابر والمنابر ، ولم يشر مرة من الدهر إلى أنه متأول ، وفهمت عنه الأمة المشاهدون والغائبون طبقةً بعد طبقة ، واشتهر عند العامة أن لا نبوة بعد ختم الأنبياء ، وإنما ينزل عيسى عليه السلام من السماء حكماً مقسطاً ، وتكون جرت شؤون وملاحم ، ودارت دوائر بين المسلمين والنصارى ، فيقوم المهدى ـ عليه السلام ـ لإصلاح المسلمين ، وينزل عيسى ـ عليه السلام ـ لإصلاح النصارى ، وقتل اليهود ، ويكون الدين كله لله .

---

(١) ص — ٢٠٨

وتواتر نزوله عليه السلام (١) ، كما صرح به علماء النقل ، كالحافظ ابن كثير في "تفسيره" (٢) ، والحافظ ابن حجر في "فتحه" (٣) و "تلخيصه" (٤) .

ثم جاء ملحد وحرف تلك النصوص — كما فعلته الزنادقة — وقال بأن الله سماه : ابن مريم ، وإن المراد "باليهود" : علماء الإسلام الذين لا يؤمنون بذلك الملحد ، لأنهم جمدوا على الظاهرية وحرموا الروحانية .

ولم يدر الملحد أن الزنادقة الذين مضوا ، وبادوا ، كانوا أبلغ منه في تلك الروحانية ، إن كانت تلك الزندقة روحانية .

وهذا أستاذه وأبوه الروحاني: "الباب" ثم "البهاء" و"قرة العين" هلكوا عن قريب، وادعوا ما ادعى ؛ وأتباعهم الأشقياء أكثر من أتباعه، فأين له بهاء كالبهاء ؟ وأين له ثبات في الحروب ؟ ومكافحة بالصدر لبنادق الرصاص ؟ وإخباره بالنجاة منها ، ثم وقوع الأمر كذلك ؟ وأين له منطق كمنطق قرة العين ؟

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

---

(١) وقد جمعت أحاديث نزوله عليه السلام في رسالة سميتها: "التصريح بما تواتر في نزول المسيح" ، قد طبعت فيها نحو سبعين حديثاً ، ونحو أربعين منها صحاح وحسان . منه .

(٢) ص — ٥٨٢ ج — ١ في سورة "نساء" ، وص — ١٣٢ ج — ٤ في سورة "الزخرف" .

(٣) ص — ٣٥٧ ج — ٦

(٤) في باب الطلاق .

وإنما بضاعته تلقف كلمات من الصوفية الكرام "كالتجلى" و"البروز" وتحريف مرادهم ، وسرقة القباء واتخاذه قميصاً ؛ وإتباع الفلسفة الجديدة وما فتشه أهل " أوربا " وجعله وحياً يوحى إليه شيطانه ، وقد مهد له ذلك قبله أمثاله ، منهم : الحكيم محمد حسن الأمروهى ، صاحب "غاية البرهان فى تأويل القرآن" على أنهم كانوا أحسن حالاً منه ، فإنهم لم يتنبأوا ، فإذا كان الأمر هكذا أكفرناه بالإجماع ، وجعلنا الهاوية أمه .

ويعجبنى قول المتنبئ :

لقد ضل قوم بأصنامهم ‏ ‏ ‏ ‏ وأما بزق رياح فلا

وقد قال قائل : إن الأحوط فيه :

وكان امرأ من جند ابليس فارتقى
به الحال حتى صار ابليس من جنده

هذا وقد بلغنى كلام بعضهم : أن مالكاً الإمام رحمه الله قائل بموت عيسى عليه السلام ، وهذا من سوء الفهم ، فقد صرح مالك رحمه الله أيضاً فى " العتبية " بنزوله ، كما انعقد الإجماع عليه . ذكره الأبى فى " شرح صحيح مسلم " (١) .

وأما إن كان أمراً يعسر فهمه وتفهيمه كمسألة القدر ، وعذاب القبر ، والإستواء على العرش ، والنزول إلى سماء الدنيا ، وغير ذلك من المتشابهات والأمور الإلهية ، ثم تواتر واستفاض ، فإن جحد من بلغه ذلك الأمر أصل ما جاء أكفرناه بلا خطر ، وإن بحث فى الكيفية ، وأثبت وجهاً ، وزل فيه ، ونفى آخر عذرناه ، وينبغى أن يراجع ما ذكره ابن رشد

---

(١) ص — ٢٦٤ ج — ١

الحفيد في رسالته " فصل المقال والكشف عن مناهج الأدلة " ، فإنه عبر عما ذكرناه بعبارة منطقية . قال عز شأنه :

(ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شئ ، ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) . الآية سورة الأنعام.

ثم إن بعد ما هلك ذلك الملحد انشق العصابين أذنابه فى من يخلفه، فاتخذ من تفاريقه ساجور ، ففارق بعضهم جيله ، وأظهر أنه لم يكن نبياً ، ولم يدع ، ولم تبق فى الإسلام ، لكنه مهدى وعيسى المحمدى (والعياذ بالله) وأراد بذلك استمالة الخلق وتلفتهم إليه ، ولا ينجو من الكفر إلا من أكفر ذلك الملحد بلا تلعثم وتردد ، لوجوه :

الأول : إن ذلك الملحد ، ادعاءه النبوة بل الرسالة ، نعم وتشريعاً أكثر من نباح العواء فى كلامه، فإنكاره مكابرة فاضحة لا يلتفت إليها ، و يكفر من لم يكفره .

وما قولك فيمن لم يكفر مسيلمة وذهب يأول ادعاءه وسجعاته ؟ وما قولك فيمن لم يكفر من يعبد الصنم ، وتأول بأنه لا يعبده بل يخر لوجهه كلما رآه ؟ وهذا أيضاً مكابرة لا يلتفت إليها ، كيف ! لورآه يسجد للصنم ألف مرة أفيخرج له الإنسان وجهاً؟ ومثل هذه المهملات لا يصغى إليها . قال النووى فى الزنديق :

والثالث : إن تاب مرة واحـــدة قبلت توبته ، فإن تكرر ذلك منه لم تقبل اهـ .

والحاصل أن التأويل لكلامه ليس تأويلاً بل هو كذب له لا يغير
كما .

الثانى : إنه قد تواتر ، وانعقد الإجماع على نزول عيسى بن مريم
يه السلام ، فتأويل هذه وتحريفه كفر أيضاً . وقد قال فى "روح
مانى" — وهو من محققى المتأخرين —: إن من لم يقل بنزوله فقد أكفره
لماء ، وهو على القاعدة فى إنكار ما تواتر فى الشرع . وقد رأيت
لام ذلك الملحد المتنبئ فى قوله تعالى : (وإن من أهل الكتب إلا ليؤمنن
قبل موته) ، وكلام أتباعه فقتل كيف قدر ، بذلوا جهدهم فى
وياله وتحريفه ولم يستولهم شئ ، فيجب أن يكفروا .

الثالث : إنهم منحوا رتبة مثل عيسى عليه السلام من الرسل أولى
عزم لمثل هذا الأخر الزنيم فيجب أن يكفروا . راجع "فتح البارى" (١)
ن (باب ما يستحب للعالم إذا سئل : أى الناس أعلم) . وغاية من يحتاط
هم أن يستتيبهم ، فإن تابوا وإلا فهم كافرون ، وليس فى الشريعة
لإسلامية إلا هذا القدر ؛ كما قد أثبتناه بالإجماع فى ما بعد فى الفصول،
عرض التوبة أيضاً إنما يكون من حاكم الإسلام عند إبرام الأمر والفصل:

فإما لهذا وإما لذا

وأما الآن فلم يبق لهم إلا الكفر ، فليجعلوه شعاراً أو دثاراً حتى
يحلهم دار البوار .

---

(١) وإن قلنا: إن الخضر ليس بنبي بل ولى، فالنبى أفضل من الولى ،
وهو مقطوع به عقلاً ونقلاً ، والصائر إلى خلافه كافر ، لأنه أمر معلوم
من الشرع بالضرورة اهـ (ص — ١٩٦ ج — ١) .

والشارع ﷺ لم يعذر قط فى تأويل باطل ، فقال — فى أمر عبد الله بن حذافة أمير السرية من تحته بدخول النار — : " لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة ، إنما الطاعة فى المعروف " . وقال — فى المشجوج رأسه حيث أمروه بالغسل فمات — : "قتلوه قاتلهم الله". وكيف غضب فى تطويل معاذ ﷺ صلاته بالقوم ؟ وفى واقعة أخرى مثلها ، لعلها لأبى بن كعب ، وفى قتل خالد من قال : " صبأنا صبأنا " ولم يحسنوا أن يقولوا : " أسلمنا " ، وفى قتل أسامة من قال: " لا إله إلا الله " فزعمها درأ لنفسه ، وفى واقعة من أعتق عبيده عنــد الاحتضار ولم يكن له غيرهم ، وغير ذلك من الوقائع ، كالسؤال عن ضالة الإبل ، مما كان التأويل فيها فى غير محله ، وعلى تعبير الفقهاء فى فصل غير مجتهد فيه ، بخلاف نحو ترك الصلاة عند الذهاب إلى بنى قريظة، ومن صلى بالتيمم ثم وجد الماء فى الوقت فتوضأ وأعاد، ومن لم يعد فلم يعنف أحداً فيه ، لأن التأويل فيه لم يكن قطعى البطلان ، ولكم أسوة حسنة فى رسول الله ﷺ ، والله الهادى ، ومن يضلل الله فما له من هاد .

تفسير الزندقة والإلحاد والباطنية وحكمها ثلاثتها واحد وهو الكفر

قال : التفتازانى فى " مقاصد الطالبين فى أصول الدين " : الكافر إن أظهر الإيمان خص باسم " المنافق " ، وإن كفر بعــد الإسلام " فبالمرتد " ، وإن قال بتعدد الآلهة " فبالمشرك " ، وإن تدين ببعض الأديان " فبالكتابى " ، وإن أسند الحوادث إلى الزمان واعتقد قدمــه

" فبالدهرى" ، وإن نفى الصانع فبالمعطل" ، وإن أبطن عقائد هى كفر بالإتفاق ." فبالزنديق" .

وقال فى شرحه : قد ظهر أن : "الكافر" اسم لمن لا إيمان له ، فإن أظهر الإيمان خص بإسم المنافق ، وإن طرأ كفره بعد الإسلام خص باسم المرتد ، لرجوعه عن الإسلام ، وإن قال بإلهين أو أكثر ، خص بإسم المشرك ، لإثباته الشريك فى الألوهية ، وإن كان متديناً ببعض الأديان والكتب المنسوخة ، خص بإسم الكتابى ، كاليهودى والنصرانى ، وإن كان يقول بقدم الدهر وإسناد الحوادث إليه ، خص باسم الدهرى ، وإن كان لايثبت البارى تعالى خص باسم المعطل ، وإن كان مع اعترافه بنبوة النبى ﷺ وإظهاره شعائر الإسلام يبطن عقائد هى كفر بالإتفاق ، خص باسم الزنديق ، وهو فى الأصل منسوب إلى : الزند ، إسم كتاب أظهر مزدك فى أيام قباد ، وزعم أنه تأويل كتاب المجوس الذى جاء بــه زرادشت ، الذى يزعمون أنه نبيهم (١) .

قوله : "المعروف" اهـ . فإن الزنديق يموه يكفره ، ويروج عقيدته الفاسدة ، ويخرجها فى الصورة الصحيحة ، وهذا معنى إبطان الكفر ، فلا ينافى إظهاره الدعوى إلى الضلال ، وكونه معروفاً بالإضلال اهـ . ابن كمال (٢) .

وقيل : لا يقبل إسلامه إن ارتد إلى كفر خفى ، كزنادقة ، وباطنية (٣) ، فالمراد بابطان بعض عقائد الكفر ليس هو الكتمان من الناس ، بل

---

(١) شرح مقاصد ص ـــ ٢٦٨ ـــ ج ـــ ٢ .
(٢) رد المحتار ص ـــ ٢٩٦ ج ـــ ٣
(٣) منهاج للنووى (ص ـــ ١٢١)

المراد : أن يعتقد بعض ما يخالف عقائد الإسلام مع ادعائه إياه (١) وحكم المجموع من حيث المجموع الكفر لاغير .

وفى المسند (٢) عن ابن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "سيكون فى هذه الأمة مسخ ، ألا و ذلك فى المكذبين بالقدر والزنديقية" . قال فى "الخصائص" سنده صحيح .

وفى "منتخب كنز العمال"(٣) مرفوعاً ما يفسرها (٤) .

---

(١) وهو المراد بقولهم: يبطن الكفر، أى يخلط . "فتح البارى" ص — ٢٤٠ ج — ١٢) .

(٢) مسند أحمد ص — ١٠٨ ج — ٢ .

(٣) ص — ٥٠ ج — ٦

(٤) يكون قوم من أمتى يكفرون بالله وبالقرآن ، وهم لا يشعرون ، كما كفرت اليهود والنصارى ، يقرون ببعض القدر ويكفرون ببعضه ، يقولون : الخير من الله ، والشر من إبليس ، فيقرأون على ذلك كتاب الله ، ويكفرون بالقرآن بعد الإيمان والمعرفة ، فما تلقى أمتى منهم من العداوة والبغضاء والجدال أولئك زنادقة هذه الأمة ، فى زمانهم يكون ظلم السلطان ، فيا له من ظلم وحيف وأثرة . ثم يبعث الله طاعوناً فيفنى عامتهم ، ثم يكون الخسف ، فما أقل من ينجو منهم ! المؤمن يومئذ قليل فرحه ، شديد غمه ، ثم يكون المسخ فيمسخ الله عامة أولئك قردة وخنازير ، ثم يخرج الدجال على إثر ذلك قريباً . "طب" و"البغوى" عن: رافع بن خديج .

١٥
ما المراد بأهل القبلة الذين لا يكفرون

قال التفتازانى فى المقاصد" : المبحث السابع فى حكم مخالف الحق من أهل القبلة . ليس بكافر ما لم يخالف ما هو من ضروريات الدين ، كحدوث العالم ، وحشرالأجساد . وقيل : كافر . وقال الأستاذ : نكفر من أكفرنا، ومن لا فلا . وقال قدماء المعتزلة : نكفر المجبرة ، والقائلين بقدم الصفات ، وخلق الأعمال ، وجهلائهم : نكفر من قال بزيادة الصفات ، وبجواز الرؤية وبالخروج من النار ، وبكون الشرور و القبائح بخلقه وإرادته .

لنا : إن النبى ﷺ ومن بعده لم يكونوا يفتشون من العقائد ، وينبهون على ما هو الحق . فإن قيل : فكذا فى الأصول المتفق عليها . قلنا : لاشتهارها وظهورأدلتها على ما يليق بأصحاب الجمل ، قد يقال : ترك البيان إنما كان اكتفاءً بالتصديق الإجمالى ، إذ التفصيل إنما يجب عند ملاحظة التفاصيل ، وإلا فكم من مؤمن لا يعرف معنى القديم والحادث ، هذا وإكفار الفرق بعضها بعضاً مشهور .

وقال فى شرحه فى "باب الكفر والإيمان": ومعناه أن الذى اتفقوا على ما هو من ضروريات الإسلام ، كحدوث العالم، وحشر الأجساد ، وما يشبه ذلك ، واختلفوا فى أصول سواها كمسألة الصفات ، وخلق الأعمال ، وعموم الإرادة ، وقدم الكلام ، وجواز الرؤية ، ونحو ذلك مما لا نزاع فيه ، أن الحق فيها واحد ، هل يكفر المخالف للحق بذلك الاعتقاد و بالقول به أم لا ، وإلا فلا نزاع فى كفر أهل القبلة المواظب طول العمر على الطاعات باعتقاد قدم العالم ونفى الحشرو نفى العلم بالجزئيات ونحو ذلك ،

وكذا بصدور شئ من موجبات الكفر عنه، وأما الذى ذكرنا فذهب الشيخ الأشعرى وأكثر الأصحاب إلى أنه ليس بكافر ، وبه يشعر ما قال الشافعى رحمه‌الله تعالى عليه : "لا أرد شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية ، لاستحلالهم الكذب" . وفى "المنتقى" عن أبى‌حنيفة رحمه الله تعالى عليه : "أنه لم يكفر أحداً من أهل القبلة" . وعليه أكثر الفقهاء ، ومن أصحابنا من قال بكفر المخالفين (١) .

اعلم أن المراد بأهل القبلة : الذين اتفقوا على ما هو من ضروريات الدين ، كحدوث العالم ، وحشر الأجساد ، وعلم الله تعالى بالكليات والجزئيات ، وما أشبه ذلك من المسائل المهمات ، فمن واظب طول عمره على الطاعات والعبادات مع اعتقاد قدم العالم ونفى الحشر أونفى علمه سبحانه بالجزئيات لايكون من أهل القبلة ، وإن المراد بعدم تكفير أحد من أهل القبلة عند أهل السنة : أنه لايكفر ما لم يوجد شئ من إمارات الكفر وعلاماته ، ولم يصدر عنه شئ من موجباته (٢) .

إن غلا فيه — أى فى هواه — حتى وجب إكفاره به لايعتبر خلافه و وفاقه أيضاً ، لعدم دخوله فى مسمى الأمة المشهود لها بالعصمة وإن صلى إلى القبلة واعتقد نفسه مسلماً ، لأن الأمة ليست عبارة عن المصلين إلى القبلة ، بل عن المؤمنين ، وهو كافر و إن كان لايدرى أنه كافر (٣) .

---

(١) "شرح مقاصد" ص — ٢٦٨ إلى ٢٧٠ ج — ٢

(٢) "شرح فقه اكبر" ص — ١٨٥

(٣) ص — ٢٠٨ تحقيق شرح "أصول حسامى"

ونحوه فى " الكشف شرح البزدوى" (١) من الإجماع ، و"الإحكام" (٢) للآمدى من المسألة السادسة منه .

لاخلاف فى كفر المخالف فى ضروريات الإسلام وإن كان من أهل القبلة المواظب طول عمره على الطاعات . كما فى " شرح التحرير" . " رد المحتار" من الإمامة (٣) ومن جحود الوتر (٤) .

أيضاً ثم قال (أى صاحب " البحر") : والحاصل أن المذهب عدم تكفير أحد من المخالفين فيما ليس من الأصول المعلومة من الدين ضرورة . الخ . فافهم (٥) .

أهل القبلة فى إصطلاح المتكلمين من يصدق بضروريات الدين أى الأمور التى علم ثبوتها فى الشرع واشتهر ، فمن أنكر شيئاً من الضروريات كحدوث العالم وحشر الأجساد ، وعلم الله سبحانه بالجزئيات ، وفرضية الصلاة والصوم لم يكن من أهل القبلة ، ولو كان مجاهداً بالطاعات ، و كذلك من باشر شيئاً من إمارات التكذيب كسجود الصنم والإهانة بأمر شرعى والاستهزاء عليه ، فليس من أهل القبلة ، ومعنى : "عدم تكفير أهل القبلة أن لا يكفر بارتكاب المعاصى ، ولا بانكار الأمورالخفية غير المشهورة . هذا ما حققه المحققون فاحفظه (٦) .

(١) ص ـــ ٢٣٨ ج ـــ ٣ (٢) ص ٣٢٦ ج ـــ ١

(٣) ص ٣٧٧ ج ـــ ١

(٤) ص ـــ ٦٢٢ ج ـــ ١ مطبوع مصر سنه ١٢٧٢ هـ .

(٥) "رد المحتار" ص ـــ ٥٢٥ ج ـــ ١

(٦) "نبراس" شرح شرح عقائد نسفى ص ـــ ٥٧٢

وفى "جوهرة التوحيد" :

ومن لمعلوم ضرورى جحد   من ديننا يقتل كفراً ليس حد

وشرحه شارحه وذكر أن هذا مجمع عليه،وذكر أن الماتريدية يكفرون بعد هذا بانكار القطعى وإن لم يكن ضرورياً ،

قلت : تواردە الأصوليون من أصحابنا فى إنكار ما أجمع عليه الصحابة ، إذ جعلوه كالكتاب فى الرتبة .

وقال الحافظ ابن تيمية رحمه الله تعالى فى "إقامة الدليل" (١) : و إجماعهم حجة قاطعة يجب اتباعها ، بل هى أوكد الحجج ، وهى مقدمة على غيرها ، وليس هذا موضع تقرير ذلك ، فإن هذا الأصل مقرر فى موضعه ، وليس فيه بين الفقهاء بل ولا بين سائر المؤمنين الذين هم المؤمنون خلاف ، وإنما خالف فيه بعض أهل البدع المكفرين ببدعتهم أو المفسقين بها ، بل من كان يضم إلى بدعته من الكبائر ما بعضه يوجب الفسوق اه .

لكن يحتمل أن يكون ما أجمع عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من الضرورى عندهم،وقد أشار إليه فى "روح المعانى"(٢) تحت قوله: (إن الذين كفروا سواء عليهم الآية) . ومثله فى "شرح التحرير"(٣) للمحقق ابن أمير الحاج تلميذ المحقق ابن الهمام وتلميذ الحافظ ابن حجر ، ذكره فى تقسيم الخطأ وبسطه ، ونحوه فى "التلويح" للتفتازانى من حكم الإجماع . وعبارة المحقق ابن أمير الحاج فى "شرح التحرير" ، هكذا :

---

(١) ص — ١٣٠ ج — ٣ (٢) ص — ١٢٧ ج — ١

(٣) ص — ٣١٨ ج — ٣

"والمراد بالمبتدع : الذى لم يكفر ببدعته ، و قد يعبر عنه بالمذنب من أهل القبلة ، كما أشار إليه المصنف سابقاً بقوله: "وللنهى عن تكفير أهل القبلة" هو الموافق على ما هو من ضروريات الإسلام ، كحدوث العالم ، وحشر الأجساد من غير أن يصدر عنه شئى من موجبات الكفر قطعاً من اعتقاد راجع إلى وجود إله غير الله تعالى ، أو إلى حلوله فى بعض أشخاص الناس ، أو إنكار نبوة محمد ﷺ أو ذمه أو استخفافه ، ونحو ذلك المخالف فى أصول سواها مما لا نزاع أن الحق فيه واحد ، كمسألة الصفات ، وخلق الأعمال ، وعموم الإرادة وقدم الكلام ، ولعل إلى هذا أشار المصنف رحمه الله تعالى ما ضياً بقوله : إذ تمسكه بالقرآن أو الحديث أو العقل ، إذ لا خلاف فى تكفير المخالف فى ضروريات الإسلام من حدوث العالم ، وحشر الأجساد ، ونفى العلم بالجزئيات ، وإن كان من أهل القبلة المواظب طول العمر على الطاعات ، وكذا المتلبس بشئ من موجبات الكفر ينبغى أن يكون كافراً بلا خلاف ، وحينئذ ينبغى تكفير الخطابية لما قدمناه عنهم فى فصل شرائط الراوى ، وقد ظهر من هذا أن عدم تكفير أهل القبلة بذنب ليس على عمومه إلا أن يحمل الذنب على ما ليس بكفر فيخرج المكفر به كما أشار إليه السبكى اهـ" .

ثم ذكر عن السبكى ما لا يضرنا ، فإنه فيما إذا تكلم بالشهادتين بعد ما كان تفوه بكلمة الكفر ، جعله كمسلم ارتد ثم أسلم ، ومع هذا نظر

فيه ابن أمير الحاج بأنه لابد أن يتبرأ عما كان تفوه به ، وهوفى كلام السبكى أيضاً ، فلا خلاف بينهما إذن .

وقال المحقق محمد بن ابراهيم الوزير فى " إيثار الحق " (١) : الفرع الثانى أن يسير الاختلاف لايوجب التعادى بين المؤمنين ، وهو ما وقع فى غير المعلومات القطعية من الدين التى دل الدليل على تكفير من خالف فيها" . اه .

وقال فى(٢) : "مثل كفر الزنادقة والملاحدة" ـ إلى أن قال ـ :"وتلعبوا بجميع آيات كتاب الله عزوجل فى تأويلها جميعاً بالبواطن التى لم يدل على شئ منها دلالة ولا إمارة ، ولا لها فى عصر السلف الصالح إشارة ، وكذلك من بلغ مبلغهم من غيرهم فى تعفية آثار الشريعة ، ورد العلوم الضرورية التى نقلتها الأمة خلفها عن سلفها" اه .

وقال فى (٣) :

"فاعلم أن الإجماعات نوعان : أحدهما تعلم صحته بالضرورة من الدين بحيث يكفر مخالفه ، فهذا إجماع صحيح ، ولكنه مستغنى عنه بالعلم الضرورى من الدين" اه .

واعلم أن أصل هذه المسألة ــ أى مسألة عدم تكفير أهل القبلة ــ مأخوذة مما رواه أبوداوٗد رحمه الله تعالى فى الجهاد : عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : "ثلاث من أصل الإيمان : الكف عمن قال: لاإله إلاالله،ولا تكفره بذنب ، ولاتخرجه من الإسلام بعمل" الحديث .

والمراد بالذنب فيه على عرف الشريعة غيرالكفر ، وكذلك هذه الجملة

---

(١) ص ــ ١٤٣ (٢) ص ــ ٤٤٥ (٣) ص ــ ١٦٨

فى عبارة الأئمـة كالإمام الأعظم رحمه الله تعالى وغيره ، كالإمام الشافعى رحمه الله عليه ، كما نقله فى "اليواقيت" (١) مقيدة بالذنب ، فجاء الناظرون أو الجاهلون أو المحدون فوضعوها فى غير موضعها ، وأصل هذه الأحاديث فى إطاعة الأمير ، والنهى عن الخروج ما صلوا ، كما عند "مسلم" (٢) وغيره ، وهو مقيد عنده وعند آخرين بقوله ﷺ : « إلا أن تروا كفراً بواحا عندكم من الله فيه برهان » وهو المراد بما عند البخارى (٣) وغيره عن أنس : « من شهد أن لا إله إلا الله ، واستقبل قبلتنا ، وصلى صلاتنا ، وأكل ذبيحتنا فهو المسلم ، له ما للمسلم ، وعليه ما على المسلم » .

قلت : وفى قوله ﷺ : « إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان » دلالة على أن تلك الرؤية إلى الرائين ، فلينظروا فيما بينهم وبين الله ، ولا يجب عليهم تعجيزه بحيث يحصر لسانه ولا ينطلق بتأويل ، بل إنما يجب أن يكون عندهم من الله فيه برهان لا غير . و وقع عند "الطبرانى" فيه كما فى (٤) "الفتح" كفراً صراحاً ، بصاد مهملة مضمومة ثم راء ، فدل على أن التأويل فى الصريح لا يقبل (٥) ،

---

(١) ص ــ ١٢٣ ج ــ ٢ (٢) ص ــ ١٢٥ ج ــ ٢

(٣) ودر "إزالة الخفاء" (ص ــ ٧) تفصيلى در خروج بر خليفه وكفروى بانكار ضروريات دين آورده ومعنى قطعيت بطلان تاويل آنست كه مخالف نص الكتاب يا سنت مشهوره يا اجماع يا قياس جلى واقع شود اه . واكنون بطلان تأويل وضابطهٔ آن در مثل "مختصر قدورى" بايد ديد .

(٤) ص ــ ٥٦ ج ــ ١ (٥) ص ــ ٦ ج ــ ١٣

وقال فى "الفتح" : « قوله عندكم من الله فيه برهان أى نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل اه » .

فدل أنه يجوز التكفير بناءً على خبر واحد وإن لم يكن متواتراً ، و كيف لا! وهم يكفرون بما عدده الفقهاء من موجبات الكفر ، أفلا يكفرون بما فى حديث صحيح لم يقم على تأويله دليل ودل أيضاً أن أهل القبلة يجوز تكفيرهم وإن لم يخرجوا عن القبلة ، وأنه قد يلزم الكفر بلا التزام وبدون أن يريد تبديل الملة، وإلا لم يحتج الرائى إلى برهان ، فهم — كما فى حديث آخر عند البخارى — من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، وهم دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها . قال القابسى — كما فى "الفتح" — : معناه أنهم فى الظاهر على ملتنا و فى الباطن مخالفون ، وحمله الحافظ رحمه الله تعالى على الخوارج ، وقال فى ترجمة الدجال : وأما الذى يدعيه فإنه يخرج أولاً فيدعى الإيمان والصلاح ثم يدعى النبوة ثم يدعى الإلهية اه .

وقال فى حديث ثلاثين دجالاً، وتوجيه زيادة العدد فى بعض الروايات ما لفظه :

"ويحتمل أن يكون الذين يدعون النبوة منهم ما ذكر من الثلاثين ونحوها ، وإن من زاد على العدد المذكور يكون كذاباً فقط لكن يدعو إلى الضلالة ، كغلاة الرافضة، والباطنية ، وأهل الوحدة ، والحلولية ، وسائر الفرق الدعاة إلى ما يعلم بالضرورة أنه خلاف ما جاء به محمد رسول الله ﷺ اه" .

فجعلهم من قبيل الدجال وكفرة بإنكار الضروريات بل بمخالفتها فقط ، ثم رأيت فى "منحة الخالق على البحر الرائق" لابن عابدين رحمه الله (١) :

(١) ص — ٣٧١ ج — ١

" وحرر العلامة نوح آفندى أن مراد الإمام بما نقل عنه ما ذكره فى " الفقه الأكبر " من عدم التكفير بالذنب الذى هو مذهب أهل السنة والجماعة فتأمل اه ".

قلت : ومسألة عدم إكفار أهل القبلة إنما عزوها " للمنتقى " كما فى " شرح المقاصد " (١) ، و" المسايرة " (٢)، وعبارة " المنتقى " نتلها فى " شرح التحرير " (٣) ، وسياقها عن أبى حنيفة : " ولا نكفر أهل القبلة بذنب اه " . فقيد بالذنب ، وهى فى رد المعتزلة والخوارج لا غير ، إذ صورة العبارة تعريض بمن يكفر أهل القبلة بغير ما يوجب الكفر وهو الذنب، وأما كلمات الكفر ،فإن لم يكفر بها فليقل: إنها ليست بكلمات كفر ، وهو سفسطة .

ثم رأيت فى "كتاب الإيمان" للحافظ ابن تيمية رحمه الله صرح به قال(٤): ونحن إذا قلنا : أهل السنة متفقون على أنه لا يكفر بالذنب ، فإنما نريد به المعاصى كالزنا والشرب اه . وأوضحه القونوى فى " شرح العقيدة الطحاوية " (٥) .

ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنا لا نكفر أحداً بذنب ، بل يقال : إنا لا نكفرهم بكل ذنب كما يفعله الخوارج . ثم قال القونوى : وفى قوله : " بذنب " إشارة إلى تكفيره بفساد اعتقاده كفساد اعتقاد المجسمة والمشبهة ونحوهم ؛ لأن ذلك لا يسمى ذنباً ،

(١) ص — ٢٦٩

(٢) ص — ٢١٤

(٣) ص — ٣١٨ ج — ٣

(٤) ص — ١٢١ طبع قديم ١٣٢٥ﻫ

(٥) ص — ٢٤٦

والكلام فى الذنب . "شرح فقه أكبر" (١)— من بحث الإيمان — ونحوه كلام الطحاوى فى "المعتصر" (٢) — من تفسير الفرقان — . ومن آخر "الإقتصاد" للغزالى .

عبارات من فتح البارى بشرح صحيح البخارى

فيها فكوك لشكوك المستروحين ونجوم من الحافظ شهاب الدين ابن حجر لرجوم الهالكين

وقد اختلف الصحابة فيهم بعد الغلبة عليهم: هل تغنم أموالهم، وتسبى ذراريهم كالكفار، أولا كالبغاة؟ فرأى أبو بكر الأول وعمل به، وناظره عمر رضي الله عنه فى ذلك، كما سيأتى بيانه فى "كتاب الأحكام" إن شاء الله تعالى . وذهب إلى الثانى ووافقه غيره فى خلافته على ذلك ، واستقر الإجماع عليه فى حق من جحد شيئاً من الفرائض بشبهة فيطالب بالرجوع ، فإن نصب القتال قوتل وأقيمت عليه الحجة، فإن رجع وإلا عومل معاملة الكافر حينئذٍ ، ويقال أن اصبغ من المالكية استقر على القول الأول فعد من ندرة المخالف (٣) .

قلت : أراد بقوله : "وإلا عومل معاملة الكافر" القتل كفراً ، لأنه قال الحافظ قبله : "والذين تمسكوا بأصل الإسلام، ومنعوا الزكاة بالشبهة التى ذكروها لم يحكم عليهم بالكفر قبل إقامة الحجة اهـ" وكذا نقله عن القرطبى فيما يأتى فى من استتر منهم ببدعة . وأراد بالشبهة التأويل ، ففيه أن المأول يستتاب ، فإن تاب وإلا حكم عليه بالكفر . فهذا غايته لا النجاة بالتأويل .

---

(١) ص — ١٩٦ (٢) ص — ٣٤٩

(٣) فتح البارى ص — ٢٤٨ ج — ١٢

واستدل به — أى بحديث أبى سعيد فى مروق الخوارج من الدين كمروق السهم من الرمية — لمن قال بتكفير الخوارج ، . وهو مقتضى صنيع البخارى ، حيث قرنهم بالملحدين وأفرد عنهم المتأولين بترجمة . وبذلك صرح القاضى أبوبكر ابن العربى فى " شرح الترمذى " فقال : الصحيح أنهم كفار ، لقوله ﷺ : " يمرقون من الإسلام " ، ولقوله : " لأقتلنهم قتل عاد " ، وفى لفظ: "ثمود"،وكل منهما إنما هلك بالكفر، ولقوله : " هم شر الخلق " ولا يوصف بذلك إلا الكفار ، ولقوله : "إنهم أبغض الخلق إلى الله تعالى" ، ولحكمهم على كل من خالف معتقدهم بالكفر والتخليد فى النار ، فكانوا هم أحق بالإسم منهم .

وممن جنح إلى ذلك من أئمة المتأخرين الشيخ تقى الدين السبكى فقال فى " فتاواه " : احتج من كفر الخوارج وغلاة الروافض بتكفيرهم أعلام الصحابة ، لتضمنه تكذيب النبى ﷺ فى شهادته لهم بالجنة . قال : وهو عندى احتجاج صحيح . قال : و احتج من لم يكفرهم بأن الحكم بتكفيرهم يستدعى تقدم علمهم بالشهادة المذكورة علماً قطعياً وفيه نظر ، لأنا نعلم تزكية من كفروه علماً قطعياً إلى حين موته ، وذلك كاف فى اعتقادنا تكفير من كفرهم ، ويؤيده حديث : "من قال لأخيه كافر فقد باء به أحدهما " وفى لفظ "مسلم": « من رمى مسلماً بالكفر — أو قال — : عدو الله إلا حار عليه» . قال : وهؤلاء قد تحقق منهم أنهم يرمون جماعة بالكفر ممن حصل عندنا القطع بإيمانهم ، فيجب أن يحكم بكفرهم مقتضى خبر الشارع ، وهو نحو ما قالوه فى من سجد للصنم ونحوه ممن لاتصريح بالجحود فيه بعد أن فسروا الكفر بالجحود ، فإن احتجوا بقيام الإجماع على تكفير فاعل ذلك . قلنا : و هذه الأخبار الواردة فى حق هؤلاء تقتضى كفرهم ولو لم يعتقدوا تزكية من

كفروه علماً قطعياً ، ولا ينجيهم اعتقاد الإسلام إجمالاً ، والعمل بالواجبات عن الحكم بكفرهم كما لا ينجى الساجد للصنم ذلك .

قلت : وممن جنح إلى بعض هذا البحث الطبرى فى "تهذيبه" ، فقال بعد أن سرد أحاديث الباب :

فيه الرد على قول من قال : لايخرج أحد من الإسلام من أهل القبلة بعد استحقاقه حكمه إلا بقصد الخروج منه عالماً . فإنه مبطل لقوله فى الحديث: "يقولون الحق؛ ويقرؤون القرآن ويمرقون من الإسلام، ولا يتعلقون منه بشئ" ومن المعلوم أنهم لم يرتكبوا استحلال دماء المسلمين وأموالهم إلا بخطأ منهم فيما تأولوه من آى القرآن على غير المراد منه :

ثم أخرج بسند صحيح عن ابن عباس: " وذكر عنده الخوارج وما يلقون عند قراءة القرآن فقال : يؤمنون بمحكمه ويهلكون عند متشابهه" ويؤيد القول المذكور الأمر بقتلهم مع ما تقدم من حديث ابن مسعود : «لايحل قتل امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ، وفيه التارك لدينه ، المفارق للجماعة » . قال القرطبى فى "المفهم" : يؤيد القول بتكفيرهم التمثيل المذكور فى حديث أبى سعيد (١) .

فإن ظاهر مقصوده أنهم خرجوا من الإسلام ولم يتعلقوا منه بشئ كما خرج السهم من الرمية لسرعته وقوة رامية بحيث لم يتعلق من الرمية بشئ ، وقد أشار إلى ذلك بقوله : " سبق الفرث والدم " . وقال صاحب "الشفاء" فيه : وكذا القطع بكفر كل من قال قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة أو تكفير الصحابة ، وحكاه صاحب " الروضة " فى كتاب الردة عنه وأقره .

(١) "المفهم" للقرطبى ص ــ ٢٥٣ و ٢٦١ ج ــ ١٢ .

وذهب أكثر أهل الأصول من أهل السنة إلى أن الخوارج فساق ، وإن حكم الإسلام يجرى عليهم لتلفظهم بالشهادتين ومواظبتهم على أركان الإسلام ، وإنما فسقوا بتكفيرهم المسلمين مستندين إلى تأويل فاسد ، وجرهم ذلك إلى استباحة دماء مخالفيهم وأموالهم ، والشهادة عليهم بالكفر والشرك . وقال الخطابى : أجمع علماء المسلمين على أن الخوارج مع ضلالتهم فرقه من فرق المسلمين ، و أجازوا مناكحتهم ، وأكل ذبائحهم ، وأنهم لا يكفرون ما داموا متمسكين بأصل الإسلام . وقال عياض : كادت هذه المسألة تكون أشد اشكالاً عند المتكلمين من غيرها حتى سأل الفقيه عبدالحق الإمام أبا المعالى فاعتذر بأن إدخال كافر فى الملة وإخراج مسلم عنها عظيم فى الدين . قال: وقد توقف قبله القاضى أبوبكر الباقلانى ، وقال : لم يصرح القوم بالكفر وإنما قالوا أقوالاً تؤدى إلى الكفر ، وقال الغزالى فى كتاب "التفرقة بين الإيمان والزندقة": الذى ينبغى الاحتراز عن التكفير ما وجد إليه سبيلاً ، فإن استباحة دماء المصلين المقرين بالتوحيد خطأ ، والخطأ فى ترك ألف كافر فى الحياة أهون من الخطأ فى سفك دم لمسلم واحد .

و مما احتج به من لم يكفرهم قوله فى ثالث أحاديث الباب بعد وصفهم بالمروق من الدين كمروق السهم فينظر الرامى إلى سهمه إلى أن قال: "فيتمارى فى الفوقة هل علق بها شىء؟ قال ابن بطال: ذهب جمهور العلماء إلى أن الخوارج غير خارجين عن جملة المسلمين، لقوله : " يتمارى فى الفوقة " لأن التمارى من الشك، وإذا وقع الشك فى ذلك لم يقطع عليهم بالخروج من الإسلام، لأن من ثبت له عقد الإسلام بيقين لم يخرج منه إلا بيقين . قال : وقد سئل على رضى الله عنه عن أهل النهر - أى النهروان - هل كفروا ؟ فقال : من الكفر فروا .

قلت : وهذا إن ثبت عن على حمل على أنه لم يكن اطلع على

معتقدهم الذى أوجب تكفيرهم عند من كفرهم ، و فى احتجاجه بقوله: " يتمارى فى الفوق " نظر ، فإن فى بعض طرق الحديث المذكور كما تقدمت الإشارة إليه، وكما سيأتى: " لم يعلق منه بشئ. " و فى بعضها : " سبق الفرث والدم " وطريق الجمع بينهما أنه تردد : هل فى الفوق شئ أولا ؟ ثم تحقق أنه لم يعلق بالسهم ولابشئ منه من الرمى شئ ، و يمكن أن يحمل الاختلاف فيه على اختلاف أشخاص منهم ، ويكون فى قوله: " يتمارى " إشارة إلى أن بعضهم يبقى معه من الإسلام شئ . قال القرطبى فى " المفهم " : والقول بتكفيرهم أظهر فى الحديث ، قال فعلى القول بتكفيرهم يقاتلون و يقتلون، وتسبى أموالهم، وهو قول طائفة من أهل الحديث فى أموال الخوارج ، وعلى القول بعدم تكفيرهم يسلك بهم مسلك أهل البغى إذا شقوا العصا ونصبوا الحرب ، فأما من استسرمنهم ببدعة ، فإذا ظهرعليه هل يقتل بعد الاستتابة أولا يقتل بل يجتهد فى رد بدعتـه ؟ اختلف فيـه بحسب الاختلاف فى تكفيرهم، قال: وباب التكفير باب خطر، ولا نعدل بالسلامة شيئاً.

قال : و فى الحديث علم من أعلام النبوة حيث أخبر بما وقع قبل أن يقع ، وذلك أن الخوارج لما حكموا بكفر من خالفهم استباحوا دمائهم و تركوا أهل الذمة فقالوا : نفى لهم بعهدهم ، وتركوا قتال المشركين ، واشتغلوا بقتال المسلمين ، وهذا كله من آثار غباوة الجهال الذين لم تنشرح صدورهم بنورالعلم ، ولم يتمسكوا بحبل وثيق من العلم ، وكفى أن رأسهم(١) رد على رسول الله ﷺ أمره ، نسبه إلى الجور . ـــنسأل الله السلامة ـــ .

قال ابن هبيرة: وفى الحديث أن قتال الخوارج أولى من قتال المشركين ، والحكمة فيه أن فى قتالهم حفظ رأس مال الإسلام ، وفى قتال أهل الشرك

(١) هوابن ذى الخويصرة .

طلب الربح ، وبحفظ رأس المال أولى، وفيه الزجر عن الأخذ بظواهر جميع الآيات القابلة للتاويل التى يفضى القول بظاهرها إلى مخالفة إجماع السلف .

وفيه التحذير من الغلو فى الديانة والتنطع فى العبادة بالحمل على النفس فيما لم يأذن فيه الشرع ، وقد وصف الشارع الشريعة بأنها سهلة سمحة ، وإنما ندب إلى الشدة على الكفار وإلى الرأفة بالمؤمنين ، فعكس ذلك الخوارج كما تقدم بيانه .

وفيه جواز قتال من خرج عن طاعة الإمام العادل،ومن نصب الحرب فقاتل على اعتقاد فاسد ، ومن خرج بقطع الطريق ، ويخيف السبيل، ويسعى فى الأرض بالفساد . وأما من خرج عن طاعة إمام جائر أراد الغلبة على ماله أونفسه أو أهله فهو معذور ، لايحل قتاله ، وله أن يدفع عن نفسه وماله وأهله بقدر طاقته ، وسيأتى بيان ذلك فى كتاب الفتن .

وقد أخرج الطبرى بسند صحيح عن عبدالله بن الحارث عن رجل من بنى نصرعن على،وذكر الخوارج فقال: إن خالفوا إماماً عادلاً فقاتلوهم، وإن خالفوا إماماً جائراً فلا تقاتلوهم ، فإن لهم مقالاً .

قلت : وعلى ذلك يحمل ما وقع للحسين بن على رضي الله عنه ، ثم لأهل المدينة فى الحرة، ثم لعبدالله بن الزبير، ثم للقراء الذين خرجوا على الحجاج فى قصة عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث . والله أعلم .

وفيه : أن من المسلمين من يخرج من الدين من غير أن يقصد الخروج منه ، ومن غير أن يختار ديناً على دين الإسلام . وإن الخوارج شر الفرق المبتدعة من الأمة المحمدية ، ومن اليهود والنصارى .

قلت : والأخير مبنى على القول بتكفيرهم مطلقاً ، وفيه منقبة عظيمة

لعمر رضي الله عنه لشدته فى الدين ، وفيه أنه لا يكتفى فى التعديل بظاهر الحال ولو بلغ المشهود بتعديله الغاية فى العبادة والتقشف والورع حتى يختبر باطن حاله (١).

((أيضاً)): وفيه: منع قتل من قال: لا إله إلا الله، ولو لم يزد عليها، وهو كذلك ولكن هل يصير بمجرد ذلك مسلماً ؟ الراجح: لا ، بل يجب الكف عن قتله حتى يختبر ، فإن شهد بالرسالة والتزم أحكام الإسلام حكم بإسلامه؛ وإلى ذلك الإشارة بالاستثناء بقوله: إلا بحق الإسلام . قال البغوى: الكافر إذا كان وثنياً أو ثنوياً ، لا يقر بالوحدانية فإذا قال: لا إله إلا الله حكم بإسلامه، ثم يجبر على قبول جميع أحكام الإسلام ويبرأ من كل دين خالف دين الإسلام ، وأما من كان مقراً بالوحدانية منكراً للنبوة فإنه لا يحكم بإسلامه حتى يقول: محمد رسول الله ، فإن كان يعتقد أن الرسالة المحمدية إلى العرب خاصة فلابد أن يقول إلى جميع الخلق ، فإن كان كفر بجحود واجب أو استباحة محرم فيحتاج أن يرجع عما اعتقده ، ومقتضى قوله يجبر أنه إذا لم يلتزم تجرى عليه أحكام المرتد ، وبه صرح القفال آ هـ (٢) .

((أيضاً)): وقال الغزالى فى "الوسيط" — تبعاً لغيره — : فى حكم الخوارج وجهان ، أحدهما : أنه كحكم أهل الردة ، والثانى : أنه كحكم أهل البغى ، ورجح الرافعى الأول ، وليس الذى قاله مطرداً فى كل خارجى ، فإنهم على قسمين: أحدهما من تقدم ذكره، والثانى: من خرج فى طلب الملك لا للدعاء إلى معتقده ، وهم على قسمين أيضاً : قسم خرجوا غضباً للدين من أجل جور الولاة ، وترك عملهم بالسنة النبوية ، فهؤلاء أهل حق ، ومنهم : الحسين بن على رضي الله عنه ، وأهل المدينة فى الحرة ، والقراء الذين خرجوا على

---

(١) ص — ٢٦٦ ج — ١٢ (٢) ص — ٢٤٧ ج — ١٢

الحجاج ، وقسم يخرجوا لطلب الملك فقط ، سواء كانت فيهم شبهة أم لا ، وهم البغاة ، وسيأتى بيان حكمهم فى كتاب الفتن ، وبالله التوفيق .

((أيضاً)): وقال ابن دقيق العيد: قد يؤخذ من قوله: "المفارق للجماعة" أن المراد : المخالف لأهل الإجماع ، فيكون متمسكاً لمن يقول: مخالف الإجماع كافر ، وقد نسب ذلك إلى بعض الناس، وليس ذلك بالبين ، فإن المسائل الإجماعيـــة تارة يصحبها التواتر بالنقل عن صاحب الشرع ، كوجوب الصلاة مثلاً ، وتارةً لا يصحبها التواتر ، فالأول يكفر جاحده لمخالفة التواتر لا لمخالفة الإجماع ، والثانى لا يكفر به . قال شيخنا فى " شرح الترمذى ": الصحيح فى تكفير منكر الإجماع تقييده بإنكار ما يعلم وجوبـــه من الدين بالضرورة ، كالصلاة الخمس ، ومنهم من عبر بإنكار ما علم وجوبه بالتواتر ، ومنه القول بحدوث العالم . وقد حكى عياض رحمه الله وغيره الإجماع على تكفير من يقول بقدم العالم . وقال ابن دقيق العيد : وقع هنا من يدعى الحذق فى المعقولات ويميل إلى الفلسفة فظن أن المخالف فى حدوث العالم لا يكفر ، لأنه من قبيل مخالفة الإجماع ، وتمسك بقولنا أن منكر الإجماع لا يكفر على الإطلاق حتى يثبت النقل بذلك متواتراً عن صاحب الشرع . قال : وهو تمسك ساقط ، إما عن عمى فى البصيرة ، أو تعام، لأن حدوث العالم من قبيل ما اجتمع فيه الإجماع والتواتر بالنقل .

وقد قال الحافظ رحمه الله فى آخر بحثه :" ومخالف الإجماع داخل فى مفارق الجماعة " اهـ .

---

(١) ص — ٢٥٢ ج — ١٢ (٢) ص — ١٧٧ ج — ١٢

تنبيه من الراقم على ما استفيد

من كلام الحافظ رحمه الله تعالى

الأول : إن أمير المؤمنين فى الحديث الإمام البخارى رحمه الله مائل إلى إكفار الخوارج — أى بعض من استحق منهم ذلك ، وقد صرح به فى كتابه " خلق أفعال العباد " — فى فرق ، وبوجوب قتلهم بعد الأعذار إليهم والاستتابة ، ولا يجب بل لا يمكن إلجاءهم واضطرارهم إلى الحق ، (١) أى لا يتصور من البشر إيجاد اليقين وإلقاءه فى قلوبهم بحيث لا يبقى بعده إلا عناد ومكابرة ، كما يزعمه الزاعمون ممن لم ينظر فى الكتب وأقوال الأئمة ، وبنى خياله على الحرية الدائرة فى هذا العصر ، ومجرد تحسين وتقبيح عقلى ، ومثل هذا هو الذى ذكره علماء المذاهب الأربعة فى باب المرتد حيث قالوا : يستتاب ويكشف شبهته ، أى يذكر عنده ما يكشف الشبهة ، لا أنه يستطيع أحد أن يبقنه بذلك ويلجئه إليه؟ فإذا لم يرجع قتل كفراً . قال الشيخ ابن الهمام فى " المسايرة " فى إنكار القطعى الغير الضرورى : إلا أن يذكر له أهل العلم ذلك فيلج ا هـ . (٢)

ويؤخذ ذلك مما نقله الحموى فى "الجمع والفرق" عن محمد رحمه الله وعن أبى يوسف رحمه الله فى "البحر" فى تعليم الجاهلة ، ومما فى "الهندية" عن "اليتيمة" فى ما يتعلق بالصلاة .

وهاك نص تراجم البخارى :

قال: "باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم وقوله

---

(١) وقد قال نوح لقومه : أنلزمكموها وأنتم لها كارهون .

(٢) ٢٠٨ طبع جديد بمصر.

تعالى: وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون"(١)

ثم بوب على وجه العذر فى ترك قتلهم حيث ترك فقال: "باب ترك قتال الخوارج للتألف، ولئلا ينفر الناس عنه"(٢).

ثم بوب على التأويل وقال: "باب ما جاء فى المتأولين" (٣) وأراد به تأويلاً لا يكون كتأويل الخوارج، إذ بوب عليهم قبل ذلك، وذلك التأويل كما فى "الفتح" ما كان سائغاً فى كلام العرب، وكان له وجه فى العلم اهـ (٤).

وقال تلميذه شيخ الإسلام زكريا الأنصارى فى "تحفة البارى": و لا خلاف أن المتأول معذور بتأويلـه إن كان تأويله سائغاً اهـ. لا مطلق التأويل فإنه لا يدفع القتل بل لا يدفع الكفر أيضاً.

الثانى: إن إنكار القطعى كفر، ولا يشترط أن يعلم ذلك المنكر قطعيته ثم ينكر فيكون بذلك كافراً على ما يتوهمه الخائلون، بل يشترط قطعيته فى الواقع، فإذا جحد شخص ذلك القطعى استتيب، فإن تاب و إلا قتل على الكفر، وليس وراء الإستتابة مذهب كما قال القائل:

وليس وراء الله للمرء مذهب

وذلك من كلام الشيخ تقى الدين السبكى فى عبارة الحافظ رحمه الله.

الثالث: الرد على من قال: لا يخرج أحد من أهل الإسلام من أهل القبلة بعد استحقاقه حكمه إلا بقصد الخروج منه عالماً، وذلك من

---

(١) ص - ١٠٢٤ ج - ٢ (٢) ص - ١٠٢٤ ج - ٢

(٣) ص - ١٠٢٥ ج - ٢

(٤) فتح البارى ص - ٢٧٠ ج - ١٢

كلام الطبرى فى عبارتـــه ، ومن كلام القرطبى أيضاً فى آخر العبارة .
وقال ابن تمية فى " الصارم المسلول " (١) : والغرض هنا أنه كما إن الردة تتجرد عن السب فكذلك قد تتجرد عن قصد تبديل الدين وإرادة التكذيب بالرسالة ، كما تجرد كفر إبليس عن قصد التكذيب بالربوبية ، وإن كان عدم هـــذا القصد لا ينفعه كما لا ينفع من قال الكفر ، ان لا يقصد أن يكفر اه .

قال : وهذا الرجل لم يظهر مجرد تغير الإعتقاد حتى يعود معصوماً بعوده ، إليه وليس هذا القول من لوازم تغير الإعتقاد حتى يكون حكمه كحكمه .

قال : ومن جهـــة كونه قد يظن أو يقال أن الإعتقاد قد يكون سالماً معه فيصدر عمن لا يريد الإنتقال من دين إلى دين ، ويكون فساده أعظم من فساد الإنتقال ، إذ الإنتقال قد علم أنه كفر فنزع عنه ما نزع عن الكفر ، وهذا قد يظن أنـــه ليس بكفر إلا إذا صدر استحلالاً ، بل هو معصية ، وهو من أعظم أنواع الكفر اه .

قلت : أراد بالمروق هو الخروج من حيث لا يدرى ، وهو مؤدى هذا اللفظ وحقه ، ومن قال ذلك لعله يقول : أن أهل الملل غير الإسلام لا يهلكون أيضاً متى لم يكونوا معاندين ، وقد نسب ذلك إلى بعض ، وقد قال القاضى أبوبكر الباقلانى - كما فى " الشفاء " - : إن هذا القول كفر ، ومعلوم أن دليل ذلك القائل لو كان صحيحاً كان عاماً يشمل أهل الإسلام وغيرهم ممن لم يكابر .

الرابع و الخامس : جواب الحافظ عن أدلة من لم يكفر

---

(٢) ص - ٣٦٧ .

الخوارج ، ثم تقسيم منه إلى من كفر منهم وإلى من لم يكفر ، من عنده ومن كلام الغزالى أيضاً فى "الوسيط" فإن لم يكن الحافظ اختار تكفير الخوارج فقد أجاب عن أدلة عدم التكفير • والحق أن من أنكر متواتراً كفر ، ومن لافلا ، والحق أيضاً أن حديث المروق يدل على أن المارقة أقرب إلى الكفر من الإيمان (١)، ومن أصرح ما وجدت فيه ما عند ابن ماجه عن أبى أمامة رضي الله عنه : " قد كان هؤلاء مسلمين فصاروا كفاراً ". قلت: يا أبا أمامة هذا شئ تقوله؟ قال: بل سمعته من رسول الله ﷺ. قال الحافظ محمد بن ابراهيم اليمانى فى "إيثار الحق" (٢) : اسناده حسن اهـ. وحسنه الترمذى مختصراً ، وبعضهم كالطحطاوى فى الإمامة فسرالخوارج بمن خرج عن عقيدة السنة ، وكذا ابن عابدين هناك ، وروى النسائى عن أبى برزة قال : «أتى رسول‌الله ﷺ بمال فقسمه» الحديث ، ثم قال" يخرج فى آخر الزمان قوم ــ كان هذا منهم ــ يقرؤون القران آه لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال" . وصرح فى "الصارم"(٣) فى السنة الرابعة عشر بكفرهم ، وأجاب هناك عن كل ما يرد ومن الحديث الخامس عشر ، وشواهد حديث أبى برزة فى "الكنز" (٤) و"المستدرك (٥)" .

---

(١) وراجع "الموضح" من قوله تعالى : (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) وقوله تعالى : (ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعدإسلامهم) . وقوله تعالى : (لو نعلم قتالاً لا اتبعناكم) وقوله تعالى : (يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله) .

(٢) ص ــ ٤٢١

(٣) ص ــ ١٧٧ ، ١٧٨

(٤) "كنز العمال" ص ٦٨ ج ــ ٦

(٥) ص ــ ٤٨٧ ج ــ ٤

السادس : إن قتال الخوارج أولى من قتال المشركين ، وذلك من كلام ابن هبيرة ، وأقول : كذلك إكفار المتأولين والملحدين أهم من إكفار المعاندين ، فإن التأويل يتخذ ديناً كما اتخــذه أتباع ذلك الدجال بخلاف التعمد ، هذا وقد بوب البخارى قبل هذا على إنكار بعض الضروريات ، وأنه ارتداد فقال : (باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة) (١) .

وأخرج فيه حديث قتال أبى بكر مع من فرق الصلاة والزكاة ، فجعلهم مرتدين ، مع أنهم كانوا متأولين ، فظهر أن التأويل فى ضروريات الدين لا يدفع الكفر ، وغاية مايوسع فيه هو الإنذار والاستتابة ، فإن تاب وإلا قتل كفراً ، وليس ذلك إكراهاً مذموماً بل هو إكراه على الحق الذى وضحت حقيته ، فهو عين العدل وعين الصواب. قال القاضى أبوبكر ابن العربى فى "أحكام القرآن" فى قوله تعالى : (لا إكراه فى الدين) الآية (٢) . المسألة الثانية قوله تعالى : " لا إكراه " عموم فى نفى إكراه الباطل ، فأما الإكراه بالحق فإنه من الدين ، وهل يقتل الكافر إلا على الدين . قال ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله » ، وهو مأخوذ من قوله تعالى: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) اه . وأعاده فى " الممتحنة " . وقال فى " الصحيح" عن النبى ﷺ : « عجب ربكم من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل اه » . والحق أن الإكراه على الحق الذى كان وضوحه بديهياً ليس بإكراه ، واختاره فى " روح المعانى" أيضاً .

---

(١) ص — ١٠٢٣ ج — ٢

(٢) ولم أر فى هذه الآية كلاماً أحسن مما في " فتح البيان " ، ولعله عن "فتح القدير" للشوكانى على ما هو عادته .

وهذه أكثر الشكوك التى تغشى الناظرين فى هذه المسألة ، وقد أحاطها وأماطها الحافظ و حكها و فكها ، فأبى المستروحون إلا استرسالهم مع ما يركبه الخيال و يجلبه من حديث نفس وأمنية ، والله الهادى ومن يضلله فلاهادى له ، يريد الكافرون ليطفؤه ويأبى الله إلاأن يتمه .

النقل عن الائمة الاربعة وغيرهم من أئمة الدين

كأبى يوسف ومحمد والبخارى رحمه الله عليهم أجمعين .

وهو ما ذكره الطحاوى قال : حدثنا سليمان بن شعيب عن أبيه عن أبى يوسف فى نوادر ذكرها عنه ، أدخلها فى أماليه عليهم ، قال : قال أبو حنيفة: « أقتلوا الزنديق سراً فإن توبته لاتعرف» . " أحكام القرآن" لأبى بكر الرازى (١) و"عمدة القارى" (٢) .

قال أبو مصعب عن مالك فى المسلم إذا تولى عمل السحر : قتل ولا يستتاب ، لأن المسلم إذا ارتد باطناً لم تعرف توبته بإظهاره الإسلام . "أحكام القرآن" لأبى بكر الرازى (٣) . ونحوه فى " المؤطأ "من القضاء فى من ارتد عن الإسلام .

وقولهم فى ترك قبول توبة الزنديق: يوجب أن لايستتاب الإسماعيلية وسائر الملحدين الذين قد علم منهم اعتقاد الكفر،كسائر الزنادقة ،وأن يقتلوا مع إظهارهم التوبة . " أحكام القرآن " (٤) .

وأبسط من ذلك فى" الأحكام" (٥) روايةً و درايةً .

---

(١) ص — ٥٣ ج — ١ (٢) ص — ٢١٢ ج — ١

(٣) ص — ٥١ ج — ١ (٤) ص — ٥٤

(٥) من ص — ٢٨٦ ج إلى ص — ٢٨٨ ج — ٢

وقد روى هشام بن عبيد الله الرازى عن محمد بن الحسن : أن من صلى خلف المعتزلى يعيد صلاته . وروى هشام أيضاً عن يحيى بن أكثم عن أبى يوسف : أنه سئل عن المعتزلة فقال : هم الزنادقة ، وقد أشار الشافعى فى كتاب القياس إلى رجوعه عن قبول شهادة المعتزلة وأهل الأهواء . وبه قال مالك وفقهاء المدينة ، فكيف يصح من أئمة الإسلام إكرام القدرية بالنزول لهم بكفرهم . " الفرق بين الفرق " (١).

وكذلك فى "كتاب العلو" للذهبى وفى " الأم" للشافعى رحمه الله مما تجوز به شهادة أهل الأهواء (٢) : ولا أرد شهادة أحد بشئ من التأويل كان له وجه يحتمله اه . وفى "اليواقيت" قال المخزومى رحمه الله : أراد الامام الشافعى رحمه الله بأهل الأهواء أصحاب التأويل المحتمل اه .

وروى هشام بن عبيد الله الرازى عن محمد بن الحسن أنه قال : من صلى خلف من يقول بخلق القرآن أنه يعيد الصلاة . " الفرق بين الفرق " (٣).

قلت : فهذا قول محمد رحمه الله فى الإعادة ، وقد روى محمد رحمه الله عدم جواز الصلاة خلف أهل الأهواء عن أبى حنيفة رحمه الله وأبى يوسف رحمه الله ، كما فى إمامة " فتح القدير" .

وتبرأ منهم المتأخرون من الصحابة ، كعبد الله بن عمر ، وجابر ابن عبد الله ، وأبى هريرة ، و ابن عباس ، وأنس بن مالك ، و عبد الله بن أبى أوفى ، و عقبة بن عامر الجهنى ، وأقرانهم ؛ و أوصوا أخلافهم بأن لا يسلموا على القدرية ، ولايصلوا على جنائزهم ، ولايعودوا مرضاهم . " الفرق بين الفرق "(٤) و" عقيدة السفارينى" (٥) .

---

(١) ص — ٢٥١ (٢) ص — ٢١٠ ج — ٦ (٣) ص — ٣٥١
(٤) ص — ١٥ (٥) ص —٢٥٦ ج — ١

وبسط الأحاديث المرفوعة فيه عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، وفى " السير الكبير " من لفظ محمد رحمه الله (١) : ومن أنكر شيئاً من شرائع الإسلام فقد أبطل قول: لاإله إلا الله اهـ .

قال : سمعت سفيان الثورى يقول : قال لى حمادبن أبى سليمان : أبلغ أبا فلان المشرك فإنى برئ من دينه ، وكان يقول :القرآن مخلوق . وقال الثورى : من قال : القرآن مخلوق فهو كافر . وقال على ابن عبد الله (ابن المدينى) : القرآن كلام الله ، من قال أنه مخلوق فهو كافر ، لا يصلى خلفه(٢) .

قال أبو عبدالله البخارى : نظرت فى كلام اليهود و النصارى والمجوس فما رأيت أضل فى كفرهم منهم ، وإنى لأستجهل من لا يكفرهم إلا من لايعرف كفرهم ، وقال زهير السختيانى : سمعت سلام بن أبى مطيع يقول : الجهمية كفار .

قال أبو عبد الله: ما أبالى صليت خلف الجهمى والرافضى أم صليت خلف اليهود والنصارى ، ولايسلم عليهم ، ولا يعادون ولايناكحون ، ولا يشهدون ،ولاتؤكل ذبائحهم . " خلق أفعال العباد " للبخارى ملتقطاً .

ونقل العبارة الأولى فى كتاب " الأسماء والصفات " والثانية كذلك ، ونقل العبارة الثانية فى "فتاوى الحافظ ابن تيمية" فجعلها نقل البخارى عن أبى عبيد هو الإمام القاسم بن سلام .

وقال ابن أبى حاتم الحافظ ثنا أحمد بن محمد بن مسلم ثنا على ابن الحسن الكراعى قال : قال أبو يوسف : ناظرت أبا حنيفة ستة أشهر

---

(١) ص — ٢٦٥ ج — ١٤

(٢) وعن عبد الله بن المبارك من" فتاوى الحافظ ابن تيمية"

فاتفق رأينا على أن من قال : القرآن مخلوق فهو كافر . قال أحمد بن القاسم بن عطية : سمعت أبا سليمان الجوزجانى يقول : سمعت محمد ابن الحسن يقول : والله لاأصلى خلف من يقول : القرآن مخلوق ؛ ولا أستفتى إلا أمرت بالإعادة . "كتاب العلو" .

وارادوا بخلق القرآن كونه منفصلاً عن الله لا قائماً به ولا صفة له ، فلا ينافى حدوث الكلام اللفظى ، أعنى جزئياته ، صرح بهذه العناية الحافظ ابن تيمية فى عدة من تصانيفه .

قلت : وفى "المسايرة" (١) : إن أبا حنيفة رحمه الله قال لجهم : أخرج عنى يا كافر . وفى "الرسالة التسعينية" للحافظ ابن تيمية باسناد عن محمد قال : قال أبوحنيفة رحمه الله : لعن الله عمرو بن عبيد . ثم حمل فى "المسايرة" قوله لجهم على التأويل ، وهذا غير ظاهر ، كيف وقد ورد الوعيد الشديد فى إكفار المسلم . فحاشا جناب الإمام رحمه الله عن ذلك لو لم يكن عنده كافراً .

قال سمعت سليمان يقول سمعت الحارث بن ادريس يقول: سمعت محمد ابن الحسن الفقيه يقول: من قال : القرآن مخلوق فلاتصل خلفه . وقرأت فى كتاب أبى عبدالله محمد بن يوسف ابن ابراهيم الدقاق روايته عن القاسم بن أبى صالح الهمذانى عن محمد بن أبى أيوب الرازى قال : سمعت محمد بن سابق يقول : « سألت أبا يوسف فقلت : أكان أبوحنيفة يقول : القرآن مخلوق ؟ فقال : معاذ الله ، ولا أنا أقوله . فقلت : أكان يرى رأى جهم ؟ فقال : معاذ الله ، ولا أنا أقوله » . رواته ثقات .

---

(١) ص - ٢١٤

وأنبانى أبو عبد الله الحافظ إجازة قال أنا أبو سعيد أحمد بن يعقوب الثقفى قال ثنا عبد الله بن احمد بن عبد الرحمن الدشتكى قال سمعت أبى يقول سمعت أبا يوسف القاضى يقول : كلمت أبا حنيفة سنة جرداء فى أن القرآن مخلوق أم لا ؟ فاتفق رأيه ورأيى على أن من قال : القرآن مخلوق فهو كافر . قال أبو عبد الله : رواة هذا كلهم ثقات . "كتاب الأسماء والصفات" للبيهقى (١) .

وحكى ابن المنذر عن الشافعى رحمه الله : لايستتاب القدرى ، وأكثر أقوال السلف تكفيرهم ، وممن قال به : الليث ، وابن عيينة ، وابن لهيعة ، روى عنهم ذلك فيمن قال بخلق القرآن . وقال ابن المبارك : والأودى ، ووكيع ، وحفص بن غياث ، وأبو اسحاق الفزارى ، وهشيم ، وعلى بن عاصم فى آخرين ، وهو من قول أكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفى الخوارج والقدرية ، وأهل الأهواء المضلة ، وأصحاب البدع المتأولين ، وهو قول أحمد بن حنبل . "شفاء" .

وأطال الأستاذ أبو منصور البغدادى صاحب "الفرق بين الفرق" فى تكفير الغلاة من أهل الأهواء فى كتابه "الأسماء والصفات" كما فى "شرح الإحياء" (٢) .

ومعلوم أن البدعة والهوى إنما تكون بشبهة ، ففيه أن التأويل لم يدفع الكفر .

وقد قال فى "ايثار الحق" (٣) : فإن السنة ما اشتهر عن السلف ،

---

(١) ص — ١٨٨ (٢) ص — ٢٥٣ ج — ٢
(٣) ص — ٣٢١

وصح بطريق النصوصية ، ولولا هذا لكانت البدع كلها من السنن ، لأنه ما من بدعة إلا ولأهلها شبه من العمومات والمحتملات والاستخراجات اهـ .

وقال فيه (١) : وأما التفسير فما كان من المعلومات بالضرورة من أركان للإسلام وأسماء الله تعالى منعنا من تفسيره ، لأنه جلى صحيح المعنى ، وإنما يفسره من يريد تحريفه كالباطنية الملاحدة اهـ .

وقال أيضاً (٢) : ولذلك تجد هذا الجنس متمسك أكثر أهل الضلالات، ولاتجد صاحب باطل إلا وتجد فى العمومات ما يساعده حتى منكرى الضروريات ، كغلاة الاتحادية اهـ . وقد قال ذاك المحقق محمد ابن ابراهيم الوزير اليمانى فى كتابه " إيثار الحق " (٣) . ومذهب السلف الصالح فى ذلك — أى فى عدم تكفير من لم يكن غالياً من أهل الأهواء — هو المختار مع أمرين : أحدهما : القطع بقبح البدعة والإنكار لها ، والإنكار على أهلها . ثانيها : عدم الإنكار على من كفر كثيراً منهم ، فإنا لانقطع بعدم كفر بعضهم ممن فحشت بدعته ، بل نقف فى ذلك ونكل علمه والحكم فيه إلى الله سبحانه اهـ .

وقال فى " الصارم المساول " من الحديث الخامس عشر (٤) : وأوجب ذلك لهم عقائد فاسدة ترتب عليها أفعال منكرة ، كفرهم بها كثير من الأمة وتوقف فيها آخرون اهـ .

---

(١) ص — ١٥٥ (٢) ص — ٢٦٠

(٣) ص ٤٢٠ (٤) ص — ١٧٩

النقل فيه من المحدثين والفقهاء والمتكلمين

وكبار المحققين وجم غفير من المصنفين

قلت : هؤلاء القوم هم الخوارج الذين خرجوا فى زمن على رضي الله عنه حتى استأصلهم .

قوله صلى الله عليه وسلم : لا يجاوز حناجرهم ،معناه: لا تقبل ولا ترفع الأعمال الصالحة.

قوله صلى الله عليه وسلم :يمرقون من الدين،أى يخرجون، وهذا حكم بكفرهم وإباحة لدمائهم ، وقد روى أصرح من ذلك فى المتفق عليه ، ولفظه : فأين لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن فى قتلهم أجراً لمن قتلهم .

قوله صلى الله عليه وسلم : من "الرمية" ، هى الصيد الذى تقصده فترميه .

قوله : تنظر إلى آخره ، معناه: مرمراً سريعاً لم يعلق به شئ من الفرث والدم ، فكذلك دخول هؤلاء فى الإسلام ثم خروجهم منه لم يتمسكوا منه بشئ . قال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى : ولو أن قوماً أظهروا رأى الخوارج وتجنبوا الجماعات وأكفروهم لم يحل بذلك قتالهم، بلغنا أن علياً رضي الله عنه سمع رجلاً يقول : لاحكم إلالله فى ناحية المسجد ، فقال على رضي الله عنه: كلمة حق أريد بها باطل، لكم علينا ثلاث: لانمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ، ولانمنعكم الفئ ما دامت أيديكم مع أيدينا ، ولانبدأكم بقتال . وقال أهل الحديث من الحنابلة : يجوز قتلهم .

أقول : الظاهر عندى دراية ورواية قول أهل الحديث . أما رواية فقوله صلى الله عليه وسلم: " فأين لقيتموهم فاقتلوهم " ، وأما قول على رضي الله عنه فمعناه أن الإنكار على الإمام والطعن فيه لايوجب قتلاً حتى ينزع يده من الطاعة،

فيكون باغياً أوقاطع الطريق، وإذا أنكروا ضرورياً من ضروريات الدين يقتل لذلك لاللإنكار على الإمام . بيان ذلك أن المفتى إذا سئل عن بعض أفعال زيد حكم بالجواز ، وإذا سئل عن بعضها الآخر حكم بالفسق، ثم إذا سئل عن بعضها الآخرحكم بالكفر ، فههنا لم يظهر هذا الرجل عنده إلا الإنكارفى مسألة التحكيم حسب ما أظهر ، ولوأنه أظهر إنكارالشفاعة يوم القيامة أو إنكار الحوض الكوثروما يجرى مجرى ذلك من الثابت بالدين بالضرورة لحكم بالكفر ، وأما حديث : " أولئك الذين نهانى الله عنهم ، فى المنافقين دون الزنادقة . بيان ذلك أن المخالف للدين الحق إن لم يعترف به و لم يذعن له ، لاظاهراً ولاباطناً فهوكافر ، وإن اعترف بلسانه وقلبه على الكفر فهو المنافق ، وإن اعترف به ظاهراً لكنه يفسر بعض ما ثبت من الدين ضرورة بخلاف ما فسره الصحابة والتابعون وأجمعت عليه الأمة فهوالزنديق ، كما إذا اعترف بأن القرآن حق ، وما فيه من ذكر الجنة والنار حق ، لكن المراد بالجنة : الإبتهاج الذى يحصل بسبب الملكات المحمودة ، والمراد بالنار : هى الندامة التى تحصل بسبب الملكات المذمومة ، وليس فى الخارج جنة ولانار فهو زنديق .

وقولــه ﷺ : " أولئك الذين نهانى الله عنهم " فى المنافقين دون الزنادقة .

وأما درايــة فلأن الشرع كما نصب القتل جزاء للإرتداد ليكون مزجرةً للمرتدين وذباً عن الملــة التى ارتضاها فكذلك نصب القتل فى هذا الحديث وأمثاله جزاءً للزنديق ليكون مزجرة للزنادقة وذباً عن تأويل فاسد فى الدين لا يصح القول به .

ثم التأويل تأويلان : تأويل لايخالف قاطعاً من الكتاب والسنــة و اتفاق الأمة ، وتأويل يصادم ما ثبت بالقاطع ، فذلك الزندقة ، فكل من أنكر

رؤية الله تعالى يوم القيامة ، أوأنكر عذاب القبر ، وسؤال المنكر والنكير ، أوأنكر الصراط والحساب سواء . قال : لاأثق بهؤلاء الرواة ، أوقال : أثق بهم لكن الحديث مأول ، ثم ذكر تأويلاً فاسداً لم يسمع من قبله فهو الزنديق .

وكذلك من قال فى الشيخين أبى بكر و عمر رضى الله عنهما مثلاً : ليس من أهل الجنة مع تواتر الحديث فى بشارتهما ، أو قال : إن النبى ﷺ خاتم النبوة ولكن معنى هذا الكلام أنه لايجوز أن يسمى بعده أحد بالنبى ، وأما معنى النبوة وهو كون الإنسان مبعوثاً من الله تعالى إلى الخلق ، مفترض الطاعة ، معصوماً من الذنوب ومن البقاء على الخطأ فى ما يرى فهو موجود فى الأئمة بعده ، فذلك الزنديق ، وقد اتفق جماهير المتأخرين من الحنفية والشافعية على قتل من يجرى هذا المجرى ، والله تعالى أعلم بالصواب " مسوى على المؤطأ " (١) للشيخ الأجل ولى الله بن عبدالرحيم الدهلوى .

واستفيد منه تفسير الزندقة وحكمها ، وأن التأويل فى الضروريات لايدفع الكفر ، وما ذكره فى عدم تكفير على رضي الله عنه إياهم ، بسطه فى "الصارم المسلول" من السنة الرابعة عشر والحديث الخامس عشر ، وهو أصوب مما ذكره فى " منهاج السنة " فقال فى " الصارم " .

وبالجملة فالكلمات فى هذا الباب ثلاثة أقسام: إحداهن ما هوكفر مثل قوله : " إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله " اه .

فإذا كان أول الخوارج كافراً بهذه الكلمة فكذا أصحابه وأذنابه بعده ،

---

(١) ص — ١٠٩ ج — ٢

وأما كلمـــة " إن نساءك ينشدنك الله العدل " (١) فإنما أريد بـه طلب التسوية لاالنسبة إلى الجور عن الحق والعياذ بالله . كما يستفاد من " الشفاء " من فصل : فإن قلت فلم لم يقتل النبي ﷺ" . الخ من" شرح القارى"(٢) .

واعلم أن لفظ حديث: " ما يباح بـه دم المسلم" عند البخارى من باب قول الله تعالى: (إن النفس بالنفس والعين بالعين) (٣) من الديات عند أكثر رواة نسخة البخارى : «لايحل دم امرئ مسلم يشهد أن لاإلـه إلاالله وأنى رسول الله إلابإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزانى، والمارق من الدين التارك للجماعة » . قال فى"الفتح": قوله:"والمفارق لدينه التارك للجماعة" كذا فى رواية أبى ذرعن الكشميهنى . وللباقين : "والمارق من الدين" لكن عندالنسفى والسرخسى والمستملى: و"المارق لدينـــه" اهـ . "والمارق من الدين" جعل الحافظ مصداقه الأولى هو المرتد،ونقل فيه شواهد من الأحاديث ، وهذا العنوان أى المروق من الدين والإسلام هو الوارد فى الخوارج فى الأحاديث المشهورة ، فكان حكمهم كذلك .

وفى"فتاوى الحافظ ابن تيمية"(٤): فإن الأمة متفقون على ذم الخوارج

---

(١) هذه الكلمة مع عقيدة فى الباطن وامتلاء القلب من التعظيم والمحبة بخلاف ذى الخويصرة . منه .

(٢) ص — ٤٢٢ ج — ٢

(٣) واعلم أنه ﷺ رجح فى واقعة ذى الخويصرة وابن صياد جانب التقدير على جانب الحكم ، وليس ذلك لغيره ، ولأن يتم بعض أمورالنبى ﷺ على أيدى خلفائه أولى حتى تكون يداً إلهية وفعلاً سماوياً . منه .

(٤) ص —٢٨٥ ج — ٤

وتضليلهم ، وإنما تنازعوا فى تكفيرهم على قولين مشهورين فى مذهب مالك وأحمد رحمهما الله تعالى، وفى مذهب الشافعى رحمه الله تعالى أيضاً نزاع فى كفرهم، ولذا كان فيهم وجهان فى مذهب أحمد وغيره على الطريقة الأولى ، أحدهما : أنهم بغاة، والثانى: أنهم كفار كالمرتدين يجوز قتلهم ابتداءً ، وقتل أسيرهم وأتباع مدبرهم ، ومن قدر عليه منهم استتيب كالمرتد ، فإن تاب وإلا قتل ، كما إن مذهبه فى مانعى الزكاة إذا قاتلوا الإمام عليها ، هل يكفرون مع الإقرار بوجوبها على روايتين .

وقال فيه (١): والصواب أن هؤلاء ليسوا من البغاة المتأولين، فإن هؤلاء ليس لهم تأويل سائغ أصلاً ، وإنما هم من جنس الخوارج المارقين ومانعى الزكاة ، وأهل الطائف والخرمية ونحوهم ممن قوتلوا على ما خرجوا عنه من شرائع الإسلام ، وهذا موضع اشتبه على كثير من الناس من الفقهاء ، فإن المصنفين فى قتال أهل البغى جعلوا قتال مانعى الزكاة وقتال الخوارج ، وقتال على رضي الله عنه لأهل البصرة ، وقتاله لمعاوية وأتباعه من قتال أهل البغى ، وذلك كله مأمور به ، وفرعوا مسائل ذلك تفريع من يرى ذلك بين الناس (٢) ، وقد غلطوا ، بل الصواب ما عليه أئمة الحديث والسنة وأهل المدينة النبوية ، كالأوزاعى رحمه الله ، والثورى رحمه الله ، ومالك رحمه الله ، وأحمد بن حنبل رحمه الله وغيرهم أنه يفرق بين هذا وهذا .

وقال أيضاً (٣): وفيهم من الردة عن شرائع الإسلام بقدر ما ارتد عنه

---

(١) ص — ٣٠٠ ج — ٤

(٢) وفى نسخة: من يسوى ذلك من الناس . القادرى

(٣) ص — ٢٩١ ج — ٤

من شرائع الإسلام ، وإذا كان السلف قد سموا مانعى الزكاة مرتدين مع كونهم يصومون ويصلون ، ولم يكونوا يقاتلون جماعة المسلمين .

وقال أيضاً(١) : والطريقة الثانية اهـ . والسؤال فى هؤلاء التتار الذين يقدمون إلى الشام مرة بعد مرة ، وقد تكلموا بالشهادتين ، وانتسبوا إلى الإسلام ، ولم يبقوا على الكفر الذى كانوا عليه فى أول الأمر اهـ .

وقال أيضاً (٢) : كما يقال مثل ذلك فى الخوارج المارقين فقد اختلف السلف والأئمة فى كفرهم على قولين مشهورين .

وقال فى وصف الباطنية من "ملوك مصر" (٣) : ثم قدحوا فى المسيح ونسبوه إلى يوسف النجار ، وجعلوه ضعيف الرأى ، حيث تمكن عدوه منه حتى صلبه ، فيوافقون اليهود فى القدح فى المسيح ، لكن هم شر من اليهود ، فإنهم يقدحون فى الأنبياء .

وقال أيضاً (٤) : فإن المسلم الأصلى إذا ارتد عن بعض شرائعه كان أسوء حالاً ممن لم يدخل بعد فى تلك الشرائع ، مثل مانعى الزكاة وأمثالهم ممن قاتلهم الصديق رضي الله عنه .

وفى "نور العين" عن "التمهيد" : أهل الأهواء إذا ظهرت بدعتهم بحيث توجب الكفر فإنه يباح قتلهم جميعاً إذا لم يرجعوا ، أو لم يتوبوا ، و إذا تابوا وأسلموا تقبل توبتهم جميعاً إلا الإباحية ، والغالية ، والشيعة من الروافض ، والقرامطة ، والزنادقة من الفلاسفة ، لا تقبل توبتهم بحال من الأحوال ، ويقتل بعد التوبة وقبلها ، لأنهم لم يعتقدوا

(١) ص ــ ٢٨٣ ج ــ ٤ (٢) ص ــ ٣٤٢ ج ــ ٤
(٣) ص ــ ٢٣٦ ج ــ ٤ (٤) ص ــ ٢٩٣ ج ــ ٤

بالصانع تعالى حتى يتوبوا ويرجعوا إليه . وقال بعضهم : إن تاب قبل الأخذ والإظهار تقبل توبته ، وإلا فلا ، وهو قياس قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى ، وهو حسن جداً " رد المحتار" (١) .

وفي " الفتح" : والمنافق الذي يبطن الكفر ويظهر الإسلام كالزنديق الذي لايتدين بدين ، وكذا من علم أنه ينكر في الباطن بعض الضروريات كحرمة الخمر ، ويظهر اعتقاد حرمته وتمامه فيه . " در مختار" .

وعن ابن عمر وعلي رضي الله عنهما: لا تقبل توبة من تكررت ردته كالزنديق ، وهو قول مالك ، وأحمد و الليث . وعن أبي يوسف : لوفعل ذلك مراراً يقتل غيلة ، وفسره بأن ينتظر ، فإذا أظهر كلمة الكفر قتل قبل أن يستتاب ، لأنه ظهر منه الاستخفاف . "رد المحتار" (٢) .

وظاهر كلامه : تخصيص الكفر بجحد الضروري فقط ، مع أن الشرط عندنا ثبوته على وجه القطع ، وإن لم يكن ضرورياً ، بل قد يكون بما يكون استخفافاً من قول أو فعل كما مر ، ولذا ذكر في " المسايرة " أن ما ينفي الاستسلام ، أو يوجب التكذيب فهو كفر ، فما ينفي الاستسلام كل ما قدمناه عن الحنفية ، أي مما يدل على الاستخفاف ، وما ذكر قبله من قتل نبي إذا الاستخفاف فيه أظهر ، وما يوجب التكذيب جحد كل ما ثبت عن النبي ﷺ ادعاؤه ضرورة ، وأما ما لم يبلغ حد الضرورة كاستحقاق بنت الإبن السدس مع البنت بإجماع المسلمين ، فظاهر كلام الحنفية الإكفار بجحده ، فإنهم لم يشترطوا

---

(١) ص ٢٩٧ ج ــ٣ مطبوع مصر ١٢٧٢هـ .

(٢) ص ــ ٢٨٦ ج ــ ٣

لمنوى القطع فى الثبوت ، ويجب حمله على ما إذا علم المنكر ثبوته قطعاً، لأن مناط التكفير وهو التكذيب أو الاستخفاف، عند ذلك يكون ، أما إذا لم يعلم فلا، إلا أن يذكر له أهل العلم ذلك فيلج . "رد المحتار" (١).

تنبيه : فى "البحر" : والأصل أن من اعتقد الحرام حلالاً فإن كان حراماً لغيره؛ كمال الغير لا يكفر ، وإن كان لعينه فإن كان دليله قطعياً كفر، وإلا فلا . وقيل : التفصيل فى العالم ، أما الجاهل فلايفرق بين الحرام لعينه ولغيره ، وإنما الفرق فى حقه أن ما كان قطعياً كفر به، و إلا فلا فيكفر إذا قال: الخمر ليس بحرام، وتمامه فيه "رد المحتار"(٢) . ومن "زكاة الغنم" : أن الإعتماد على القطعية وإن كان حراماً لغيره ، ونبذة منه فى مسألة الصلاة بدون طهارة، ولكن صرح فى كتاب "المسايرة" بالاتفاق على تكفير المخالف فيما كان من أصول الدين وضرورياته ، كالقول بقدم العالم ، ونفى حشر الأجساد ، ونفى العلم بالجزئيات ، وإن الخلاف فى غيره ، كنفى مبادئ الصفات ، ونفى عموم الإرادة ، والقول بخلق القرآن الخ . وكذا قال فى "شرح منية المصلى" : إن ساب الشيخين ومنكر خلافتهما ممن بناه على شبهة له لا يكفر، بخلاف من ادعى أن علياً إله ، وإن جبريل غلط ، لأن ذلك ليس عن شبهة ، و استفراغ وسع فى الاجتهاد ، بل محض هوى اه . وتمامه فيه .

قلت : وكذا يكفر قاذف عائشة ، ومنكر صحبة أبيها ، لأن

---

(١) ص — ٢٨٤ ج — ٣

(٢) ص — ٢٨٤ — ٣

ذلك تكذيب صريح القرآن، كما مر فى الباب السابق . "رد المحتار" (١) .

قلت : و الأكثر على تكفير منكر خلافة الشيخين ، وفى "الدر المنتقى" عن "الوهبانية" وشرحها :

وصحح تكفير نكير خلافة أل عتيق وفى الفاروق ذاك الأظهر

بل فى "الخلاصة" و"الصواعق" : أنه صرح به محمد بن الحسن رحمه الله تعالى فى "الأصل" ، وكذا صححه فى "الظهيرية" - كما فى "الهندية" - فما فى "رد المحتار" تساهل ، وقد صححه فى "خزانة المفتيين" أيضاً - كما فى "الأنقروية" - وكذا نقله فى "الفتاوى العزيزية" (٢) عن "البرهان" ، وعن "الفتاوى البديعية" ، وعن كتب أخر ، وعن بعض الشافعية والحنابلة ، وعبارة "البرهان" : "وعلماءنا والشافعى جعلوها أى الإمامة من فاسق ومبتدع لم يكفر أى لم يحكم بكفره بسبب بدعة مكروهة لافاسدة كما قال مالك اهـ". فيجوز الاقتداء بأهل الأهواء عندنا إلا الجهمية ، والقدرية ، والروافض الغالية، والقائلين بخلق القرآن ، والخطابية ، والمشبهة . والحاصل أن من كان من أهل قبلتنا ولم يغل حتى لم يحكم بكفره تصح الصلاة خلفه، وتكره ، ولايجوز خلف منكر الشفاعة ، والرؤية ، وعذاب القبر ، والكرام الكاتبين ،لأنه كافر لتواتر هذه الأمور من الشارع عليه السلام . ومن قال : لايرى لعظمته وجلاله ، فهو مبتدع، ولاخلف منكر المسح على الخفين اهـ . ولاخلف منكر خلافة أبى بكر رضي الله عنه أوعمر رضي الله عنه أوعثمان رضي الله عنه لأنه كافر، وتصح خلف من يفضل

---

(١) ص — ٣١٠ ج — ٣

(٢) ص — ٩٤ ج — ٢

علياً رضي الله عنه لأنه مبتدع ، وروى محمد رحمه الله تعالى عن أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله تعالى أن الصلاة خلف أهل الأهواء لاتجوز اهـ .

واختار فى أواخر "التحفة الإثنى عشرية" تكفير الخوارج ممن يكفر علياً رضي الله عنه — والعياذ بالله — ذكره فى المقدمة السادسة من باب التولى والتبرى، لكنه ذكر فرقاً بين الارتداد والكفر، وهذا لم يشتهر فى كتب الفقه فى حق من ينتحل الإسلام، (١) وكأنه أراد بالارتداد تبديل الملة بقصده ، بخلاف الكفر، ولا يظهر فى الأحكام فرق من كلامه إلا أن يكون من وجوب القتل وجوازه ، وأكثر كلامه فى "فتاواه" على تكفير الخوارج، ومن يشبههم، وما ذكره فى "فتاواه" (٢) ليس مرضياً عنده، كما صرح به فيها (٣) . وذكر فيها (٤) عدم الفرق بين لزوم الكفر والتزامه فى القطعيات ، وفى الكيد الحادى والتسعين من مكائدهم من "التحفة" والعقيدة السادسة باب الإمامة تحت قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه الآية) وشيئاً فى آخر المقدمة الخامسة من باب التولى والتبرى .

وكذلك قال ابن القاسم فى من تنبأ وزعم أنه يوحى إليه، وقاله سحنون، وقال ابن القاسم فى من تنبأ: أنه كالمرتد، سواء كان دعا إلى ذلك — أى إلى متابعة نبوته — سراً كان أو جهراً كمسيلمة — لعنه الله — . وقال اصبغ بن الفرج : هو — أى من زعم أنه نبي يوحى إليه — كالمرتد فى أحكامه، لأنه قد كفر بكتاب الله

---

(١) نعم رأيته فى "رد المحتار" من مناكحة المعتزلة ، وفى "أحكام القرآن" عن الكرخى . (٢) ص — ١٩ ج — ١

(٣) فى ص — ١٢ ج — ١ وص — ١٩١ ج — ١

(٤) ص — ٩٥ ج — ٢

لأنــه كذبــه ﷺ فى قولــه : إنــه خاتم النبيين ، ولا نبى بعده ، مع الفرية على الله ــ بكسر الفاء أى الكذب عليه بقوله: إن الله أوحى إلى وأرسلنى ــ وقال أشهب فى حق يهودى زعم أنه نبى ، وزعم أنه أرسل من الله إلى الناس ليبلغهم من الله ، أو قال : وزعم أن بعد نبيكم نبى سيأتى من الله بشريعة ، فقال : إنه يستتاب كالمرتد ، إن كان معلناً بذلك ــ أى مظهراً له ــ لا إذا أخفاه ، فإن تاب ورجع عما قاله ، وإلا قتل إن لم يتب، وذلك أى قتله لأنه مكذب للنبى ﷺ فى قوله ــ الذى نقله عنه الثقات ــ: لانبى بعدى ، أى لاينبأ أحد بعد نبوتى ، مفترٍ على الله فى دعواه الرسالة والنبوة . "خفاجى" شرح "شفاء" (١) .

وقال أحمد بن أبى سليمان صاحب سحنون الذى تقدمت ترجمته : من قال أن النبى ﷺ كان لونه أسود قتل ، لكذبه على رسول الله ﷺ ، ولون السواد يزرى ، ففيه تحقير وإهانة له أيضاً ، إذ لم يكن النبى ﷺ أسود ، وإنما كان أزهر اللون مورداً ، كما تقدم فى حديث حليته الطويل . وقال بعض المتأخرين : كلامه يوهم أن مجرد الكذب عليه فى صفة من صفاته كفر يوجب القتل ، وليس كذلك ، بل لا بد من ضميمة ما يشعر بنقص فى ذلك ، كما فى مسألتنا هذا ، لأن الأسود لون مفضول اهـ .

وقد علمت أن لا فرق ، لأن إثبات صفة له ﷺ غير صفة لاتكون إلا مشعرة بنقص ، لأن صفاته لا يتصور أكمل منها ، بل كل ما أثبت له غيرها كان نقصاً بالنسبة لها ، فالاعتراض حينئذ ليس فى محله . " خفاجى شرح شفاء " (٢) .

---

(١) ص ــ ٤٣٠ ج ــ ٤ و ص ــ ٥٧٩ ج ــ ٤

(٢) ص ــ ٤٣١ ج ــ ٤ .

صفاته تعالى فى الأزل غير محدثة ، ولا مخلوقة ، فمن قال أنها مخلوقة أومحدثة ، أو وقف فيها ، أوشك فيها ، فهو كافر بالله تعالى . " فقه أكبر " (١) .

من قال بأن كلام الله مخلوق فهو كافر بالله العظيم . "كتاب الوصية" .

قال فخر الإسلام : قد صح عن أبي يوسف أنه قال : ناظرت أبا حنيفة فى مسألة خلق القرآن ، فاتفق رأيي ورأيه على أن من قال بخلق القرآن فهو كافر ، وصح هذا القول أيضاً عن محمد رحمهم الله تعالى . " شرح فقه أكبر" .

أيما رجل مسلم سب رسول الله ﷺ ، أو كذبه ، أو عابه ، أو تنقصه ، فقد كفر بالله تعالى ، وبانت منه امرأته . " كتاب الخراج " (٢) .

أجمع المسلمون على أن شاتمه ﷺ كافر ، ومن شك فى عذابه وكفره كفر . " شفاء " ، وغيره .

الكافر بسب نبي من الأنبياء لا تقبل توبته مطلقاً ، ومن شك فى عذابه وكفره كفر . " مجمع الأنهر" و" درمختار" و " بزازية " و"الدرر" و"الخيرية" .

قلت : فى قبول التوبة فى أحكام الدنيا اختلاف ، وتقبل فيما بينه وبين الله تعالى ، وينبغي أن تراجع عبارة " المحيط " من " خلاصة الفتاوى" لأصحابنا ، فإني لم أرها إلا له من عدم قبول التوبة فيما بينه وبين الله تعالى ، ولعله من غلط الناسخ .

فى " المواقف : لا يكفر أهل القبلة إلا فيما فيه إنكار ما علم مجيئه

(١) ص — ٢٩ طباعة باكستان (٢) ص — ١٨٢

بالضرورة ، أو أجمع عليه كاستحلال المحرمات اﻫ . ولا يخفى أن المراد بقول علمائنا: " لا يجوز تكفير أهل القبلة بذنب " ليس مجرد التوجه إلى القبلة، فإن الغلاة من الروافض الذين يدعون أن جبريل عليه السلام غلط فى الوحى، فإن الله تعالى أرسله إلى على رضي الله عنه ، وبعضهم قالوا: أنه إله، وإن صلوا إلى القبلة ليسوا بمؤمنين ، وهذا هو المراد بقوله ﷺ : "من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، و أكل ذبيحتنا فذلك المسلم اﻫ " مختصراً . " شرح فقه أكبر (١) .

ادعت الروافض أيضاً أن علياً رضي الله عنه نبى — إلى قوله رضي الله عنه — : لعنهم الله ، وملائكته ، وسائر خلقه إلى يوم الدين ، وقلع وأباد خضرائهم ، ولا جعل منهم فى الأرض دياراً، فإنهم بالغوا فى غلوهم، ومردوا على الكفر ، وتركوا الإسلام ، وفارقوا الإيمان ، وجحدوا الإله ، والرسل ، والتنزيل ، فنعوذ بالله ممن ذهب إلى هذه المقالـة . " غنيـة الطالبين"

أو كذب رسولاً أو نبياً أو نقصه بأى منقص ، كأن صغر اسمه مريداً تحقيره ،أو جوز نبوة أحد بعد وجود نبينا ﷺ ، وعيسى عليه الصلاة والسلام نبى قبل فلا يرد . " تحفه شرح منهاج" .

فساد مذهبهم غنى عن البيان بشهادة العيان ، كيف ؟ وهو يؤدى إلى تجويز نبى مع نبينا ﷺ أو بعده ، و ذلك يستلزم تكذيب القرآن ، إذ قد نص على أنه خاتم النبيين، وآخر المرسلين. وفى السنة: " أنا العاقب لا نبى بعدى" ، وأجمعت الأمة على إبقاء هذا الكلام على ظاهره ، وهذا إحدى المسائل المشهورة التى كفرنا بها الفلاسفة — لعنهم الله تعالى — " شرح الفرائد " للعلامة العارف بالله عبد الغنى النابلسى .

(١) ص — ١٩٥ .

وفى العقائد العضدية " : لا نكفر أحداً من أهل القبلة ، إلا بما فيه نفى الصانع المختار ، أو بما فيه: شرك، وإنكار ما علم من الدين بالضرورة أو إنكار مجمع عليه قطعاً ، أو استحلال محرم ، وأما غير ذلك فالقائل به مبتدع ، وليس بكافر اه .

قالت الروافض : إن العالم لايكون خالياً من النبى قط ، وهذا كفر ، لأن الله تعالى قال : " وخاتم النبيين" ، ومن ادعى النبوة فى زماننا فإنه يصير كافراً ، ومن طلب منه المعجزات فإنه يصير كافراً ، لأنه شك فى النص ، ويجب الاعتقاد بأنه ما كان لأحد شركة فى النبوة لمحمد ﷺ ، بخلاف ما قالت الروافض أن علياً رضي الله عنه كان شريكاً لمحمد ﷺ فى النبوة ، وهذا منهم كفر . " تمهيد أبى الشكور السالمى" .

وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبئ وصلبه ، وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك بأشباههم ، وأجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم ، والمخالف فى ذلك من كفرهم كافر . " شفاء" . وكذلك نقله فى " البحرالمحيط" من الأحزاب من الإجماع العملى .

وكذلك يقطع بتكفير من كذب أو أنكر قاعدة من قواعد الشريعة، وما عرف يقيناً بالنقل المتواتر من فعل رسول ﷺ ، ووقع الإجماع المتصل عليه، كمن أنكر وجوب الصلوات الخمس،أو عدد ركعاتها وسجداتها،ويقول: إنما أوجب الله علينا فى كتابه الصلاة على الجملة ، وكونها خمساً ، وعلى هذه الصفات والشروط لا أعمله إذ لم يرد به فى القرآن نص جلى ، والخبر عن الرسول ﷺ به خبر واحد . "شفاء" .

وكذلك نكفر من ادعى نبوة أحد مع نبينا ﷺ — أى فى زمنه —

كمسيلمة الكذاب ، و الأسود العنسى ، أو ادعى نبوة أحـد بعده ، فإنه خاتم النبيين بنص القرآن والحديث ، فهذا تكذيب لله ورسوله ﷺ كالعيسوية الخ .

أو من ادعى النبوة لنفسه بعد نبينا ﷺ كالمختار بن أبى عبيد الثقفى ، وغيره . قال ابن حجر : ويظهر كفر كل من طلب منه معجزة ، لأنه يطلبه منه مجوزاً لصدقه مع استحالته المعلومة من الدين بالضرورة.. نعم إن أراد بذلك تسفيهه وبيان كذبه ، فلا كفر به انتهى - أو جوز اكتسابها ، والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة، وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى إليه وإن لم يدع النبوة ، فهؤلاء المذكورون كلهم كفار ، محكوم بكفرهم ، لأنهم مكذبون للنبى ﷺ لادعائهم خلاف ما قاله ، لأنه ﷺ أخبر أنه خاتم النبيين ، كما أعلمه الله به فيما أوحاه إليه ، وأخبر أيضاً أنه لا نبى بعده ، وأخبر عن الله ، أنه خاتم النبيين ، وأنه أرسل كافة للناس . وأجمعت الأمة - أى أمته ﷺ - على أن هذا الكلام المذكور من الآية والحديث ، وأنه أرسل لجميع الناس على ظاهره من نفى النبوة بعده وعموم الرسالة ، وإن مفهومه - أى مدلوله - الذى فهم منه المراد منه دون تأويل ولا تخصيص لبعض أفراده ، فلاشك عند من يعتد به من الأمة فى كفر هؤلاء الطوائف كلها الذاهبين لما يخالف إجماع المسلمين قطعاً - أى جزماً من غير تردد فيه - إجماعاً - أى بالإجماع - وسمعاً من الله ورسوله وكتابه وسنته ، فلا عبرة بمن خالفه من الفرق الضالة ، ولا بمن نازع فى حجية الإجماع ، كما سيأتى ، و كذلك وقع الإجماع من علماء الدين على تكفير كل من دافع نص الكتاب - أى منع و نازع فيما جاء صريحاً فى " القرآن " - كبعض الباطنية الذين يدعون

لها معان أخر غير ظاهرها ، أو خص حديثاً عاماً منطوقه مجمعاً على نقله عن ثقات الرواة مقطوعاً به فى دلالته على صريحه ، مجمعاً من العلماء والفقهاء على حمله على ظاهره من غير تأويل ولا تخصيص ولا نسخ فإنه تلاعب مؤد للفساد ، كتكفير الخوارج بإبطال الرجم للزانى والزانية المحصنين ، فإنه مجمع عليه ، صار معلوماً من الدين بالضرورة . ولهذا أى للقول بكفر من خالف ظاهر النصوص والمجمع عليه نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة الإسلام من الملل أو وقف فيهم ، أى توقف وتردد فى تكفيرهم ، أو شك فى كفرهم ،أو صحح مذهبهم ، وإن أظهر الإسلام واعتقده واعتقد إبطال كل مذهب سواه ، فهو — أى من لم يكفر وما بعده — كافر ، بإظهار ما أظهر من خلاف ذلك — أى ما يخالف الإسلام ، لأنه طعن فى الدين ، وتكذيب لما ورد عنه من خلافه — وكذلك — أى كتكفير هؤلاء — يقطع ويجزم بتكفير كل من قال قولاً صدر عنه يتوسل به إلى تضليل الأمة — أى كونها فى الضلال عن الدين والصراط المستقيم . و يؤدى إلى تكفير جميع الصحابة ، كقول الطائفة الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الأمة بعد موت النبى ﷺ ، إذ لم تقدم علياً ، وكفرت علياً إذ لم يتقدم ولم يطلب حقه فى التقديم ، فهؤلاء قد كفروا من وجوه : لأنهم بما قالوه أبطلوا الشريعة بأسرها ، وكذلك — أى كما كفرنا هؤلاء — نكفر بكل فعل فعله شخص مسلم ، أجمع المسلمون على أنه — أى ذلك الفعل — لا يصدر إلا من كافر حقيقة ، لأنه من جنس أفعالهم ، و إن كان صاحبه — أى من صدر منه — مسلماً مصرحاً بالإسلام مع فعله ذلك الفعل . "شرح شفاء" للخفاجى (١) ملتقطاً ملخصاً . ومثله فى

---

(١) ص — ٥٤٢ إلى ٥٤٧ ج — ٤

"شرح الملا على القارى" سواء .

وقال فى "البحر الرائق" (١) وغيره : من حسن كلام أهل الهوى ، أو قال : معنوى ، أو كلام له معنى صحيح ، إن كان ذلك كفراً من القائل كفر المحسن .

قال ابن حجر فى "الاعلام" فى (فصل الكفر المتفق عليه) مما نقله عن كتب الحنفيــة : "من تلفظ بلفظ الكفر يكفر ، فكل من استحسنه ؛ أو رضى به يكفر ، إلا إذا صرح بإرادة موجب الكفر فلا ينفعه التأويل" . "رد المحتار" (٢) عن "البحر" عن "البزازية" . ومثله فى "جامع الفصولين" .

وفى "الهندية" : إذا كان فى المسألة وجوه توجب الكفر ، و وجه واحد يمنع ، فعلى المفتى أن يميل إلى ذلك الوجه ، إلا إذا صرح بإرادة توجب الكفر ، فلا ينفعه التأويل حينئذ .

ثم إن كان نية القائل الوجه الذى يمنع التكفير فهو مسلم ، وإن كان نيته الوجه الذى يوجب التكفير لا ينفعه فتوى المفتى اهـ . ناقلاً عن "المحيط" وغيره . .

ومثله فى حاشية "الأشباه" للحموى عن "العمادية" ، وفى "الدر" عن "الدرر" وغيرها .

والحاصل أن من تكلم بكلمة الكفر هازلاً أو لاعباً كفر عند الكل ولا اعتبار باعتقاده ، كما صرح به فى "الخانية" و "رد المحتار" (٣)

---

(١) ص — ١٣٤ ج — ٥ (٢) ص — ٣٩٣ ج — ٣

(٣) ص — ٣٩٣ ج — ٣

عن "البحر" : رجل كفر بلسانه طائعاً وقلبه على الإيمان يكون كافراً ولا يكون عند الله مؤمناً . كذا فى "فتاوى قاضيخان" . و"هنديه" و" جامع الفصولين" .

ووقع فى " الخلاصة " ههنا غلط من الناسخ فاحذره . وعزا فى " العمادية " المسألة "للمحيط" أيضاً . وقال الله تعالى : (ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم) .

وينكرون كونها بنزول الملك من السماء ، وكثيراً مما علم بالضرورة مجئ الأنبياء به ، كحشر الأجساد ، والجنة ، والنار .

والحاصل أنهم وإن أثبتوا الرسل لكن لا على الوجه الذى يثبته أهل الإسلام الخ . فصار إثباتهم بمنزلة العدم الخ . "رد المحتار" .

ويكفر إذا شك فى صدق النبى ﷺ ، أوسبه ، أونقصه ، أو حقره ، ويكفر بنسبة الأنبياء إلى الفواحش ، كالعزم على الزنا ، ونحوه فى يوسف عليه السلام ، لأنه استخفاف ، ولو قال : لم يعصموا حال النبوة و قبلها كفر ، لأنه رد النصوص . " الأشباه والنظائر" .

وفيها من فن الجمع والفرق ، وفى آخر "اليتيمة" ظن لجهله أن ما فعله من المحظورات حلال لـه ، فإن كان مما يعلم من دين النبى ﷺ ضرورة كفر ، وإلا فلا اهـ .

قال فى "فتح البارى" من حديث: "«من أوصى بأن يحرق إذا مات» وقال : فوالله لئن قدر الله على ليعذبنى عذاباً ما عذبه أحداً". ما لفظه . ـــ ورده ابن الجوزى وقال : جحده صفة القدرة كفر اتفاقاً اهـ . ـــ

وقال من باب الخوف من الله عزوجل ، عن العارف ابن أبي جمرة :
وأما ما أوصى به فلعله كان جائزاً في شرعهم ذلك لتصحيح التوبة ، فقد ثبت في شرع بني إسرائيل قتلهم أنفسهم لصحة التوبة اهـ .

قلت : والمراد بقوله : "لئن قدر الله علي" لئن وافاني وأنا جميع وأدركني قبل التوبة ، وذلك بأن أراد وقضاه علي ، لا التردد في نفس القدرة ، فقد ذم الله تعالى شأنه، ونعى على اليهود في قوله: (وما قدروا الله حق قدره — إلى قوله سبحانه وتعالى — : عما يشركون) . ففي بعض الروايات : إنها نزلت في ذلك ، ولعل الإشراك على هـذا هو إحصاء قدرة الله بمكيال عقولهم السقيمة ، وقياسها بما في أذهانهم وخيالهم . وما عند البخاري في رجل كان وقع على جارية امرأته فأخذ حمزة بن عمرو الأسلمي من الرجل كفلاء ، حتى قدم على عمر ، وكان عمر رضي الله عنه قد جلده مائة جلدة فصدقهم وعذرهم بالجهالة اهـ . فالذي ظهر أن المراد به اعتباره شبهة الفعل المعتبرة في ذلك الباب لا غير ، وفي المسألة حديث عند أبي داؤد والطحاوي وغيرهما ، فهذا هو الوجه . وكون أحد حديث عهد بالإسلام عذر عند فقهائنا أيضاً . وفي "بغية المرتاد" للحافظ ابن تيمية (١) : وإن الأمكنة والأزمنة التي تفتر فيها النبوة لا يكون حكم من خفيت عليه آثار النبوة حتى أنكر ما جاءت به خطأ كما يكون حكمه في الأمكنة والأزمنة التي ظهرت فيها آثار النبوة اهـ .

ويريد — رحمه الله — بإقامة الحجة في تصانيفه في مسألة التكفير : التبليغ لا غير ، كأخبار معاذ ، ودعوة علي رضي الله عنه ليهود خيبر ، وقد بوب عليه

---

(١) ص — ٥١

البخارى فى أخبار الآحاد، ومن الأنعام : (وأوحي إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ. الآية .)

إذا لم يعرف أن محمداً ﷺ آخر الأنبياء فليس بمسلم لأنه من الضروريات (١) "أشباه والنظائر" . يعنى والجهل بالضروريات فى باب المكفرات لايكون عذراً، بخلاف غيرها فإنه يكون عذراً على المفتى به كما تقدم والله أعلم اه " شرح حموى " (٢) — ونبه فى المسألة على فوائد نفيسة ، منها تجهيل من زعم أن تكفير الفقهاء إنما هو للتغليظ والتهديد، لا فيما بينه وبين الله ، فقد نقل رده عن " البزازية " وهى من المعتبرات ، نقلوا وصفها عن المولى أبى السعود مفتى الديار الرومية وصاحب التصانيف الكثيرة ، منها "التفسير". قال : وفى "البزازية" ويحكى عن بعض من لاسلف له أنه كان يقول ما ذكر فى الفتاوى أنه يكفر بكذا وكذا ، فذلك للتخويف والتهويل لا لحقيقة الكفر ، وهذا باطل، والحق أن ما صح عن المجتهدين فهو على حقيقته ، وأما ما ثبت عن غيرهم فلايفتى به فى مسألة التكفير اه . وكذلك فى "البحر" ، ونقل عبارة "البزازى" فى "اليواقيت" أيضاً وفى "منحة الخالق" بتمامها . وفى "اليواقيت" أيضاً عن الخطابى رحمه الله : فإن اتفق فى زمان وجود مجتهد تكاملت فيه شروط الاجتهاد كالأئمة الأربعة ، وبان له دليل قاطع أن الخطأ فى التأويل موجب الكفر كفرناهم بقوله الخ .

وأول الأنبياء آدم عليه السلام ، وآخرهم محمد ﷺ ، أما نبوة آدم

---

(١) وفى "تاريخ ابن عساكر" من ترجمة تميم الدارى السؤال فى القبر عن خاتم الأنبياء .

(٢) ص — ٢٦٧

فبالكتاب الدال على أنه قد أمر ونهى ، مع القطع بأنه لم يكن فى زمنه نبى آخر ، فهو بالوحى لا غير ، وكذا بالسنة والإجماع ، فإنكار نبوته على ما نقل عن البعض يكون كفراً " شرح عقائد نسفى" .

وكذا فى "المواهب" من النوع الأول من المقصد السادس ، وكذلك فى " البحر " .

وعند الحاكم من إتيان حارثة بن شراحيل فى طلب ابنه زيد — رضى الله عنهما —: أسألكم أن تشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنى خاتم أنبياءه ورسله، وأرسله معكم . الحديث .

وفى " روح المعانى " تحت قوله تعالى: (وأخذنا من النبيين ميثاقهم) وفى رواية أخرى عنه — أى عن قتادة — أنه أخذ الله تعالى ميثاقهم بتصديق بعضهم بعضاً ، والإعلان بأن محمداً ﷺ رسول الله ، وإعلان رسول الله ﷺ أن لا نبى بعده اه .

ثم اعلم أنه يؤخذ من مسألة العيسوى أن من كان كفره بإنكار أمر ضرورى كحرمة الخمر مثلاً أنه لابد من تبرؤه مما كان يعتقده ، لأنه كان يقر بالشهادتين معه ، فلا بد من تبرؤه منه ، كما صرح به الشافعية و هو ظاهر . "رد المحتار" من الإرتداد .

قلت : وفى " جامع الفصولين" : ثم لو أتى بكلمة الشهادة على وجه العادة لم ينفعه ما لم يرجع عما قال، إذ لا يرتفع بها كفره اه .

وأما من قال : إن الله عزوجل هو فلان لإنسان بعينه ، أو أن الله يحل فى جسم من أجسام خلقه ، أو أن بعد محمد ﷺ نبياً غير عيسى ابن مريم ، فإنه لا يختلف إثنان فى تكفيره لصحة قيام الحجة بكل هذا

على كل أحد . "كتاب الفصل" لإبن حزم (١) .

هذا مع سماعهم قول الله تعالى : (ولكن رسول الله وخاتم النبيين . وقول رسول الله ﷺ : «لانبي بعدى» . فكيف يستجيز مسلم أن يثبت بعده عليه السلام نبياً فى الأرض ؟ حاشا ما استثناه رسول الله ﷺ فى الآثار المسندة الثابتة فى نزول عيسى بن مريم عليه السلام فى آخر الزمان . (٢) . وصح الإجماع على أن كل من جحد شيئاً صح عندنا بالاجماع أن رسول الله ﷺ أتى به فقد كفر ، وصح بالنص أن كل من استهزأ بالله تعالى أو بملك من الملائكة ، أو بنبى من الأنبياء عليهم السلام ، أو بآية من القرآن ، أو بفريضة من فرائض الدين ، فهى كلها آيات الله تعالى بعد بلوغ الحجة إليه ، فهو كافر . ومن قال نبى بعد النبى عليه الصلاة والسلام ، أو جحد شيئاً صح عنده بأن النبي ﷺ قاله فهو كافر (٣) . كتاب "الفصل" لابن حزم (٤) .

أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي ﷺ يقتل الخ . وحكى الطبرى مثله — أى مثل القول بأنه ردة — عن أبى حنيفة وأصحابه فيمن تنقصه ﷺ أو برئ منه أو كذبه الخ . قال محمد بن سحنون : أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ المستنقص له كافر ، ومن شك فى كفره وعذابه

---

(١) ص — ٢٤٩ ج — ٣

(٢) كتاب الفصل ص ١٨٠ ج — ٤

(٣) وفيه حديث عند أبى داؤد من باب الرسل من الجهاد، وهو عند الحاكم أيضاً و" الكنز" ص — ١٧١ ج — ٧ .

(٤) ص ٢٥٥ و٢٥٦

كفر الخ . "شرح شفاء قاضي عياض" . لملا على القارى رحمه‌الله (١) .

من سب الله تعالى وملائكته أو أنبيائه قتل . "شرح شفاء" (٢) .

وحكم من سب سائر أنبياء‌الله تعالى وملائكته ، واستخف بهم ، أو كذبهم فيما أتوا به ، أو أنكرهم وجحدهم حكم نبينا ﷺ الخ . "شرح شفاء" (٣) .

وفى "المحيط" : من أنكر الأخبار المتواترة فى الشريعة كفر ، مثل حرمة لبس الحرير على الرجال . ثم اعلم أنه أراد بالمتواترههنا التواتر المعنوى لااللفظى الخ . "شرح فقه أكبر"(٤) ونحوه فى "الهندية" عن الظهيرية . وتوارده الأصوليون فى باب السنة، ونقلوا عن الإمام أنه قال: أخاف الكفر على من لم ير المسح على الخفين . فصار منكر المتواتر ومخالفه كافراً . "أصول بزدوى" (٥) و"الكشف" (٦) .

مأخوذ من " الفتح " حيث قال : وأما المعتزلة فمقتضى الوجه حل مناكحتهم، لأن الحق عدم تكفير أهل القبلة وإن وقع الزاماً فى المباحث، بخلاف من خالف القواطع المعلومة بالضرورة من الدين ، مثل القائل بقدم العالم ، ونفى العلم بالجزئيات على ما صرح بـه المحققون . وأقول: وكذا القول بالإيجاب بالذات ونفى الإختيار . رد"المحتار"(٧) من المحرمات .

---

(١) ص ٣٩٣ ج — ٢

(٢) ص — ٥٤٦ (٣) ص — ٥٤٥

(٤) ص — ٣٠٢ (٥) — ٣٦٧ ج— ٢

(٦) ص — ٣٦٣ ج ٢ وص — ٣٣٠ ج — ٤

(٧) ص — ٣٩٨ ج — ٢

وهذا الحديث وإن كان خبر واحد إلا أن خبر الواحد يعمل به فى الحكم بالتكفير ، وإن كان جحده لا كفر به ؛ إذ لا يكفر جاحد الظنى بل القطعى . " الصواعق" لابن حجر المكى (١) عن الشيخ تقى الدين السبكى .

يريد بـه نحو حديث أبى سعيد عند ابن حبان كما فى " الترغيب والترهيب" للمنذرى (٢) : قال قال رسول الله ﷺ : " ما أكفر رجل رجلاً إلا باء أحدهما بها ، إن كان كافراً وإلا كفر بتكفيره". وفى رواية: "فقد وجب الكفر على أحدهما". وعليه بنى الشوكانى رحمه الله تكفير الروافض كما فى" رياض المرتاض" (٣) .

ووجه الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد فى "شرح العمدة" من اللعان قول من قال بمضمون هذا الحديث ، وحمله على ظاهره ، وهو قول جماعة من العلماء الأعلام ؛ كما ذكره ابن حجر المكى فى " الإعلام بقواطع الإسلام" وكذا فى" جامع الفصولين" . وقال فى "مختصر مشكل الآثار": معنى الكافر ههنا أن الذى هو عليه الكفر ، فإذا كان الذى هو عليه إيماناً كان جعله كافراً جعل الإيمان كفراً، فكان بذلك كافراً ، لأن من كفر بالإيمان فقد كفر بالله عز وجل : (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله الآية) . وذكره البيهقى فى "الأسماء والصفات" عن الخطابى ، وما فى " شرح الكنز" عن "الزيلعى" من النكاح (٤) من قوله : ثم المخبر إن كان هو الولى آه ، يريد بالعقوبة عقوبة الدنيا ، واختصره فى "فتح القدير" (٥) فراجع ، وذكره من متن

(١) ص — ٢٥٢ (٢) ص - ٢٤٢ ج - ٤
(٣) ص — ٢٠٩ (٤) ص — ١٢٩ ج — ٢
(٥) ص — ٤٠٠ ج — ٢

"الكنز" فى شتّى القضاء ، والرمز من أول الكراهية .

تنبيه من الراقم

يريدون أن الحديث إذا كان خبر واحد يصلح مأخذاً و مبنى لمسألة التكفير فى حق المفتى ؛ وأما الرجل المكفر اسم مفعول ، فإنما يكفر فى نفسه بإنكار القطعى لا بإنكار الظنى ، وذلك فى حقه ، وأما المفتى فيكفى فى حقه ظنه بأن فلاناً أنكر قطعياً ، ولا يجب له القطع ، ونظيره أن خبر الواحد يعمل به فى مسائل الرجم ، ولا يثبت فى الحكم إلا بشهادة أربعة ذكور ، فهكذا ههنا . والحاصل أن الموجب لكفر الرجل فى نفسه هو إنكار قطعى ، وأما الموجه والمنبه للمفتى فى مسألة تكفيره قد يكون حديثاً آحادياً فينبهه على أن إنكار أمر كذا كفر ، ثم لا يكون ذلك الأمر فى الواقع إلا قطعياً ، ومثاله أن عد رجل عالم ، وفهرس المتواترات والقطعيات ، وذهل وغفل عن بعضها فلم يدخله فى ذلك الفهرس ، فجاء واحد آخر ونبهه على قطعيات أخر ، فأدخل بقول ذلك الواحد تلك فى الفهرس ؛ فقد تنبه بقول واحد للقطعى ، فهكذا الأمر ههنا لم يكفر الرجل فى نفسه إلا بإنكار القطعى ؛ لكن المفتى قد يأخذ مسألة التكفير من خبر واحد فافهمه . وما يوهمه كلام شارح " الفقه الأكبر" أن بين الفقهاء والمتكلمين اختلافاً فى مسألة التكفير ، فالفقهاء قد يكفرون بإنكار الأمر الظنى بخلاف المتكلمين (١) فليس خلافاً فى المسألة ، وإنما هو اختلاف فن وموضوع ،

---

(١) وهذا كإثبات الفرض أو الحرام بالقياس ، نظراً إلى حقيقة الشئ ، لانظراً إلى طريقة ثبوته ، أو كالإجماع المنقول آحاداً . منه .

فموضوع الفقهاء فعل المكلف ، وكثير من مسائلهم ظنى ، وموضوع المتكلمين القطع ، فن ههنا انقسم نظر الفريقين ، وإلا فيجوز بناء التكفير على الظن بلا خطر ، لأن الظن فى طريق العلم بالحكم لا فى الأمر الموجب لكفر المكفر . وأيضاً التكفير بمضمون خبر الواحد لا بإنكار ثبوته ، وقد تختلف الأحكام فى نحو الثبوت والدلالة ، فالشافعية مثلاً راعوا فى أخذ الفرض وترك الواجب من التقسيم حال المضمون فيثبتون الفرض بخبر الواحد ، والحنفية راعوا هناك حال الثبوت . هكذا ينبغى أن يفهم هذا المقام . هذا والله ولى التوفيق .

تنبيه آخر

اتفقوا فى بعض الأفعال على أنها كفر : مع أنه يمكن فيها أن لا ينسلخ من التصديق ، لأنها أفعال الجوارح لا القلب ، وذلك كالهزل بلفظ كفر ، وإن لم يعتقده ، وكالسجود لصنم ، وكقتل نبى ، والاستخفاف به ، وبالمصحف ، والكعبة ، واختلفوا فى وجه الكفر بها بعد الاتفاق على التكفير ، فقيل : إن الشارع لم يعتبر ذلك التصديق حكماً ، وإن كان موجوداً حقيقة . حكاه الحافظ ابن تيمية فى "كتاب الإيمان" (١) من لفظ الأشعرى ، وقيل : إن ما كان دليل الاستخفاف يكفر به ، وإن لم يقصد الاستخفاف ، ذكره فى "رد المحتار" ، وقيل زيد على التصديق المجرد أشياء فى الإيمان المعتبر شرعاً ، وقيل التصديق المعتبر لا تجامع هذه الأفعال. ذكره العلامة قاسم فى حاشية "المسايرة" ، والحافظ ابن تيمية رحمه الله . وبالجملة يكفر ببعض الأفعال أيضاً اتفاقاً ، وإن لم ينسلخ من التصديق اللغوى القلبى .

---

(١) ص — ٦٠

وقال القاضى أبو بكر الباقلانى كما فى "الشفاء" و"المسايرة" : فإن عصى بقول أو فعل نص الله تعالى ورسوله ، أو أجمع المسلمون أنه لا يوجد إلا من كافر ، أو يقوم دليل على ذلك فقد كفر اهـ . وقال أبو البقاء فى "كلياته" : والكفر قد يحصل بالقول تارة وبالفعل أخرى ، والقول الموجب للكفر إنكار مجمع عليه فيه نص ، ولا فرق بين أن يصدر عن اعتقاد ، أو عناد ، أو استهزاء . والفعل الموجب للكفر هو الذى يصدر عن تعمد ، ويكون الاستهزاء صريحاً بالدين ، كالسجود للصنم اهـ .

قال القونوى : ولو تلفظ بكلمة الكفر طائعاً غير معتقد له يكفر ، لأنه راض بمباشرته وإن لم يرض بحكمه ، ولا يعذر بالجهل ، وهذا عند عامة العلماء ، خلافاً للبعض . قال : ولو أنكر أحد خلافة الشيخين يكفر الخ "شرح فقه أكبر" (١) .

وفيه أيضاً : ثم اعلم أنه إذا تكلم بكلمة الكفر ، عالماً بمبناها ولا يعتقد معناها ، لكن صدرت عنه من غير إكراه بل مع طواعية فى تأديته ، فإنه يحكم عليه بالكفر بناءً على القول المختار عند بعضهم ، من أن الإيمان هو مجموع التصديق والإقرار ، فبإجرائها يتبدل الإقرار بالإنكار . وهذا فى "شرح الشفاء" أيضاً (٢) .

أقول : والأظهر الأول ، إلا إذا كان من قبيل ما يعلم من الدين بالضرورة ، فإنه حينئذ يكفر ولا يعذر بالجهل . "شرح فقه أكبر" من الأواخر .

---

(١) ص — ١٩٥ (٢) ص — ٤٢٩ ج — ٢ وشئ فى ص — ٤٢٨ ج — ٢ .

وقال فى " الصارم المسلول " (١) : ولهذا قال سبحانه وتعالى : (لاتعتذروا فقد كفرتم بعد إيمانكم) ولم يقل : قد كذبتم فى قولكم : " إنما كنا نخوض ونلعب " ، فلم يكذبهم فى هذا العذر ، بل بين أنهم كفروا بعد إيمانهم بهذا الخوض واللعب آه . وأوضحه فى محل آخر (٢) . والجصاص فى " أحكامه " .

وعلى هذا فلا يبعد أن يقال : إن تكفير المسلم المعلوم إسلامه قد جعله الشرع فى الحديث المار كفراً بنفسه ، وللشارع ولاية ذلك ، لا لتضمنه اعتقاد أن الإسلام كفر ، وقال الله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) والله ولى الأمور ، ووجه الغزالى كما فى " إيثار الحق " (٣) : بأنه لما كان معتقد الإسلام أخيه كان قوله : إنه كافر قولاً بأن الذى هو عليه كفر ، والذى هو عليه دين الإسلام فكأنه قال : إن دين الإسلام كفر ، وهذا القول كفر من قائله وإن لم يعتقد ذلك اه . فجعله هزلاً بلفظ الكفر ، وهذا يصدق على هذا الشقى وأتباعه ، فإنهم يكفرون كل الأمة فى هذا العصر ، فيجب أن يكفروا هم لا الأمة ، فقد حار عليهم ، والله يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد :

فقد كان هذا لهم لا لهم ... فأولى لهم ثم أولى لهم

قال فى " زاد المعاد " من أحكام الفتح : وهذا بخلاف أهل الأهواء والبدع ، فإنهم يكفرون ويبدعون لمخالفة أهوائهم وبجهلهم ، وهم أولى بذلك ممن كفروه وبدعوه اه .

---

(١) ص — ٥١٩ (٢) ص — ٥٢٤

(٣) ص — ٤٣٢

و مسألة التكفير فى "التحرير" وشرحه "التقرير" مسألة العقليات الخ (١) . و فى آخر الشرح . ثم قال السبكى عبارته إلى انتهى . والفصل الثانى فى "الحاكم" (٢) . والباب الثانى أدلة الأحكام الخ (٣) . ومسألة إنكار حكم الإجماع القطعى الخ (٤) . و إنما لهم القطع بالعمومات . أما من الصيغة أو الإجماعات على عدم التفصيل الخ فى كفرهم . كذا قال فى "التقرير" ، و أوضح الصيغة فى "الفواتح" . ولو انعقد عليه إجماع فشئ آخر (٥) . أجيب بأن فائدته التحول إلى الأحكام القطعية (٦) . ومن أقسام الجهل (٧) . و الهزل (٨) . و يتعلق بالتبليغ ما فى "المستصفى" (٩) . و "التقرير" (١٠) .

التاويل فى ضروريات الدين لا يقبل ، و يكفر المتأول فيها

والكافر : إسم لمن لا إيمان له ، فإن أظهر الإيمان فهو : المنافق ، وإن طرأ كفره بعد الإيمان فهو: المرتد ، وإن قال بإلهين أو أكثر فهو: المشرك ، وإن كان متديناً ببعض الأديان والكتب المنسوخة فهو : الكتابى ،

(١) ص - ٣١٨ وص ٣٠٣ ج ٣

(٢) ص - ٩٠ ج - ٢ (٣) ص - ٢١٥ ج - ٢

(٤) ص - ١١٣ ج - ٣ وص - ٣٠٥ ج - ٣

(٥) ص - ٤٠ ج - ٣ وص - ١١٠ ج - ٣

(٦) ص - ٢٥ ج - ٣ (٧) ص - ٣١٧ ج - ٣

(٨) ص - ٢٠٠ ج - ٢ (٩) ص - ١٥١ و١٤٧ و١٣٣ ج - ١

(١٠) ص - ٣١٦ و ٣٢٧ ج - ٣

وإن قال بقدم الدهر وإسناد الحوادث إليه فهو : الدهرى ، وإن كان لا يثبت البارئ فهو : المعطل ، وإن كان مع اعترافه بنبوة النبى ﷺ يبطن عقائد هى كفر بالاتفاق فهو : الزنديق .

وعدم تكفير أهل القبلة موافق لكلام الأشعرى والفقهاء ، لكن إذا فتشنا عقائد فرقهم الإسلاميين وجدنا فيها ما يوجب الكفر قطعاً ، فلا نكفر أهل القبلة ما لم يأت بما يوجب الكفر . وهذا من قبيل قوله تعالى : (إن الله يغفر الذنوب جميعاً) مع أن الكفر غير مغفور ، ومختار جمهور أهل السنه من الفقهاء والمتكلمين عدم إكفار أهل القبلة من المبتدعة المأولة فى غير الضرورية ، لكون التأويل شبهة كما هو المسطور فى أكثر المعتبرات . "كليات أبى البقاء" (١) .

وخرق الإجماع القطعى الذى صار من ضروريات الدين كفر ، و لا نزاع فى إكفار منكر شئ من ضروريات الدين ، وإنما النزاع فى إكفار منكر القطعى بالتأويل ، فقد ذهب إليه كثير من أهل السنة من الفقهاء والمتكلمين ، ومختار جمهور أهل السنة منهم عدم إكفار أهل القبلة من المبتدعة المأولة فى غير الضرورية ، لكون التأويل شبهة ، كما فى "خزانة الجرجانى" ، و"المحيط البرهانى" ، و"أحكام الرازى" ، و"أصول البزدوى" . ورواه الكرخى ، والحاكم الشهيد عن الإمام أبى حنيفة ، والجرجانى عن الحسن بن زياد ، وشارح "المواقف" و"المقاصد" ، و الآمدى عن الشافعى والأشعرى لا مطلقاً . "كليات أبى البقاء" (٢) .

هذا كله فى البدع غير المكفرة ، وأما المكفرة ، وفى بعضها ما

---

(١) ص — ٥٥٣ و٥٥٤ . (٢) ص — ٥٥٤ و٥٥٥ .

لا شك فى التكفير به كمنكرى العلم بالمعدوم القائلين ما يعلم الأشياء حتى يخلقها ، أو بالجزئيات ، والمجسمين تجسيماً صريحاً ، والقائلين بحلول الإلهية فى على ﷺ أو غيره . "فتح المغيث" (١) .

فالمعتمد الذى ترد روايته من أنكر أمراً متواتراً من الشرع ، معلوماً من الدين بالضرورة — أى إثباتاً ونفياً — فأما من لم يكن بهذه الصفة ، وانضم إلى ذلك ضبطه لما يرويه مع ورعه وتقواه ، فلا مانع من قبوله أصلاً . وقال أيضاً : والذى يظهر أن الذى يحكم عليه بالكفر من كان الكفر صريح قوله ، وكذا من كان لازم قوله ، وعرض عليه فالتزمه ، أما من لم يلتزمه وناضل عنه فإنه لا يكون كافراً ولو كان اللازم كفراً ، وينبغى حمله على غير القطعى ليوافق كلامه الأول ، وسبقه ابن دقيق العيد فقال : الذى تقرر عندنا أنه لا نعتبر المذاهب فى الرواية إذ لا نكفر أحداً من أهل القبلة إلا بإنكار قطعى من الشريعة . "فتح المغيث" (٢) . وكلامه الأول عن الحافظ ابن حجر ، ومثله فى شرح "التحرير" للمحقق ابن أمير الحاج عن شيخه الحافظ أيضاً . والحاصل فى مسألة اللزوم والالتزام أن من لزم من رأيه كفر لم يشعر به ، وإذا وقف عليه أنكر اللزوم ، وكان فى غير الضروريات ، وكان اللزوم غير بين ، فهو ليس بكافر وإن سلم اللزوم ، وقال : إن اللازم ليس بكفر ، وكان عند التحقيق كفراً ، فهو إذن كافر ، وهذا الذى نقله فى "الشفاء" عن القاضى أبى بكر الباقلانى ، والشيخ أبى الحسن الأشعرى ، فنقل عن القاضى أنه قال : ومن لم ير أخذهم بمآل قولهم ولا ألزمهم موجب مذهبهم لم ير إكفارهم ، قال : لأنهم إذا وقفوا على هذا قالوا : لا نقول ليس بعالم، و

---

(١) ص — ١٤٣ (٢) ١٤٣

نحن وأنتم ننتفى من القول بالمآل الذى ألزمتموه لنا ، ونعتقده نحن وأنتم أنه كفر ، بل نقول أن قولنا لا يؤول إليه على ما أصلنا الخ . ونقل عن الأشعرى فى من جهل صفة : أنه ليس بكافر . قال : لأنه لم يعتقد ذلك اعتقاداً يقطع بصوابه ويراه ديناً وشرعاً ، وإنما يكفر من اعتقد أن مقاله حق اهـ . وهذا الذى تحرر من كلام ابن حزم .

خاتمة

(جاحد المجمع عليه ، المعلوم من الدين بالضرورة) : وهو ما يعرفه منه الخواص والعوام من غير قبول للتشكيك ، فالتحق بالضروريات كوجوب الصلاة ، والصوم ، وحرمة الزنا والخمر (كافر قطعاً) لأن جحده يستلزم تكذيب النبى ﷺ فيه ، وما أوهمه كلام الآمدى وابن الحاجب من أن فيه خلافاً ليس بمراد لهما . شرح "جمع الجوامع" (١) .

أى بل مرادهما أن الخلاف الذى ذكراه إنما هو فيما لم يعلم من الدين بالضرورة من المجمع عليه ، وأما ما علم من الدين بالضرورة مما أجمع عليه فلا خلاف فى كفر جاحده . "حاشية بنانى" .

(وكذا) المجمع عليه (المشهور) بين الناس ، (المنصوص) عليه ، كحل البيع ، جاحده كافر (فى الأصح) لما تقدم . وقيل : لا ، لجواز أن يخفى عليه (وفى غير المنصوص) من المشهور (تردد) . قيل : يكفر جاحده لشهرته ، وقيل : لا ، لجواز أن يخفى عليه ،

(١) ص — ١٣٠ ج — ٢

(ولا يكفر جاحد) المجمع عليه (الخفى) بأن لا يعرفه إلا الخواص ، كفساد الحج بالجماع قبل الوقوف (ولو) كان الخفى (منصوصاً) عليه ، كاستحقاق بنت الإبن السدس مع بنت الصلب ، فإنه قضى به النبي ﷺ كما رواه البخارى ، ولا يكفر جاحد المجمع عليه من غير الدين كوجود بغداد قطعاً . "شرح جمع الجوامع" (١) .

وكذا فى عامة كتب الأصول كـ "الأحكام" للآمدى من المسألة السادسة من الإجماع ، ومن "شرائط الراوى" ، و "المختصر" لابن الحاجب ، و "التحرير" ، وشرحه "التقرير" ، وشرح "المسلم" ، و مثله فى الإختيارات العلمية من "فتاوى الحافظ ابن تيمية" . وقال فى كتاب الإيمان (٢) : وهذه الآية تدل على أن إجماع المؤمنين حجة من جهة أن مخالفتهم مستلزمة لمخالفة الرسول ، وإن كل ما أجمعوا عليه فلا بد أن يكون فيه نص عن الرسول ﷺ ، فكل مسألة يقطع فيها بالإجماع وبانتفاع المنازع من المؤمنين فإنها مما بين الله فيه الهدى ، ومخالف مثل هذا الإجماع يكفر ، كما يكفر مخالف النص البين . وأما إذا كان يظن الإجماع ولا يقطع به ، فهنا قد لا يقطع أيضاً بأنها مما تبين فيه الهدى من جهة الرسول ، و مخالف مثل هذا الإجماع قد لا يكفر بل قد يكون ظن الإجماع خطأ ، والصواب فى خلاف هذا القول ، وهذا هو فصل الخطاب فيما يكفر به من مخالفة الإجماع وما لا يكفر اهـ .

(فإن قلت : هل العلم بكونه ﷺ بشراً ، أو من العرب شرط فى صحة الإيمان وهو من فروض الكفاية) على الأبوين مثلاً فإذا علم أحدهما

---

(١) ص — ١٣٠ ج — ٢ (٢) ص — ١٥

ولده المميز ذلك سقط طلبه عن الآخر . (أجاب الشيخ ولى الدين) أحمد (ابن) عبد الرحيم (العراقى) الحافظ ابن الحافظ : (أنه شرط فى صحة الإيمان ، فلو قال شخص : أؤمن برسالة محمد ﷺ إلى جميع الخلق ، ولكن لا أدرى هل هو من البشر أو من الملائكة ، أو من الجن ؟ أولا أدرى هو من العرب أو العجم ؟ فلا شك فى كفره لتكذيبه القرآن) كقوله تعالى : (هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم) وقال تعالى : (ولا أقول لكم إنى ملك) (وجحده ما تلقته قرون الإسلام خلفاً عن سلف ، وصار معلوماً بالضرورة عند الخاص والعام ، ولا أعلم فى ذلك خلافاً ، فلو كان غبياً) بمعجمة وموحدة ، جاهلاً قليل الفطنة (لا يعرف ذلك وجب تعليمه إياه ، فإن جحده) أى المعلوم بالضرورة (بعد ذلك حكمنا بكفره) لأن إنكاره كفر ، أما إنكار ما ليس ضرورياً فليس كفراً ، ولو جحده بعد التعليم على ما اقتضاه شراح "البهجة" لشيخ الإسلام زكريا (انتهى) . " زرقانى" (١) .

إن الأمة فهمت من هذا اللفظ أنه أفهم عدم نبى بعده أبداً ، وعدم رسول بعده أبداً ، وأنه ليس فيه تأويل ولا تخصيص ، ومن أوله بتخصيص فكلامه من أنواع الهذيان لا يمنع الحكم بتكفيره ، لأنه مكذب لهذا النص الذى أجمعت الأمة على أنه غير مأول ولا مخصوص . "كتاب الاقتصاد" للإمام حجة الإسلام محمد الغزالى رحمه الله .

وعلى أن البدعة التى تخالف الدليل القطعى الموجب للعلم — أى الاعتقاد والعمل — لا تعتبر شبهة فى نفى التكفير عن صاحبها . وفى " الإختيار": وكل بدعة تخالف دليلاً يوجب العلم والعمل به قطعاً فهى كفر ، وكل

(١) ص — ١٦٨ ج — ٦ من النوع الثالث من المقصد السادس .

بدعـــة لا تخالف ذلك وإنما تخالف دليلاً يوجب العمل ظاهراً فهى بدعة وضلال وليس بكفر . " رسائل ابن عابدين "(١) .

والقول الثانى الذى ذكره فى " المحيط " هو ما قدمناه عـن " شرح الإختيار " و" شرح العقائد "، ويمكن التوفيق بينه وبين ما حكاه ابن المنذر بأن المراد الذين كفروا من خالف ببدعته دليلاً قطعياً الخ . " رسائل ابن عابدين " (٢) .

وفى النسخة الحاضرة من " البناية " من باب البغاة ، وفى" المحيط" فى تكفير أهل البدع كلام ، فبعض العلماء لايكفرون أحداً منهم، وبعضهم يكفرون البعض، وهو أن كل بدعة تخالف دليلاً " قطعياً " فهى كفر ، وكل بدعة لاتخالف دليلاً قطعياً يوجب العلم، فهو بدعة ضلالة ، وعليه اعتمد أهل السنة والجماعة اهـ . وماتكلم " عليه فى " فتح القدير" ـــ ويريد فى غير الضروريات، واقتصر عليه ابن عابدين ـــ فقد تردد فيه المحقق من إمامة " الفتح " . نبه على ذلك فى " فواتح الرحموت " فليس ما فى" المحيط" مما يلفظ ويرمى ، كيف؟ وقد ذكر أنـه قول أكثر أهل السنة ، واستدرك عليه أيضاً ابن عابدين من البغاة ، وإذا لم يكن اختلاف فى إنكار الضروريات، كما صرح به فى " التحرير" وحمل التكفير بإنكار القطعيات الغير الضرورية على ما إذا علم المنكر قطعيتها ، أوذكر لـه أهل العلم فلج ، كما صرح به فى"المسايرة" (٣) لم يبق هناك بحث . "وفى البدائع" (٤) ـــ من أجل كتب أصحابنا ـــ : وإمامة صاحب الهوى والبدعة مكروهة،

---

(١) ص ـــ ٣٦٠ (٢) ص ـــ ٢٦٢

(٣) ص ـــ ٢٠٨ (٤) ص ـــ ١٥٧

نص عليه أبو يوسف فى " الأمالى" فقال: أكره أن يكون الإمام صاحب هوى وبدعة، لأن الناس لايرغبون فى الصلاة خلفه هل تجوز الصلاة خلفه؟ قال بعض مشائخنا: إن الصلاة خلف المبتدع لاتجوز، وذكر فى " المنتقى" رواية عن أبى حنيفة: أنه كان لايرى الصلاة خلف المبتدع . والصحيح أنه إن كان هوى يكفره لاتجوز ، وإن كان لايكفره تجوز مع الكرهة اه . وهذا " المنتقى " هوالذى نسب إليه فى " المسايرة" مسألة عدم إكفار أهل القبلة ، ففسر بعض كلامه بعضه ، وفصل كذلك فى الشهادة ، ونص فى " الخلاصة " أنه صرح به فى " الأصل " ، وكذا نقله عنها صاحب " البحر " . ويراجع ما ذكره فى " الفتح " من حيلة تحليل المطلقة ثلاثاً .

والتأويل فى ضروريات الدين لا يدفع الكفر. "علامة عبد الحكيم سيالكوتى" على " الخيالى" ، وهو كذلك فى " الخيالى" :

وچون اين فرقه مبتدعه اهل قبله اند در تكفير آنها جرات نبايد نمود تا زمانيكه انكار ضروريات دينيه ننمايند، ورد متواترات احكام شرعيه نكنند، و قبول ما علم مجيئه من الدين بالضرورة نكنند. "مكتوبات امام ربانى" (١) .

وجعل فى "الفتوحات" (٢) التأويل الفاسد كالكفر ، فراجعها من الباب التاسع والثمانين ومائتين .

والقول الموجب للكفر إنكار مجمع عليه ، فيه نص ، ولافرق بين أن يصدر عن اعتقاد أو عناد . " كليات أبى البقاء" من لفظ " الكفر".

قال الكمال : والصحيح أن لازم المذهب ليس بمذهب، وإنه لاكفر بمجرد اللزوم لأن اللزوم غير الالتزام . وقد وقع فى " المواقف" ما يقتضى

---

(١) ص — ٣٨ ج — ٣ وص — ٩٠ ج — ٨

(٢) ص — ٨٥٧ ج — ٢

تقييده بما إذا لم يعلم ذو المذهب اللزوم ، وبأن اللازم كفر ، فإنه قال : من يلزمه الكفر ، ولايعلم به يصير بكافر الخ . ومفهومه ان علمه كفر لإلتزامه إياه . والله أعلم انتهى . " يواقيت " للشعرانى .

وفى " الكليات " : ولزوم الكفر المعلوم كفر ، لأن اللزوم إذا كان بيناً فهو فى حكم الالتزام لااللزوم مع عدم العلم به اه .

قلت : وليس فى عبارة " المواقف" التقييد بأن يعلم أن اللازم كفر ، إنما فيه أن يعلم اللزوم فقط. لأن الكفر هو جحد الضروريات من الدين أو تأويلها . ("إيثار الحق على الخلق" للمحقق الشهير الحافظ محمد بن ابراهيم الوزير اليمانى (١).

أيضاً : على أنه يرد عليهم أن الاستحلال بالتأويل قد يكون أشد من التعمد مع الاعتراف بالتحريم ، وذلك حيث يكون المستحل بالتأويل معلوم التحريم بالضرورة ، كترك الصلاة ، فإن من تركها متأولاً كفرناه بالإجماع ، وإن كان عامداً معترفاً ، ففيــه الخلاف ، فكان التأويل ههنا أشد تحريماً (٢) .

أيضاً : وتارة لما لا يمكن تأويله إلا بتعسف شابه تأويل القرامطة ، وربما استلزم بعض التأويل بمخالفة الضرورة الدينية ، وهم لا يعلمون ولا يؤمن الكفر فى هذا المقام فى معلوم الله تعالى ، وأحكام الآخرة وإن لم نعلمه نحن (٣) .

---

(١) ص ــ ٢٤١ (٢) ايثار الحق ص ــ ٤٣٠

(٣) ايثارالحق ص ــ ١٢١

أيضاً : وكذلك انعقد إجماعهم على أن مخالفة السمع الضرورى كفر، وخروج عن الإسلام . (١)

أيضاً : وثبت أن الإسلام متبع لامخترع ، ولذلك كفر من أنكر شيئاً من أركانه ، لأنها معلومـة ضرورة ، فأولى وأحرى أن لا يجئ الشرع بالباطل منطوقاً متكرراً من غير تنبيه على ذلك ، لاسيما إذا كان ذلك الذى سموه باطلاً هو المعروف فى جميع آيات كتاب الله وجميع كتب الله ، ولم يأت ما يناقضه فى كتاب الله حتى ينبه على وجوه التأويل والجمع (٢) .

أيضاً : وأفحش ذلك وأشهره مذهب القرامطة الباطنية فى تأويل الأسماء الحسنى كلها ، ونفيها عن الله على سبيل التنزية له عنها ، وتحقيق التوحيد بذلك ؛ ودعوى أن إطلاقها عليه يقتضى التشبيه ، وقد غلوا فى ذلك وبالغوا ، حتى قالوا : إنه لا يقال أنه موجود ولا معدوم ، بل قالوا أنه لا يعبر عنه بالحروف ، وقد جعلوا تأويلها أن المراد بها كلها إمام الزمان عندهم ، وهو عندهم المسمى الله ، والمراد بلا إله إلا الله ، وقد تواتر هذا عندهم ، وأنا ممن وقف عليه فيما لا يحصى من كتبهم التى فى أيديهم و خزائنهم ومعاقلهم التى دخلت عليهم عنوة أو فتحت بعد طول محاصرة ، وأخذ بعضها عليهم من بعض الطرقات ، وقد هربوا به ووجد بعضها فى مواضع خفية قد أخفوه فيها ، فكما أن كل مسلم يعلم أن هذا كفر صريح ، وإنه ليس من التأويل المسمى بحذف المضاف المذكور فى قوله تعالى : (واسئل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها) أى أهل القرية ، و

---

(١) ايثار الحق ص ـ ١٢١

(٢) ايثار الحق ص ـ ١٣٨

وأهل العير ، وإنما علم هذا كل مسلم تطول صحبته لأهل الإسلام ، وسماع أخبارهم ، والباطنى الناشئ بين الباطنية لا يعلم مثل هذا ؛ فكذلك المحدث الذى قد طالت مطالعته للآثار قد يعلم فى تأويل بعض المتكلمين ، مثل هذا العلم ، وإن كان المتكلم لبعده عن أخبار الرسول ﷺ وأحواله وأحوال السلف قد بعد عن علم المحدث ، كما بعد الباطنى عن علم المسلم ، فالمتكلم يرى أن التأويل ممكن بالنظر إلى وضع علماء الأدب فى شروط المجاز ، وذلك صحيح ، ولكن مع المحدث من العلم الضرورى بأن السلف ما تأولوا ذلك مثل ما مع المتكلم من العلم الضرورى بأن السلف ما تأولوا الأسماء الحسنى بإمام الزمان ، وإن كان مجاز الحذف الذى تأولت به الباطنية صحيحاً فى اللغة عند الجميع ، لكن له موضع مخصوص ، وهم وضعوه فى غير موضعه . (١)

أيضاً : وأما التفسير ، فما كان من المعلومات بالضرورة من أركان الإسلام وأسماء الله تعالى منعنا من تفسيره ، لأنه جلى صحيح المعنى ، وإنما يفسره من يريد تحريفه ، كالباطنية الملاحدة ، وما لم يكن معلوماً ودخلته الدقة والغموض ، فإن دخله بعد ذلك الخطر وخوف الإثم فى الخطأ ، فما يتعلق بالعقائد تركنا العبارات المبتدعة وسلكنا طريق الوقف و الاحتياط ، إذ لا عمل يوجب معرفة معناه المعين ، وإن لم يدخل فيه الخطر عملنا فيه بالظن المعتبر المجمع على وجوب العمل به أو جوازه والله الهادى (٢) .

أيضاً : وثانيهما إجماع الأمـــة على تكفير من خالف الدين المعلوم

---

(١) ايثار الحق على الخلق للوزير اليانى

(٢) ايثار الحق ص ــ ١٥٥

بالضرورة ، والحكم بردته إن كان قد دخل فيه قبل خروجه منه ، ولو كان الدين مستنبطاً بالنظر لم يكن جاحده كافراً ، فثبت أن رسول الله ﷺ قد جاء بالدين القيم تاماً كاملاً ، وإنه ليس لأحد أن يستدرك عليه ويكمل له دينه من بعده . (٢) .

أيضاً : واعلم أن أصل الكفر هو التكذيب المتعمد لشئ من كتب الله تعالى المعلومة ، أو لأحد من رسله عليه السلام ، أو لشئ مما جاءوا به ، إذا كان ذلك الأمر المكذب به معلوماً بالضرورة من الدين ، ولا خلاف أن هذا القدر كفر ، ومن صدر عنه فهو كافر إذا كان مكلفاً مختاراً غير مختل العقل ولا مكره ، وكذلك لا خلاف فى كفر من جحد ذلك المعلوم بالضرورة الجميع ، وتستر بالتأويل فيما لا يمكن تأويلـه كالملاحدة . (٣) .

وعبارات لهذا المحقق فى كتابه " القواصم والعواصم" ألتقطتها ، وهى هذه :

مسألة التكفير من أواخر الجزء الأول : "الفصل الثالث الإشارة إلى حجة من كفر هؤلاء وما يرد عليها " . ولعله تحت الوهم الخامس عشر، وقد ذكر من كتاب " الأسماء والصفات " للبيهقى عن الخطابى فيه شيئاً نافعاً يفسر ما فى " معالم السنن" له .

وعن " الأسماء والصفات " معنى محواسم عزير عليه السلام من ديوان الأنبياء ، وإن كان نبياً حين الخ . فى مسألة القدر .

وفى أوائل الجزء الثالث : " الدليل الثانى وهو المعتمد أن كثرة هذه

---

(٢) ايثار الحق ص ١١٦ (٤) ايثار الحق ص ـــ ٤١٥

النصوص وترداد تلاوتها بين السلف من غير سماع تأويل لها ، ولا تحذير جاهل من اعتقاد ظاهرها ، ولا تنبيه على ذلك حتى انقضى عصر النبوة والصحابة يقضى بالضرورة العادية أنها غير متأولة ، وإلى هذا الوجه أشار فى قوله تعالى : (ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين) ويا لها من حجة قاطعة للمبتدعة لمن تأملها فى هذا الموضع ، وفى الكلام فى الصفات وفى ذلك ! لأنه لا يجوز فى العادة أن يمضى الدهر الطويل على إظهار ما رجح المعتزلة ، وله تأويل حسن فلا يذكر تأويله ألبتة ، وسواء كان ذكره واجباً أو مباحاً ".

وقد ذكر الرازى بحثاً طويلاً فى اللغات من كتاب " المحصول " فى المنع من إفادة السمع القطع بسبب ما يعرض من الألفاظ المفردة ، ثم تراكيبها من الاحتمالات التى وردت بها اللغة ، مثل الاشتراك ، والمجاز ، والحذف ، ونحوها ، وذكر أنه لا دليل على عدمها إلا عدم الوجدان بعد الطلب ، وإنه دليل ظنى ، وذكر كثرة الاختلاف فى المحذوف فى بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم أجاب ما محصوله : أن المعول عليه فى مواضع القطع فى الكتاب والسنة هو القرائن التى يضطر إلى قصد المتكلم مع تواتر معانى الألفاظ فى المواضع اللفظية القطعية . وكلامه هذا يدل على معنى ما ذكرت فى معانى آيات المشيئة ، ولولا ذلك لتمكنت الملاحدة وأعداء الإسلام من التشويش على المسلمين أجمعين فى كثير من عقائدهم السمعية القطعية ، ويؤيد هذا قول بعض المعتزلة المحققين أن كل قطعى سمعى فهو ضرورى ، وله وجه وجيه ليس هذا موضع ذكره .

وفى أواسط هذا الجزء :

" الوجه الثانى : وهو المعتمد أن التكفير سمعى قطعى عند المعتزلة ،

و الصحيح أن كل قطعى من الشرع فهو ضرورى " .

وبعد أوراق كثيرة من هذا المبحث قال :

" الوجه السادس : أن السمع قد دل على قدرة الله تعالى على هداية الخلق أجمعين دلالةً ضروريةً ، أو قطعيةً يتعذر تأويلها لوجهين : أحدهما ما تقدم من المنع تأويل آيات المشيئة وأمثالها مما شاع مع الخاصة والعامة فى عصر النبوة و الصحابة ، وانقضى ذلك العصر الذى هو عصر الهدى المجمع عليه ، و البيان لمهات الدين و لم يذكر لها تأويل ألبتة ، ولا حذر من اعتقاد ظاهـــره ، فإن العادة تقضى بـذلك وإن لم يكن واجباً لما مر تقريره " .

ولعل الوجه الوجيه الذى ذكره هو ما فى أواخر الجزء الأول حيث قال :

" واعلم أن القطع لابد أن يكون من جهة ثبوت النص الشرعى فى نفسه و من جهة وضوح معناه ، فأما ثبوته فلا طـريق إليه إلا التواتر الضرورى ، كما تقدم ، وأما وضوح معناه ، فهل يمكن أن يكون قطعياً ، ولا يكـون ضرورياً فى كلام كثير من الأصوليين ما يقتضى تجـويز ذلك ، وفى كلام بعضهم ما يمنع ذلك وهو القوى عندى ، لأن القطع على معنى النص من قبيل النقل عن أهل اللغة ، إنهم يعنون باللفظ المعين معناه المعين دون غيره ، وهذه طريقة النقل لا النظر ، وما كان طريقه النقل لا النظر لم يدخله القطع الاستدلالى ، وإنما يكون من قبيل المتواترات وهى ضرورية " .

وفى أواخر الجزء الثانى :

" إن تعليل فاعلية الرب سبحانه و تعالى يوقف على نصوص القرآن المعلومة المعنى مع القرائن اللفظية على عدم تأويلها ، بل ذلك معلوم من

ضرورة الدين وإجماع المسلمين ، ومن تلك القرائن المفيدة للعلم استمرار تلاوتها من غير تنبيه على قبح الظاهر " .

وقد أورد الرازى هذا السؤال فى باب اللغات فى "محصوله" مهذباً مطولاً ، وأجاب عنه بما معناه : أن العلم بالمقاصد يكون مع القرائن ضرورياً ، فإنا نعلم مراد الله سبحانه بالسماوات والأرض ضرورة لالكون لفظ السماء موضوعاً لمسماه لدخول الاشتراك والمجاز والاضمار فى الأوضاع اللغوية .

وفى أواسط الجزء الآخر :

" وذلك جلى لمن يعرف شروط القطع ، وهو فى النقليات التواتر الضرورى فى النقل ، والتجلى الضرورى فى المعنى " .

وأما القطع بتحريم تأويلها بل بأنها على ظاهرها ، فذلك لتواتر اشتهارها فى زمن رسول الله ﷺ والصحابة ، والعلم بتقريرهم لها على ظاهرها ، والعادة الضرورية تمنع من عدم ذكر التأويل الحق من جميعهم فى جميع تلك الأعصار لو كان هناك تأويل كما مربيانه .

وفى أواسط الجزء الثالث من نصوص الإيمان بالقدر :

" والثانى دعوى العلم الضرورى لمن بحث عن أحوال السلف أنهم كانوا لايتأولون شيئاً من ذلك " .

وفى أوائل الجزء الأول :

" على أن فى القطعيات ما يختلف العلماء هل هو قطعى كما فى القياس الجلى والتأثيم بــه والتفسيق والتكفير ، على أن ابن الحاجب وغيره من المحققين منعوا من وجود القطعى الشرعى غير الضرورى ، وحكموا بأنه

لا واسطة بين الظن والضرورة فى فهم المعانى ، كما إنه لا واسطة بينهما فى تواتر الألفاظ بالإتفاق " .

وفى موضع آخر :

" والظاهر من علماء الأصول أنهم لا يثبتون القطعيات إلا فى الأدلة العلمية المفيدة لليقين " .

وفى أواخره :

" وقد ذكر غير واحد من المحققين أن الأدلة القطعية متى كانت شرعيه لم تكن إلا ضرورية " .

قلت : وقد قال فى "الإتحاف" (١) عن ابن البياضى الحنفى عن الماتريدية : " والدليل النقلى يفيد اليقين عند توارد الأدلة على معنى واحد بطرق متعددة وقرائن منضمة ، واختاره صاحب " الأبكار والمقاصد " و كثير من المتقدمين" اهـ . أى منهم . وراجع "التوضيح". ويريد ابن الحاجب بالضرورى ما ينقدح فى النفس حدساً واضطراراً ، لا ما يشترك فى معرفته الخواص والعوام ، كما أريد به ذلك فى تعريف ضروريات الدين ، ولا يريد أيضاً أن الدليل اللفظى لا يفيد القطع ، فإنه اختلاف آخر بين آخرين . قال :

" القول الثالث مذهب الأكثرين من الأئمة وجماهير علماء الأمة وهو التفصيل ، والقول بأن التأويل فى القطعيات لا يمنع الكفر " .

. ومن بحث التكفير : " إن الكفر هو تكذيب النبى ﷺ إما بالتصريح ، أو بما يستلزمه استلزاماً ضرورياً لا استدلالياً " .

---

(١) ص — ١٣ ج — ٢

و العلم الضرورى يقتضى فى كل ماشاع مثل هذا فى أعصارهم ، و لم يذكر أحد منهم له تأويلاً أنه على ظاهره .

فتأمل هذه القاعدة التى ذكرتها لك فيما استفاض على عهد رسول الله ﷺ استفاضة متواترة ولم يذكر له ألبتة تأويل وإجماع الصحابة على وصف الله تعالى بأنه متكلم ، وله كلام من غير اشعار بتأويل ، فجهروا بتكفير من قال ذلك إما لاعتقادهم أنه مكذب لهذه الآيات ، أوإن كلامه يؤول إلى التكذيب .

امتنع من وصف القرآن بالحدوث من لم يصفه بالقدم ، كأحمد بن حنبل ، والجمهور على ما نقله الذهبى عنهم ، وعن أحمد فى ترجمة أحمد من النبلاء،وكذا نقل هناك عن قدماء أهل السنة أنهم لم يصفوا القرآن بأنه قديم ، كما لم يصفوه بأنه مخلوق ، واختار ذلك لنفسه .

لما تقدم من اشتراط القطع فى التكفير عند المعتزلة والشيعة وطوائف من الأمة ، وهو كذلك فى حق من أراد القطع بالكفر ، فإن قيل له أنه ينزل عن هذه المرتبة إلى مرتبة الظن الراجح إلى السمع الواضح ، والعمل بالظن لا يمتنع إلا بقاطع الخ .

ولم يرد القران بأنه كله متشابه ، وإنما ورد بأن منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأين الآيات المحكمات الواردات بهذا التعطيل من الجهات حتى يرد إليها سائر آيات كتاب الله تعالى ، وأحاديث رسول الله ﷺ ، والعقول السليمة تحيل خلو الكتب السماوية والأحاديث النبوية من النطق بالصواب ، الذى يرد إليه كثير من متشابهات الكتاب ، وإلى استحالة ذلك أشار فى قوله تعالى : (ائتونى بكتاب من قبل هذا أوأثارة من علم إن كنتم صادقين) ويالها من آية قاطعة للمبطلين لمن تأملها فى كل موضع .

لو كان هو المقصود لوجد الصواب ، ولو مرة واحدة ، حتى يرد المتشابه إليه كما وعد به التنزيل .

وفى أواسط الجزء الثالث من قسم ما يـدل على وجوب الإيمان بالقدر بعد الحديث الثانى والسبعين :

" قلت : والضابط فى التكفير أن من ردّ ما يعلم ضرورة من الدين فهو كافر ، وفى هذا بعض إجمال ، والتحقيق أن من علمنا ضرورة أنه رد ما يعلم ضرورة من الدين ، وعلمنا بالضرورة أنه يعلمه ضرورة ، فلا شك فى كفره ، وأما من ظننا أنه يجهل من الـدين ما نعلمه نحن ضرورة ، فهذا موضع كثر فيه الإختلاف ، والأولى عدم التكفير ، وقد مر تحقيق ذلك فى آخر مسألة الصفات " .

أقول : ومن دافع أمراً ضرورياً من الدين ولم يقبله ، وقـد بلغ ذلك فهو كافر ، كما أشار إليه البخارى فى "صحيحه" ، وإن كان عدد المبلغ لم يبلغ حد التواتر ، ولم يكن جحود غير المتواتر كفراً ، لكن ذلك المدافع يعامل معاملة الكفار ، وكذلك كان العمل عليه فى عهد النبوة فى إقامة الحجة ، وإن تعلل بأنه تردد فيه لخبر الواحد فأمر ينظر فيه ، وإلا فتقسيم الكفر إلى كفر عناد وجهل يفوض ذلك إلى الآخرة ، كما أن من نشأ على الكفر نحكم بكفره ؛ وإن كان جهلاً لا جحوداً ، فكذا ههنا فاعلمه .

فإن من يقبل بعض متواترات الشريعة فهو فى حقنا و بالإعتبار إلينا كمن لم يدخل فى الإسلام ، وإن لم يكن ذلك عن عناد ، وصار كمن دعاه نبي واحد إلى الإيمان فلم يدخل فيه ، وبقى على كفره الأصلى

لا عن عناد منه .

(فالكفر بعدم الإيمان بمتواترات الشرع وخلوه عنه جهلاً كان أو جحوداً وعناداً ، وقد ذكر فى "الإتحاف" (١): إن التكذيب لأمر البعثة وبلوغ الدعوة قبيح عقلاً ، فهو داخل تحته لا تحت القبح الشرعى ، وهو حسن جداً ، وشئ مفيد فى "المسايرة" من الحسن والقبح العقليين من دفع إفحام الأنبياء لو لم يكونا ، وشئ منه فى الأصل العاشر من الركن الأول (٢) .

وقال ابن القيم : المجاز والتأويل لا يدخل فى المنصوص ، وإنما يدخل فى الظاهر المحتمل له ، وههنا نكتة ينبغى التفطن لها ، وهى أن كون اللفظ نصاً يعرف بشيئين ، أحدهما : عدم احتماله لغير معناه وضعاً ، كالعشرة . والثانى : ما اطرد استعماله على طريقة واحدة فى جميع موارده فإنه نص فى معناه ، لا يقبل تأويلاً ولا مجازاً ، وإن قدر تطرق ذلك إلى بعض أفراده ، وصار هذا بمنزلة الخبر المتواتر لا يتطرق إحتمال الكذب إليه ، وإن تطرق إلى كل واحد من أفراده بمفرده . وهذه عصمة نافعة تدلك على خطأ كثير من التأويلات فى السمعيات التى اطرد استعمالها فى ظاهرها وتأويلها ، والحالة هذه غلط ، فإن التأويل إنما يكون لظاهر قد ورد شاذاً مخالفاً لغيره من السمعيات ، فيحتاج إلى

---

(١) ص — ١٢ ج — ٢

(٢) وفى شرح "الإحياء" عن العلامة ابن البياضى أن الحسن والقبح فى عشرة أشياء ذكرها عقلى منها هذه المسالة ونحوها عن الماتريدية وكثير من الأشعرية . منه .

تأويله ليوافقها ، فأما إذا اطردت كلها على وتيرة واحدة صارت بمنزلة النص وأقوى ، وتأويلها ممتنع ، فتأمل هذا . "بدائع الفوائد" (١) .

وهذا يجرى فى نحو لفظ " التوفى " فى عيسى عليه السلام أنه الإستيفاء لا الإماتة، فإن كل ما ورد فى حاله فى القرآن والحديث اطرد فى حياته .

قال حبيب بن الربيع : لأن ادعاءه التأويل فى لفظ صراح لا يقبل —"شرح شفاء"(٢) — فى من قال: فعل الله برسول الله كذا وكذا . وقال: أردت به العقرب — والعياذ بالله — وأقره الحافظ ابن تيمية بعينه فى " الصارم المسلول " (٣) .

فعلم أن التأويل كما لا يقبل فى ضروريات الدين كذلك لا يقبل فى ما يظهر أنه احتيال فى كلام الناس ، وتمحل غير واقعى ؛ وقد كان الأئمة رحمهم الله يعتبرون إرادة التأويل وقصده ، فجاء المتسللون فاعتبروا ايجاده ، ففى " جامع الفصولين " : وعن مالك رحمه الله أنه سئل عن من أراد أن يضرب أحداً ؟ فقيل له : ألا تخاف الله تعالى ؟ فقال : لا ، قال : لا يكفر ، إذ يمكنه أن يقول : التقوى فيما أفعل له ، ولو قيل له ذلك فى معصيته ، فقال : لا أخافه يكفر ، إذ لا يمكنه ذلك التأويل اه . ونحوه فى " الخانية " فى قصة شداد بن حكيم مع زوجته ، وذكرها فى " طبقات الحنفية " من شداد عن محمد رحمه الله أيضاً ، وهو أولى بالاعتبار مما ذكره من اعتبار مجرد الامكان ، فإنه لا حجر

---

(١) وأيضاً فى ص - ٥ ج - ١ من " البدائع والفوائد " فى الفرق بين الرواية والشهادة . منه .

(٢) ص — ٣٧٨ ج — ٤ (٣) ص — ٥٢٩

فيه ، وقالوا فى الإكراه على كلمة الكفر : إن خطر بباله التورية ولم يور كفر ، فاعتبروا القصد وإرادة التأويل فى حقه ، وإلا فالتمحل لا يعجز عنه أحد ، ففى " الميزان " (١) بإسناد قوى : فوالله إن المؤمن ليجادل بالقرآن فيغلب ، وإن المنافق ليجادل بالقرآن فيغلب ، ألا ذكره من ترجمة الحكم بن نافع .

ولذا قال ابن حجر بعد سياق كلام المصنف : وما ذكره ظاهر موافق لقواعد مذهبنا ، إذ المدار فى الحكم بالكفر على الظواهر ، ولانظر للمقصود ، والنيات ، ولانظر لقرائن حاله ، نعم يعذر مدعى الجهل إن اعتذر لقرب عهده بالإسلام أو بعـده عن العلماء ، كما يعلم من كلام " الروضة " انتهى . " خفاجى " شرح " شفاء " (٢) . أى فيما أتى بالسب لقلة مراقبة ، وضبط للسانه ، وتهور فى كلامه ، ولم يقصد السب .

فإن قيل : كيف تأولت أمر الطائفة التى منعت الزكاة على الوجه الذى ذهبت إليه ، وجعلتهم أهل بغى ؟ وهل إذا أنكرت طائفة من المسلمين فى زماننا فرض الزكاة ، وامتنعوا من أدائها ، يكون حكمهم حكم أهل البغى ؟

قلنا : لا فإن من أنكر فرض الزكاة فى هـذه الأزمان كان كافراً بإجماع المسلمين ؛ والفرق بين هؤلاء وأولئك أنهم إنما عذروا لأسباب وأمور لا يحدث مثلها فى هذا الزمان .

منها : قرب العهد بزمان الشريعة الذى كان يقع فيه تبديل الأحكام بالنسخ .

---

(١) ص ــ ٢٧٢ ج ــ ١ (٢) ص ٤٢٦ ج ــ ٤

ومنها : أن القوم كانوا جهالاً بأمور الدين ، وكان عهدهم بالإسلام قريباً ، فدخلتهم الشبهة ، فعذروا ، فأما اليوم فقد شاع دين الإسلام ، واستفاض فى المسلمين علم وجوب الزكاة ، حتى عرفها الخاص والعام ، واشترك فيه العالم والجاهل ، فلا يعذر أحد بتأويل يتأوله فى إنكارها ، وكذلك الأمر فى كل من أنكر شيئاً مما أجمعت الأمة عليه من أمور الدين ، إذا كان علمه منتشراً ، كالصلوات الخمس ، وصوم شهر رمضان ، والاغتسال من الجنابة ، وتحريم الزنا والخمر ، ونكاح ذوات المحارم ونحوها من الأحكام إلا أن يكون رجلاً حديث عهد بالإسلام ، ولا يعرف حدوده ، فإنه إذا أنكر منها شيئاً جهلاً به لم يكفر ، وكان سبيله سبيل أولئك القوم فى بقاء اسم الدين عليه ، فأما ما كان الإجماع فيه معلوماً من طريق اسم الخاصة ، كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها ، وإن القاتل عمداً لا يرث ، وإن للجدة السدس ، وما أشبه ذلك من الأحكام ، فإن من أنكرها لا يكفر بل يعذر فيها لعدم استفاضة علمها فى العامة . " نووى شرح المسلم " عن الخطابى (١) وهناك عبارة أخرى للخطابى مرت عن " اليواقيت " .

قلت : هذا ظاهر فى أن التأويل فى ضروريات الدين لايدفع القتل ، بل لايدفع الكفر أيضاً إذا استتيب فلم يتب ، وأما الإشكال الذى ذكره من أنهم إن جحدوا الزكاة فهم أهل ردة ، وقد تردد فى قتالهم عمر رضي الله عنه فلعل الوجه فيه أنهم منعوا الزكاة ، وأرادوا نصب الرؤساء فى إحياءهم ، لم يطيعوا لأبى بكر رضي الله عنه فكانوا أهل بغى بهذا القدر ، وهذا هو الذى جعل

---

(١) ص — ٣٩

عمر رضي الله عنه غرضهم، ثم إنهم كانوا يأولون أيضاً فى منع الزكاة تأويلات تبرعاً، وجعلهم أبوبكر رضي الله عنه مرتدين بهذا والله أعلم (١) . فكان اختلاف الشيخين فى غرض مانعى الزكاة ، وفى ما دعاهم إلى المنع جعل عمر السبب الأصلى بغيهم، ومنعوا الزكاة له، وجعله أبوبكر الردة ، فالخلاف فى تحقيق الواقعة والكشف عنها، ولو تحقق عند عمر رضي الله عنه أنهم أنكروا الزكاة رأساً لكفرهم هو أيضاً، ولم يتردد أصلاً ، ثم رأيت الإمام الحافظ جمال الدين الزيلعى رحمه الله تعالى صرح فى "تخريج الهداية" من الجزية بمثله . وينبغى أن يراجع ما فى "منهاج السنة" أيضاً (٢) وما فى "الكنز" من قتاله رضي الله عنه مع أهل الردة ، ففيه أن عمر رضي الله عنه جعلهم مرتدين ، ولكن لم ير للمسلمين قوة عليهم . وفى "الرياض" للمحب الطبرى عن عمر رضي الله عنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب ، وقالوا: لانؤدى زكاة ، فقال أبوبكر رضي الله عنه: " لومنعونى عقالاً لجاهدتهم عليه، فقلت : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس وارفق بهم . فقال : لى إجبار فى الجاهلية ، وخوار فى الإسلام، أنه قد انقطع الوحى ، وتم الدين ، أو ينقص وأنا حى". أخرجه النسائى

(١) كما فى "المستدرك" ص — ٣٠٣ ج — ٢ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لأن أكون سألت رسول الله عن ثلاث أحب إلى من حمر النعم ، من الخليفة بعده ، وعن قوم قالوا : نقر بزكاة فى أموالنا ، ولا نؤديها إليك ، أيحل قتالهم ، وعن الكلالة . هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، و لم يخرجاه ولما زعموا أن الزكاة جباية كما يجبى السلطان من الرعايا جبايات من جهات ، فكانت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى عهده ، وإذا ولينا نحن ولاة منا فقد سقطت وبقيت كسائر الجبايات على رأى الوالى. منه.

(٢) فى ص — ٢٣١ ج — ٣ وص — ٢٣٣ ج — ٢

بهذا اللفظ اه ففيه عذر التأليف . وتكلم ابن حزم أيضاً فى " ملله " عليه (١) وعدد النيسابورى فى " تفسيره " (٢). فرقهم ، وفى " عمدة القارى "(٣) بعد ما ذكر رواية مرفوعة فى قتل مانع الزكاة عن "الإكليل" عن حكيم ابن عباد بن حنيف أحد رواتها ، (ما أرى أبا بكر إلا أنه لم يقاتلهم متأولاً إنما قاتلهم بالنص اه) . وقال: إلا بحق الإسلام من قتل النفس المحرمة، وترك الصلاة، ومنع الزكاة بتأويل باطل ونحو ذلك اه . وحرره أبوبكر الرازى فى " أحكام القرآن " (٤) أيضاً ، ورواية أخرى فى " الكنز " (٥) أيضاً وذكرها فى " الفتح " (٦) . وعن عمر رضي الله عنه نفسه ما فى " الكنز " (٧) هذا والله أعلم بالصواب. والله ليوم وليلة لأبى بكر رضي الله عنه ، خير من عمر عمر رضي الله عنه ومن آل عمر رضي الله عنه (فذكر ليلة الغار إلى أن قال) : وأما اليوم فذكر قتاله لمن ارتد . " الصلات والبشر فى الصلاة على خير البشر" لصاحب " القاموس" من النسخة المكتوبة .

ومن اجماعيات الصحابة رضى الله عنهم

ما عند الطحاوى فى "معانى الآثار" وبعض طرقه الأخر فى "فتح البارى" من حد الخمر (٨) عن على رضي الله عنه قال: شرب نفر من أهل الشام الخمر ،

---

(١) ص — ٧٩ ج — ٢ (٢) ص — ١٤٠ ج — ٦
(٣) ص — ٢٧٣ ج — ٤ (٤) ص — ٨٢ ج — ٣
(٥) ص — ١٢٨ ج — ٣ (٦) ص — ١٧٠ ج — ١٣
(٧) ص — ٣١٣ ج — ٦ وص — ٨٠ ج — ١
(٨) إن أول ما يكفأ الإسلام كما يكفأ الإناء كفأ الخمر ، قيل: وكيف

وعليهم يومئذ يزيد بن أبى سفيان ، وقالوا هى حلال ، وتأولوا : (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية) فكتب فيهم إلى عمر رضي الله عنه فكتب عمر رضي الله عنه أن أبعث بهم إلى قبل أن يفسدوا من قبلك ، فلما قدموا على عمر رضي الله عنه استشار فيهم الناس ، فقالوا : يا أمير المؤمنين! نرى أنهم قد كذبوا على الله ، وشرعوا فى دينهم ما لم يأذن به الله ، فاضرب أعناقهم ، وعلى رضي الله عنه ساكت، فقال : ما تقول يا أباالحسن فيهم؟ قال : أرى أن تستتيبهم، فإن تابوا ضربتهم ثمانين ثمانين لشربهم الخمر ، وإن لم يتوبوا ضربت أعناقهم ، قد كذبوا على الله وشرعوا فى دينهم ما لم يأذن به الله ؛ فاستتابهم فتابوا ، فضربهم ثمانين ثمانين . " طحاوى " (١) و" فتح البارى " (٢) و" كنز العمال " .

قال فى "الصارم المسلول"(٣) : حتى أجمع رأى عمر وأهل الشورى أن يستتاب هو وأصحابه، فإن أقروا بالتحريم جلدوا، وإن لم يقروا به كفروا .

مع أن هذه الآية كانت نزلت فى من شربها ، ولكن قبل التحريم ، فكانت شبهتهم لهذا، ومع ذلك لم تعتبر ، وقد ذكره فى " تحريرالأصول" مى تقسيم الجهل ؛ وذكره أبوبكر الرازى فى" أحكام القرآن " (٤) محرراً .

وعن أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة ينشد بين يديه :

ذاك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : يسمونها بغير اسمها فيستحلونها . " فتح" ص ــ ٤٥ ج ــ ١٠ .

(١) ص ــ ٨٩ ج ــ ٢ (٢) ص ــ ٦٠ ج ــ ١٢

(٣) ص ــ ٥٣٣ . (٤) ص ــ ٥٦٧ ج ــ ٢

خلوا بنى الكفار عن سبيله   قد أنزل الرحمان فى تنزيله
بأن خير القتل فى سبيله   نحن قتلناكم على تأويله
كما قتلناكم على تنزيله

أخرجه أبو يعلى من طريقه (أى من طريق عبد الرزاق) " فتح الباری " .

قال: نحن ضربناكم على تأويله ، أى حتى تذعنوا إلى ذلك التأويل ويجوز أن يكون التقدير : نحن ضربناكم على تأويل ما فهمنا منه ، حتى تدخلوا فيما دخلنا فيه قال : وصحيح الرواية:

نحن ضربناكم على تأويله   كما ضربناكم على تنزيله

يشير بكل منهما إلى ما مضى ، قال : وقد صححه ابن حبان من الوجهين ، قال : مع أن الوجه الأول على شرطهما الخ . قلت : فهذا فى حكم النص والإجماع أنه يقاتل ويضرب على قبول تأويل القرآن ، أى ما آل إليه أمره فى المصداق عند السلف ، كما يقاتل ويضرب على قبول تنزيله ، وهذا المراد بالتأويل ، هو عرف السلف ، صرح بـه الحافظ ابن تيمية فى تصانيفه ، والخفاجى فى "شرح الشفاء" (١) . وراجع " أحكام القرآن " للجصاص (٢) .

---

(١) ص — ١٣٠ ج — ٣

(٢) ص — ٤٨٨ ج — ٢ مطبوع المرة الأولى . وقال فى ص — ٣٦ : ومن الناس من يجعلهم — أى أهل الأهواء الذين يكفرون بها — بمنزلة أهل الكتاب . وقال فى ص — ٤٤٥ ج — ٢ : ذكره عن الكرخى ، وأيده بما فى الزيادات . وقال فى ص — ٩٠ ج — ١ : وفى الآية دليل

وهو عرف القرآن العزيز ، كقوله تعالى : (يوم يأتى تأويله) ، وقول يوسف عليه السلام : (ذلك تأويل رؤياى) لا يريدون بالتأويل الصرف عن الظاهر ، والغرض أن من ترك تأويل السلف وهو التفسير فى عرف المتأخرين استحق ما يستحقه من ترك التنزيل بلا فرق . وفى " بدائع الحنفية " : أنه ﷺ كان قال لعلى رضي الله عنه : إنك تقاتل على التأويل كما تقاتل على التنزيل ، ولعله ﷺ أراد به قتال الخوارج ، وقد بوب عليه فى " مختصر مشكل الآثار " للطحاوى (١) ، فقال : باب قتال على رضي الله عنه أهل الأهواء ، وذكر هذا الحديث . وقد أخرجه النسائى فى خصائص على رضي الله عنه ، والحاكم فى " المستدرك " ، وقال : صحيح على

على أن من ظهر كفره نحو المشبهة ومن صرح بالجبر الخ . ولا يختلف فى ذلك حكم من فسق أو كفر بالتأويل أو برد النص الخ . مهم غاية من مثله فى الرتبة فى تكفير بعض المتأولين ، وكذلك فى ص — ٣٦ و٣٢ ج — ٢ ، : أنه لا يشترط الإنذار والتقدم بالقول فى بعض . وقد انعقد الإجماع العملى أنه لا يشترط فى تبليغ المتواتر عدد التواتر فى المبلغ ، بل إقامة الحجة كسائر المعاملات ، وقد ذكر الدعوة فى ص — ٢٨٢ ج — ٢ . وراجع " بدائع الفوائد " ص — ١٦٨ ج — ٤ ، وما ذكره فى " مختلف الحديث " ص ١٤٧ غير جيد . وما ذكره فى ص — ٨٠ جيد . وذكر فى ص — ٥٢ ج — ١ كفر من طرق إلى التلبيس فى أمر النبوة فى قسم من السحر ، وأنه مذهب الفقهاء ، وأنه عليه حديث تصديق الكاهن ، وهذا ينطبق على زنادقة اللاهور — يعنى الفرقة الأحمدية الباطلة — وقد بسطه . منه .

(١) ص — ٢٢١ ج — ١

شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره الذهبي فى "تلخيصه" (١) ولفظه عندهم : أن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، فاستشرف لها القوم ، وفيهم أبوبكر وعمر رضى الله عنهما . قال أبوبكر رضي الله عنه : أنا هو؟ قال لا ، قال عمر رضي الله عنه : أنا هو؟ قال لا ، ولكن خاصف النعل يعنى علياً رضي الله عنه الحديث . وهو يدل على المساوات فى الحكم فى إنكارهما ، وأخرجه أحمد فى "مسنده" (٢) .

فتمثل به عمار فى الصفين بنحو تمثل ، أو زعم أنهم المرادون به ، ثم تبين له أن ليس المراد به أهل صفين ، كما تدل عليه أقواله فيهم فى "منهاج السنة" ، بل المراد الخوارج .

وفى "مختصر مشكل الآثار" (٣) : ومما حقق الوعد ما كان من قتال على رضي الله عنه على الخوارج ، وقتله إياهم ، ووجودهم على الصفة التى وصفهم عليها النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا من الخصائص التى اختص الخلفاء بها ، فاختص أبو بكر رضي الله عنه أهل الردة ، وعمر رضي الله عنه بقتال العجم ، حتى فتح الله على يديه وأظهر به الدين ، وعلى بن أبى طالب رضي الله عنه بقتال الخوارج المقاتلين على تأويل القرآن ، وعثمان بن عفان بجمع القرآن على حرف واحد ، فقامت به الحجة ، وأبان به أن من خالف حرفاً منه كان كافراً ، وأعاذنابه أن نكون كأهل الكتابين قبلنا الذين اختلفوا فى كتابهم حتى تهيأ منهم تبديله فرضوان الله على خلفاء رسوله ، جزاهم الله عنا أفضل

---

(١) وشئ منه عند الترمذى فى مناقب على رضي الله عنه . منه .

(٢) ص — ٨٢ ج — ٣

(٣) ص — ٢٢٢

ما جازى به أحداً من خلفاء أنبيائه على طاعتهم إياه ، ونحمد الله على ما عرفنا به من أماكنهم ، وفضائلهم ، وخصائصهم ، ولم يجعل فى قلوبنا غلاً لأحد منهم ، ولا لمن سواهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، إنه أرحم الراحمين . فقط .

قلت : لذى النورين رضي الله عنه قتال كثير مع العجم وجهاد معهم ، ثم بعده محو أسباب الاختلاف ، فرضى بالشهادة ، و لم يرض بالاختلاف .

ومما يدل على القتال فى التأويل كما يقاتل على التنزيل وشهرته بين الصحابة ما فى " الصارم المسلول " (١) من الحديث الخامس عشر ، ومما يدل على أنهم كانوا يرون قتل من علموا أنه من أولئك الخوارج وإن كان منفرداً حديث صبيغ بن عسل ، وهو مشهور ، قال أبوعثمان النهدى : سأل رجل من بنى يربوع ، أومن بنى تميم ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن الذاريات ، والمرسلات ، والنازعات ، أوعن بعضهن ؟ فقال عمر : ضع عن رأسك فإذا له وفرة ، فقال عمر : أما والله لو رأيتك محلوقاً لضربت الذى فيه عيناك ! قال : ثم كتب إلى أهل البصرة ، أوقال : إلينا : أن لاتجالسوه ، قال : فلوجاء ونحن مائة نفر تفرقنا . رواه الأموى وغيره بإسناد صحيح ، فهذا عمر يحلف بين المهاجرين والأنصار ، أنه لورأى العلامة التى وصف بها النبى صلى الله عليه وسلم الخوارج لضرب عنقه ، مع أنه هو الذى نهاه النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل ذى الخويصرة ، فعلم أنه فهم من قول النبى صلى الله عليه وسلم : أينما لقيتموهم فاقتلوهم ، القتل مطلقاً ، وإن العفو عن ذلك كان فى حال الضعف والاستيلاف اه .

---

(١) ص — ١٨٣

وقد أثبت أن القتل هناك للكفر لا للحرب ، فراجعه فإنــه لابد من ملاحظة هذا الشطر ، مع ما ذكره فى " منهاج السنة " ، فلكل مقام مقال ؛ وقد كثر فى تصانيفه هذ الصنيع : فيتكلم فى كتاب على المسألة شطراً من الكلام ، وفى كتاب آخر على شطره الآخر . وقد ذكر فى " المنهاج " أيضاً (١) فصلاً فى كفر الروافض ، وختمه بقوله : فإذا كانوا يدعون أن أهل اليمامة مظلومون ، قتلوا بغير حق ، وكانوا منكرين لقتال أولئك، متأولين لهم ؛ كان هذا مما يحقق أن هؤلاء الخلف تبع لأولئك السلف ؛ وإن الصديق رضي الله عنه وأتباعه يقاتلون المرتدين فى كل زمان اه .

وفيه تصريح بأن من تأول لأهل اليمامة فهو كافر ، وإن من لم يكفر كافراً مقطوعاً بكفره فهو كذلك، وذكر فيه (٢) : أن قتال الخوارج لم يكن كقتال البغاة ، بل نوع آخر فوقه ، وشيئاً فى الروافض فيه (٣) .

وإذا كان قول رأس الخوارج أن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله كفراً مجمعاً عليه ينسحب هذا الحكم على ضئضئه وأذنابه (٤) ، وقد أثبت الحافظ فى " الفتح " (٥) أمره ﷺ بعد ذلك بقتل رأسهم القائل أن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله ، فاستووا كفراً وقتلاً . وموجب كفرهم و سببه كما فى "الصارم" (٦) .

---

(١) ص — ٢٣٠ ج ٢ (٢) ص — ٢٣٣ ج ٢

(٣) ص — ١٩٧ ج ٢ (٤) وقال أولياءهم من الإنس : ربنا استمتع بعضنا ببعض الخ ، سورة أنعام . منه .

(٥) ص — ٢٦٦ ج —١٢ . وأيضاً راجع " الإبريز " ص ٢٣٦ . منه .

(٦) ص — ١٨٠

وما كان ديدنهم هو وضع القرآن فى غير موضعه، (١) فعند "مسلم" قال : إنه سيخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون الكتاب لياً رطباً اهـ . لياً — بالياء — أشار القاضى إلى أنه رواية أكثر شيوخهم، يلوون ألسنتهم به — أى يحرفون معانيه وتأويله — ذكره النووى ؛ وقال البخارى : وكان ابن عمر رضي الله عنه يراهم شرار خلق الله ، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت فى الكفار، فجعلوها على المؤمنين اهـ . وهو الوضع فى غير موضعه ، والتأويل فى غير محله ، وكانوا يقولون كلمة حق أريد بها باطل . وعند "مسلم" : يقولون الحق بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم ، وأشار إلى حلقه اهـ . فى " الكنز " (٢) عن حذيفة أن رسول الله ﷺ ذكر : أن فى أمته قوماً يقرأون القرآن، ينثرونه نثر الدقل، يتأولونه على غير تأويله اهـ . ابن جرير وأبو يعلى كما فى " الإتقان " من النوع الثمانين . وابن كثير (٣) .

وقد قال الله تعالى : وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون)

فخرج من هذه الأحاديث بهذا الوجه وجه من كفرهم من أهل الحديث ، كما مر عن " المسوى " ، وقد نسبه السندى على " سنن النسائى " إليهم ،

---

(١) كما قالوا إلا ليقربونا إلى الله زلفى — إذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال: أنا أحيى - إلى قوله -: فبهت الذى كفر. وعن عمر فى "الكنز" ص ٢٣٢ وص ٢٣٣ ويدخل فى الباب من قال فى القرآن برأيه وص ٩١٠ خ زعموا بئس مطية الرجل وص —٨٨٣ إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه . منه ..

(٢) ص — ٧٥ —٦ (٣) ص — ٢٠٣ ج — ٢

وهو قول فحل ، و كذا نبسه فى "فتح القدير" إليهم ، وخرج عدم الفرق بين الجحود والتأويل فى القطعيات ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، وخرج أن الكفر قد يلزم من حيث لا يدرى (مع ما يحقر أحدكم صلاته وصيامه مع صلاتهم وصيامهم ، وأعماله مع ما أعمالهم ، وليست قراءته إلى قراءتهم شيئاً ، فخذ هذه الجمل النبوية أصلاً فى مسألة التكفير ، فهى كأحرف القرآن كلها ، شاف كاف ، وإنما اختلف العبارات فى أهل الأهواء. إما لإختلاف حالاتهم غلواً وعدم غلو، وإما لإختلاف أصحابه التصانيف فمنهم من بلى بأهل الأهواء ، واختبر حالهم ، ورأى ضررهم على الدين ، فشدد النكير عليهم بحيث لاتبقى ولاتذر . ومنهم من لم يبتل بهم ، و لم يسبر غورهم ،فهو يحذر عن التكفير مشياً على الأصل ، وهوالمراد بقولهم : لايكفر أهل القبلة — أى الأصل فيهم ذلك لابناءً على خصوص الحال — وقد احتطنا فى هذه المقالة ما رأيناه احتياطاً ؛ فإن له مقاماً ، فقد يحتاط الرجل نظر الجانب ، وهو خارج منه من جانب آخر ؛ فيقع فى عدم الاحتياط من حيث لايدرى ، فإنما أعلنا ههنا ما ندين الله به ؛ واحتطنا ما رأيناه حقه ، والله على ما نقول وكيل ، وله الحمد على كل حال ، وقد قال رسول الله ﷺ —كما رواه البيهقى فى "المدخل" —: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين» ،وهو كلام خرج من مشكاة النبوة، ومصابيح السنة ، و حسبناالله ونعم الوكيل .

وأما ما يتعلق من هذا الجنس بأصول العقائد المهمة ، فيجب تكفير من يغير الظاهر بغير برهان قاطع ، كالذى ينكر حشرالأجساد، و ينكر العقوبات الحسية فى الآخرة ، بظنون وأوهام ، واستبعادات من غير برهان

قاطع ، فيجب تكفيره قطعاً . " فيصل التفرقة " للإمام الغزالى (١) .

وكل مالم يحتمل التأويل فى نفسه،وتواتر نقله ، ولم يتصور أن يقوم برهان على خلافه فمخالفته تكذيب محض . " فيصل التفرقه" (٢) .

ولابد من التنبيه على قاعدة أخرى ، وهو أن المخالف قد يخالف نصاً متواتراً ويزعم أنه مأول ، ولكن ذكر تأويلاً لاانقداح له أصلاً فى اللسان، لاعلى بعد ولاعلى قرب ، فذلك كفر ، وصاحبه مكذب ، و إن كان يزعم أنه مأول . " فيصل التفرقة " (٣) .

قطرة من بحرة من كتاب " الصارم المسلول على شاتم الرسول " للحافظ ابن تيمية رحمه الله تعالى ، فى أن الخاق نقص وشين لحضرة الأنبياء عليهم السلام كفر ، بل كل الكفر ، واستوعب فى كتابه هذه المسألة ، وأوعب من الكتاب، والسنة، والإجماع ، والقياس ، وأن النبي ﷺ له أنه يعفو عن سابه ، وله أن يقتل ، وقد وقع كلا الأمرين ، وأما الأمة فيجب عليهم قتله ، و فى الاستتابة وعدمها ، وقبول التوبة وعدمه فى أحكام الدنيا اختلاف " .

وروى حرب فى مسائله عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد قال : أتى عمر رضي الله عنه برجل سب النبي ﷺ فقتله ، ثم قال عمر رضي الله عنه : من سب الله تعالى أو سب أحداً من الأنبياء فاقتلوه . قال ليث : وحدثنى مجاهد عن ابن عباس قال : أيما مسلم سب الله أوسب أحداً من الأنبياء فقد كذب رسول الله ﷺ ،

(١) ص — ١٤ (٢) ص — ١٦

(٣) ص — ١٧

وهى ردة يستتاب ، فإن رجع وإلا قتل ، وأيما معاهد عاند فسب الله أو أحداً من الأنبياء أو جهر به : فقد نقض العهد ، فاقتلوه (١) .

قلت : وأخرجه باللفظ الأول فى " الكنز " (٢) عن " أمالى أبى الحسن بن رملة الأصبهانى " ، وقال : سنده صحيح .

وحمل اللفظ الثانى (٣) على من كذب بنبوة شخص من الأنبياء وسبه ، بناءً على أنه ليس بنبي ، ألا ترى إلى قوله : فقد كذب برسول الله الخ . ولعل المراد: من سب أحداً من الأنبياء ، بناءً على أنه ليس نبينا المبعوث إلينا .

الدليل السادس : أقاويل الصحابة ، فإنها نصوص فى تعيين قتله ، مثل قول عمر رضي الله عنه : من سب الله ، أو سب أحداً من الأنبياء فاقتلوه ، فأمر بقتله عيناً ؛ ومثل قول ابن عباس رضي الله عنه : أيما معاهد عاند فسب الله : أو سب أحداً من الأنبياء ، أو جهر به فقد نقض العهد ، فاقتلوه ، فأمر بقتل المعاهد إذا سب عيناً ، ومثل قول أبى بكر الصديق رضي الله عنه - فيما كتب به إلى المهاجر فى المرأة التى سبت النبى صلى الله عليه وسلم - : لولا ما قد سبقتنى فيها لأمرتك بقتلها ، لأن حد الأنبياء لا يشبه الحدود ، فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد ومعاهد فهو محارب غادر . (٤) — وهذا فى " زاد المعاد " من أحكام فتح مكة ومن قضاياه صلى الله عليه وسلم — .

فعلم أن سب الرسل والطعن فيهم ينبوع جميع أنواع الكفر ، وجماع

---

(١) ص — ١٩٥ و ٤١٨
(٢) ص — ٢٩٤ ج — ٦
(٣) على ص — ٣٣٩
(٤) ص — ٢٨٢ .

جميع الضلالات ، وكل كفر فرع منه ، كما إن تصديق الرسل أصل جميع شعب الإيمان ، وجماع مجموع أسباب الهدى (١) .

قلت يعمد الساب فينقل السب عن غيره ويتخذه دغلاً ودرية لإظهاره وإشاعته ، فيتم لـه هذا الغرض ، وهو من كفر خفي يظهر من نفثات صدره وفلتات لسانه ، ومن مرض مزمن فى قلبه أفسد بطنه وباطنه ، وورى ريته وجوفه .

ولهذا نظائر فى الحديث إذا تتبعت ، مثل الحديث المعروف عن بهـز بن حكيم عن أبيه عن جـده : « إن أخاه أتى النبى ﷺ فقال : جيرانى على ما ذا أخذوا ؟ فأعرض عنه النبى ﷺ ، فقال : إن الناس يزعمون أنك تنهى عن الغى وتستخلى به ، فقال : لئن كنت أفعل ذلك إنه لعلى وما هو عليهم ، خلوا له جيرانه » . رواه "أبو داؤد" بإسناد صحيح . فهذا وإن كان قد حكى هذا القذف عن غيره فإنما قصد بـه انتقاصه وإيذاءه بذلك ، ولم يحكه على وجه الرد على من قاله ، وهذا من أنواع السب (٢) .

قلت : وهذا لفظ "المسند" ، وفى لفظ آخر له : « إنك تنهى عن الشر وتستخلى به » وكذلك فى "كنز العمال" (٣) عن عب .

وقال أصحابنا : التعريض بسب الله وسب رسول الله ﷺ ردة ، وهو موجب للقتل كالتصريح . "الصارم" (٤) .

وقد قرره وحرره ، ومثل للتعريض بأمثلة ، ونقل الاتفاق على

---

(١) ص — ٢٤٣ (٢) ص — ٢٢٥ و٢٢٦

(٣) ص — ٤٦ ج — ٤ (٤) ص — ٥٢٧

الإكفار ، وقال أيضاً (١) : وقد تقدم نص الإمام أحمد على أن من ذكر شيئاً يعرض بذكر الرب سبحانه فإنه يقتل ، سواء كان مسلماً أو كافراً ، وكذلك أصحابنا قالوا: من ذكر الله، أو كتابه، أو دينه ، أو رسوله ﷺ بسوء فجعلوا الحكم فيه واحداً الخ . وهو فى التعريض ، وذكر عبارة الإمام أحمد فى مواضع (٢) . وإذا ثبت أن كل سب تصريحاً أو تعريضاً موجب للقتل الخ .

وقال فى "فتح البارى" (٣) : فإن عرض فقال الخطابى : لا أعلم خلافاً فى وجوب قتله إذا كان مسلماً اهـ .

وقال ابن عتاب : نص الكتاب والسنة موجبان أن من قصد النبى ﷺ بأذى أو نقص معرضاً أو مصرحاً وإن قل فقتله واجب .. "شفاء".

وإن اتهم هذا الحاكى فيما حكاه بأنه اختلقه ، ونسبه إلى غيره ، أو كانت تلك عادة له ، بأن يكثر من ذكره ويزعم أنه حاك له ، أو ظهر حال نقله استحسانه لذلك ، وإنه لا محذور فيه ، أو كان مولعاً بمثله والاستخفاف له ، أى عده هيناً عنده لا محذور فيه ، أو التحفظ ، أى حفظه كثيراً ، لحله أو طلبه ، ورواية أشعار هجوه ﷺ وسبه فحكم هذا الحاكى حكم الساب نفسه ، يؤاخذ بقوله ، ولا تنفعه نسبته ، فيبادر بقتله ،

(١) ص ــ ٥٥٩
(٢) أنظر ص ــ ٥٢٧ و٥٣٦ و٥٥٠ و٥٦٣ و٥٣٣
(٣) ص ــ ٢٤٨ ج ــ ١٢

ويعجل إلى الهاوية أمه . "شفاء مع شرح الخفاجى" ملتقطاً (١) .

فصل : الوجه السادس أن يقول القائل ذلك حاكياً عن غيره ، و آثراً عن من سواه ، فهذا ينظر فى صورة حكايته وقرينة مقالته ، ويختلف الحكم باختلاف ذلك . "شفاء" .

وقد ذكر بعض من ألف فى الإجماع إجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجى به النبى ﷺ ، وكتابته وقراءته ، وتركه متى وجد دون محو . "شفاء" .

وقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام : من حفظ شطر بيت مما هجى به النبى ﷺ فهو كفر . "شفاء" . وذكر أنه كنى فى كتبه عن اسم المهجو بوزن إسمه .

قلت : وهذا الملحد إذا أتى على ذكر عيسى عليه السلام استشاط غيظاً ، ولم يملك نفسه ، فيسترسل فى مثالبه بالهمز واللمز ، ويبسطه كل البسط ويلفته كل اللفت ، ثم يتستر بكلمة خفية ، ربما لا ترى ، فيقول على قول النصارى مثلاً ، وفى أثناء كلامه قوله : والحق أن عيسى لم يصدر منه معجزة ، وإنما كان عنده عمل السيميا ، ويقول : عارضه سوء قسمته ، إذ كان هناك حوض يستسقى منه الناس ، يعنى فهذا يقدح فى معجزاته ، فجعله بقوله والحق تحقيقاً عنده ، ومع هذا يقول أتباعه أنه على طريق الإلزام ، و العلماء لما سلكوا هذا الطريق جعلوا الدعوى أن كتبهم محرفة ، إذ يوجد فيها ما يخالف عصمة الأنبياء ، وهذا الملحد جعل الدعوى خيبة عيسى ، وعدم نجحه — والعياذ بالله — وجعل يشيعه ويبذل مهجته فيه ، و

(١) ص — ٤٥٩ ج — ٤ .

سرى ذلك فى أتباعه الملاعنين ، فهم يصنفون فى هجاء عيسى عليه السلام ويشيعونـــه فى أهل الإسلام ، دع النصارى ، وغرضهم بذلك أن لا يبقى للناس اشتياق إلى عيسى بن مريم عليه السلام ، فيسلموا ذلك الشقى الهاذى المهذار ، خذله الله تعالى . وقد ذكر العلماء أن التهور فى عرض الأنبياء وإن لم يقصد السب كفر ، وليس من شأن المؤمن ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

وممـــا قلت فيــــه (١)

ألا يا عباد الله قوموا وقوموا ... خطوباً ألمت ما لهن يدان
وقـــد كاد ينقض الهدى ومناره ... وزحزح (٢) خير ما لذاك تدان
يسب رسول من أولى العزم فيكم ... تكاد السماء (٣) والأرض تنفطران
وطهره (٤) من أهل كفر وليـــه ... وأبقى لنـــار بعض كفر أمانى
وحارب قوم ربهم ونبيـــه (٥) ... فقوموا لنصر الله إذ هـــو دانى
وقد عيل صبرى فى انتهاك حدوده ... فهـــل ثم داع أو مجيـــب أذانى
وإذ عز خطب جئت مستنصراً بكم ... فهـــل ثم غوث يـا لقـوم يدانى
لعمرى لقـد نبهت من كان نائماً ... وأسمعت من كانت لــه أذنـان

(١) وقد سمى الشيخ إمام العصر هذه القصيده بإسم: "صدع النقاب عن جساسة الفنجاب" . القادرى .

(٢) قد جاء هذا اللفظ لازماً . منه .

(٣) حكاه فى "القاموس" مقصوراً ، اسم جنس . منه .

(٤) ومطهرك من الذين كفروا . منه .

(٥) من آذى ولياً لى فقد آذنته بالحرب . منه .

ناديت قوماً فى فريضة ربهم ... فهل من نصير لى من أهل زمان
دعوا كل أمر واستقيموا لما دهى ... وقد عاد فرض العين عند عيان
فشانئ شأن الأنبياء مكفر ... ومن شك قل هذا لأول ثان
وليس مداراً فيه تبديل ملة ... وتحبط أعمال الذى مجانى
أفى ذكره عيسى بطيش لسانه ... ولا يبصر المرمى من الخيمان
وأكفر منه من تنبأ كاذباً ... وكان انتهت ما أمكنت بمكان
ومن ذب عنه أو تأول قوله ... يكفر قطعاً ليس فيه توان
كأنى بكم قد قلتموا لم كفره ؟ ... فهاكم نقولاً جليت لمعان
فما قولكم فيمن حبا مثل ذلكم ... مسيلمة الكذاب أهل هوان
فقال له التأويل أو قال لم يكن ... نبياً هو المهدى ليس بجان
وهل ثم فرق يستطيع مكابر ... وحيث ادعى فليأتنا ببيان
وكان على إحداثه وجه كفره ... تنبأه مشهور كل أوان
كذا فى أحاديث النبى وبعده ... تواتر فيما دانه الثقلان
فإن لم يكن أو قد وجوه لكفره ... فأسيرها دعواه تلك كمانى
وأول إجماع تحقق عندنا ... لفيه بإكفار وسبى عوانى
وكان مقراً بالنبوة معلناً ... لخير الورى فى قوله وأذان
وما قولكم فى العيسوية أولوا (١) ... رسولاً لأميين خير كيان
وهل ثم ما لا فيه تأويل ملحد ... ومن حجر التأويل رمى لسان
وهل فى ضروريات دين تأول ... بتحريفها إلا ككفر علان
ومن لم يكفر منكريها فإنه ... يجر له الإنكار يستويان
وما الدين إلا بيعة معنوية ... وما هو كالأنساب فى السريان

---

(١) روح المعانى ص ـــ ٥٨٧ ج ـــ ١ ولعله عن الشهرستانى . منه .

فإنهم لا يكذبونك (١) فاتلها ولكن بآيات مآل معانى
تنبأ أن لا يمترى ببطالة كحجام ساباط صريع غوان
و معجزة منكوحة فلكية يصادفها فى رقية الكروان
و منى له الشيطان فيها بوحيه رفاء و وصلا خطبة و تهانى
يهم بأمر العيش لو يستطيعه و قد حيل بين العير و النزوان
ففضحه رب السماء بحوله و قوته والله فيه كفانى
و كان ادعى وحياً سنين عديدة فجاء يحاكى فعلة الظربان (٢)
و دلاه شيطاناه فى ذاك برهة و لم يدر شيطانان لا يفيان
و أخرا وهذا بذريته يرى فهلا عرا أصل النبوة ذان
و آتهم لما لم يمت بشروطه رجوعاً إلى الحق ادعى برهان
و سماه أيضاً مرة بسقوطه لهاوية هل ذان يجتمعان
و يوجد فى الوقت المعانى للغى إذا خانه است لم يطق لضمان
يحص بأفواه الشياطين حيقة و يصرفهم عن صوب فهم مبانى
فعلل أذناب له الناس أن ق حديبية ما نحوها يريان
أرؤيا حكاها خاتم الرسل مرسلاً و لم يك منها السير يلتبسان
و ما قد حكاه الواقدى فلم يرد ترتب سير أو بداء أوان
حكى من أمور لا ترتب بينها قد اتفقت فى البين من جريان

---

(١) اقتباس من قوله تعالى : (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) . من الأكذاب فى قراءة. وقد أخرج الترمذى والحاكم فى شأن نزوله ، ومعلوم أنه لم يكذب أحد بآيات الله من حيث أنها آياته ، ومع هذا قد ألزم الله بالتكذيب . منه .

(٢) جانور بدبودار ، مشابه بلى . منه .

و أوضحه الصديق فيما روى لنا أصح كتاب فى الحديث مثانى
رجاء وقصد ليس أخبار غيبه على ظاهر الأسباب يعتمدان
وما ذاب فى العمر الطويل له فذا هجاء خيار الخلق غب لعان
تفكه فى عرض النبيين كافر عتل زنيم كان حق مهان
يلذ له بسط المطاعن فيهم و يجعل نقلاً عن لسان فلان
يصوغ اصطلاحاً أن هذا مسيحكم كما سب أماً هكذا أخوان
وقد رد فى القرآن أنواع كفرهم فهل غض من عيسى المسيح بشأن
وهذا كمن وافى عدواً يسبه بجمع أشد السب من شنان
فصيره رؤيا و قال بآخر اذ انفتحت عينى من الخفقان
وقد يجعل التحقيق ذلك عنده إذا ما خلا جو كمثل جبان
و ينفث فى أثناء ذلك كفره و يعرب فى عيسى بما هو شانئ
و كان هنا شئ لتحريف عهدهم فصيره حقاً لخبث جنان
و قد أخذوا فى مالك بن نويرة بصاحبكم للمصطفى كأدانى (١)
و قصة دباء رأى القتل عندها أبو يوسف القاضى ولات أوان
تحطم فى جمع الحطام و نيلها و بسط المنى و حاصلات مجانى
و كل صنيع أو دهاء فعنده لنيل المنى بالطرد و الدوران
أهذا مسيح أو مثيل مسيحنا تسربل سربالاً من القطران
و كان على ما قال مأجوج أصله فصار مسيحاً فاعتبر بقران
نعم جاء فى الدجال اطلاقه كذا(٢) فقد أدركته خفة السرعان

(١) شرح شفاء ص — ٣٧٣ ج — ٤ . منه .
(٢) يعنى كان أطلق المسيح على الدجال بالاشتراك اللفظى ، وكان ذلك الملحد المسيح الدجال حقاً فالتبس عليه للاشتراك اللفظى ؛ ولخفة عقله بمسيح الهداية . منه .

ألم يهد للقـرآن يحفظه ولم يحج لفرض صده الحرمان
فيسرق في ألفاظه باطنية وقرمطةً وحي أتاه كداني (١)
وتابعه من فيه نصف تنصر ومن كفر مودع بمباني
وكفر من لم يعترف بنبوة له وهو في هذا الأول جان
ألا فاستقيموا أو استهيموا لدينكم فوت عليه أكبر الحيوان
وعند دعاء الرب قوموا وشمروا حناناً عليكم فيه أثر حنان
وكن راجياً أن يظهر الحق وارتقب لأولاد بغى في السهيل يماني
وللحق صدع كالصديع وصولة وطعن وضرب فوق كل بنان
وآخر دعوانا أن الحمد للذي لنصرة دين الحق كان هـداني
وصلى على ختم النبيين دائمـاً وسلم ما دام اعتلى القمران

ومن نكير العلماء على التاويل الباطل

قال في "فتح الباري" : وأسنـد اللالكائي عن محمد بن الحسن الشيباني قال : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن ، وبالأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير ، فمن فسرشيئاً منها وقال بقول جهم فقد خرج عما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ، وفارق الجماعة ، لأنه وصف الرب بصفة لا شئ اه .

قلت : فمن نسب أئمتنا إلى الجهمية فمن عين سخط تبدى المساوئ ،

(١) الهجنة إيماء إلى الكادياني. منه .

وذكر فى "الفتح" هناك أشياء عن أئمة الدين فى المسألة (١) .

وفى "شفاء العليل" : (٢) للحافظ ابن القيم رحمه الله: والتأويل الباطل يتضمن تعطيل ما جاء به الرسل ، والكذب على المتكلم ، أنه أراد ذلك المعنى ، فتضمن ابطال الحق ، وتحقيق الباطل ، ونسبة المتكلم إلى ما لا يليق به من التلبيس والإلغاز ، مع القول عليه بلا علم أنه أراد هذا المعنى ، فالمتأول عليه أن يبين صلاحية اللفظ للمعنى الذى ذكره أولاً ، و استعمال المتكلم له فى ذلك المعنى فى أكثر المواضع حتى إذا استعمله فيما يحتمل غيره حمل على ما عهد منه استعماله فيه ، وعليه أن يقيم دليلاً سالماً عن المعارض على الموجب لصرف اللفظ عن ظاهره ، وحقيقته إلى مجازه واستعارته ، وإلا كان ذلك مجرد دعوى منه فلا يقبل .

وفى "فتاوى الحافظ ابن تيمية" (٣) : ثم لو قدر أنهم متأولون لم

---

(١) وأخرج أبو القاسم اللالكائى فى "كتاب السنة" من طريق الحسن البصرى عن أم سلمة أنها قالت : "الإستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإقرار به إيمان ، والجحود به كفر . وأخرج ابن أبى حاتم فى "مناقب الشافعى" عن يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعى يقول : لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها ، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر ، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل ، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ، ولا بالرؤية ، والفكر ، فنثبت هذه الصفات ، وننفى عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال: ليس كمثله شئ "فتح البارى" . منه .

(٢) ص — ٨٢ (٣) ص — ٢٩٧ ج - ٤

يكن تأويلهم سائغاً ، بل تأويل الخوارج ومانعي الزكاة أوجه من تأويلهم ، أما الخوارج فإنهم ادعوا اتباع القرآن ، وإن ما خالفه من السنة لا يجوز العمل به ، وأما مانعوا الزكاة فقد ذكروا أنهم قالوا : أن الله قال لنبيه ﷺ : (خذ من أموالهم صدقة) . وهذا خطاب لنبيه ﷺ فقط ، فليس علينا أن ندفعها لغيره ، فلم يكونوا يدفعونها لأبي بكر ، ولا يخرجونها له .

وقال أيضاً (١) : وقد اتفق الصحابة والأئمة بعدهم على قتال مانعي الزكاة ، وإن كانوا يصلون الخمس ، ويصومون شهر رمضان ، وهؤلاء لم يكن لهم شبهة سائغة ، فلهذا كانوا مرتدين ، وهم يقاتلون على منعها ، وإن أقروا بالوجوب لما أمر الله .

وقال أيضاً (٢) : لكن من زعم أنهم يقاتلون كما تقاتل البغاة المتأولون فقد أخطأ خطأً قبيحاً ، وضل ضلالاً بعيداً ، فإن أقل ما في البغاة المتأولين أن يكون لهم تأويل سائغ خرجوا به ، ولهذا قالوا : إن الإمام يراسلهم ، فإن ذكروا شبهة بينها ، وإن ذكروا مظلمة أزالها .

وقال في "بغية المرتاد" (٣) : إنما القصد ههنا التنبيه على أن عامة هذه التأويلات مقطوع ببطلانها ، وإن الذي يتأوله أو يسوغ تأويله فقد يقع في الخطأ في نظيره أو فيه ، بل قد يكفر من يتأوله . وقال أيضاً فيه (٤) : ذكر ابن هود الذي زعم أصحابه أن روحانية عيسى تنزل عليه (٥) .

---

(١) ص ــ ٢٨٥ ج ـ ٤ (٢) ص ــ ٢٩٦ ج ـ ٤
(٣) ص ــ ٦٩ وص ــ ٧٠ (٤) ص ــ ١٣٥
(٥) ص ــ ٧٠

من قال أن النبوة مكتسبة فهو زنديق

قال ابن حبان : من ذهب إلى أن النبوة مكتسبة لا تنقطع ، أو إلى أن الولى أفضل من النبى ، فهو زنديق ، يجب قتله لتكذيب القرآن ، وخاتم النبيين ، والله أعلم (١) . " زرقانى " (٢) . . .

قلت : ومن زعم أنها مكتسبة يلزمه أنها قد تسلب أيضاً وهذا اعتقاد اليهود فى بلعام ، فإنه كان نبياً عندهم فى بنى مواب (٣) كما حكاه ابن حزم عنهم ، وهذا يليق بذلك الشقى المتنبئ ، فإنه قد سلب الإيمان ، ومات شر ميتة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وهؤلاء عندهم النبوة مكتسبة . وكان جماعة من زنادقة الإسلام يطلبون أن يصيروا أنبياء ، والحاصل أن النبوة فضل من الله ، وموهبة ، ونعمة من الله تعالى ، يمن بها سبحانه ، ويعطيها - لمن يشاء - أن يكرمه بالنبوة فلا يبلغها أحد بعلمه ، ولا يستحقها بكسبه ، ولا ينالها عن استعداد ولايته ، بل يخص بها من يشاء - من خلقه - ، و من زعم أنها مكتسبة فهو زنديق يجب قتله ، لأنه يقتضى كلامه واعتقاده أن لا تنقطع ، وهو مخالف للنص القرآنى ، والأحاديث المتواترة ، بأن نبينا ﷺ خاتم النبيين . ولهذا قال - إلى الأجل - يعنى أن النبوة فضل

---

(١) قلت : وما فى بعض الرسائل المكتوبة للشيخ ولى الله يراجع عليه ص - ٥١ " إزالة الخفاء " .

(٢) ص - ١٨٨ ج - ٦ من آخر النوع الثالث من المقصد السادس .

(٣) راجع " روح المعانى " ص - ١٦٢ ج - ٣ . منه .

من الله، ونعمة يمن بها الرب الحكيم والعليم الكريم على من يشاء ، ويريد إكرامه بها , وكان ذلك ممتداً من عهد الأب الأول الصفى آدم عليه الصلاة والسلام ، إلى أن بعث الخاتم النبي الحبيب محمداً ﷺ . "شرح عقيدة السفاريني" (١) .

و في "صبح الأعشى" (٢) : وهاتان المسألتان من جملة ما كفروا به، بتجويز النبوة بعد النبي ﷺ ، الذى أخبر تعالى أنه خاتم النبيين ، وقولهم أنها تنال بالكسب، وقد حكى الصلاح الصفدى في "شرح لامية العجم": أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إنما قتل عمارة اليمنى الشاعر حين قام في من قام بإحياء الدولة الفاطمية بعد انتراضها ، على ما تقدم ذكره في الكلام ، على ترتيب مملكة الديار المصرية ، في المقالة الثانية ، مستنداً في ذلك إلى بيت نسب إليه من قصيدة . وهو قوله :

وكان مبدأ هذا الدين من رجل　　　سعى . فأصبح يدعى بسيد الأمم

فجعل النبوة مكتسبة .

مأخذ التكفير أى دليله الذى أخذ منه وبنى عليه
قد يكون ظنياً (٣) ونظيره العمل بالظن في
خالة الجهاد إذا تردد في شخص
أهو مسلم أم لا؟

ولا ينبغى أن يظن أن التكفير ونفيه ينبغى أن يدرك قطعاً في كل مقام ،

---

(١) ص - ٢٦٧　　　(٢) ص - ٣٠٥ ج - ١٣

(٣) وصرح به في "الدر النضيد من مجموعة الحفيد" ص — ١٦٨. منه .

بل التكفير حكم شرعى ، يرجع إلى إباحة المال ، وسفك الدم ، والحكم بالخلود فى النار ، فمأخذه كمأخذ سائر الأحكام الشرعية ، فتارة يدرك بيقين وتارة بظن غالب وتارة يتردد فيه ، ومهما حصل تردد فالوقف فيه عن التكفير أولى . "فيصل التفرقة" (١) .

وقـــد يكون مدركه قياساً (٢) .

وقد نقله فى "اليواقيت" عن "وجيز الكردرى" أيضاً ، وهذا لأن الكفر حكم شرعى ، كالرق والحرية مثلاً ، إذ معناه : إباحة الدم ، والحكم بالخلود فى النار ، ومدركه شرعى ، فيدرك إما بنص ، وإما بقياس على منصوص . "فيصل التفرقة" (٣) . ومثله فى "اليواقيت" عن الخطابى رحمه الله .

قـــد يكون التكفير فى التأويل وإن كان له وجه إذا كان مما فيه ضرر للدين) .

وأما ما يظهر له ضرر فيقع فى محل الإجتهاد والنظر ، فيحتمل أن يكفر ويحتمل أن لا يكفر . "فيصل التفرقة" (٤) .

---

(١) ص — ١٧

(٢) كأن المجتهد يقول : إن هذا الفعل مثلاً يستحق أن يكون كفراً ، ويلحق بالقطعى حكماً ، وهذا كلام محصل مستقيم . منه .

(٣) ص — ٤ (٤) ص — ١٦

قلت يتردد النظر فى تأويل : أله وجه أم لا ؟ ويقضى فيه بالظن .

ثم لا يبعد أن يقع الشك والنظر فى بعض المسائل من جملة التأويل أو التكذيب ، حتى يكون التأويل بعيداً ، ويقضى فيه بالظن ؛ وموجب الاجتهاد ، فقد عرفت أن هذه مسألة اجتهاد. " فيصل التفرقة " (١) .

قلت : قد تكون كلمة كفراً فى حال ، ولا تكون كفراً فى حال آخر ، وفى شخص لا فى شخص ، كمن قال : لا أحب الدباء ، إن قال إظهاراً لقصوره ، أو لبيان الواقع له ، فليس بشئ ، وإن قال حين روى الحديث ، كصورة التهور من المساوى للمساوى بأقدام ، وجهر صوت وجلادة (٢) وقلة مبالاة كفر ، وعلى ذلك أكثر جزئيات " الفتاوى" . راجع ما ذكره فى المقدمة الثانية من "التحفة الإثنى عشرية" من باب التولى والتبرئ ، وما ذكروه في القول بخلق القرآن فرقاً بين المتكلم وغيره . وفى مسألة استحلال الحرام لغيره فرقاً بين العالم والجاهل. وحاصله أن اختلاف الأحكام لاختلاف الأحوال ، وقد أشارإليه السيوطى كما فى " شرح الشفاء" (٣) والحافظ ابن تيمية فى "بغية المرتاد" (٤). وراجع النوع الثامن من المقصد السادس من " المواهب" .

---

(١) ص — ٢٦

(٢) وإذا قيل لهم : تعالوا يستغفرلكم رسول الله لووا رءوسهم ، ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون .

(٣) ص — ٣٨٣ ج — ٤ (٤) ص — ٥٤

تنبيه

اعلم أن أكثر من تكلم فى مسألة التكفير أرجع إنكار المتواتر وتأويله إلى تكذيب الشارع ، وإنه كفر والعياذ بالله ، والذى يظهر — كما ذكره الحموى وابن عابدين فى " رد المحتار " (١) ، والطحطاوى فى تعريف الكفر ، من أن التكذيب عدم القبول لا نسبة الكذب ، وكذا فى " التلويح " — أن الأمر لا يقتصر عليه ، بل إنكار المتواتر ، عدم قبول إطاعة الشارع ، ولا فى مرتبة الاعتقاد أيضاً ، ورد للشريعة وإن لم يكذب ، وهو كفر بواح بنفسه ، قال فى " الصارم المسلول " (٢) : وقد يكون مع العلم بجميع ما يصدق به تمرداً أو إتباعاً لغرض النفس ، وحقيقته كفر ، هذا لأنه يعرف الله ورسوله بكل ما أخبر به ، ويصدق بكل ما يصدق به المؤمنون ، لكنه يكره ذلك ، ويبغضه ويسخطه لعدم موافقته لمراده ومشتهاه ، ويقول : أنا لا أقر بذلك ، ولا ألتزمه ، وأبغض هذا الحق ، وانفر عنه . فهذا نوع غير النوع الأول ، وتكفير هذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام والقرآن ، مملو من تكفير مثل هذا النوع ، بل عقوبته أشد اه . وقال (٣) : وقد قال الإمام أبو يعقوب اسحاق بن ابراهيم الحنظلى المعروف " بابن راهويه " ، وهو أحد الأئمة ، يعدل بالشافعى و أحمد : قد أجمع المسلمون أن من سب الله ، أو سب رسوله ﷺ ، أو دفع شيئاً مما أنزل الله ، أو قتل نبياً من أنبياء الله ، أنه كافر ، ذلك وإن كان مقراً بما أنزل الله اه .

---

(١) ص — ٣٩٢ ج — ٣ (٢) ص — ٥٢٤

(٣) ص — ٥١٤

وقال فى كتاب الإيمان : وقال حنبل حدثنا الحميدى قال وأخبرت أن ناساً يقولون : من أقر بالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، و لم يفعل من ذلك شيئاً حتى يموت ، ويصلى مستدبر القبلة حتى يموت ، فهو مؤمن ما لم تكن جاحداً ، إذا علم أن تركه ذلك فيه إيمانه ، إذا كان مقراً بالفرائض ، واستقبال القبلة ، فقلت: هذا الكفر الصراح، وخلاف كتاب الله ، وسنة رسوله، وعلماء المسلمين . قال الله تعالى : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين). وقال حنبل : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: من قال هذا فقد كفر بالله، ورد على الله أمره، وعلى الرسول ما جاء به الخ . (٢) ونحوه فى "شرح الشفاء" للخفاجى (٣) .

وأما التأويل فهو استدراك على تحقيق الشارع، وإنه سطحى ، وإنما التحقيق ما حققه المأول ، وهذا كفر بلاريب، فمن زعم أنه أعلم بالحقائق من الشارع فى الشرع ، ومباديه وغاياته ، فهو كافر ، ولو لم يخطر بباله كذبه — والعياذ بالله — فتأويل المتواتر ما لم يقم دليل قاطع عليه تجهيل للشارع ، وإصلاح لخلل وقع منه ، وهذا الإعتقاد لايحتاج فى التكفير به إلى وسط آخر ، وهو بنفسه كفر ، فإن الموضع إن كان من المتشابهات والنعوت الإلهية فلايمكن أوفى من تعبيره ، ولاأحسن ، وكذا فى غيره ، فلايجوز الإستدراك عليه بحال الابيان المراد فى المتشابه على سبيل الاحتمال ، وفيه خطر أيضاً ، فالتفويض أسلم، وأما المتواتر المكشوف المراد ، فصرفه عن ظاهره كفر، ولابد ، وفى التنزيل :(فإنهم لايكذبونك ولكن الظلمين بآيات الله يجحدون) . هذا والله ورسوله أعلم ، وعلمه وعلم رسوله أتم وأحكم .

---

(٢) ص — ٨٤ (٣) ص — ٣٨٤ ج — ٤

ولنجعل : ختام الكلام كلاماً لختام المحدثين شيخ مشائخنا الشاه عبد العزيز بن ولى الله بن عبد الرحيم الدهلوى قدس الله سره العزيز ، فإنه كلام خرج من مشكاة السنة وفقه النفس :

مسألة : قال فى " شرح العقائد ": والجمع بين قولهم : لا يكفر أحد من أهل القبلة ، وقولهم : يكفر من قال بخلق القرآن ، أواستحالة الرؤية ، أو سب الشيخين ، أو لعنهما ، وأمثال ذلك مشكل انتهى .

وقال المدقق شمس الدين الخيالى فى " حاشيته " : قوله : ومن قواعد أهل السنة أن لا يكفر ، معنى هذه القاعدة : أن لا يكفر فى المسائل الاجتهادية ، إذ لا نزاع فى تكفير من أنكر ضروريات الدين . ثم إن هذه القاعدة للشيخ الأشعرى ، وبعض متابعيه ، وأما البعض الآخر فلم يوافقوهم ، و هم الذين كفروا المعتزلة ، والشيعة ، فى بعض المسائل ، فلا احتياج إلى الجمع لعدم اتحاد القائل انتهى .

ولا يخفى أن الجواب الأول تخصيص وتقييد للكلام بلا دليل ، والجواب الثانى مبنى على اختلاف القائلين بالقولين ، وهو خلاف للواقع ، بل القائلون بتلك القاعدة هم الذين يكفرون بخلق القرآن ، وسب الشيخين ، وقدم العالم ، ونفى العلم بالجزئيات ، إلى غير ذلك . قال السيد فى " شرح المواقف" : اعلم أن عدم تكفير أهل القبلة موافق لكلام الشيخ الأشعرى والفقهاء ، كما مر ، لكنا إذ فتشنا عقائد فرق الإسلاميين ، وجدنا منها ما يوجب الكفر قطعاً ، كالعقائد الراجعة إلى وجود إله غير الله سبحانه ، أو إلى حلوله فى بعض أشخاص الناس ، أو إلى إنكار نبوة محمد ﷺ ،

أو إلى ذمه ، أو إستخفافه، أو إلى استباحة المحرمات ، وإسقاط الواجبات الشرعية انتهى .

بل التحقيق أن المراد " بأهل القبلة " فى هذه القاعدة : هم الذين لاينكرون ضروريات الدين ، لامن يوجه وجهه إلى القبلة فى الصلاة . قال الله تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الخ) فمن أنكر ضروريات الدين لم يبق من أهل القبلة ، لأن ضروريات الدين منحصرة عندهم فى ثلاثة:

مدلول الكتاب بشرط أن يكون نصاً صريحاً لايمكن تأويله ، كتحريم الأمهات ، والبنات ، وتحريم الخمر والميسر ، وإثبات العلم والقدرة و الإرادة، والكلام له تعالى، وكون السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار مرضيين عند الله تعالى ، وأنه لايجوز إهانتهم، والاستخفاف بهم .

ومدلول السنة المتواترة لفظاً أومعنى ، سواء كان من الاعتقاديات أو من العمليات ، وسواء كان فرضاً أو نفلاً ، كوجوب محبة أهل البيت من الأزواج والبنات ، والجمعة والجماعة ، والأذان والعيدين .

والمجمع عليه إجماعاً قطعياً ، كخلافة الصديق والفاروق، ونحو ذلك . ولاشبهة أن من أنكر أمثال هذه الأمور لم يصح إيمانه بالكتاب والنبيين ، إذ فى تخطئة الإجماع القطعى تضليل لجميع الأمة، فيكون إنكاراً لقوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وقوله تعالى : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين) ولقوله ﷺ : « لاتجتمع أمتى على الضلالة » ، وهو متواتر معنوى ، فلا يكون منكر هذه الأمور من أهل القبلة . وقد عرف بعضهم ضروريات الدين بأنها أمور يشترك فى

معرفتها المتدين بدين الإسلام ، وغير المتدين به ، — لكن فى الكتب اللتى رأينا أنها ما يشترك فى معرفته الخاص والعام .

وبالجملة قولهم : لانكفر أحداً من أهل القبلة ، كلام مجمل باق على عمومه ، لكن له تفصيل طويل ، والشأن فى معرفة من هو من أهل القبلة ومن ليس منهم ، نعم بعض الفقهاء قد بالغوا فى تكفير من ينكر بعض المسائل الإجتهادية المشهورة عند قوم دون قوم ، كحرمة لبس المعصفر ، ونحو ذلك ، وهو مذهب ركيك جداً . وأما من فرق بين الأصول والفروع فكفر فى إحداهما دون الأخرى ، فإن أراد نفس الأعمال فنعم ومرحبا ، وإن أراد اعتقاد وجوبها وسنيتها فلا ، إذ لاشبهة فى أن من أنكر وجوب الزكاة ، أووجوب الوفاء بالعهد ، أووجوب الصلوات الخمس ، أو كون الأذان مسنوناً فقد كفر ، كما يدل عليـــه قتال مانعى الزكاة فى صدر الإسلام ، نعم فى بعضها يكون كفراً تأويلياً ، لكن التأويل غير مسموع فى أمثال هذه الأمور الجلية ، كما لم يسمع تأويل مانعى الزكاة ، متمسكين بقوله تعالى : (إن صلاتك سكن لهم) وكما لم يسمع تأويل الحرورية فى إنكار التحكيم ؛ متمسكين بقوله تعالى : (إن الحكم إلا لله) . وأما التكفير بخلق القرآن ، أو إنكار الرؤية ، أو إنكار العلم بالجزئيات على الوجه الجزئى مع القول بثبوت العلم على وجه كلى ، فلا ينبغى الإقدام عليه إذ ليس مخالف هذه الأحكام منكراً منصوصاً نصاً جلياً لا فى الكتاب ، ولا فى السنة المتواترة . هذا والله تعالى أعلم — يريد الكيفية لاالأصل ، كما صرح به فى موضع آخر من ص — ٩٣ ج — ٢ . ويريد بالخلق الحدوث لا الإنفصال - .

فإن قيل : ما الدليل على أن المراد من "أهل القبلة" هم المصدقون

بجميع ضروريات الدين ، أى دلالة بلفظ أهل القبلة ؟ قلنا : الدليل عليه أن الكفر يتقابل الإيمان تقابل العدم والملكة ، إذ الكفر عدم الإيمان ، والمتقابلان بالعدم والملكة لايكون بينهما واسطة بالنظر إلى خصوص الموضوع ، وإن أمكن بينهما واسطة بالنظر إلى الواقع ، كالعمى والبصر ، فإن الذى من شأنه البصر لايخلو عن أحدهما ، ولاشبهة أن الإيمان مفهومه الشرعى المعتبر به فى كتب الكلام ، والعقائد ، والتفسير ، والحديث هو : تصديق النبى ﷺ فيما علم مجيئه به ضرورة عما من شأنه ذلك ، ليخرج الصبى و المجنون والحيوانات . والكفر عدم الإيمان عما من شأنه ذلك التصديق ، فمفهوم الكفر هو عدم تصديق النبى ﷺ فيما علم مجيئه به ضرورة ، وهو بعينه ما ذكرنا من أن من أنكر واحداً من ضروريات الدين اتصف بالكفر ، نعم عدم التصديق له مراتب أربع ، فيحصل للكفر أيضاً أقسام أربعة :

الأول : كفر الجهل ، وهو تكذيب النبى ﷺ صريحاً فيما علم مجيئه به مع العلم — أى فى زعمه الباطل — بكونه عليه السلام كاذباً فى دعواه ، وهذا هو كفر أبى جهل وأضرابه .

والثانى : كفر الجحود والعناد ، وهو تكذيبه مع العلم بكونه صادقاً في دعواه ، وهو كفر أهل الكتاب ، لقوله تعالى : (الذين آتيناهم الكتب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) وقوله : (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) وكفر إبليس من هذا القبيل .

والثالث : كفر الشك ، كما كان لأكثر المنافقين .

والرابع : كفر التأويل ، وهو أن يحمل كلام النبى ﷺ على غير محمله ، أو على التقية ، ومراعات المصالح ، ونحو ذلك .

ولما كان التوجه إلى القبلة من خواص معنى الإيمان سواء كان شاملة أو غير شاملة عبروا عن الإيمان بأهل القبلة ، كما ورد فى الحديث : « نهيت عن قتل المصلين » والمراد المؤمنين ، مع أن نص القرآن على أن أهل القبلة هم المصدقون بالنبى ﷺ فى جميع ما علم مجيئه به ، وهو قوله تعالى : (وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله) فليتأمل . "فتاوى عزيزى" . (١) وما ذكره من أقسام الكفر ، ذكره فى "معالم التنزيل" وغيرها ؛ كذلك تحت قوله تعالى : (إن الذين كفروا سواء عليهم الآية) و"نهاية ابن الأثير" .

استفتاء

سوال : زيد در معنى حديث شريف توجيهات واهيه وركيكه كه مفضى بطرف انكار مى شود مى كند ، هر چه بموجب مسائل فقهى برو گناه لازم مى آيد بيان فرمايند ؟

جواب : تفسير قرآن و حديث را اولا علم صرف ، و نحو ، و اشتقاق ، و لغت ، و معانى و بيان ، و علم فقه ، و اصول فقه ، و عقائد يعنى علم كلام ، و علم حديث و آثار ، و تواريخ ضرورر است . بدون معرفت اين علوم در آمدن در معانى قرآن و حديث هرگز جائز نه . و بعد ازين هر صاحب مذهب تمسك بقرآن و حديث مى كند ، و در رفع شبهات مخالفين محتاج بتاويل ميشود ، و تاويل قرآن و حديث موافق مذهب خود حق مى داند ، و مخالف مذهب خود باطل .

و ميزان در معرفت حق و باطل فهم صحابه و تابعين است - آنچه اين جماعت از تعليم آنحضرت صلى الله عليه وسلم بانضمام قرائن حالى و مقالى فهميده اند . و در ان تخطيه ظاهر نكرده واجب القبول است - پس اين صاحب توجيهات ركيكه اگر از قبيل اول است تهديد و وعيد در حق او بسيار است - " من فسر

(١) ص — ٤٢ إلى ٤٤ ج — ١

القرآن برایه فقد کفر ، من فسر القرآن برایه فلیتبوا مقعده من النار". و حال قرآن و حدیث یکسان ست که هر دو مبنای دین اند ، و لغت عرب مشتمل بر حقیقت و مجاز ، و ظاهر و مؤول ، و ناسخ و منسوخ است - و اگر از فرقهٔ ثانی است مبتدع است اگر بر خلاف قرن اول حمل میکند - پس در بدعت او ملاحظه باید نمود - اگر مخالف ادله قطعیه ست - یعنی نصوص متواتره و اجماع قطعی است اورا کافر باید شمرد - و اگر مخالف ادله ظنیه قریبهٔ الیقین است مانند اخبار مشهوره و اجماع عرفی گمراه توان فهمید دون الکفر ، و الا از باب اختلاف امتی رحمة باید دانست ، چون تمیز این مراتب بعلم وافر تعلق دارد ظاهر آنست که اختراع کنندهٔ این توجیهات از قبیل جاهلان است - اورا بلزوم و استحقاق جهنم و زجر و تشدید در امر معروف و نهی منکر ازین امر شنیع باز باید داشت - و بر عوام الناس تاکید باید کرد که باو صحبت ندارند - و سخن اورا نشنوند و اگر از فرقهٔ ثانی کسے باشد که مذهب معلوم است ، مانند روافض و خوارج و معتزله و مجسمه قبح مذهب او بر مردمان آشکار باید کرد - و اگر گمراهی خود را درپردهٔ اهل حق وا می نماید توجیهات او بااین جانب باید نوشت تاحکم آنرا ارقام نموده آید . و السلام - "فتاوی عزیزی" ص ١٥٦ ج-١ مطبوعه ١٣١١ھ-

و من اخراج الملحدين من المساجد و منعهم من دخولها (١)

ما فى التفاسير من "روح المعانى" وغيره تحت قولـه تعالى : (سنعذبهم مرتين) أخرج ابن أبى حاتم والطبرانى فى "الأوسط" وغيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «قام رسول الله ﷺ يوم الجمعة خطيباً ، قال : قم يا فلان فاخرج فإنك منافق ، أخرج يا فلان فإنك

(١) ووقع لى مع ملحد منهم أن قال : نحن نؤمن بقرآن فيه : (ومن أظلم ممن منع مساجد الله الآية) فقلت : ونحن أيضاً نؤمن بقرآن فيه : (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شئ الآية) فبهت الذى كفر وكأنما ألقم الحجر . منه .

منافق فأخرجهم بأسمائهم ففضحهم الخ » .

وفى رواية ابن مردويه عن أبى مسعود الأنصارى : «أنه ﷺ أقام فى ذلك اليوم ، وهو على المنبر ستة وثلاثين رجلاً الخ » . ونحوه عند ابن كثير .

وذكر ابن اسحق فى "سيرته" أسماء المنافقين بحيث امتاز المجرمون (١) ثم قال : وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيسمعون أحاديث المسلمين ويسخرون منهم ، ويستهزؤون بدينهم ، فاجتمع يوماً فى المسجد منهم ناس ، فرآهم رسول الله ﷺ يتحدثون بينهم خافضى أصواتهم قد لصق بعضهم ببعض ، فأمر بهم رسول الله ﷺ ، فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً الخ .

بل ثبت الأمر بالقتل فى حالة الصلاة لمن جاء فيه أن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين ، أخرجه أحمد فى "مسنده" (٢) ، وسنده جيد ، ذكره الحافظ فى "الفتح" (٣) قال : وله شاهد من حديث جابر أخرجه أبو يعلى ، ورجاله ثقات الخ .

بل ثبت الأمر بالقتل - (٤) ولو فى المسجد الحرام - لابن أبى سرح وغيره،

---

(١) وامتازوا على رؤوس الأشهاد فى حديث كعب كما عند البخارى ص — ٦٣٢ من غزوة تبوك ، وعن حذيفة عنده نحو ما فى ص — ٦٧٢ ونحو ما فى ص ٨١٣ . منه .

(٢) ص — ١٥ ج — ٣ (٣) ص —٢٦٥ ج — ١٢

(٤) كنز العمال ص — ٢٩٨ ج — ٥ ، والمستدرك ص — ٤٥ ج — ٣ . منه .

وكان ابن أبي سرح قد قال : إن كان أوحى إلى محمد فقد أوحى إلى (١) .
وقد قال الله تعالى : (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر الآية) وقال : (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) .

ولو بنوا مسجداً لم يصر مسجداً ، فى " تنوير الأبصار " من وصايا الذمى وغيره ـ: وصاحب الهوى إذا كان لا يكفر فهو بمنزلة المسلم فى الوصية ، وإن كان يكفر فهو بمنزلة المرتد ـ .

فذلكة : كان وضع هذه الرسالة فى أن التصرف فى ضروريات الدين ، والتأول فيها ، وتحويلها إلى غير ما كانت عليه ، وإخراجها عن صورة ما تواترت عليه كفر ، فإن ما تواتر لفظاً أو معنى ، و كان مكشوف المراد ، فقد تواتر مراده ، فتأويله رد للشريعة القطعية ، وهو كفر بواح ، وإن لم يكذب صاحب الشرع ، وإنه ليس فيه إلا الإستتابة ، ومن زعم أنه لا بد من إلقاء اليقين فى قلبه وإثلاج صدره ، فإذا عاند بعد ذلك فقد كفر ، وإلا فلا ، فإن ذلك الزاعم لم يضع للدين حقيقة تارة ، و إنما جعله يدور مع الخيال ، كيفما دار ، و هذا باطل قطعاً ، فإن الأمر فيما ثبت ضرورة مفروغ عنه ، فمن آمن به فقد دان بـدين الله ، و من أنكره فقد كفر ، وإن لم يقصد الكفر ، وإنما الدور مع الظن فى المحل المجتهد فيه ، لا فى غيره ، فكما أن فى باب إنكار الحقائق عنادية وعندية ولا أدرية وشاكة فى الشك ، فكذلك هذه الأقسام فى إنكار الضروريات ، و كلها

(١) كما فى " شرح المواهب " من فتح مكة ،وفسر بعض الآية فى المجلد الرابع من " فتاوى الحافظ ابن تيمية " ص ـ ٢٣٩ .

كفر ، و من قال أن الجهل بكون الكلمة كفراً عذر ، أراد فى غير الضروريات ، كما قــد نبهنا عليه فى الأمر الثالث من عبارات "فتح البارى" ، و مر عن "الأشباه و النظائر" ، و"حاشيته" ، و بعد هذا فقد قال فى "الخلاصة" : و منها أنه من أتى بلفظة الكفر ، و هو لم يعلم أنها كفر ، إلا أنه أتى بها عن اختيار ، يكفر عند عامة العلماء خلافاً للبعض ، ولا يعذر بالجهل الخ .

وفى "مجمع الأنهر" مستدركاً على "البحر" : لكن فى "الدرر" : وإن لم يعتقد ، أو لم يعلم أنها لفظة الكفر ، و لكن أتى بها عن اختيار ، فقد كفر عند عامة العلماء ، و لا يعذر بالجهل الخ . و عزاه فى "الدرر" من الكراهية ، والاستحسان "للمحيط" . و هــذا الخلاف فى غير الضروريات . و أما هى فليس فيها إلا الإستتابة ، قال فى "فتح البارى" : وقد وقع فى حديث معاذ : «إن النبى ﷺ لما أرسله إلى اليمن قال له : أيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه ، فإن عاد وإلا فاضرب عنقه ، وأيما امرأة ارتدت عن الإسلام فادعها ، فإن عادت وإلا فاضرب عنقها » وسنده حسن الخ .

ونقله فى "تخريج الهداية" عن "معجم الطبرانى" فى المسألة الثانية بالاستتابة فقط ، وهو مذهب أصحابنا فى المرأة ، أو يحمل على السابة ، فقد صرح فى "الدر" من آخر الجزية عن محمد رحمه الله تعالى بقتلها ، قال ناقلاً عن "الذخيرة" : واستدل محمد لبيان قتل المرأة بما روى أن عمير ابن عدى لما سمع عصماء بنت مروان تؤذى الرسول ﷺ فقتلها ليلاً ، مدحه ﷺ على ذلك انتهى فليحفظ . وكما نقله الزيلعى نقله فى "الكنز"(١)

(١) ص — ٢٣ ج — ١

فالله أعلم .

عن قابوس بن مخارق أن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه كتب إلى على رضي الله عنه يسأله عن مسلمين تزندقا اهـ ، فكتب إليه على رضي الله عنه : أما اللذان تزندقا فإن تابا و إلا فاضرب أعناقهما . "الشافعى ش ق كنز" (٢) . وذكره فى "تخريج الهداية" من موت المكاتب وعجزه ، فلم يذكر إلا الإستتابة ، وليس فى طوق البشر إلا ذلك ، وهو ما فى الصحيح عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «مثل ما بعثنى الله من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير ، أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء» الحديث - إلى أن قال - : «فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ، ما بعثنى الله به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به اهـ» . فذكر القبول وعدمه ، و ذلك من جانب الناس لا إلقاء اليقين ، بحيث لايتأتى بعده إلا العناد ، و قد يقال : أنه بعد ذلك عناد ، وإن لم يقصده الجاحد .

بارانکه در لطافت طبعش خلاف نیست
در باغ لاله روید و در شوره بوم خس

وقال فى " تحرير الأصول " فى منكر الرسالة بعد ما تواتر ما يوجب النبوة : فلذا لا تلزم مناظرته ؛ بل إن لم يتب المرتد قتلناه اهـ .

وبالجملة لايلزم أزيد من التبليغ كما فى الجهاد مع الكفار ، وتلك المسألة مروية عن الأئمة ، ففى " الصارم " : ويدل على المسألة ما روى أبو ادريس قال : أتى على رضي الله عنه بناس من الزنادقة ارتدوا عن الإسلام فسألهم ، فجحدوا ، فقامت عليهم البينة العدول ، قال : فقتلهم ، ولم يستتبهم . قال :

---

(٢) ص — ٩١ ج ٢

ولُتى برجل كان نصرانياً وأسلم ثم رجع عن الإسلام ، قال : فسأله فأقر بما كان منه فاستتابه فتركه ، فقيل له: كيف تستتيب هذا ولم تستتب أولئك قال : إن هذا أقر بما كان منـه ، وإن أولئك لم يقروا وجحدوا حتى قامت عليهم البينـة فلذلك لم استتبهم . رواه الإمام أحمد رحمه الله تعالى ، وروى عن أبي ادريس قال : « أتى على رضي الله عنه برجل قد تنصر فاستتابه ، فأبى أن يتوب، فقتله ، وأتى برهط يصلون إلى القبلة ، وهم زنادقة ، وقد قامت عليهم بذلك الشهود العدول ، فجحدوا وقالوا: ليس لنا دين إلا الإسلام ، فقتلهم ولم يستتبهم، ثم قال: أتدرون لم استتبت هذا النصرانى ؟ استتبته لأنه أظهر دينه ، وأما الزنادقة الذين قامت عليهم البينة وجحدونى ، فإنما قتلهم لأنهم جحدوا ، وقامت عليهم البينة » فهذا من أمير المؤمنين على رضي الله عنه بيان أن كل زنديق كتم زندقته وجحدها حتى قامت عليه البينة قتل ولم يستتب . (١)

فإن قيل : لايليق بعدل البارى تعالى المؤاخذة قبل التعجيز بالحجة . قيل : ولابعد التعجيز ، إذ يبقى لم لم يوفقهم للهداية ؟ ومثل هذه وساوس يستعاذ منها ، ولا حول ولاقوة إلابالله . فكان موضوع الرسالة ماذكرنا .

لكن فى أثناء التأليف أنجر البحث عند الكلام فى مسألة التأويل إلى نقول أخر ، والشىء بالشىء يذكر ، فأنضم إليها أطراف وذيول ، لعلها تفيد الناظرين ، فليس من الدين أن يكفر مسلم ، ولا أن يغمض عن كافر ، والناس فى هذه المسألة فى هذا العصر على طرفى نقيض ، ولقد صدق من قال : إن الجاهل إما مفرط وإما مفرط ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

---

(١) ص — ٣٥٦

وهذا آخر الرسالة وختام المقالة ، وما أريدت بها إلا دعوة صالحة من طلبة العلم ، بحسن العاقبة ، وخير الخاتمة ، لمؤلفها الأحقر الأفقر محمد أنور شاه ، ابن معظم شاه ، ابن الشاه عبد الكبير ، ابن الشاه عبد الخالق ، ابن الشاه محمد اكبر ، ابن الشاه حيدر ، ابن الشاه محمد عارف ، ابن الشاه على ، ابن الشيخ عبد الله ، ابن الشيخ مسعود الزوزى الكشميرى ، رحمهم الله تعالى .

وفى "المكتوبات الخطية" عند خلف الشيخ : أن سلفه جاؤا من بغداد إلى الهند ، ودخلوا ملتان ، ثم ارتحلوا إلى بلدة لاهور ، ثم إلى الكشمير والله أعلم . وقد وقع الفراغ من جمع هذه الرسالة فى أسابيع من سنة ١٣٤٣ هجرية ألف وثلثمائة و ثلاث وأربعين من الهجرة ﷺ .

✡ ✡ ✡

وهذه نبذة من نفثات صدر ذلك الملحد، وكلمات كفره مما أوحى إليه شيطانه واستهوى به قرينه مما فاق به كل كافر وزنديق، يدعى دعاوى بسيطة عاطلة، مع غاية جهله، وقلة فهمه، حتى إنه لا يستطيع تلفيق عبارة صحيحة فى الفارسية، فكيف بالعربية؟ ويزعمها حقائق، وهى فى الحقيقة بقايق، انتخبها مولانا السيد مرتضى حسن، وترجمها المولوى محمد شفيع الديوبندى، فلينظر الناظر فيها، هل غادر فيها كفراً لم يأته كلا ثم كلا.

بسم الله الرحمن الرحيم

تنقيصه عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام

(١) قد ذكرت العيسوية له — (أى لعيسى عليه السلام) — معجزات كثيرة، والحق أنه لم تظهر عنه معجزة. (١)
(كذا فى "حاشية ضميمة أنجام آتهم"، من مؤلفات مرزا ص ٦)

(١) عيسائيون نے بہت سے آپ کے معجزات لکھے ہیں - مگر حق بات یہ ہے کہ آپ سے کوئی معجزہ نہیں ہوا ۔
(حاشیہ ضمیمہ انجام آتہم ص ٦)

(١) ينسحب على كل ما يأتيه من سياق العبارة. منه.

(٢) ثم هو من أطهر أرومة خؤلة وعمومة حيث كانت ثلاث من جداته الصحيحة و ثلاث من جداته الفاسدة مومسات و بغايا ، و منهن طمه ودمه .

- "حاشية ضميمة انجام آتهم" ص ٧ -

(٢) آپ کا خاندان بھی نہایت پاک اور مطہر ہے تین دادیاں اور نانیاں آپ کی زناکار کسبی عورتیں تھیں جن کے خون سے آپ کا وجود ظہور پذیر ہوا ۔

(حاشیہ ضمیمہ انجام آتھم ص ٧)

(٣) ولعل مصاحبته بالبغايا وصبوه إليهن كان من جهة هذه القرابة النسبية ونزوع الحرق إليهن ، وإلا فلا يتصور من رجل متق أن يدع مومسة تمس رأسه بيدها الخبيثة وتعطره بعطر اشترته من مهر البغاء، وتمس قدمه بشعرها .

(حاشية "ضميمة أنجام آتهم" ص ٧)

(٣) آپ کا کنجریوں سے میلان اور صحبت بھی شاید اسی وجہ سے ہو کہ جدی مناسبت درمیان ہے ۔ ورنہ کوئی پرہیزگار انسان ایک کنجری (کسبی) کو یہ موقع نہیں دے سکتا کہ وہ اسکے سر پر اپنے ناپاک ہاتھ لگادے اور زناکاری کی کمائی کا پلید عطر اسکے سر پر ملے اور اپنے بالونکو اسکے پیروں پر ملے ۔

(حاشیہ ضمیمہ انجام آتھم ص ٧)

٤- بل يحيي النبي أفضل منه (اى من عيسى) فإنه لم يكن يشرب الخمر ولم تسمع بغى عطرت رأسه بعطر من مالها الخبيث ، أو ماست بدنه بيدها ، أو شعر رأسها ، أو استخدم امرأة أجنبية قط ، ولذلك سماه تبارك وتعالى فى القرآن حصوراً دون

(٤) بلکہ یحیی نبی کو اس پر ایک فضیلت ہے ، کیونکہ وہ شراب نہیں پیتا تھا اور کبھی نہیں سنا گیا کہ کسی فاحشہ عورت نے آکر اپنی کمائی کے مال سے اس کے سر پر عطر ملا تھا ۔ یا ہاتھوں یا اپنے سر کے بالون سے اسکے بدن کو چھوا تھا ۔ یا کوئی بے تعلق جوان عورت اسکی خدمت کرتی تھی اسوجہ سے خدا نے قرآن میں یحیی کا نام حصور رکھا مگر مسیح کا یہ نام نہ رکھا ۔ کیونکہ ایسے قصے اس نام کے رکھنے سے مانع تھے ۔

المسيح (١) فإن أمثال هذه الأمور كانت مانعة من هذه التسمية ، فإلى من يشتكي أن عيسى عليه السلام قد كذب في ثلاث من أخباره المستقبلة كذباً صريحاً .

(" اعجاز أحمدي " ص - ١٣ و١٤)

هائے کس کے سامنے یہ ماتم لیجائیں کہ حضرت عیسی علیہ الصلوۃ و السلام کی تین پیشینگوئیاں صاف طور پر جھوٹی نکلیں اور آج کون زمین پر ہے جو اس عقدہ کو حل کرے (اعجاز احمدی ص ١٣ و ١٤)

(٥) ولما كان عيسى بن مريم يتنجر مع أبيه يوسف إلى اثنين وعشرين سنة الخ .

(" إزالة الأوهام " ص ١٢٥)

(٥) چونکہ حضرت مسیح ابن مریم اپنے باپ یوسف کیساتھ بائیس برس کی مدت تک نجاری کا کام بھی کرتے رہے ھیں - (ازالۂ الاوھام ص ١٢٥)

(٦) وليتنبه أن هذا العمل ليس بذي بال ، كما زعمه العوام ، ولولا إبائي واستقذاري لمثل هذه الأعمال لم أكن بفضل الله وتوفيقه أحط رتبة من عيسى بن مريم في هذه الشعبذات والنيرنجيات .

(" إزالة الأوهام " ص ١٢٧)

(٦) مگر یاد رکھنا چاهیئے کہ یہ عمل اس قدر کے لایق نہیں جیسا کہ عوام الناس اس کو خیال کرتے ہیں اگر یہ عاجز اس عمل کو مکروہ اور قابل نفرت نہ سمجھتا تو خدائے تعالی کے فضل و توفیق سے امید قوی رکھتا تھا کہ ان اعجوبہ نمائیوں میں حضرت مسیح ابن مریم سے کم نہ رهتا - (ازالۂ الاوھام کلاں ص١٢٧)

(٧) ولهذا كان المسيح يشفي من الأمراض الجسمانية بهذا العمل ،

(٧) یہی وجہ ہے کہ حضرت مسیح جسمانی بیماروں کو اس عمل کے ذریعہ سے اچھا کرتے تھے مگر ہدایت اور توحید اور

(١) كان القرآن سلمه عنده وإن قيل أنه تنزل فيه كان سكوتاً عن الحق خوفاً من لومة لائم . منه .

وأما دفع الأمراض القلبية وتقريز الهداية والتوحيد والأحكام الدينية فى القلوب فلم يكن يهتدى إليه ، كأنه لم يظفر بشئ منه .
("إزالة الأوهام" ص ١٢٨)

دینی استقامتوں کی کامل طور پر دلوں میں قائم کرنیکے بارے میں ان کی کاروائی کا نمبر ایسا کم درجہ کا رہا کہ قریب قریب ناکام رہے
(ازالہ الاوہام ص ١٢٨)

(٨) وبالجملة فكانت تلك المعجزة من قبيل اللعب والشعبذة ، وكان الطين يبقى على حقيقته طيناً ، كعجل أخذه السامرى من زينة القوم
(إزالة الأوهام كلان ص ٣٣)

(٨) بهر حال یہ معجزہ صرف ایک کھیل کی قسم میں سے اور وہ مٹی در حقیقت ایک مٹی هی رهتی تهی جیسے سامری کا گؤساله (ازالہ الاوهام کلان ص ٣٣٢)

(٩) قد بعث الله تعالى فى هذه الأمة مسيحاً أفضل وأرفع فى جميع الكمالات عن المسيح السابق ، و سماه غلام أحمد . ("دافع البلاء" ص ١٣)

(٩) خدا نے اس امت میں سے مسیح موعود بهیجا جو اس پهلے مسیح سے اپنی تمام شان میں بہت بڑھکر ہے اس نے اس دوسرے مسیح کا نام غلام احمد رکھا (دافع البلا ص ١٣)

(١٠) بعث الله تعالى فى هذه الأمة مسيحاً أفضل من المسيح الأول فى جميع الكمالات ، والذى نفسى بيده لوكان عيسى بن مريم فى زمان أنا فيه لما استطاع عملاً مما عملته ، ولم يكد يظهر المعجزة اللتى ظهرت منى .
("حقيقة الوحى" ص ١٤٨)

(١٠) خدا نے اس امت میں سے مسیح موعود بهیجا جو اس پهلے مسیح سے اپنی تمام شان میں بہت بڑھکر ہے مجھے قسم ہے اس ذات کی جس کے هاتھ میں میری جان ہے کہ اگر مسیح ابن مریم میرے زمانہ میں هوتا تو جو کام میں کر سکتا هوں وہ هرگز نکرسکتا اور وہ نشان جو مجھسے ظاهر هوا ہے وہ هرگز دکهلا نه سکتا ۔ (حقیقۃ الوحی ص ١٤٨)

(١١) ولما جعل الله ورسوله و سائر أنبيائه مسيح آخر الزمان — يعني نفسه — أفضل وأكمل من مسيح ابن مريم فذهب ما يقال أنك كيف تفضل نفسك على المسيح ابن مريم ولم يبق إلا وسوسة شيطانية .
(حقيقة الوحي ص ٥٥)

(١١) پھر جبکہ خدانے اور اس کے رسول نے اور تمام نبیوں نے آخری زمانہ کے مسیح کو اس کے کارناموں کی وجہ سے افضل قرار دیا ہو تو پھر شیطانی وسوسہ ہے کہ یہ کہاجائے کہ کیوں تم مسیح ابن مریم سے اپنے تئیں افضل قرار دیتے ہو (حقیقة ص ٥٥)

(١٢) ومريم، وما أدراك ما شأن مريم ، وهي التي حصرت نفسها من النكاح برهة من الزمان ، ثم حملت فألحت عليها زعماء قومها خشية العار، فتزوجت بيوسف النجار ، وبقي الناس يشنعون عليها ، أنها كيف نكحت وهي حامل على خلاف حكم التوراة ، وكيف نقضت عهد التبتل ولم سنت في الناس سنة تعدد الأزواج ، وذلك لأنها نكحت بيوسف النجار ، وله زوج غيرها من قبل، هذا ما قالت الناس فيها ، وإني لا أظنه إلا اضطراراً منهم خشية العار من أجل حمل مريم ، فهم بالترحم أحرى من التلاوم .

(١٢) اور مریم کی وہ شان ہے جس نے ایک مدت تک اپنے تئیں نکاح سے روکا پھر بزرگان قوم کی ہدایت و اصرار سے بوجہ حمل کے نکاح کرلیا ۔ گو لوگ اعتراض کرتے ہیں کہ بر خلاف تعلیم توراة عین حمل میں نکاح کیا گیا اور بتول ہونیکے عہد کو کیوں ناحق توڑ گیا اور تعدد ازواج کی کیوں بنیاد ڈالی گئی ہے یعنی باوجود یوسف نجار کی پہلی بیوی کے ہونے کے پھر مریم کیوں راضی ہوئی کہ یوسف نجار کے نکاح میں آوے مگر میں کہتا ہوں کہ یہ سب مجبوریاں تھیں جو پیش آگئیں ۔ اس صورت میں وہ لوگ قابل رحم تھے نہ قابل اعتراض ۔
(کشتی نوح ص ١٦)

("كشتى نوح" ص ١٦)

(١٣) كان لليسوع - يعنى عيسى بن أربع إخوة ، وأختان من أب وأم حيث كانوا كلهم أولاد يوسف النجار ومريم . ("حاشية كشتى نوح" ص١٦)

(١٣) يسوع مسيح كے چار بهائى اور دو بهنيں تهيں يه سب يسوع كے حقيقى بهائى اور حقيقى بہن تهے يعنى سب يوسف اور مريم كى اولاد تهى (حاشيه كشتى نوح ص ١٦)

(١٤) كنت أعتقد فى أوائل أمرى أنى لا ألحق بغبار عيسى بن مريم فى الفضائل والكمالات ، كيف وهو نبى ومن أجل المقربين عند الله تعالى ، وكلما بدا لى ما يفضلنى عليه جعلته فضيلة جزئية ، إلا أن الوحى الإلهى الذى صاب على كوابل المطر بعده [illegible] عقيدة ، و أعطيت النبوة صراحة بلا خفاء . ("حقيقة الوحى" ص ١٤٩ - ١٥٠)

(١٤) اوائل ميں ميرا بهى عقيده تها كه مجهكو مسيح ابن مريم سے كيا نسبت ہے وه نبى ہے اور خدا كے بزرگ مقربين سے اور اگر كوئى امر ميرى فضيلت كى نسبت ظاهر هوتا تها تو ميں اس كو جزوى فضيلت قرار ديتا تها - مگر بعد ميں جو خدا تعالى كى وحى بارش كى طرح ميرے پر نازل هوئى تو اس نے مجهكو اس عقيده پر قائم نه رهنے ديا اور صريح طور پر نبى كا خطاب مجهے ديا گيا - (حقيقة الوحى ص ١٤٩ و ص ١٥٠)

دعوى النبوة لنفسه و الجحود عن ختم النبوة

(١) إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهد عليكم ، كما أرسلنا إلى فرعون رسولا .

(١) إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً

زعم أن هذه الآية الكريمة نزلت في حقه (" حقيقة الوحى ص١٠٧ ") فلعنة الله على الكاذبين .

(٢) يس إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم - تفوه أنها نزلت في شأنه (" حقيقة الوحى " ص ١٠٧)

(٣) ادعى أنه نزل فيما أوحى إليه قوله : إنا أرسلنا أحمد إلى قومه، فأعرضوا عنه وقالوا : كذاب أشر . (أربعين ص ٣٣٣)

(٤) فكلمني وناداني وقال : إني مرسلك إلى قوم مفسدين ، وإني جاعلك للناس إماماً ، وإني مستخلفك إكراماً ، كما جرت سنتي في الأولين . قال : إنه أوحى إليه .
(" أنجام آتهم " ص ٧٩)

(٥) قد ذكر في الوحي الإلهي في شأني مراراً أن هذا رسول الله و مأموره، وأمينه، قد جاءكم من الله

(ترجمه) :
هم نے تمہاری طرف ایک رسول بھیجا ھے اس رسول کی مانند جو فرعون کی طرف بھیجا گیا - (" حقیقة الوحی " ص ١٠١)

(٢) يس إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم (ترجمه : اے سردار تو خدا کا مرسل ھے اور راہ راست پر اس خدا کی طرف سے جو غالب اور رحم کرنیوالا ھے " حقیقة الوحی " ص ١٠٧)

(٣) إنا أرسلنا أحمد إلى قومه ، فأعرضوا وقالوا : كذاب أشر .
(" أربعين نمبر٣ ص ٣٣ ")

(٤) فكلمني وناداني وقال : إني مرسلك إلى قوم مفسدين، وإني جاعلك للناس إماماً ، وإني مستخلفك إكراماً ، كما جرت سنتي في الأولين .
(أنجام آتهم ص ٧١)

(٥) الہامات میں میری نسبت بار بار بیان کیا گیا ھے کہ یہ خدا کا فرستادہ ، خدا کا مامور ، خدا کا امین اور خدا کی طرف سے آیا ھے جو کچھ کہتا ھے اسپر ایمان لاؤ

فآمنوا بكل ما يقول ، وعدوه من أهل النار (أنجام آتهم ص ٦٢)

اور اس کا دشمن جہنمی ہے (انجام آتھم ص ٦٢)

(٦) وإذا كان عقيدتى وإيمانى على ما أوحى إلى مثل الإيمان على "التورة" و "الإنجيل" و "القرآن الكريم" فكيف يرجى منى أن أترك إذعانى لظنونهم بل مخترعاتهم . ("أربعين ص ٤ و١٩) .

(٦) جبکه مجھے اپنی وحی پر ایسا ہی ایمان ہے جیسا که توریت و انجیل و قرآن کریم پر تو کیا انہیں مجھ سے یه توقع ہوسکتی ہے که میں انکی ظنیات بلکه موضوعات کے ذخیرہ کو سن کر اپنے یقین کو چھوڑ دوں جس کی حق الیقین پر بنا ہے (اربعین ص ٤ و ص ١٩)

(٧) الكفر على قسمين أحدهما أن يجحد الرجل عن الإسلام ، أونبوة محمد ﷺ ، والثانى أن يجحد المسيح الموعود - يعنى نفسه - ويكذبه مع سطوع الحجج على صدقه ، وهو الذى حرض الله ورسوله على تصديقه وقد ورد التأكيد به فى كتب الأنبياء السابقين ، فهو كافر جاحد لله ورسوله وإن أمعنت النظر وجدت كلا القسمين واحداً

(حقيقة الوحى ص ١٧٩)

(٧) کفر دو قسم پر ہے ایک یه کفر که ایک شخص اسلام سے انکا کرتا ہے اور آنحضرت رسول الله صلی الله علیه وسلم کو خدا کا رسول نہیں مانتا دوسرے یه کفر که مثلاً وہ مسیح موعود کو نہیں مانتا اور اس کو باوجود اتمام حجت کے جھوٹا جانتا ہے جس کے ماننے اور سچا جاننے کے بارے میں خدا اور رسول نے تاکید کی ہے اور پہلے نبیوں کی کتاب میں بھی تاکید پائی جاتی ہے پس اس لئے که وہ خدا اور رسول کے فرمان کا منکر ہے کافر ہے اور اگر غور سے دیکھا جائے تو دونوں قسم کے کفر ایک ہی قسم میں داخل ہیں۔

(حقیقة الوحی ص ١٧٩)

(٨) وليتنبه أن تكفير المنكرين من خواص الأنبياء الذين جاؤا بشريعة

(٨) یه نکته یاد رکھنے کے لائق ہے اپنے دعوے کے انکار کرنیوالے کو کافر کہنا صرف ان نبیوں کی شان ہے جو خدائے تعالی

جديدة وأحكام ناسخة ، وأما من سواهم من الملهمين والمحدثين فلا يكفر أحد بجحوده وإن بلغ من شرف المكالمة الإلهية على أقصى غاياته ، (حاشيه ترياق القلوب ص١٣٠) فهذه العبارة واللتي قبلها إذا ضممتها انتجت لك أنه ـ المرزا ـ صاحب شريعة جديدة ناسخة للتي قبلها ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً .

كیطرف سے شریعت اور احکام جدیدہ لائے ھیں لیکن صاحب شریعت کے ماسوا جسقدر ملہم اور محدث ھیں تو وہ کیسی ھی جناب الہی میں اعلی شان رکھتے ھوں اور خلعت مکالمہ الہیہ سے سرفراز ھوں ان کو انکار سے کوئی کافر نہیں بنجاتا

(ترياق القلوب حاشيه ص ١٣٠)

(٩) واعلموا أن الله تعالى أوحى إلى حرام عليك أن تصلى خلف من يكفرك ويكذبك ، أوهو مذبذب فى أمرك ولم يؤمن بك وليكن إمامكم منكم .

("تحفه" كولرويه" ص ١٨)

(٩) پس یاد رکھو کہ خدا نے مجھے اطلاع دی ھے کہ تمہارے پر حرام ھے اور قطعی حرام ھے کہ کسی مکفر اور مکذب یا متردد کے پیچھے نماز پڑھو بلکہ چاھئے کہ تمہارا وھی امام ھو جو تم میں سے ھو۔

(تحفہ گولڑویہ ص ١٨)

(١٠) سأله بعض جواريه: هل نصلى خلف من لم تبلغه دعوتكم فهولا يدرى أحوالكم ولا يؤمن بكم؟ قال المرزا : عليكم أن تبلغوه أولاً دعوتى ، فإن آمن وإلا فلا تبطلوا صلواتكم خلفه ، سأل السيد عبد الله العربى لعشرة وكذلك من توقف فى أمرى لم يصدق ولم يكذب فلا تصلوا خلفه فإنه منافق

("فتاوى أحمديه" ص ـ ٥٢ ج ـ ١)

(١٠) سوال ھوا کہ اگر کسی جگہ امام نماز حضور کے حالات سے واقف نہیں تو اس کے پیچھے نماز پڑھیں ؟ فرمایا پہلے تمہارا فرض ھے کہ اسے واقف کرو۔ پھر اگر تصدیق کرے تو بہتر ، ورنہ اس کے پیچھے اپنی نماز ضائع نکرو۔ اور اگر کوئی خاموش رھے نہ تصدیق کرے اور نہ تکذیب تو وہ بھی منافق ھے اسکے پیچھے نماز نہ پڑھو۔

(فتاوی احمدیہ جلد اول ص ٨٢)

(١١) سأل السيد عبد الله العربى لعشرة ستمبر ١٩٠١ إنى راجع إلى وطن العرب فهل أصلى خلفهم أم لا؟ . قال: لا تصل خلف أحد غير المؤمنين بنا، فقال السيد العربى: إنهم لم يطلعوا على أحوالك: ولم تبلغهم دعوتك؟ قال المرزا: فإذن عليك أن تبلغهم دعوتى حتى يكونوا إما مصدقين أو مكذبين الخ .
("فتاوى أحمدية" ص — ١٨ ج ١)

(١١) ١٠/ دسمبر سنه ء ١٩٠١ كو سيد عبد الله صاحب عرب نے سوال كيا كه ميں اپنے ملک عرب ميں جاتا هوں وهاں ميں ان لوگوں كے پيچهے نماز پڑهوں يا نه پڑهوں ـ فرمايا مصدقين كے سوا كسى كے پيچهے نماز نه پڑهو ـ عرب صاحب نے عرض كيا وه لوگ حضور كے حالات سے واقف نهيں هيں اور ان كو تبليغ نهيں هوئى ـ فرمايا ان كو پهلے تبليغ كردينا پهر وه يا مصدق هوجائيں گے يا مكذب الخ
(فتاوى احمديه جلد اول ص ١٨)

(١٢) إذا افترقت الأمة المحمدية على الفرق الكثرة ، ولد ابراهيم فى آخر الزمان ولا ينجو من أولئك الفرق كلها إلا من تبعه ." أربعين " (نمبر٣ ص — ٣٢)

(١٢) جب امت محمديه ميں بهت فرقے هو جائيں گے تب آخر زمانه ايک ابراهيم پيدا هوگا اور ان سب فرقوں ميں وه فرقه نجات پائيگا جو اس ابراهيم كا پيرو هوگا
(اربعين نمبر ٣ ص ٣٢)

(١٣) ألجئنا بنص القرآن إلى أن نؤمن بكون آخر الخلفاء من هذه الأمة ، وأنه يجئ على قدم عيسى بن مريم ، ولا يمكن لمؤمن جحوده ، فإنه جحود القرآن ، ومن فعله فهو فى العذاب المقيم أينما كان .
("سيرة الأبدال" ص ٤١)

(١٣) مگر هم نص قرآن كى رو سے اس بات پر مجبور هوگئے كه اس بات پر ايمان لائيں ـ كه آخرى خليفه اسى امت ميں سے هوگا اور وه عيسى كے قدم پر آئيگا اور كسى مومن كى مجال نهيں كه اس كا انكار كرے كيونكه يه قرآن كا انكار هے اور جو كوئى قرآن كا منكر هے وه جهاں جائيگا عذاب كے نيچے يعنى كسى طرح اس كى نجات نهيں هے ـ (سيرة الابدال ص ٤١)

(١٤) وكيف أترك الوحى الإلهى الذى تواتر على فى ثلاث وعشرين

(١٤) مگر ميں خدا تعالى كى ٢٣ برس كى متواتر وحى كو كيوں رد كرسكتا هوں ـ ميں اسكى پاک وحى پر ايسا هى ايمان

سنة ؛ إنى أؤمن بهذا الوحى مثل ما أؤمن بوحى سائر الأنبياء من قبلى.
(" حقيقة الوحى " ص - ١٥٠)

لاتا هون جيسا كه ان تمام خدا كى وحيون پر ايمان لاتا .هون جو مجھ سے پہلے هوچکی هین - (حقيقة الوحى ص ١٥٠)

(١٥) وأحلف بالله العظيم أنى أؤمن بهذه الإلهامات كما أؤمن بقرآنه و سائر كتبه ، وأذعن بالكلام الذى ينزل على أنه كلام الله كما أذعن أن القرآن كلامه .
(" حقيقة الوحى " ص ٣١١)

(١٥) مگر مین خدا تعالى كى قسم كها كر كهتا هون كه مين ان الهامات پر اسى طرح ايمان لاتا هون جيسا كه خدا كى قرآن شريف اور دوسرى كتابونپر اور جس طرح مين قرآن شريف كو يقينى اور قطعى طور پر خدا كا كلام جانتا هون اسى طرح اس كلام كو بهى جو ميرے اوپر نازل هوتا هے خدا كا كلام يقين كرتا هون -
(حقيقة الوحى ص ٣١١)

(١٦) الحق أن الوحى القدسى الذى ينزل على توجد فيه ألفاظ الرسول والمرسل والنبى وأمثالها فى شأنى غير مرة ، بل قد كثرت هذه الألفاظ فى هذه الأيام بأبلغ تصريح وتوضيح ، وكذلك أمثال هذه الألقاب غير قليلة فى " البراهين الأحمدية ". التى مضى على طباعته اثنان وعشرون سنة ، و من جملة المكالمات الإلهية التى قد شاعت فى " البراهين الأحمدية " هذه الآية :
(وهو الذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله)
كذا فى " البرهين الأحمدية " ص. ٤٩٨ . فى هذه الوحى سميت باسم

(١٦) حق يه هے كه خدائے تعالى كى وه پاک وحى جو ميرے اوپر نازل هوتى هے اسمين ايسے لفظ رسول اور مرسل اور نبى كے موجود هين نه ايک دفعه بلكه صدها دفعه - پهر كيونكر يه جواب صحيح هو سكتا هے كه ايسے الفاظ موجود نهين هين بلكه اسوقت تو پهلے زمانه كى نسبت سے بهى بهت تصريح اور توضيح سے يه الفاظ موجود هين - اور براهين احمديه مين بهى جسكو طبع هوئے بائيس برس هوئے يه الفاظ كچھ تهوڑے نهين هين - چنانچه وه مكالمات الهيه جو براهين احمديه مين شائع هوچكے هين آن مين سے ايک وحى الهيه يه هے :
هوالذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

الرسول بصراحة ووضاحة (ضميمة "حقيقة النبوة" ص - ٢٦١)

دیکھو ص ٤٩٨ براهین احمدیه - اس میں صاف طور پر اس عاجز کو رسول کر کے پکارا گیا ہے ۔

(١٧) ثم فى هذا الكتاب ذكر قريباً من الوحى المذكور هذ الوحى: محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار، رحماء بينهم ، تراهم الخ فى هذا الوحى الإلهى سميت محمداً رسولاً (ضميمه "حقيقة النبوة" ص ٢٦١ وص ٢٦٢ "ایک غلطی کا إزاله")

(١٧) پھر اس کتاب میں اس مکالمه کے قریب هی یه وحی الهیه هے

محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم الخ

اس وحی الهیه میں میرا نام محمد رکھا گیا ہے - اور رسول بھی - الخ (ضمیمه حقیقة النبوة ص ٢٦٢ ایک غلطی کا ازاله)

(١٨) وأنى كما أؤمن بآيات القرآن المجيد ، كذا من غير فرق ذرة أؤمن بما أنزل على من الوحى الذى تبين لى صدقه بآيات متواترة وأنى لوأردت لأقسمت فى جوف الكعبة أن الوحى المطهر الذى ينزل على هو كلام الإله الحق الذى أنزل كلامه على موسى وعيسى ومحمد المصطفى ﷺ ، قد شهدت لى الأرض و السماء وكذلك نطقت لى السماء والأرض أنى خليفة الله غير أنه كان مقدراً عند الله أن أكذب كما قد ورد فى

(١٨) اور میں جیسا کہ قرآن شریف کی آیات پر ایمان رکھتا ہوں ایسا ہی بغیر فرق ایک ذرہ کے خدا کی اس کھلی کھلی وحی پر ایمان لاتا ہوں جو مجھے ہوئی- جس کی سچائی متواتر نشانوں سے مجھپر کھل گئی ہے - اور میں بیت الله میں کھڑے ہو کر یه قسم کھا سکتا ہوں که وہ پاک وحی جو میرے پر نازل ہوتی ہے وہ اس خدا کا کلام ہے جس نے حضرت موسی اور حضرت عیسی اور حضرت محمد مصطفی صلی الله علیه وسلم پر اپنا کلام نازل کیا تھا - میرے لئے زمین نے بھی گواهی دی اور آسمان نے بھی - اسی طرح آسمان بھی میرے لئے بولا اور زمیں بھی که میں خلیفة الله ہوں - مگر پیش

" الوحي الآلهي ".
(" ایک غلطی کا ازاله " نقلاً عن ضميمة " حقيقة النبوة " ص ٢٦٤)

(١٩) ثم إني — بفضل الله تعالى — لا بجدي وسعي — قد وجدت حظاً وافراً من النعمة عند الله تعالى .
(" حقيقة الوحي " ص ٦٢)

گوئیوں کے مطابق ضرور تھا که انکار بھی کیا جاتا ۔
(ایک غلطی کا ازاله منقول از ضمیمه حقیقة النبوت ص ٢٦٤)

(١٩) سو میں نے محض خدا کے فضل سے نه اپنے کسی هنر سے اس نعمت سے کامل حصه پایا هے جو مجھسے پہلے نبیوں اور رسولوں اور خدا کے برگزیدوں کو دی گئی تھی (حقیقة الوحی ص ٦٢)

ادعاء المعجزات لنفسه و التفضيل على الانبياء و الاستخفاف بشأنهم

(١) فإن قيل : أين تلك المعجزات ههنا ؟ قلت : إني على كل ذلك قادر، بل قلما ظهر على يد أحد من الأنبياء مثل ما ظهر على من المعجزات لتصديق دعوتي بفضل الله تبارك و تعالى (" حقيقة الوحي " ص ١٣٦)

(١) اور اگر یه اعتراض هو که اس جگه وہ معجزات کہاں هیں تو صرف یہی جواب دوں گا که میں معجزات دکھلاسکتا هوں بلکه خدا تعالی کے فضل و کرم سے میرا جواب یه هے که میرا دعوی ثابت کرنے کے لئے اسقدر معجزات دکھلائے هیں که بہت هی کم نبی ایسے آئے هیں جنھوں نے اسقدر معجزات دکھلائے هوں (تتمه حقیقة الوحی ص ١٣٦)

(٢) بل الحق الذي لا يعتريه شك أنه فجر بحراً ذخاراً من المعجزات بحيث لا يمكن ثبوتها من سائر الأنبياء عليهم السلام قطعاً ويقيناً، سوى نبينا محمد ﷺ فقد أتم الله تعالى حجته فمَن

(٢) بلکه سچ تو یه هے که اس نے اسقدر معجزات کا دریا رواں کردیا هے که باستثناء همارے نبی صلی الله علیه وسلم کے باقی تمام انبیائے علیهم السلام میں ان کا ثبوت اس کثرت کے ساتھ قطعی اور یقینی طور پر محال هے اور خدانے اپنی حجت پوری

شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.
(تتمة " حقيقة الوحی " ص ١٣٦)

کردی اب چاہے کوئی قبول کرے یا نہ کرے ۔
(تتمہ حقیقۃ الوحی ص ١٣٦)

(٣) والله تعالى قد أظهرلى آيات كثيرة لوظهرت لقوم نوح ما كانوا ليغرقوا .
(تتمه " حقيقة الوحی " ص ١٣٧)

(٣) اور خدائے تعالی میرے لئے اس کثرت سے نشان دکھلا رہا ہے کہ اگر نوح کے زمانہ میں وہ نشان دکھلائے جاتے تو وہ لوگ غرق نہ ہوتے ۔
(تتمہ حقیقۃ الوحی ص ١٣٧)

(٤) والذی نفسی بیده هوالذی بعثنی، وسمانی نبیاً ودعانی باسم المسیح الموعود ، وأظهر لتصديق دعوتی آيات عظيمة تبلغ ثلاثمائة ألف، وقد ذكرت نبذة منها فی هذا الكتاب .
(تتمه " حقيقة الوحی ". ص ٦٨)

(٤) اور میں اس خدا کی قسم کھا کر کہتا ہوں کہ جس کے ہاتھ میں میری جان ہے کہ اس نے مجھے بھیجا ہے اور میرا نام نبی رکھا ہے اور اس نے مجھے مسیح موعود کے نام سے پکارا ہے اور اس نے میری تصدیق کیلئے بڑے بڑے نشانات ظاہر کئے ہیں جو تین لاکھ تک پہنچتے ہیں جنمیں سے بطور نمونہ اس کتاب میں بھی لکھے گئے۔
(تتمہ حقیقۃ الوحی ص ٦٨)

(٥) الأخبار عن المغيبات التى ذكرت فى هذه السطور تشتمل على آيات جلية فيصلة تنيف على عشر مائة ألف.
(" براهين أحمدية " ص ٥٦)

(٥) ان چند سطروں میں جو پیشگوئیاں ہیں وہ اس قدر نشانوں پر مشتمل ہیں جو دس لاکھ سے زائد ہیں اور نشان بھی ایسے کھلے کھلے جو اول درجہ پر فائق ہیں ۔ (براهین احمدیہ ص ٥٦)

(٦) والذى نفسى بيده لوقامت شهود آياتى العظام التى ظهرت لتصديق دعوتى فى صعيد واحد لما استطاع أحد من ملوك الأرض أن يكافئهم بأفواجه

(٦) مجھے اس خدا کی قسم ہے کہ جس کے ہاتھ میں میری جان ہے وہ نشان جو میرے لئے ظاہر کئے گئے اور میری تائید میں ظہور میں آئے۔ اگر ان کے گواہ ایک جگہ کھڑے کئے جائیں تو دنیا کا کوئی بادشاہ

وده .

("براهين أحمدية" ص٣)

فواعجباً لخصومي يشنعون على
رقون به من الإسلام ، ولوكان
قلوبهم تقوى لما قالوا على ما
ل الأنبياء من قبلي .

"اعجاز أحمدي" ص ٥ و ٦)

ايسا نہوگا جو اسکی نوج گواہوں سے زیادہ ہو (کتاب مذکور کا ص٢)

(٧) اب کس قدر تعجب کی جگہ ہے کہ میرے مخالف میرے پروہ اعتراض کرتے ہیں جن کی رو سے ان کو اسلام سے ہاتھ دھونا پڑتا ہے - اگر ان کے دل میں تقوی ہوتی تو ایسے اعتراض کبھی نکرتے جنمیں دوسرے نبی شریک غالب ہیں -

(اعجاز احمدی ص ٥ و ٦)

) وعلى هذا فليس فى قلوبهم
الإيمان نقير ولا قطمير ، فإنه
لى من الله معاملة إلا وفيها
اء من الأنبياء السابقين ، فكل
يقدحون به فى أمرى ، لابد
رد على نبى من الأنبياء السابقين .

ه" "حقيقة الوحى" ص ١٢٨)

(٨) اگر یہی بات ہے تو ان لوگوں کا ایمان آج بھی نہیں ، کل بھی نہیں - کیونکہ خداتعالی کا کوئی معاملہ مجھ سے ایسا نہیں جسمیں کوئی نبی شریک ، اور کوئی اعتراض میرے اوپر ایسا نہیں کہ کسی اور نبی پر وہی اعتراض وارد نہ ہوتا ہو .

(تتمہ حقیقۃ الوحی ص ١٢٨)

ادعاء النبوة مع الشريعة الجديدة لنفسه

قد قيل لى أن بشارتك مذكورة
قرآن وما مصداق هذه الآية إلا
هوالذى أرسل رسوله بالهدى
الحق ليظهره على الدين كله .

(" اعجاز أحمدى" ص ٧)

(١) اور مجھے بتلا دیا گیا ہے کہ تیری خبر قرآن اور حدیث میں موجود ہے اور تو ہی اس آیت کا مصداق ہے کہ :

هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

(اعجاز احمدی ص٧)

(٢) هو الله الذى أرسل رسوله يعنى نفسه بالهدى ودين الحق وتهذيب الأخلاق . (أربعين نمبر ٣ ص ٣٦)

(٣) فإن قلت : إن كل مفتر على الله بنبوة لا يهلك بافترائه ، بل من ادعى الشريعة خاصة ، قلنا : أولاً أن هذه دعوى بلا دليل فإن الله تعالى لم يقيد وعيد الإهلاك لأجل الإفتراء بقيد الشريعة ، ولوسلمنا فليست الشريعة إلا من أوتى فى وحيه أوامر ونواهى وأخذ به لأمته قانوناً فخصمنا ملزم لهذا التعريف أيضاً فإنى صاحب الشريعة بهذا المعنى ، ألا ترى أنى أوتيت فى الوحى أوامر و نواهى ، ومن جملتها قوله تعالى : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ، ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم الخ) . وهذا الوحى قد اندرج فى "البراهين الأحمدية" وفيه أمر ونهى ، وقد مضت عليه ثلاث وعشرون سنة ، وكذلك فى عامة ما يوحى إلى يكون أمرونهى .

(٢) خدا وهی خدا ھے جس نے اپنے رسو یعنی اس عاجز کو ھدایت ، دین حق ا تہذیب اخلاق کے ساتھ بھیجا .
(اربعین نمبر ۳ ص ۳٦)

(۳) اور اگر کہو کہ صاحب شریعہ افترا کرکے ھلاک ھوتا ھے نہ ھر ایک مفتری تو اول تو یہ دعوی بلا دلیل ھے خدا نے افترا کے ساتھ شریعت کی کوئی قی نہیں لگائی - ما سوا اسکے یہ بھی ت سمجھو کہ شریعت کیا چیز ھے جس نے اپنی وحی کے ذریعہ چند امر نہی بیان کئے اور اپنی امت کے لئے قانون مقرر کیا وھو صاحب شریعت ھو گیا - پس اس تعریف کی وجہ سے بھی ھمارے مخالف ملزم ھیر کیونکہ میری وحی میں امر بھی ھے او نہی بھی مثلا یہ الہام : (قل للمؤمنین یغضوا من ابصارھم ویحفظوا فروجھم ذلک ازکی لھم) یہ "براھین احمدیہ" میں درج ھے اور اسمیں امر بھی ھے اور نہی بھی اور اس پر تیئس برس کی مدت بھی گزر گئی اور ایسا ھی ابتک میری وحی میں امر بھی ھوتے ھیں اور نہی بھی ، اور اگر کہو کہ شریعت سے وہ شریعت مراد ھے جس میں نئے احکام ھوں تو یہ باطل ھے - الله تعالی فرماتا ھے : (إن هذا لفی الصحف

إن قلت : إن المراد من الشريعة
ن التى فيها أحكام جديدة . قلنا :
طل ، فإن الله تعالى قال : (إن هذا
ى الصحف الأولى ، صحف ابراهيم
موسى) . وحاصله أن التعليم القرآنى
وجود فى التوراة أيضاً . وإن قلت :
ن الشريعة هى التى تستوفى الأوامرو
نواهى كلها ، فهو أيضاً باطل ،
إنه لو كانت الأحكام الشرعية برمتها
ستوفاة فى "التوراة" أو "القرآن
لمجيد" لما بقى للاجتهاد موضع .
("أربعين نمبر ٤ ص ٦")

الاولى صحف ابراهيم وموسى) يعنى
قرآنى تعليم توريت ميں بهى موجود هے
اور يه كهو كه شريعت وه هے جسمين
باستيفاء امر و نهى كا ذكر هو تو يه بهى
باطل هے كيونكه اگر توريت يا قرآن ميں
باستيفاے احكام شريعت كا ذكر هوتا تو
پهر اجتهاد كى گنجائش نه تهى (اربعين
نمبر ۴ ص ٦)

(٤) من جاء من الله حكماً فلـه
ن يأخذ من ذخيرة الأحاديث ماشاء ،
بعلم من الله ، ويرد ماشاء .
(حاشية "تحفه" كولروية" ص ١٠)

(۴) اور جو شخص حكم هوكر آيا هے
اس كو اختيار هے كه حديثوں كے ذخيره
ميں سے جس انبار كو چاهے خدا سے علم
پاكر قبول كرے اور جس ڈهير كو چاهے
خدا سے علم پاكر رد كرے (حاشيه تحفه
گولڑويه ص ١٠)

(٥) نقول : فعليهم أن يبينوا ما
معنى لفظ الحكم الوارد فى شأن المسيح
الموعود المروى فى "صحيح البخارى"
ونحن نعلم بيقين أن الحكم هو الذى
يقبل حكمه لرفع الاختلاف ، و
تكون فيصلته ناطقة نافذة ، وإن جعل

(٥) مگر هم بادب عرض كرتے هيں كه
پهر وه حكم كا لفظ جو مسيح موعود كى
نسبت جو صحيح بخارى ميں آيا هے اس
كا ذرا معنى تو كريں هم تو ابتك يهى
سمجهتے تهے كه حكم اسكو كهتے هيں
كه اختلاف رفع كرنے كے لئے اسكا حكم
قبول كيا جائے اور اسكا فيصله گو وه
هزار حديث كو بهى موضوع قرار دے

ألفاً من الأحاديث موضوعة .

(" اعجاز أحمدى" ص ٢٩)

ناطق سمجها جائے۔ (اعجاز احمدی ص ۲۹)

(٦) ونحن نقول فى جوابه: نقسم بـالله أن الأحاديث ليست بأساس دعوى ، بل القرآن والوحى الذى ينزل على نـذكر للتأييد أحاديثاً تكون مطابقـة للقرآن ، ولم تكن معارضة لما أوحى إلى ، وماسوى ذلك من الأحاديث فننبذه نبـذ الأنجاس و الأقذار ــ العياذ بالله ــ .

("اعجاز احمدى" ص ٣٠)

(٦) اور هم اسکے جواب میں خداتعالی کی قسم کہا کر بیان کرتے هیں که میرے اس دعوے کی حدیث بنیاد نہیں بلکه قرآن اور وہ وحی هے جو میرے اوپر نازل هوئی۔ هاں تائیدی طور پر هم وہ حدیثیں بھی پیش کرتے هیں جو قرآن شریف کے مطابق هیں اور میری وحی کے معارض نہیں اور دوسری حدیثوں کو هم ردی کی طرح پھینک دیتے هیں۔
(اعجاز احمدی ص ٣٠)

ادعاء المساوات بل الافضلية على نبينا صلى الله عليه وسلم العياذ بالله

(١) والحاصل أن نبوتى ورسالتى من حيث أنى محمد وأحمد لا من نفسى ، وحصل لى ذلك كله بالفناء فى الرسول ، فلم يناقض مفهوم خاتم النبيين .

(اشتهار "ايك غلطى كا ازاله" ص ٢٦٢)

(١) غرض میری نبوت اور رسالت باعتبار محمد اور احمد کے هونے کے هے نه میرے نفس کی رو سے اور یه تمام بحیثیت فنا فی الرسول مجھی کو ملا لهذا خاتم النبیین کے مفهوم میں فرق نه آیا۔ (اشتهار ایک غلطی کا ازاله ص ٢٦٢)

(٢) ولكن من تلاشى فى ذلك الخاتم النبيين بحيث أنه اتسم باسمه لغاية الإتحاد ونفى الغيرية ، وانعكس منه الوجه المحمدى كالمرآة الصافية ، فإطلاق النبي عليه لا يفض خاتم النبوة ، فإنه عين محمد ولو على سبيل الظلية (ضميمة "حقيقة النبوة" ص٢٦٣ "ايك غلطى كا ازاله")

(٢) لیکن اگر کوئی شخص اسی خاتم النبیین میں ایسا گم ہوگیا ہو کہ بباعث نہایت اتحاد اور نفی غیریت کے اسی کا نام پالیا ہو اور صاف آئینہ کی طرح محمدی چہرہ کا اسمیں انعکاس ہوگیا ہو تو وہ بغیر مہر توڑنے کے نبی کہلائے گا کیونکہ وہ محمد ہی ہے گو ظلی طور پر ۔ (ضمیمہ حقیقۃ النبوۃ ص ۲۶۳ ایک غلطی کا ازالہ)

(٣) فبرعاية واسطة محمد المصطفى سميت بمحمد وأحمد فأنا رسول ونبى .
("ايك غلطى كا ازاله" ضميمه "حقيقة النبوة" ص ٢٦٥)

(٣) یعنی محمد صلی اللہ علیہ وسلم اس واسطہ کو ملحوظ رکھکر اور اسمیں ہو کر اور اس نام محمد اور احمد سے مسمی ہو کر میں رسول بھی ہوں اور نبی بھی ہوں ۔ (ایک غلطی کا ازالہ ضمیمہ حقیقۃ النبوت ص ۲۶۵)

(٤) ولهذا الوجه يبقى خاتم النبيين محفوظاً ، فإنى سميت باسم محمد وأحمد من مرآة الصحبة على وجه الإنعكاس والظلية ، ومن غاظه هذا الوحى الإلهى وإنه لم سمانى نبياً ورسولاً ، فهذا من غاية حمقه فإن بتسميتى نبياً ورسولاً لا يفض خاتم الله تعالى .

(ضميمة "حقيقة النبوة" ص ٢٦٥)

(۴) اور اس طور سے خاتم النبیین کی مہر محفوظ رہی کیونکہ میں نے انعکاسی اور ظلی طور پر صحبت کے آئینہ کے ذریعہ سے وہی نام پایا ۔ اگر کوئی شخص اس وحی الہی پر ناراض ہو کہ خدائے تعالی نے کیوں میرا نام نبی اور رسول رکھا ہے تو یہ اسکی حماقت ہے کیونکہ میرے نبی اور رسول ہونے سے خدا کی مہر نہیں ٹوٹتی ۔ (ایک غلطی کا ازالہ منقول از ضمیمہ حقیقۃ النبوۃ ص ۲۶۵)

(٥) وإني أقول أن تلقبي بألقاب النبوة والرسالة بعد محمد ﷺ الذي هو خاتم النبيين في الحقيقة ليس مما يشنع عليه ولا يناقض ختميته ﷺ فإني قد ذكرت مراراً أني على موجب قوله تعالى : (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) عين محمد الخاتم النبيين على وجه البروز ، والله تعالى قد سماني نبياً ورسولاً في "البراهين الأحمدية" قبل هذا بعشرين سنة ، وجعلني عين وجوده ﷺ ، فبهذا الوجه لم تتزلزل خاتميته ﷺ بنبوتي فإن الظل لا ينفصل عن ذي الظل . (ص ٢٦٥)

(٥) مگر میں کہتا ہوں کہ آنحضرت صلی‌الله علیه وسلم کے بعد جو در حقیقت خاتم النبیین تھے مجھے نبی اور رسول کے لفظ سے پکارا جانا کوئی اعتراض کی بات نہیں اور اس سے مہر ختمیت ٹوٹتی نہیں کیونکه میں بارہا بتلاچکا ہوں که میں بموجب آیهٔ کریمه : وآخرین منهم لما یلحقوا بهم بروزی طور پر وہی نبی خاتم الانبیاء ہوں اور خدا نے اب سے بیس برس پہلے براھین احمدیه میں میرا نام محمد اور احمد رکھا ہے اور مجھے آنحضرت صلی‌الله علیه وسلم کا ہی وجود قرار دیا ہے - پس اس طور سے آنحضرت صلی‌الله علیه وسلم کے خاتم الانبیاء ہونے میں میری‌نبوت سے کوئی تزلزل نہیں آیا - کیونکه ظل اپنی اصل سے علیحدہ نہیں ہوتا - (ص ٢٦٥)

(٦) ولما صرت عين محمد ﷺ على سبيل الظلية والبروز فلم يفض خاتم النبيين فإن نبوة محمد ﷺ على هذا بقيت محدودة في نفسه ولم يتنبأ غير محمد ﷺ (ص ٣٦٦)

(٦) اور چونکه میں ظلی طور پر محمد صلی‌الله علیه وسلم ہوں پس اس طور سے خاتم النبیین کی مہر نہیں ٹوٹی کیوں که محمد صلی‌الله علیه وسلم کی نبوت محمد تک ہی محدود رہی - یعنی بہر حال محمد صلی‌الله علیه وسلم نبی رہے نه اور کوئی الخ - (ص ٢٦٦)

(٧) ولما صرت البروز المحمدي الذي كان موجوداً من قديم أعطيت

(٧) اور چونکه وہ بروز محمدی جو قدیم سے موعود تھا وہ میں ہوں اس سے بروزی رنگ کی نبوت مجھے عطا کی گئی اس

النبوة البروزية، وأما تلك النبوة فسائر المخلوقات فى جنبها عاجزة فإنها قد ختمت .
(ضميمة "حقيقة النبوة" ص ٢٦٨)

نبوت کے مقابل پر تمام دنیا بے دست وپا ہے کیونکہ نبوت پر مہر ہے ۔(ایک غلطی کا ازالہ از ضمیمہ حقیقۃ النبوت ص ٢٦٨)

(٨) كان مقدراً أن يبرز لمحمد ﷺ بروز فقد برز والآن لم يبق للاستنباط من منبع النبوة سبيل غيره .
(كتاب مذكور ص ٢٦٨)

(٨) ایک بروز محمدی جمیع کمالات محمدیہ کے ساتھ آخری زمانے کے لئے مقدر تھا سو وہ ظاہر ہوچکا ۔ اب بجز اس کھڑکی کے اور کوئی کھڑکی نبوت کے چشمہ سے پانی لینے کے لئے باقی نہیں (کتاب مذکور ص ٢٦٨)

(٩) وعلى هذا قد سماني تبارك وتعالى مراراً بالنبي والرسول ، ولكن على سبيل البروز ، بحيث يرتفع نفسي من الدين ، ولا يبقى إلا محمد ﷺ ، فبهذا لقبت بمحمد وأحمد ، فلم تذهب النبوة والرسالة إلى غير محمد ﷺ بل بقى أمر محمد عند محمد نفسه ﷺ . (ضميمه ص ٢٦٩)

(٩) اور اس بنا پر خدا نے بار بار میرا نام نبی‌الله اور رسول رکھا ۔ مگر بروزی صورت میں میرا نفس درمیان نہیں ہے بلکہ محمد صلی‌الله علیہ وسلم اسی لحاظ سے میرا نام محمد اور احمد ہوا پس نبوت اور رسالت کسی دوسرے کے پاس نہیں گئی ۔ محمد کی چیز محمد ہی کے پاس رہی علیہ الصلاۃ والسلام (ضمیمہ حقیقۃ النبوت ص ٢٦٩)

افترى على الله أن هذه الآيات نزلت فى شأنه .

میں کہتا ہوں کہ اسنے الله پر جھوٹ باندھا یہ کہکر کہ مندرجہ ذیل آیات اس کے متعلق نازل ہوئی ہیں ۔

(١٠) وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى .
(ضميمه "حقيقة الوحى" ص ٧٩)

(١٠) ترجمہ : اور آپنے نہیں پھینکی تھیں (کنکریاں) جو پھینکی تھیں بلکہ الله نے پھینکی تھیں ۔

(١١) دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى .
(ضميمه "حقيقة الوحى" ص ٨٦)

(١١) ترجمه - پھر نزدیک ہوا اور لٹک آیا پھر رہ گیا فرق دو کمان کی برابر یا اس سے بھی نزدیک .

(١٢) سبحان الذی أسری بعبده ليلاً.
(ضميمه "حقيقة الوحى" ص ٨١)

(١٢) ترجمه - پاک ذات ہے جو لے گیا اپنے بندہ کو راتوں رات .

(١٣) قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله .
(ضميمه "حقيقة الوحى" ص ٨١)

(١٣) ترجمه - آپ کہہ دیجئے : اگر تم اللہ کی محبت چاہتے ہو تو میری پیروی کرو اللہ تم سے محبت کرے گا .

(١٤) آثرك الله على كل شئ(١) .
(ضميمه "حقيقة الوحى" ص ٨٣)

(١٤) ترجمه - اللہ تعالی نے آپ کو ہر چیز پر ترجیح دی ہے .

(١٥) نزلت سرر من السماء ولكن سريرك وضع فوق كل سرير
(ضميمة "حقيقة الوحى" ص ٨٣)

(١٥) ترجمه - آسمان سے تخت اترے لیکن تیرا تخت سب تختوں کے اوپر رکھا گیا ہے .

(١٦) إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر .
(خاتم الإستفتاء ؛ ضميمة "حقيقة الوحى" ص ٨٤)

(١٦) : ترجمه - ہم نے آپ کو کھلی فتح دی تاکہ اللہ تعالی بخش دے آپ کے اگلے پچھلے گناہ .

(١٧) سبحانك الله درا فاك .
(ضميمة "حقيقة الوحى" ص ٨٥)

(١٧) سبحانك الله درافاك (ضميمة حقيقة الوحى ص — ٨٥)

---

(١) قلنا : فيه ادعاء الأفضلية على محمد ﷺ وسائر الأنبياء .

(١٨) لولاك لما خلقت الأفلاك .
(ضميمة "حقيقة الوحی" ص ٨٥)

(١٨) اگر آپ نه هوتے تو میں دنیا جهان کو نه پیدا کرتا (ضمیمه حقیقة الوحی ٨٥)

(١٩) إنا أعطيناك الكوثر .
(ضميمه "حقيقة الوحی" ص ٨٦)

(١٩) همنے آپکو حوض کوثر عطا کی (ضمیمه حقیقة الوحی ٨٦)

(٢٠) أراد الله أن يبعثك مقاماً محموداً (الإستفتاء ص ٨٦) .

(٢٠) الله چاهتا هے که آپ کو مقام محمود عطا فرمائے (الاستفتا ص ٨٠)

(٢١) لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين (حقيقة الوحی ص٨٠)

(٢١) شاید آپ انکے ایمان نه لانے پر (رنج کرتے کرتے) اپنی جان دیدینگے .

(٢٢) قال فی تصنيفه ("تحفه كولروية" ص ٤٠): إن معجزاته ﷺ بلغت ثلاثة آلاف ، وادعى لنفسه فی الجزء الخامس من (البراهين الأحمدية ص ٥٦) عشر مائة ألف فانظر كيف فضل نفسه على نبينا ﷺ بتكثير المعجزات أية كثرة .
(نعوذ بالله من هذه الكفريات القبيحة) .

(٢٢) تحفه گولڑویه کے ص ٤٠ پر جناب رسول الله صلی الله علیه وسلم کے معجزات کی تعیین تین هزار لکهی هے - اور اپنے معجزات کی حصه پنجم براهین احمدیه ص ٥٦ پر دس لاکه بتلائی هے جس سے صاف معلوم هوتا هے که مرزا صاحب رسول الله صلی الله علیه وسلم سے زائد درجه عالی تهے - نعوذ بالله من هذه الكفريات القبيحه -

(٢٣) له خسف القمر المنير وإن لی خسفا القمران المشرقان أتنكر
(اعجاز أحمدی ص ٧١)

(٢٣) ترجمه - اسکے لئے چاند کا خسوف ظاهر هوا اور میرے لئے چاند اور سورج دونوں کا اب کیا تو انکار کریگا -
(اعجاز احمدی ص ٧١) .

(٢٤) وظاهر أن زمان الفتح المبين قد انقضى فى عهده ﷺ وبقى فتح آخر أبين منه غلبة ونصرة ، وقد قدر أن يكون زمانه زمان المسيح الموعود ، وإلى هذا أشير فى قوله تعالى : (سبحان الذى أسرى) .
("سيرة الأبدال" ص ١٩٣)

(٢٤) اور ظاہر ہے کہ فتح مبین کا وقت ہمارے نبی کریم کے زمانے میں گذر گیا اور دوسری فتح باقی رہی کہ پہلے غلبہ سے بہت بڑی اور زیادہ ظاہر ہے اور مقدر تھا کہ اسکا وقت مسیح موعود کا وقت ہے اس طرف خدا کے اس قول میں اشارہ ہے سبحان الذی أسری (سیرة الأبدال ص ١٩٣)

(٢٥) إن الله خلق آدم وجعله سيداً وحاكماً وأميراً على كل ذى روح من الإنس والجان كما يفهم من آية اسجدوا لآدم ثم أذله الشيطان وأخرجه من الجنان ورد الحكومة إلى هذا الثعبان ومس آدم ذلة وخزى فى هذا الحرب العوان وإن الحرب سجال وللأتقياء مال عند الرحمن فخلق الله المسيح الموعود ليجعل الهزيمة على الشيطان فى آخر الزمان ، وكان وعداً مكتوباً فى القرآن (حاشية در حاشية ص ت خطبهٔ الهامية ملحقة سيرة الأبدال)

(٢٥) اللہ تعالی نے حضرت آدم علیہ السلام کو پیدا فرمایا اور ان کو سید البشر اور تمام ذی روح انسانوں اور جناتوں کا حاکم اور امیر بنایا ہے جیسا کہ آیت پاک اسجدوا لادم (آدم کو سجدہ کرو) سے ظاہر ہوتا ہے . پھر شیطان نے آدم کو ذلت میں ڈالدیا اور ان کو جنت سے نکلوادیا اور پھر حکومت اس شیطان کی طرف واپس پھر گئی اور اس درمیانی جنگ میں آدم علیہ السلام کو بہت ذلت و رسوائی اٹھانی پڑی اور جنگ تو ایک غیریقینی چیز ہے اور متقی لوگوں کے لئے خدا کے پاس ذخیرہ ہے۔ پھر اللہ تعالی نے مسیح موعود کو پیدا فرمایا تاکہ آخر زمانہ میں شیطان کو شکست دیں . یہ خدا کا وعدہ ہے قرآن پاک میں . (حاشیہ در حاشیہ ص ت خطبہ الہامیہ ملحقہ سیرة الابدال)

(٢٦) ما ينطق عن الهوى إن هو

(٢٦) نبی اپنی طرف سے کچھ نہیں بولتے

إلا وحي يوحى. (أربعين نمبر ٢ ص ٣٢)

سوائے اس بات کے جو وحی کے ذریعہ نازل ہو (اربعین ص ٣٢)

(٢٧) ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ("دافع البلاء" ص ٦)

(٢٧) الله تعالى آپ کی موجودگی میں ان کو هلاک کرنے والا نہیں ("دافع البلاء" ص ٦)

(٢٨) إنى بايعتك بايعنى ربى ("دافع البلاء" ص ٦)

(٢٨) میں نے آپ سے بیعت کی ہے اور مجھ سے میرے رب نے بیعت کی ہے۔ ("دافع البلا" ص ٦)

(٢٩) أنت منى بمنزلة أولادى، أنت منى وأنا منك، واصنع الفلك بأعيننا ووحينا، إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد، والخير كله فى القرآن ("دافع البلاء" ص ٦ و٧)

(٢٩) آپ میرے سامنے میری اولاد کے برابر هین آپ مجھ سے هیں اور مین آپ سے هون۔ اور بنائیے کشتی میرے سامنے اور میری وحی کے مطابق جو لوگ آپ سے بیعت کرتے هیں وہ خدا سے بیعت کرتے هین الله کا هاتھ ان کے هاتھ پر هے آپ کہدین مین تو ایک بشر هون تمهاری طرح مجھپر وحی نازل هوتی هے بیشک تمهارا ایک خدا هے اور تمام خیر قرآن پاک میں هے (دافع البلا ص ٦ و ٧)

(٣٠) ما أرسلناك إلا رحمة للعلمين إعملوا على مكانتكم إنى عامل فسوف تعلمون ("حقيقة الوحى" ص ٨٢)

(٣٠) هم نے آپکو تمام جهانوں کیلئے رحمت بناکر بهیجا هے۔ تم اپنی جگه کئے جاؤ مین بهی اپنا کام کئے جاؤنگا۔ بس تمکو عنقریب معلوم هوجائیگا۔ ("حقيقة الوحى" ص ٨٢)

هـــذه ترجمة ما هذى به الأسود الكاذب من الكفر اللازب كفراً بواحاً وصراحاً ٥ لعنة الله عليه والملائكة والناس أجمعين ٥

صورة ما كتبه أكابر العلماء وجهابذة الفضلاء

ممن تولى الدرس والإفتاء ، وتصدر لنشر الشريعة الغراء فى
تصديق هذه الرسالة وتصويب تلك المقالة على
حصول ترتيب تلك التصديقات والتوثيقات .

صورة ما كتبه شيخنا الفقيه المحدث العارف العلامة مسند الوقت
منتهى الإسناد مولانا خليل أحمد السهارنفورى صدر
المدرسين بمدرسة مظاهر العلوم وشارح "سنن
أبى داؤد" شرحاً بارعاً أدام الله تعالى ظله

بسم الرحمن الرحيم

الحمد لله الحميد الفعال ، الكبير المتعال ، المنزه عن التشبيه والمثال .
والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، صاحب المجد ، والشرف ، والكمال ،
وعلى آله وصحبه ، خير صحب ، وآل الذين أزاحوا الباطل والضلال .
أما بعد فقد كانت مسألة تكفير أهل القبلة فى كلام الفقهاء والمحدثين
والمتكلمين من أهل الحق غامضة ، لايبلغ دركها إلا من أعطاه الله فهماً
سليماً ، ووفقه لتناول الحق ، وكان بعض الناس وقعوا فى الغلط من
اختلاف عباراتهم ، فقام لها مولانا الشيخ الحاج المولوى أنور شاه صدر

المدرسين فى دار العلوم بديوبند ، وبذل فيها جهده ، وحقق الحق فيها ، وأبطل الباطل منها ، فاطلعت على ما جمع فيها من تصريحات المتقدمين والمتأخرين ، وأزال عنها شبهة القاصرين والجاهلين، فوجدته بحمد الله تعالى حقاً صريحاً ، ومذهباً صحيحاً ، جزاه الله تعالى جزاءً يكافئ سعيه ، وتلقاه بالقبول عنده .

خليل أحمد

الناظم لمدرسة مظاهر العلوم فى سهارنفور

صورة ما كتبه شيخ العصر الفقيه المحدث المفسر العارف العلامة مولانا أشرف على التهانوى أدام الله ظله

مبسملاً وحامداً ومصلياً ، يقول هذا العبد : أنه كان مشهوراً دائراً على الألسنة أن كون المرء من أهل القبلة يمنع إكفاره مطلقاً ولو أنكر ضروريات الدين ، وكذا كونه متأولاً ، ولو فى ضروريات الدين ، وكذلك عدم الإلتزام ، ولو مع اللزوم ، وكان بعضهم يفرع عليها عدم إكفار المرزائيين خصوصاً منهم الذين يتقون ظاهراً نبوة قائدهم ؛ ويتأولون فى دعواه لها ، ولعمرى لوكان الأمر كمازعموا لزم أن لا يكفروا من آمن بمسيلمة اليمامى مع إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ويأول دعواه النبوة ، وقد كان اليمامى يصدق نبينا ﷺ ، ولا أرى أحداً من المسلمين يلتزم هذا الملتزم ، ولبطلان هذا اللازم المستلزم لبطلان ملزوماته كانت المسائل الثلاثة مفتقرة إلى التفصيل ، فجزى الله تعالى مؤلف الرسالة الملقبة: "بإكفار الملحدين" ، حيث فصل المسائل بما لا مزيد عليه ، وكمل وسوى الدلائل ، وعدل ، فإذن الرسالة عندى كافية فى المقصود شافية ،

ولما لابد منه فى البحث وافية فتقبلها الله تعالى وجعلها نافعة ، ولغياهب الشكوك والأوهام دافعة ، وأنا العبد المفتقر إلى رحمة ربه أشرف على التهانوى الحنفى عفى عنه ، واليوم يوم السبت ، سادس شهر الله المحرم سنه ١٣٤٣ من الهجرة النبوية على صاحبها ألف ألف صلاة وتحية .

صورة ما كتبه الشيخ الفقيه المحدث العلامة صدر جمعية العلماء لإقليم الهند والمفتى الأعظم ببلدة دهلى وصدر المدرسين بالمدرسة الأمينية مولانا كفاية الله ـ أدام الله ظله ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، بعثه بالحق داعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وختم به النبوة والرسالة ، فجاء خاتم النبيين والمرسلين بشيراً ونذيراً ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم صلاة متوالية وسلاماً كثيراً .

أما بعد : فإنه قد كان يختلج فى صدور بعض الناس تسجيل العلماء بكفر الطائفة القاديانية القائلة بنبوة محدثها (مرزا غلام أحمد القاديانى) وبكفر الفرقة الأحمدية القائلة بأن مرزا غلام أحمد المذكور كان مسيحاً موعوداً ، ومهدياً منتظراً ، ومجدداً جليلاً ، وولياً نبيلاً ، وإنه لم يدع النبوة والرسالة ، وإن سمى نفسه نبياً ورسولاً ، وادعى الوحى والإلهام ، وسوى بين وحيه ووحى الأنبياء ، ظناً منه أنهم متأولون ، وتوقف فى تكفير أمثالهم السلف الصالحون ؛ فقال العلامة عمدة زمانه ، ورحلة أوانه ، صدر

الأفاضل ، وفخر الأماثل ، المولى المقدام ، والحبر الهمام ، مولانا محمد أنور شاه ، صدر الأساتذه بدار العلوم الديوبندية مشمراً عن ساق التحقيق ، ورافعاً لواء التدقيق ، فكشف عن المرام ، ومحا الظلام ، نحى الستر ، وجلى الأمر فى عجالة سماها : "إكفار الملحدين" ، نضد فيها درراً وجود غرراً ، فلم يترك مساغاً للشك والإختلاج ، ترى سطورها كأنها للإيقان فجاج ، جزاه الله عنا وعن سائر المسلمين ، وقطع بما أبدى دابر الملحدين ، ونقى به لون الدين المبين ، وأزاح كيد الخائنين الظالمين .

محمد كفاية الله عفا عنه ربه وكفاه
٤ ـ ربيع الأول سنة ١٣٤٣ هـ

صورة ماكتبه الحافظ الحجة الفقيه المحدث العارف العلامة شيخ الإسلام والمسلمين المفتى بدار العلوم الديوبند جامع الشريعة والطريقة سيدنا وسندنا ومولانا عزيز الرحمن الديوبندى ـ أدام الله ظله .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خالق السماوات والأرضين ، والصلاة والسلام على النبى الأمى الأمين ، خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، وآله وصحبه الذين حازوا الفضل المتين ، وفازوا بالفوز المبين .

أما بعد فإن الفئة الباغية الطاغية من أهل القاديان لما بغوا وطغوا وعتوا عتواً كبيراً ، وأفسدوا فى الأرض فساداً كثيراً ، حيث أثبتوا لرئيسهم نبوة عامة ، أوكونه عيسى المعهود مهدياً مجدداً للدين المتين ، فقام لإبطاله

أباطيلهم ، ومحق أكاذيبهم ، العلامة الفهامة ، والحبر القمقام، شيخ الحديث وصدر المدرسين ، فى دار العلوم بديوبند مولانا الشاه محمد أنور سلمه الله وأبقاه ، فأفاد ، وأجاد ، وأحكم ، وأشاد ، وحقق كفر الفئتين من أتباع الملحد الطاغى القاديانى الباغى بما لامزيد عليه، فجزاه الله تعالى خير الجزاء ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

صورة ما كتبه العلامة المحقق مولانا شبير احمد العثمانى شيخ التفسير بجامعة الإسلامية دابهيل - أدام الله ظله .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذى الآلاء والنعماء ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله ، خاتم الرسل والأنبياء، وعلى آله وأصحابه البررة النجباء ، و بعد ، فقد تشرفت وانتفعت، ولله الحمد بمطالعة الرسالة الغراء : " إكفار الملحدين " للشيخ العلامة الجليل ، فقيد المثيل فى زمانه ، وعديم العديل فى أوانه ، بقية السلف ، وحجة الخلف ، البحر المواج، والسراج الوهاج ، الذى لم تر العيون مثله فى العهد الحاضر ، ولم ير هو مثل نفسه ، قد رزقه الله تعالى من العلم والنهى، والعفة والتقى، والحظ الأوفر؛ وهو سيدنا ومولانا الشيخ الأنور ، مد الله ظله على رؤس المسترشدين والمتعلمين ، وكانت الضرورة العصرية داعية إلى مثل هذه الرسالة الزهراء ، فإن المسألة مهمة ، والأقوال فيها مضطربة ، ومادتها منتشرة ، ومظانها متكثرة ، ولهذا وقع بعض أهل العلم والقصد الصالح أيضاً فى الغلط أوالشك والتردد ، فجزى الله الشيخ العلامة مؤلف الرسالة عنا وعن سائر المستفيدين ، فإنه قدكشف

الحجاب عن وجه الحق والصواب ، وقطع عرق الإلتباس والإرتياب ، وحقق قاعدة عدم تكفير أهل القبلة ، ونقح ضابطة عدم إكفار المتأول بما لا مزيد عليه ، حتى بين الصبح لذى عينين ، وكفى وشفى ، حتى لم يبق مجال الشبهة والإنكار ، لمن شرح الله صدره للإسلام ، وكان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، فلله الحمد أولاً وآخراً ، وباطناً ، وظاهراً ، فإنه حميد مجيد .

العبــد

شبير احمد العثمانى الديوبندى

٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣ هـ

صورة ما كتبه العلامة الفقيه المحدث المفتى نائب أمير الشريعة لولاية بهار مولانا أبوالمحاسن محمد سجاد أدام الله ظله .

الحمد لله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو على كل شئ قدير ، والصلاة والسلام على سيدنا خاتم الأنبياء محمد الذى لانبى بعده إلى يوم الدين من غير نكير ، وعلى آله الكرام وصحبه البررة العظام ، و أئمة الدين الفخام ممر الشهور والأعوام .

أما بعد: فلما كان من مظان العوام وممن أوتوا العلم وهم أولوا الأفهام ، ان الذين لهجت ألسنتهم بالشهادتين ، وأظهروا الإيمان بكتاب الله تعالى ، فهم المؤمنون حقاً ، وإن أنكروا ألوفاً من معانى الكتاب والسنة المحققة المثبتة بالقطع عند الجمهور متأولين بتأويل يبطله المأثور المشهور ؛ فكان الإيمان بالبعض عندهم إيمان لايضره الكفر ببعض وهوى بهم فى تلك المهاوى ، وأضلهم عن الصراط

السوى ما استفاض، وذاع عن الأئمة المجتهدين أن لا نكفر أحداً من أهل القبلة، وعسى هم لم يعثروا على ما عنوا بقولهم رحم الله الجميع فدعت ضرورة العامة والخاصة إلى كتاب يفصح عن طرق زوال الإيمان، ويوضح مسلك السلف فى هذا بالبرهان ، ويزيل أوهام المترددين فى تكفير الزنادقة والملحدين الذين يتبعون أهوائهم بالتأويل الباطل والتحريف الزائغ بحيث يمتاز الحق الصريح ويتضح التصح النصيح ، لا يأتيه الباطل ، ولا يرتاب فيه العاقل .

فحمداً لله الذى وفق علامة الدهر فهامة العصر فقيه زمانه محدث أوانه، ثقة فى الرواية حجة فى الدراية ،شيخ العلماء مولانا المولوى محمد أنور شاه أمد الله فى حياته لنا ولكافة المسلمين، وأبقاه وأنجحه فى متمناه ، إنه لبى تلك الدعوة وأتى بتأليف منيف فى ذاك البحث الشريف مسمياً: "بإكفار المتأولين والملحدين فى شىء من ضروريات الدين" ففصل الفصول وجمع فيها الأصول يظهر بها مناط الكفر والإيمان ويسهل بها التميز بين أهل الحق وأهل الطغيان،وأثبت المطالب فى كل باب بالسنة والكتاب ،وأردف بالنقول عن الأئمة الفحول، فجاء وله الحمد كتاباً تهتز له الخواطر ، وتقربه النواظر ، فشكر الله مسعاه ، وجزاه عنا وعن سائر المسلمين أجزل جزاء وأوفاه،وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه أجمعين .

وأنا أحقر العباد أبو المحاسن محمد سجاد البهارى عفا عنه البارى .

صورة ما كتبه الشيخ الثقة الأمين ناصر السنة الغراء وقامع البدعة الظلماء جامع العلوم النقلية والعقلية لسان الإسلام والمسلمين وسيف الله على رؤوس الملحدين، نجل الحيدر الكرار ــ ولا سيف إلا ذو الفقار ــ مولانا العلامة السيد مرتضى

حسن ناظم التعليم بدارالعلوم الديوبندية ـ أدام الله ظله .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق ويتوب الله على من تاب ، ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة،إنك أنت الوهاب . وصل وسلم وبارك على سيدنا و مولانا محمد،مركز النبوة ، وخاتم الرسالة الذى لانبى بعده بشريعة ولابغير شريعة بلاإرتياب ، وآله وصحبه شهب رجوم الشياطين ونجوم الهداية وهداة سبل الصواب .

وبعد فإن مسيلمة الفنجاب مرزا غلام أحمد القاديانى قد أنكر ختم النبوة والرسالة ، وحرف معناه وأتبع فى كفره البها والباب ، والدعى النبوة الحقيقية الشرعية بل التشريعية مع الشريعة الجديدة والوحى والكتاب ،وأهان الأنبياء عليهم السلام خصوصاً سيدنا عيسى عليه السلام بصريح الخطاب . وأنكر القطعيات الدينية الضرورية بتأويلات ، بل هى الإنكار بإقراره من غير تأويل وحجاب ،فهذا ومن تبعه ملحد زنديق كافر مرتد بلاريب وشك ،وعليه الفتوى وهو الحق وفيه الصواب . وكذا من شك فى كفره وعذابه بعد اطلاعه على كفرياته فعليه ما عليه، ولعنه فى الدنيا وذلة فى الآخرة ، وعذاب وعقاب ، كيف ولولم يكن هذا ومن تبعه خارجاً عن الإسلام مرتداً ،لم يكن مسيلمة وأتباعه وأمثاله كافراً مرتداً عند الجزاء يوم الحساب . فجزى الله تعالى عنى وعن سائر المسلمين خير الجزاء فى الدنيا والآخرة وحسن المآب شيخ الإسلام والمسلمين مجمع بحور الدنيا والدين مولانا انورشاه الكشميرى صدر المدرسين بدار العلوم الديوبندية حيث بين فى رسالته : "إكفار المتأولين والملحدين فى شيء من ضروريات الدين" من القرآن والسنة،

وآثار الصحابة، وتصريحات أئمة الحديث والفقه والأصول والتفسير بفصل الخطاب. إن الإنكار والتأويل فى أمر من ضروريات الدين غير مسموع والمنكر والمتأول سيبان فى حكم الإرتداد والتكفير عنهما غير مدفوع. فهذه رسالة شافية كافية وافية فى موضوعها، مشتملة على أصوله وفروعه، ودرره وغرره، وعجائبه وغرائبه، ومع هذا أخذ فوائدها ومنافعها غير ممنوع، فعلى المسلمين المطالعة بمفهومها والإشاعة بمضامينها، ودفع الفئة المسيلمية الفنجابية بأصولها وفروعها، ولتذكر شيئاً من عباراته الكفرية لتكون تذكرة وتبصرة، وقطرة من بحور كفره وإلحاده وزندقته. والله تعالى هو الموفق، وله الحمد فى الأولى والآخرة. والصلاة والسلام على نبيه وحبيبه وآله وصحبه مادام الإتفاق والتفرقة. آمين برحمتك ياحافظ الإسلام والقرآن والدين والمسلمين.

صورة ما أفاد علامة الدنيا والدين بقية العلماء الراسخين، من حاز قصب السبق فى كل مضمار، ودار معه الحق حيثما دار، فأصبح آية فى إصابة الرأى والعلم، والنظر فى العين والأثر، المحقق الجهبذ العلم المفرد العلامة مولانا الشيخ حبيب الرحمن الديوبندى نائب الإهتمام بدار العلوم أدام الله ظله.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذى تكفل بحفظ الدين المتين، ونصب لتسديد أموره فى كل عصر طائفة يتفقهون فى الدين، وينذرن من أوقفهم الغواية على شفا حفرة من الضلال المبين، وليطهروا حريمه عن أرجاس الكفر وأدناس الإلحاد والزندقة، حتى ينبلج صبح الحق ويستبين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا ومولانا محمد الذى تركنا على مثل بيضاء ليلها ونهارها سواء، فلا يتردى فى

مهواة الضلالة إلا من سلب التوفيق وحرم اليقين، وعلى آله وأصحابه الذين رفعوا أعلام الشريعة، وشادوا منارها، فلم يبق أفق من آفاق العالم إلا ونورها يتلألأ تلألؤ الشمس على السماء والأرضين، وقاموا لحمايتها بأموالهم وأنفسهم، ودافعوا عنها كل عتل أفاك مهين، حتى قتلوا من مرق عن الإسلام بإنكار ما ثبت فى الدين بالضرورة، أو ادعى لنفسه النبوة ولو مع الاعتراف بنبوة سيد المرسلين ﷺ مثل الأسود العنسى، ومسيلمة اليمامى، ذلك الكذاب اللعين، ولم تأخذهم رأفة فى دين الله، ولا صدتهم عن الشدة على أولئك المارقين عواطف الرقة واللين، وبعد فإنه لم يبق عصر من عصور الإسلام إلا ونشأت فيه فتنة ازعجت أهله، وأذلتهم عما سبق من الفتن لشدتها وهولها واضطرام نارها واستطارة لهيبها وضرامها، ولكن الله عز وجل أنجز وعده فى حفظ الإسلام والمسلمين ووفق لأهل ذلك العصر من الملوك والسلاطين والعلماء الربانيين المتقنين فاستأصلوا الفتنة عن رأسها وهدموها على أساسها، وأزاحوا عن وجه الدين غياهب الشكوك والشبهات حتى إن كل فتنة استطارت إبان بدئها ونشورها كل مطار تلاشت بعد اشتدادهم، وتضائلت بعد انتشارها، ولم يبق لها إلا اسم أو رسم من طائفة قليلة، فمن يتلقونها خلفاً عن سلف ليس لهم عدد ولا مدد أوما ترى الباطنية والقرامطة الذين طالت مدتهم، واشتدت شوكتهم حتى سفكوا دماء الحجاج فى عرفات والمطاف، وقلعوا الحجر الأسود، وذهبوا به إلى هجر، أين درجوا؟ وأين بنو برغواطة الذين ملكوا البلاد وقهروا العباد وجاسوا خلال الديار أزيد من ثلاثمائة سنة؟ هل ترى منهم عيناً أو تسمع لهم ركزاً، أم أين المهدوية أتباع الجونفورى، هل ترى لهم من باقية إلا أفراداً كأنهم الأسراء فى سجن محفوراً، والموتى فى القبور، وإن من أعظم الفتن، وأقواها وأكثرها شناعة وأدهاها فتنة عمياء وداهية دهياء تسمى فتنة القاديان، والفتنة المرزائية التى أنكر زعيمها الميرزا غلام أحمد ختم النبوة، وزعم أنه نبى، إما

ظلياً ، أو بروزياً، أو تشريعياً ، كل ذلك فى كتبه التى موهها لأذنابه يلقى عليهم من كلماته شيئاً فشيئاً حتى استقرت فى نفوسهم نبوته ، وآمنوا بوحيه وكلامه المعجز ومعجزاته وصارت أمته غير أمة المسلمين، فهم يكفرون كل من أنكر نبوته من مسلمى الدنيا، لا يصلون خلفهم ولا يصلون على جنائزهم ، ولا يجيزون مناكحتهم . ثم لم يقنع ذلك الزعيم على هذا، فادعى لنفسه الفضيلة على الأنبياء والمرسلين بل وعلى خاتم النبيين، وأهان روح الله ورسوله سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام وأتى فى حقه بكل كلمة شنيعة فظيعة، لا يستطيع أحد سماعها ، ثم افترقت أتباعه ففرقة منهم بقيت متمسكة بأصل دعواه وأعلنت بنبوته جهاراً لا يردعهم دين ولا يمنعهم حياء، وتلك الفرقة هى جمهور المرزائية ؛ وطائفة قامت تخدع المسلمين، فبقيت فى الباطن على ما كان عليه زعيمها وقالت نفاقاً وخدعاً عالم يدع المرزا لنفسه النبوة ، ولا نعتقده نبياً بل نراه مصلحاً مجدداً ومسيحاً موعوداً وذلك منهم صريح النفاق لخدع المسلمين وتلقين دسائس المرزا وهفواته وهم أكثر ضرراً على المسلمين من الفرقة الأولى . فإن كثيراً من المسلمين الذين ليس لهم علم بدسائس المرزا ولا لهم اطلاع على مكائد هؤلاء المنافقين المحتالين إذا سمعوا مقالتهم يحسنون ظنونهم للمرزا، ثم يسمعون مناقبه التى اخترعوها وأوصافه التى اختلفوها فيعتقدون أنه رجل صالح، وتلك شبكة تصاد بها الغافلون، فانظر أيها الفطن المتيقظ أين بلغ بالمسلمين نفاقهم توقف فى تكفيرهم من لم يطلع على مقصودهم ومرادهم ، وكان من سنة الله فى الذين خلوا من قبل أن تقوم هذه الفتنة إلى أمد معلوم تلتهب نارها ويطير ضرامها، ثم تضمحل وتبيد وكان وعد الله مفعولاً ، ليحق الحق ويبطل الباطل، فيبقى الإسلام غضاً طرياً على ما كان عليه ، والمسلمون منصورين ظاهرين على الحق ما ضرتهم تلك الفتنة ، ولا نقصتهم ، ومع هذا فقد كان حقاً على أهل الدين من الأمراء والملوك والسلاطين والعلماء الربانيين المتقنين

أن يقوموا لقمع هذه الفتنة استيصالها يداً واحدة، ويبذلوا جهدهم فى مكافحتها، ويؤدوا فرضهم فى نصرة الإسلام، وإلا صاروا مخذولين متولين عن الدين مستحقين أن يمحق اسمهم عن المسلمين ويستبدل الله بهم قوماً غيرهم. فقام أداءً للفريضة ونصرة للحق فئام من العلماء لقمع هـذه الفتنة وكشف عوارها، فنشروا الـكتب والرسائل حتى اتضح الحق وافتضح الباطل واطلع عوام المسلمين وخواصهم على ما دس المرزا من الكفر والإرتداد، الصريح لم يبق لأتباعه إلا طائفة طبع الله على قلوبهم وملأ الزيغ صدورها فهم لايؤمنون حتى يروا العذاب الأليم.

وممن قام لدمغ هذه الفتنة وقمع أباطيل هؤلاء المردة الطغاة الذين ليسوا فى عداد فرق المسلمين، وتحقيق مسئلة تكفير الملحدين والمتأولين من أهل القبلة الشيخ الثقة الورع التقى الحافظ الحجة المفسر المحدث الفقيه المتبحر فى العلوم العقلية والنقلية، رافع لواء التحقيق فى المسائل الغامضة المهمة مولانا الشاه محمد انور صدر المدرسين فى دار العلوم بديوبند حرسها الله وحماها، فصنف رسالة جمع فيها وأوعى وأتى بكل ما يحتاج إليه العلماء فى هذه المسألة، وأورد فيها تحقيقات مفيدة، وأثبت فيها أن المرزائية ليسوا من الإسلام فى شئ، وإنهم خارجون عن فرق المسلمين كلها؛ وهى رسالـة إذا رآها منصف متيقظ لايبقى له ريب، ولاشك فى هـذه المسألة، ولا يتردد فى خروج الطائفة المرزائية من فرق الإسلام ضاعف الله أجر مؤلفه، وبارك فى أوقاته، ونفع بها المسلمين، وهدى بها الذين فى ريبهم يترددون، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وأنا العبد الضعيف حبيب الرحمن الديوبندى العثمانى

صورة ما كتبه العالم العلامة العارف المحقق مولانا محمد رحيم الله البجنوري أدام الله ظله

بعد الحمد الكامل للأحرى به ، والصلاة الكاملة للحرى بها ، يقول العبد المذنب الضعيف الراجى إلى رحمة ربه القوى محمد رحيم الله البجنورى أن عندى هذا الكتاب المستطاب نافع نفعاً تاماً ، بل ضرورى أشد الضرورة فى حق الطالبين للحق والتحقيق فى معاملـة الأمور المهمة الدينية التى بدون الاطلاع التام عليها والإعتقاد الجازم بها لايليق أحد بأن يعد فى زمرة الأمة المرحومة المحمدية على صاحبها ألف ألف صلوات وتحية ،لا سيما فى هذا الزمان إلا بعد من خير القرون النازلة فيه ساعة بعد ساعة ،ولحظة بعد لحظة ،أنواع بليات الآفات والفتن من أهـل الشرور والطغيان عصمنا الله منها ببركة رسولـه وحبيبه سيد العالمين ، خاتم النبيين والمرسلين إلى يوم الدين ، فجزى الله خير الجزاء عن سائر المسلمين لمصنفه الحبر الكامل المحقق المدقق فخر أقرانه وأبناء زمانه ، لازالت شمس ذكائه المنورة بنور ضيائها طالعة ، ونجوم تدقيقاتـه الباصرة بأنوارها ساطعة ، فقط .

" وهذه نبذة من نفثات صدر ذلك الملحد وكلمات كفره مما أوحى إليه شيطانـه ، واستهوى به قرينـه مما فاق بـه كل كافر وزنديق ، يدعى دعاوى بسيطة عاطلـة مع غايـة جهلـه ، وقلة فهمه ، حتى إنه لايستطيع تلفيق عبارة صحيحة فى الفارسية ، فكيف بالعربية ، ويزعمها حقائق وهى فى الحقيقة بقابق ، انتخبها مولانا السيـد مرتضى حسن ، وترجمها المولوى محمد شفيع الديوبنـدى ، فلينظر الناظر فيها ، هل غادر فيها كفراً لم يأته ؟ كلا ثم كلا " .

فہرس الکتب

(الف)

(ب)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

* * *

فهرس الاعلام

(ب)

(ت)

(ث)

(ن)

(و)

(ه)

(ی)

فهرست مقاصد الرسالة اجمالا

موضوع	صفحة

موضوع	صفحة
كل من ضلل الأئمة المحمدية فهو كافر	٥٨
نقول من كتب الحنفية فى مسألة التكفير وفيما يكفر به	٥٩ - ٦٠
توجيه عدم كفر اسرائيلى بقوله: لئن قدر الله على الخ	٦١
تحقيق أن الجهل بضروريات الدين لا ينجى من الكفر	٦٢
بيان عدة وجوه فى التكفير	٦٥
إنكار الإجماع وإنكار الأخبار المتواترة كفر	٦٥
تنبيه مهم من المؤلف فى أن خبر الواحد يصلح مأخذاً للتكفير	٦٦
تنبيه فى تحقيق الكفر مع بقاء التصديق	٦٨
تحقيق أن التأويل فى ضروريات الدين لا يدفع الكفر	٧١
تحقيق مسألة عدم إكفار أهل القبلة	٧٢
تحقيق أن لازم المذهب الصريح البين إذا كان كفراً يكفر به	٧٣
بيان ضروريات الدين التى يكون إنكارها كفراً	٧٤
نقول مهمة من العراقى والغزالى وغيرهما فى الموضوع	٧٦
نقول من أكابر الحنفية فى تحقيق تكفير أهل البدع	٧٧
نقول من المتكلمين فى الموضوع	٧٨
بيان مذهب القرامطة والباطنية فى تأويل الأسماء	٨٠
بيان إجماع الأمة على تكفير من خالف ضروريات الدين	٨١
التقاط عبارات مهمة للوزير اليانى من كتابه "القواصم والعواصم"	٨٢ - ٨٨
الفرق الدقيق بين إرادة التأويل وإيجاده	٩٠
بيان أن منكر فرضية الزكاة كافر بإجماع المسلمين	٩١

موضوع	صفحة

موضوع	صفحة

دِرْهَمُ الصُّرَّة

فِيْ وَضْعِ الْيَدَيْنِ تَحْتَ السُّرَّة

مع

تَرْصِيْعُ الدُّرَّة عَلَىٰ دِرْهَمِ الصُّرَّة

و

مِعْيَارُ النُّقَّادِ فِي تَمْيِيْزِ الْمَغْشُوْشِ عَنِ الْجِيَادِ

من تأليف

العلامة المحدث الفقيه الشيخ محمد هاشم السندي التتوي

المتوفى سنة ١١٧٤هـ

وتليه

درة فى إظهار غش نقد الصرة

للعلامة الشيخ محمد حياة السندى رحمه الله تعالى (المتوفى سنة ١١٦٣هـ)

قدّم له : الأستاذ عبد الفتاح أبو غدّة حفظه الله تعالى

اعتنى بإخراجه وتصحيح نصوصه وتقابل نسخه

نعيم أشرف نور أحمد

إدارة القرآن والعلوم الإسلامية

كراتشي ـ باكستان

شرح الأشباه والنظائر

للعلامة زين الدين بن ابراهيم المعروف بابن نجيم الحنفي

المتوفى سنة ٩٧٠ھ

المسمى بـ

غمز عيون البصائر

للعلامة الشيخ السيد احمد بن محمد الحموي المصري رحمه الله

اعتنى بإخراجه وتقديمه

نعيم اشرف نور احمد

الجزء الأول

كلشن اقبال كراتشي باكستان

فون ٣٤٩٦٥٨٧٧



تأليف

الإمام الفقيه فخر الدين حسن بن منصور بن محمود الأوزجندي الفرغاني

المعروف بقاضي خان المتوفى ٥٩٢هـ

حقق نصوصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه

فضيلة الأستاذ الدكتور قاسم أشرف نور أحمد

المجلد الخامس

كتاب الوصايا ـ الكفالة ـ الحوالة

الناشر
المجلس العلمي
كراتشي

إخراج وتوزيع
إدارة القرآن والعلوم الإسلامية
كراتشي باكستان

جمع الفوائد

من جامع الأصول ومجمع الزوائد

لعمدة المحدثين وزبدة المحققين العلامة الجليل محمد بن محمد بن سليمان

المغربي المتوفى سنة ١٠٩٤هـ رحمه الله تعالى

الموسوعة الدينية الشاملة التي تعتبر أكبر دائرة معارف في الحديث النبوي التي جمع المؤلف فيها على ترتيب الأبواب أحاديث ١٤ كتابا : الصحيحين للبخاري ومسلم ، والسنن للنسائي وأبي داود والترمذي وابن ماجه والموطأ لمالك ، والمسانيد لأحمد بن حنبل والدارمي وأبي يعلى الموصلي وأبي بكر البزار ، والمعاجم الثلاثة للطبراني الكبير والأوسط والصغير فجامع الأصول لابن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٠٦هـ ومجمع الزوائد للحافظ الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ .

وبهامشه

أعذب الموارد في تخريج جمع الفوائد

لمحب السنة النبوية وخادمها

السيد عبد الله هاشم اليماني المدني

القسم الثاني من المجلد الثاني

الناشر

المجلس العلمي

كراتشي

إخراج وتوزيع

إدارة القرآن والعلوم الإسلامية

كراتشي باكستان



تاليف

الامام الشيخ أبي الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر البغدادي القدوري
رحمه الله تعالى المتوفى سنة ٤٢٨ هـ

مع شرحه

المعتصر الضروري

تاليف

العلامة الشيخ محمد سليمان الهندي رحمه الله

مع المصطلحات الفقهية

للعلامة الشيخ عبد الفتاح أبي غدة رحمه الله

اعتنى بضبطه وتقديمه وإخراجه

نعيم أشرف نور أحمد

من منشورات
إدارة القرآن والعلوم الإسلامية
كراتشي باكستان



للإمام المحدث الفقيه بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني رحمه الله تعالى

المتوفى ٨٥٥هـ

اعتنى بإخراجه

نعيم أشرف نور أحمد

الجزء الأول

إدارة القرآن والعلوم الإسلامية

كراتشي - باكستان

الهاتف: ٠٠٩٢٢١-٣٤٩٦٥٨٧٧